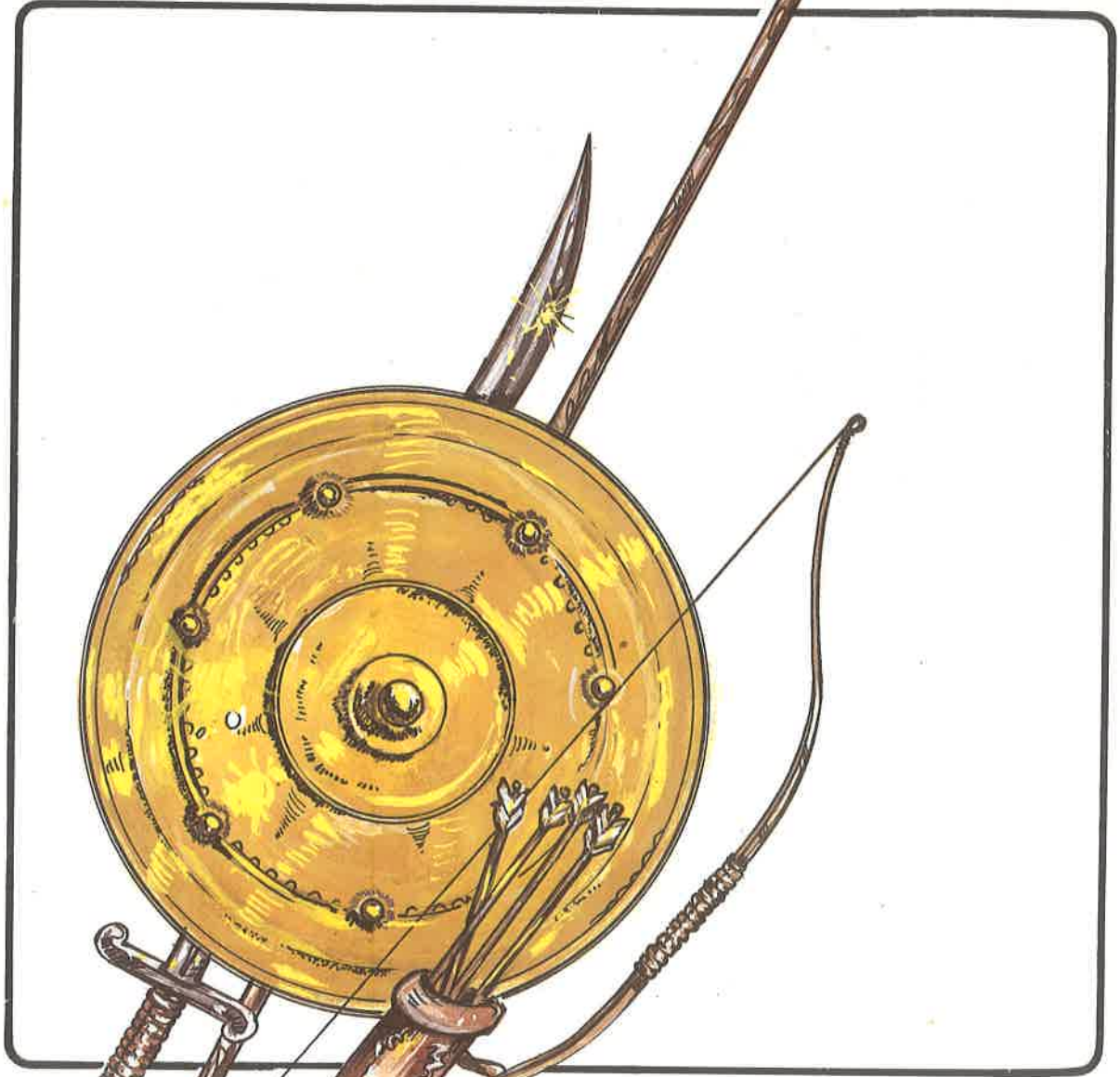


الفكر العسكري ومبادئ الحرب  
في صدر الإسلام



تأليف  
العقيد الركن عبد الرازق ابراهيم

الفكر العسكري ومبادئ الحرب  
في صدر الإسلام

تأليف  
العقيد الركن عبد الرزاق إبراهيم

الطبعة الأولى

١٩٨٨



حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال والمؤتم  
القائد الأعلى للقوات المسلحة الأردنية



صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طاهر

هداء

بن الأمير للامير  
بن الامير له وجمه والها شمسية  
بن من الأبناء شمعة بن الخليل جيا في خينا في رهنا له  
وطيشنا العزيز الرباسل  
بن صاحب السمو الملكي الأمير الحسن أهدي هذا الكتاب

المؤلف

## بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله صاحب الفضل والمنة، وصلاة وسلاما على المبعوث للعالمين رحمة، وعلى آله وصحبه أولي النهي والفتنة، ومن تبعهم باحسان، فهم أحسن القدوة والسلف من الامة وبعد.

فانه ليس من اليسير علي أن اقدم جهد اعوام في مثل هذه العجالة، وأن الخص بحثا عنوانه الامة في اهم جوانبها وأعظم انتاجها، فالامر يقتضي سبر أغوار التاريخ ورجاله الذين سطروه بدمائهم وزينوه بفعالهم واخرجوه احداثا أسرت القلوب فاحببتهم وأخذت بالعقول فاعجبت بهم، فكانوا الذكرى التي لا تنسى والمعالم التي لا تأتي عليها عوادي الزمان مهما ادلهمت.

لقد استحوذ الفكر العسكري الاسلامي، والعقيدة القتالية والمبادئ الحربية من منظور اسلامي على الناشئة بعد ان ذاقت الامة الهوان في فترات استنابها للقمة التي وضعتها عليها تلك العقيدة والمبادئ والافكار التي كانت نتاج جيل رضع لبان العزة عن اسلامه وتدنر بلحاف اعداده وتزيا باللوان ابداعاته التي اذهلت العوالم كلها وتقوضت تحت سناك خيله ومن تحت اقدام عزته أعظم امبراطورياتهم تلك الايام، فكانوا حديث الدنيا وها هم اليوم يعودون سيرتهم الاولى.

وأكاد أجزم اننا حتى هذه اللحظة - اكثر الأمم انتاجا للقادة - وأعظمها اخراجا للتوعية المتميزة، واغزرها انتاجا للفكر العسكري المرن، لكن حالت حجب كثيفة دون ظهور هذه الحقائق للقاصي والداني، للعلماء والعامّة وكان منها - بل واشدها اثرا - النفسية التي كانت ترجمتها الانبهار بما عند الغير بفعل التخلف والواقع المر الذي عشناه مؤخرا، فجعل منا إمعات متأسلة تؤثر الأخذ على الابداع بدافع انه الأسهل، وأن الابداع هو الاصعب، فالامة المترهلة المتكسلة هي تلك التي تؤثر الاستيراد على الاكتفاء بالموجود الذي بقليل من الجد ينمو لبيز كل جديد، ويفوق كل متوقع في عالم خيالهم البعيد.

ولم يكن مستغربا أن يواكب هذه الفترة الحالكة من تاريخنا انحسار صور البطولة التي جسدها قادتنا عن ذهن الاجيال المتأخرة مما أفسح المجال لعالم الغربان أن يستحوذوا على اعجابنا فطرزنا عباراتنا بجمال من الفاظهم ودبجنا مقالاتنا بأسطر من اقوالهم واقتبسنا من فكرهم ما اوردناه على انه الصدق الذي لا كذب فيه والمسلمات التي لا جدال حولها والحقائق التي لا تقبل المناقشة والتردد فلا تسمع في معاهد درسنا وتدريبنا الا اسماءهم ولا تصدر مقالاتنا الا باقوالهم على انهم الانموذج الارقى والنوعية التي تقتدي. ولولا انهم نشدهم من حركة انبعاث اسلامي على جميع الصعد والمستويات لما كانت مثل هذه الدراسات من جدوى خارج دائرة البحث العلمي المجرد، فجاءت بواكيرها على ايدي نخبة من العسكريين المسلمين الذين رأوا ما

في الغرب والشرق من فكر ومبادئ حربية مع اطلالة جيدة على عوالم العسكرية الاسلامية قرأوا بروح التجرد والعقلانية البعيدة عن الانبهار تطابق الحاضر المستورد مع الماضي الاصيل مع احتفاظ هذا الماضي بفضل السبق بترون وتفرد به بما لا وجود له عندهم من عوامل الايمان وحب الاستشهاد والتعالي على متطلبات البدن والشهوات كما شهده عالم الصحابة والتابعين فجاء توجه ابي اسلام في مؤلفه هذا أحد دقات الخير تصب عزة في شرايين الامة لتعيد اليها رواءها الذي يزيد في نضرتها ويمسح الشيخوخة عنها، بعبارة خالية من التعقيد شأن الحياة العسكرية المسلمة. مفعمة بالايمان والاعتزاز شأن الجندية المؤمنة، واضحة وضوح الهدف لمن يريد مها معركة فاصلة، تضع النقاط على الحروف لتزيل عجمة الفكر الذي طوف بنا عربا وشرقا وعندنا الماء الزلال.

وكنتم اتمنى على ابي اسلام في تعريفنا بمبادئ الحرب ان لا يطيل في شرحها بمفهومها المعاصر بل يستفيض في تفصيل مفهومها اسلاميا، يكثر من ذكر النماذج والادلة من حياة المسلمين فلربما كان سيغنيه ذلك عن ذكر المعارك الاسلامية الشهيرة التي أوردها في باب خاض بغرض بيان مبادئ الحرب التي استخدموها. فلسنا في معرض الاستقصاء للمعارك الاسلامية بل في معرض الاستدلال بها على عنوان الكتاب. والتمس له العذر من جهة ان الامة اغلبها مقطوعة الصلة بهذا التاريخ العظيم فناسب ان يستفصل اطلاعهم عليها والتدليل منها على ما يريد.

وأسجل بالافتخار بروز ظاهرة التأليف في الوسط العسكري الاردني وخاصة في الدراسات العسكرية الاسلامية والامر من معدنه لا يستغرب فمؤسس هذا الجيش رحمه الله اراده بقية الجيش المصطفوي فجاءت الثمار مؤخرًا معرزة هويته على ايدي بنيه المثقفين. راجيا أن تأخذ الظاهرة ابعادا أخرى على طريق عودة الامة الى دينها وشريعته وعسكريتها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل...

د. علي الفقير

## مقدمة الكتاب

كم يشعر الإنسان بالفخر والعزة وهو يكتب أو يقرأ تاريخ أمته، خاصة إذا كان تاريخ هذه الأمة يرفع الهامات ويقوي العزائم. ومن يغوص في بطنون التاريخ يجد ان هذه الأمة التي تعيش الآن في سبات عميق قد بنت مجدها في الماضي، ليس على القوة فحسب. فقد كانت قوية كغيرها من الأمم ولكنها تميزت بفضائل الأخلاق وخاضت حروباً منظمة ضد اعدائها استخدمت فيها الأسس التعبوية والمبادئ التي كانت سائدة في ذلك العصر إضافة الى الأسس العسكرية السماوية التي وردت في القرآن الكريم واستفاد المسلمون منها فائدة كبيرة.

وكم يشعر الإنسان بالخجل عندما يسمع البعض من أبناء أمته من يقول أن هذا التاريخ قد عفا عليه الزمن أو فليذهب التاريخ إلى الجحيم، ما الفائدة؟ وماذا يمكن أن نستفيد من تاريخ يملأ صفحات الكتب ومكدهس في أروقة المكتبات؟ هل يمكن أن نستعيد بها. فلسطين أو الجولان؟ وهل يمكن أن يوقف الهجمات البربرية ضد هذه الأمة من شرقها وغربها؟ ومن دخلها وخارجها؟ ومن كل اتجاه؟. كدت أن انجرف في هذا التيار وكاد أن يأخذني نهر دجلة بعيداً وأنا اكتب على صفته في جانب الكرخ وفي قبالتي جانب الرصافة الأبى الذي يشهد على أن هذه الأمة كانت قوية وستنهض مرة أخرى.

أقولها بكل أسف أن الغزاة لم يكن هدفهم أرضنا فقط لا بل معتقداتنا وأفكارنا وتاريخنا وإلا كيف نقول بأنهم لم يتعرضوا لتاريخنا ولم يدسوا فيه السموم القاتلة وقد أسقونا السم بثوب العسل.

وماذا نقول للجنرال أكرم الباكستاني سامحه الله في كتابه سيف الله خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> أن عمر ونالد كانا يكرهان بعضهما قبل الاسلام واستمرت هذه الكراهية حتى ولي عمر الخلافة فعزل خالداً في معركة اليرموك غلاً وكراهية ثم يعود السيد الجنرال محاولاً تبرير هذا الموقف، وكذلك نقل الصاغ محمد فرج في كتابه سيف الله خالد<sup>(٢)</sup> سمواً آخرى وغيرهم الكثير ممن شكك في عثمان وعلي ومعاوية، ولا الوم هؤلاء واولئك لأن كتابات جورجي زيدان وأمثاله كانت مصادر بحثهم. أين الاسلام في نفوس هؤلاء صحبة رسول الله اذا كان ما ذكر صحيحاً، فالاسلام اذن كالنازية والشيوعية مجرد من المبادئ والأخلاق، وحاشا لله أن يكون الإسلام هكذا ولكن التفسير الخاطيء أو المقصود كما ذكرت هو الذي قادنا الى هذا الطريق والأخرى بنا كعرب ومسلمين أن لا نورد مجالاً للشك لقراءتنا بهؤلاء القادة العظام الذين شادوا الدولة الاسلامية بدمائهم وعكس ذلك فإن القارئ قد يصدق هذه الترهات والأباطيل وقد يقول في نفسه اذا كان هؤلاء الرجال الذين سايروا بزوغ هذا الدين وانبلاج فجره هم بهذه الكيفية وهذه النفسية فما هو المطلوب منا ونحن على بعد خمسة عشر قرناً من ذلك الزمان.

أعود فأقول إن كتبنا ومكتباتنا زاخرة بتاريخ الامة الاسلامية ولكن هل عمّت الفائدة علينا؟ هل طبقنا من الكتب ولو في صولة أو جولة؟ والجواب كلا رغم أن الله تعالى يقول (وقل

(١) كتاب سيف الله خالد بن الوليد / اكرم الباكستاني

(٢) كتاب سيف الله خالد / محمد فرج



اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، ولماذا اذن كتب الصهاينة تاريخهم المزعوم الزائف في القرن التاسع عشر وطبقوه علينا في القرن العشرين ونجحوا نجاحاً منقطع النظير؟ لماذا نكتب التاريخ ولا نستفيد منه فليذهب التاريخ إلى الجحيم حقاً اذا لم يغرس في نفوس اطفالنا منذ نشأتهم الأولى؟ لماذا لا ننظر إلى عدونا وهو يكتب تاريخاً مزيفاً ويدرسه لأبنائه ويوهم جنوده بأنهم حاربوا الفلسطينيين والكنعانيين والرومان وحققوا انتصارات باهرو، لقد أعطوا لكل معركة هزيمة خاضوها سفيراً من المجد لبعث الروح المعنوية في جنودهم فمعركة (مسّاده) يتغنى بها اليهود لأنهم كما يدعون خاضوا معركة دفاعية ضد الرومان حتى الموت وما رأيك بأن الجنود الامريكيون يعرفون تفاصيلها اكثر مما يعرفون تفاصيل بيرل هاربر<sup>(١)</sup> اذن لماذا لا نستفيد نحن من هذا التاريخ ونحن الأحق والأجدر بذلك وتاريخنا أقرب وأصدق وأوثق ولا يحتاج إلى خلق وتزوير مبادئ ندعي ان المسلمين استخدموها في الماضي فمبادؤنا موجودة في قرآننا وسنة نبينا ووصايا قادتنا ولا يمنع كذلك أن نستفيد مما كتب مؤرخونا في حاضر هذه الأمة وماضيها.

رغم أنني اكتب بوجل لأن هذا الكتاب باكورة أعمالي ولكنني اكتب ان شاء الله بصدق وبإيمان وبوحي من ضميري ولم تكن فكرة هذا الكتاب بنت ساعتها فقد سبق لي ان كتبت في هذا المجال الكثير من المقالات في المجالات العسكرية طرحت فيها بعضاً من هذه الأفكار التي سأوردها هنا، لقد كانت نواة افكاري نابعة من موضوع لأحد أصدقائي طلب مني أن أساعده فيه وقررت بعدها أن أطور هذا الموضوع الى كتاب وتشاء الظروف ان أبعث إلى العراق الشقيق لأعمل مدرساً في كلية الاركان العراقية فيكون لديّ متسع من الوقت لأتمم ما كتبت وقد استشرت أخي وصديقي العقيد الركن حازم عبد الرزاق شهاب الذي شجعني وساعدني في الوصول الى بعض المراجع في كلية الاركان التي هي بحق مكتبة قيّمة تحوي العديد من المراجع النفيسة التي يستفاد منها.

ان أسلوب طرحي لهذا الموضوع قد يختلف بشكل أو بآخر عن سبقني لانني لم أعالج النواحي العاطفية ولم أعتمد السرد التاريخي بل اعتمدت التحليلات التي توصل اليها البعض وقمت بالتحليل في مواقع أخرى أملاً ان اكون في الجانب الصحيح. قد يعيب علي البعض مزجي القديم بالحديث ومبرري في هذا هو كيف يمكن أن نستفيد من القديم إذا لم نطابقه مع الحديث كما انني استخدمت بعض المصطلحات الحديثة مشيراً بها إلى عبارات قد تكون غير مستخدمة في ذلك العصر وغايتي من ذلك تقريب مفهومها لقرائي الأعزاء. لم أتطرق الى جميع المعارك الاسلامية في صدر الاسلام لأن هذه ليست غايتي، وجُلُّ مقصدي هو إبراز الفنون العسكرية الاسلامية من خلال معارك معروفة ومشهورة وبياز المبادئ والدروس التي تمت الاستفادة منها في نماذج من المعارك الاسلامية وبعد البحث والتحري وجدت ان المعارك المدرجة ضمن هذا البحث قد تكون مناسبة للتطبيق. لقد استشهدت في الكثير من اقوالي بالقرآن الكريم لأنه موسوعي وحجتي رغم انني لم أستخلص منه إلا القليل مم استوعبه فكري من هذا الكتاب

(١) بيرل هاربر: معركة في الحرب العالمية الثانية دُمّر فيها اليابانيون الاسطول الامريكي بالطائرات تدميراً كاملاً.

المعجزة لأن هذا القرآن الموسوعة يحتاج الى عقول اسلامية عسكرية عبقرية لتحليله وابعازه الى  
حيث الوجود من الوجة العسكرية حتى يكون غايتنا وطريق النور الذي يهدينا سواء السبيل  
وأسأل الله التوفيق والسداد .

المؤلف

العقيد الركن عبد الرازق ابراهيم

## توطئة تاريخية

(إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)<sup>(١)</sup>. الأمة برجالها والرجال بأعمالهم والأمة تعلق بأبنائها المخلصين وابطالها المجاهدين وخليق يمثل تلك الأمة أن تسود وتملي ارادتها على غيرها، وهكذا كانت الأمة الاسلامية وهكذا كان رجالها مثلاً يحتذي بهم ومدرسة تعلم منها الصغير والكبير أخلاق الحرب. وبما أن الحرب قديمة قدم الوجود وقد مارسها الانسان ليؤمن لنفسه البقاء، لذا فليس غريباً أن تخوض الأمة الاسلامية حرباً ضد اعدائها بأمر رباني متعلق بسنن الاجتماع إذ يقول الله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)<sup>(٢)</sup>.

لقد شهد التاريخ الانساني نضالاً عظيماً من البشرية بحثاً عن عقيدة تهتدي بها في بناء حياتها وتنظيم علاقاتها، غير أن ذلك لم يؤد إلى أكثر من مجرد رؤى أقرب الى الفكر الاجتماعي منها الى العقيدة الدينية حتى الرسالات السماوية التي سبقت الديانة الاسلامية فقد كانت زمانية وركزت على الجانب الروحي أو المادي فقط أما العقيدة الاسلامية فكانت عقيدة شاملة استوعبت قضايا الانسان والكون دون أثر للظروف التاريخية والاجتماعية عليها. ازاء ذلك يتجلى خلود وعظمة العقيدة الاسلامية التي ارادها الله عقيدة لكل البشرية في كل زمان ومكان، عقيدة عادلة تحترم ارادة البشر واختياراتهم وتتخذ من العقل جسراً نحو الايمان الواعي. كانت الدعوة الاسلامية أشبه بثورة انسانية ضد مواطن الظلم التي اسقطت حرية الانسان واستعبدت ارادته محققة بذلك بناء مجتمع انموذج يقوم على الحق والعدل والمساواة لكل الأفراد والشعوب. لم يشرع الاسلام إلا ما كان لأجل رد العدوان وتأمين حرية الدين وحماية الدعوة لتصل الى الناس واضحة ويتحدد موقفهم منها، وإذا كان الاسلام قد شرع الحرب فإنه جعلها في اطار من القواعد والاسس قائماً على الاخلاق والفضيلة الانسانية إذ لم يسجل التاريخ حرباً بأخلاق كالتي شنها المسلمون إبان غزواتهم وفتوحاتهم لنشر وإعلاء كلمة الدين الإسلامي.

ظهر الاسلام في عصر لا يعرف من الحرب إلا الكر والفر والاقدام والإحجام ولم تعرف الحرب فيه كفن، ولهذا لم تخضع الحرب عند العرب لمبادئ واصول بعد بعثة الرسول وبدء غزواته لم تعد الحرب على تلك الصورة فقد كان الرسول يفكر بعقلية رجل الحرب ذي العقل المدبر والفكر السليم والرأي الصائب والنظر البعيد وهكذا كان خلفاؤه من بعده والقادة الفاتحون. وهذا ما سنتبينه من خلال وصاياهم وخطبهم في جنودهم، فقد استطاع هؤلاء العرب الذين رفعوا راية الاسلام في عقود بسيطة أن يعلموا العالم بأسره أصول الحرب وفنونها ومبادئها حتى أن الكثير من المصطلحات العسكرية المستخدمة هذه الأيام كالردع النووي والرد المرن والحشد الاستراتيجي هي اسس اسلامية ولو اختلفت التسميات وقد طبقها المسلمون

(١) محسرة النصر

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥١

قبل خمسة عشر قرناً وقد ورد الكثير منها في نص القرآن الكريم نورد منها كمثال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف الله اليكم وانتم لا تظلمون)<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

الباب الأول

# الإسلام والحرب

الفصل الأول

# الباب الاول الاسلام والحرب

## الفصل الاول

- ١ - نظرة الاسلام الى الحرب
- ٢ - مشروعية الحرب في الاسلام
- ٣ - بواعث الحرب في الاسلام
- ٤ - اخلاق الحرب في الاسلام

### نظرة الاسلام الى الحرب

لم يشرع الاسلام الحرب إلا لرد العدوان وتأمين حرية الدين وحماية الدعوة الاسلامية، وإذا كان الاسلام قد شرع الحرب للأسباب آنفة الذكر فإنه جعل الحرب المشروعة في اطار من القواعد والضوابط القائمة على الاخلاق والفضيلة والتسامح.

إن احدى القواعد الأساسية في الإسلام قبل شن الحرب هي الدعوة وتخيير الخصم بين ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ما قاتل رسول الله قوماً قط إلا دعاهم) وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال (كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش، أوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى خصال ثلاث فأيتها اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم).

يجب ايقاف الحرب عندما تزول الاسباب الموجبة لها او اذا جنح الخصم للسلم فإن في ذلك مصلحة المسلمين (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين<sup>(١)</sup>)، (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)<sup>(٢)</sup> يأمر الله المسلمين في هذه الآيات أن يكفوا عن القتال اذا رغب العدو في ذلك رغم ما قد يكون في ذلك من عذر ومكيدة من جانبهم وانتهازاً لفرصة تكون أقرب لنيل الغرض وتحقيق المآرب كما فعل اليهود في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ عندما طلبوا الهدنة بقصد الغدر والتجهز للحرب من جديد وقد كانت العمليات في الجولة الاولى من الحرب لصالح القوات العربية وقد تحولت لصالح اليهود بعد الهدنة الاولى اذ تمونوا بالاسلح والعتاد وحققوا النصر على القوات العربية في الجولة الثانية. لم يبيح الاسلام الا قتال المقاتلين فقط وأمر بعدم التعرض للأطفال والنساء

(١) سورة البقرة - آية ١٩٣

(٢) سورة الانفال - آية ٦١

والشيوخ وغيرهم ممن ليسوا أهلاً للقتال ودليل ذلك قول الرسوا، السابق وقول الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)<sup>(١)</sup>، وقد التزم جميع الخلفاء الراشدين وقادة المسلمين بهذا المبدأ وهذا يظهر جلياً في خطبهم ووصاياهم وأفعالهم تجاه أعدائهم.

حرّم الاسلام التمثيل بالقتلى والحرق بالنار وغير ذلك من الأعمال الوحشية التي تنزه المسلمون عن الاتصاف بها مثل اتلاف الاموال والتخريب في بلاد العدو وتقطيع الشجر وحرق النخيل وذبح البهائم لغير مأكلة ونضرب مثلاً خطبة الخليفة ابو بكر الى يزيد بن ابي سفيان عندما أنفره على رأس جيش لفتح الشام (لا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه).

أوجب الاسلام معاملة أسرى الحرب وفقاً لاحترام المبادئ الانسانية والاخلاقية وذلك قبل ميثاق جنيف الخاص بأسرى الحرب بعدة قرون اذ يقول الله تعالى (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم)<sup>(٢)</sup> كما أوجب الاسلام مداواة جرحى العدو ووجوب الوفاء بالعهد وتحريم الخيانة والغدر. من هذا نستخلص بأن نظرة الاسلام للحرب لم تكن نظرة مادية ضيقة بل كانت حرب اخلاق حتى الجزية المفروضة لم تكن عوضاً عن دم أو عقيدة وإنما لحماية أهل الذمة وجعلهم يتمتعون بحقوقهم كالمسلمين سواء بسواء وقد ردت الجزية الى أصحابها عندما كان يضطر المسلمون لترك الارض وعدم تأمين الحماية (كما فعل خالد بن الوليد مع اهل حمص وأبو عبيدة مع أهل دمشق وباقي القادة المسلمون عندما اضطروا لترك الاراضي المفتوحة قبيل معركة اليرموك)<sup>(٣)</sup>.

## مشروعية الحرب في الاسلام

استخدمت قريش كل وسائل الاعتداء والاهانة ضد المسلمين في بداية الدعوة فما كان عليهم إلا أن يهاجروا من مكة حيث أولادهم وأموالهم وأهلهم تخلصاً من الظلم والعدوان. فرّ المسلمون بعقيدتهم وهاجروا إلى الحبشة مرتين حتى استطاعوا ان يؤمنوا قاعدة أمنية في المدينة المنورة قادرة على حماية الدعوة ورفع الظلم عن المسلمين. ويحق لنا أن نتساءل أليس الله بقادر أن يرد الظلم عن المسلمين ومنع ايداء قريش؟ اين قدرة الله التي تستطيع أن تمحو قريشاً وغير قريش من الوجود، ألم يكن في قدرة الله أن يجعل كل سكان الارض مؤمنين بين عشية وضحاها؟ والجواب بلى ولكن هذا الدين لم يقم على الحرب والعنف كما يدعي بعض المستشرقين، بل قام على التسامح والدعوة بالحسنى وعدم الإكراه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)<sup>(١)</sup>. كم عانى رسول الله من ظلم قريش وعنتها وتعسفها وإهانتها له منها هو في

(١) سورة البقرة - الآية ١٩٠

(٢) سورة الانفال - الآية ٧٠

(٣) الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان - الجزء الاول لسيف الدين سعيد آل يحيى

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٥٦

فتح مكة يسألهم ماذا تظنونني فاعل بكم؟ فيقولون خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فيقول الرسول: اذهبوا فانتم الطلقاء - هذه هي أخلاق النبوة وأخلاق الاسلام أيضاً.

في السنة الأولى للهجرة النبوية وبعد أن أصبح لدى المسلمين قوة كافية للدفاع عن أنفسهم أمرهم الله بذلك بقوله (أَنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَانْتِزَامٍ ظَلَمُوا وَأَنْ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (٢). من هذه الآية والآيات الكثيرة التي سترد فيما بعد نستنتج ان الله اتاح شرعية القتال للمسلمين ولكن بشروط واضحة منها الدفاع عن النفس ونشر الدعوة وتثبيت دعائم الاسلام وغيرها من الأسباب الموجبة.

## بواعث الحرب في الإسلام

### ١ - الدفاع عن النفس

جعل الله المسلمين في موقع المدافع لرد العدوان ففي قوله (فإن قاتلوكم فاقتلوهم ذلك جزاء الكافرين) (١). كما بين أيضاً ان طرد المسلمين من ديارهم ومبادأة المشركين لهم بالعدوان ونقض العهد من الأمور التي تستوجب القتال (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدعوكم أول مرة) (٢). لا يعني ان الحرب في الاسلام هي حرب دفاعية فقط ولكن أمر المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم بكل قوة وردع كل معتدي يفكر بالتعرض لأموال وحرمت المسلمين لان الاسلام دين قوة وليس دين ضعف.

### ٢ - حرية نشر الدعوة الاسلامية

من الواضح أن العقائد السماوية ومنها العقيدة الاسلامية أسست قواعدها على أساس الاقتناع والايمان بهذه العقائد دون اكراه لأن في الإكراه تنفيذاً وقتياً وطاعة عمياء ستنعكس إننا أجلاً او عاجلاً سلباً على آية دعوة عندما تكون في بدايتها، يقول الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (٣)، ولقد كانت مهمة الرسول والمسلمين من بعده هي الانذار والتبشير وتوضيح السبيل والامتناع بالحجج (إننا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) (٤). لقد اطلق الاسلام على القتال كلمة الجهاد وللجهاد وسائله المختلفة، ومعناه بذل الجهد في دفع الشر وافساح الطريق أمام الخير، والجهاد نوعان: ظاهر وباطن فأما ظاهره فالجهاد بالمال والنفس والجهاد الفكري والسياسي وأما باطنه فهو جهاد النفس وهو ما سمّاه الرسول بالجهاد الأكبر لاستطاعة الشخص التحكم في أهوائه ونزواته وضبط مسارها. وقد يتساءل البعض هل تأمين حرية نشر الدعوة يتطلب القتال؟ والجواب نعم لأن كل الامم والاديان بما فيها الاديان السماوية وقفت ضد الدعوة الاسلامية وهذا تطلب تأمين الحماية

(٢) سورة الحج - الآية ٣٩ ، ٤٠

(١) سورة البقرة - الآية ١٩١

(٢) سورة التوبة - الآية ١٣

(٣) سورة النحل - آية ١٢٥

(٤) سورة البقرة - آية ١١٩



بالسيف حيث تداعت الامم على المسلمين كما تداعي الاكلة على قصعتها يريدون تحطيم هذا الدين بأية وسيلة، فلم يكتفوا بتكذيبها ودحضها بل جاهدوا بكل ما يملكون للقضاء عليها في مهدها، فلما لم يفلحوا بدأوا بتعذيب اتباع هذه الدعوة بشتى الوسائل، عندها هاجر الرسول واتباعه فراراً بدينهم من أذى الكفار إلى الحبشة والطائف والمدينة المنورة تاركين أرضهم وأموالهم وبذراريهم تحت رحمة قريش، فهل اكتفت قريش بذلك؟ والجواب كلا فقد تبعتهم إلى كل مكان تحرض القبائل ضدهم وقد نجحت في مكان وفشلت في مكان آخر. عندما استقر المسلمون في المدينة حشدت قريش كل قوتها واتباعها وغزت المدينة مرات عديدة كما سنرى ذلك فيما بعد. الا يحق لمن اضطهد وهُجّر من أرضه وبلده واضطر لترك زوجته وأولاده أن يدافع عن عقيدته، لهذه الاسباب أوجب الله القتال حتى لا يكون المسلم ذليلاً مباح العرض والمال.

بعد هجرة الرسول إلى المدينة المنورة بدأت تتكون الدولة الاسلامية شيئاً فشيئاً وبدأت تكبر وتكبر بدخول أعداد جديدة في الاسلام، ولم يعد المسلمون أولئك النفر القليل كما كانوا في مكة، وما دامت الدولة بحاجة إلى دعائم ومن الدعائم الرئيسية للدولة جيش قوي يحمي اركانها حتى لا يطمع فيها اعدؤها ولا يستضعفونها بقوة الدولة بجيشها (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون)<sup>(١)</sup>. نجد من هذا أن الرسول أوّل ما بدأ بتأسيس مركز الدولة وهو المسجد الذي تنطلق منه الجيوش في سرايا وغزوات لردع العدوان وتشبثت أركان الدولة، وقد بدأ بالقوى المناهضة لدولة الإسلام القريية ثم البعيدة فبدأ بيهود المدينة ومن ثم القبائل المجاورة فمكة فالجزيرة العربية وبعدها خرجت الجيوش الاسلامية خارج نطاق الجزيرة الى العراق وبلاد الشام.

### ٣ - دوافع اقتصادية

لم تبرز هذه الدوافع إلا في وقت متأخر رغم معرفتنا بأن شبه الجزيرة العربية هي منطقة قاحلة وثرواتها محدودة لا تكاد تكفي لعيش القبائل التي تسكن هذه المنطقة وبما أن الجهاد الاسلامي بدأ تطوعاً فقد كان الجيش يتفرق بمجرد انتهاء المعركة ويعود الناس لأعمالهم ولكن في وقت لاحق اضطّر المسلمون أن يحتفظوا بجيش دائم لحماية الثغور ورد الاعتداءات عن اطراف الدولة الاسلامية وهذا يحتاج إلى أموال وسلاح وخيل لدفع رواتب الجند وتجهيرهم للقتال وقد كانت العراق وبلاد الشام من البلاد التي تفيض لبناً وعسلاً ناهيك عن أن الدول الحاكمة لها هي دول خارجية وليسوا من ابناء شعبها فالرومان والفرس هم مستعمرون حسب المصطلح الحديث وكان يجب طردهم بالقوة والاستفادة من خيرات هذه البلاد لتأمين جيش إسلامي قوي.

(١) سورة الانفال، الآية ٦٠

## ٤ - نصرة الامم المغلوبة

كما ذكرت في السابق بأن الشعوب التي كانت تعيش في كنف الدولة الرومانية والفارسية كانت شعوباً مغلوبة على أمرها وكانت تسمى الأمم التابعة ويعتبر أفرادها أدنى طبقة في المجتمع ويستخدمون كالعبيد، وجاء الاسلام ليحرر هؤلاء من ربق العبودية ويعد لهم حريتهم وقد كانت استجابتهم سريعة لدرجة أن الكثير منهم أعلن اسلامه قبل رفع الظلم عنه لانهم وجدوا في الدعوة الاسلامية ضالتهم المنشودة فهو دين العدل والحرية، وقد أسلم الكثير من الغساسنة العرب في بلاد الشام وكذلك المناذرة في العراق. وليس من قبيل انتفاخر أن نقول إن ملايين المسلمين الذين نراهم اليوم في الصين والهند واندونيسيا وغيرها من بلدان جنوب شرق آسيا لم يصلهم المسلمون كفاتحين وانما وصلهم الاسلام عن طريق التجار والرحالة فأمنوا بعدل الاسلام.

## ٥ - نبش الدين بالقوة

يعتبر هذا الباعث الأخير من وجهة نظر الإسلام فقد أباح الله لأصحاب الرسالات السماوية أن يبقوا على دينهم مقابل دفع الجزية اذا كانوا في أرض الاسلام وتطلب من المسلمين حمايتهم أما الكفار فلم يباح لهم الاسلام والكفر والاستمرار به لأنه ظلم على انفسهم وعلى أولادهم وقد أمر الله مقاتلتهم حتى يسلموا (يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين)<sup>(٢)</sup> وقال رسول الله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم نفسه وماله). إنه هذا لا يعني الظلم أو الاعتداء بل هو رفع الظلم عن النفس البشرية بكفرها وجحودها وانكارها للخالق وهذا ملاحظ حين أباح لأصحاب الرسالات السماوية بالتمسك بدينهم وأمر المسلمون بالمحافظة على حقوقهم وحمايتهم ومعاملتهم كالمسلمين تماماً دون تمييز (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى).

## أخلاق الحرب في الإسلام:

لم يتعرض المسلمون لغير المقاتلين في كل معاركهم وحرصوا على صيانة أرواح وأموال الأبرياء حتى الأسرى فكانوا يعاملوا معاملة جيدة ففي معركة بدر استأسر المسلمون سبعين مشركاً فوزعهم الرسول على أصحابه قائلاً (استوصوا بالأسرى خيراً) ثم فادى الأسرى بالمال أو لقاء تعليمهم فتيان المسلمين القراءة والكتابة وأما الفقراء منهم فقد أطلق سراحهم دون

(١) سورة التوبة - من الآية ٧٢

(٢) سورة التوبة - آية ١٢٢

مقابل. ليس الاسلام ديناً للعرب دون غيرهم أو لقريش دون قبائل العرب ولكنه للناس جميعاً (اني ارسلت إلى كل أحمر وأسود) انه دين يقاوم القبليّة والتعصب ويسعى إلى وحدة البشر تحت راية وحدانية الله فقد قال الرسول (سلمان منا آل البيت) رغم أنه فارسي الاصل وهذا يدل على صهر جميع القوميات والشعوب تحت راية الأمة الواحدة.

كان الرسول قرشياً فحارب قريشاً من أجل التوحيد وكانت قريشاً قبيلة عربية فحارب العرب من أجل الاسلام، فالاسلام دين المساواة.

أما الناحية المادية فلم تكن غاية للمسلمين في كل حروبهم فهذا قائد الامة لم يمتليء جوفه شعباً قط، تقول السيدة عائشة ام المؤمنين عندما توفي النبي كانت درعه مرهونة ليهودي وخالد بن الوليد الذي فتح أجزاء واسعة من الشام والعراق لم يجدوا لديه إلا فرسه وسيفه واما ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم فقد تبرعوا بكل أموالهم من أجل الاسلام وهذا رد لقول المستشرقين الحاقدين بأن الفتوحات الاسلامية كان هدفها الطمع المادي فإذا كان القادة والرؤساء تبرعوا بما يملكون فكيف بالجند المؤمنين ولا عجب أن يقول، هؤلاء ما يحلو لهم عن الدعوة الاسلامية فغرضهم مشبوه وشكوك فيه اضعف الى ذلك ان كل الفتوحات وعمليات الاحتلال التي تمت خلال مسيرة البشرية كان وراءها أهدافاً إما مادية أو سياسية أو توسعية أو غيرها إلا الفتوحات الإسلامية فكان هدفها الأساسي نشر الدعوة الاسلامية.

ارتكز المسلمون في كل فتوحاتهم على أسس ثلاث تقيد بها جميع القادة المسلمين وهي الإسلام أو الجزية<sup>(١)</sup> أو القتال وما دام هناك خيار فلا يوجد إكراه وللتعريف بهذه الشروط فإنه عند دخول الفرد في الدين الاسلامي يصبح فرداً من هذه الأمة بغض النظر عن عرقه أو ملته ويعامل على هذا الأساس وأما أصحاب الديانات السماوية فتفرض عليهم الجزية مقابل تأمين الحماية ويقال لهم ذميون<sup>(٢)</sup> وقد تكون الجزية من المال أو من خراج الأرض ولا تجب إلا على الرجال الأحرار ويعفى منها الصبيان والنساء وكل من هو غير قادر على تأمين كسب العيش كالمقعد والأعمى وغيرهم. فرضت الجزية في زمن الرسول وقد اخذها اثناء غزوة تبوك من (الاكيدر) صاحب (دومة الجندل) كما صالح (يوحنة بن روية) صاحب (ايله) على الجزية أيضاً في نفس الغزوة. من ملاحظتنا بأن الجزية لم تفرض إلا على القادر على حمل السلاح ولم تكن بالشيء الكثير فقد كانت أقل بكثير من الزكاة المفروضة على المسلمين ولم تخضع لرقم معين وتركت لتقدير الوالي والقدرة المادية للسكان في ذلك البلد، وقد سمح لغير المسلم بالتطوع للقتال اذا أراد وعندما تسقط عنه الجزية فهي اذن بدل الخدمة العسكرية المخروفة هذه الأيام أو بمعنى آخر بدلاً لتضحية الفرد بنفسه، واذا وضعنا مقارنة بين جزية المسلمين وجزية الرومان نجد أن جزية الرومان كانت مرهقة جداً ولم تعوّض عن أداء الخدمة العسكرية فكانوا يساقون

(١) الجزية : ودر تعريفها في القاموس المحيط للفيروز آبادي بأنها خراج الارض وما يؤخذ من الذمي، وفي لسان العرب لابن منظور فإن الجزية هي : - خراج الارض والجمع جزى وجزية الذمي منه - وفي الاحكام السلطانية للماوردي يقول فاما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزء والاصل فيها قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم ضاغرون» سورة التوبة.

(٢) الذمي : وهم اليهود والنصارى والمجوس والصائبة والسامرة - الاحكام السلطانية للماوردي ص ١٢٧ والخراج لابي

للقتال، أما الدولة الاسلامية فقد تكفلت برعاياها مسلمين وغير مسلمين ودليل ذلك أن عمر بن الخطاب عندما التقى باليهودي العجوز الذي كان يدفع الجزية وأصبح هرمًا لا يقدر على ذلك قال له عمر (أخذناها منك شابًا ونعيدها لك كهلاً) وفرض له راتباً من بيت المال وهذا هو الضمان الاجتماعي الحقيقي الذي لن يعادله أي ضمان في هذا العصر، أما القتال والحرب فهي آخر وسيلة إذ أن السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب والامم في نظر الاسلام فاذا رفضت هذه الشعوب السلم أو الاسلام ورفضت دفع الجزية لحمايتها فعليها أن تدعن للحرب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)<sup>(١)</sup>

(١) سورة التوبة - الآية ١٩٨

الباب الثاني

## الفكر العسكري الاسلامي

الفصل الأول

## الباب الثاني

### الفكر العسكري الإسلامي

#### الفصل الاول

- ١ - المقدمة
- ٢ - الاعداد الاسلامي للقتال
- ٣ - القيادة (من العصر الجاهلي الى صدر الاسلام)
- ٤ - الاسس القيادية
- ٥ - نظام التعيين والواجبات القيادية
- ٦ - الألوية والرايات.

#### مقدمة

قد يتساءل البعض ويجد غرابة في استخدام مصطلح الفكر العسكري الإسلامي رغم عدم وجود هذا المصطلح زمن الفتوحات الإسلامية كلها وحتى مفردات هذا المصطلح لم يستخدم في ذلك العصر وأما حجتى في استخدامه فهي ان هذا مصطلح حديث ويفهمه بسهولة كل من احترف الجندية هذه الايام فإذا طبقنا هذا المصطلح على حروب المسلمين في صدر الاسلام نجد أن هناك تناسباً كبيراً، فهل هناك من يشك بأن لدى المسلمين عقولاً وفكراً عسكرياً قتالياً؟ ومن اين نعت هذه الافكار؟ اليس من الاسلام؟ فالعرب عند ظهور الاسلام لم تكن لهم دولة ولم تكن لهم حدود يدافعون عنها ففهم قبائل ينزلون ويرحلون حيث يشاؤون في الجزيرة العربية ولذا لم يعرفوا من الحرب الا فن الغزو والمعروف بالكر والفر فكانوا يكرون على القبائل المعادية ومن ثم يفرون داخل الصحراء طلباً للنجاة أو فرحاً بالغنائم التي اغتنموها. ونستطيع أن نسأل الآن هل هذا الفن العسكري يستطيع هزيمة دولتين عظميين مثل دولتي الفرس والروم؟ والجواب بالطبع لا، لهذا يفترض بأن العرب عند دخولهم الاسلام تعلموا فنوناً حربية جديدة. ولكن من أين أحصلوا عليها؟ وهم لا يعرفون إلا ما تحدثنا عنه فلا سبيل لنا الا الاسلام، فهو منبع الفكر العسكري الإسلامي فالقرآن الكريم فيه من المبادئ العسكرية ما يؤمن نصرته أي جيش إذا طبقها. فعلى سبيل المثال لا الحصر في هذه الآيات الاعجاز العسكري للقرن العشرين (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة.. الى آخر الآية) وقوله تعالى (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً

(١) سورة الانفال - آية ٥٧

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دُبُرَهُ إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)<sup>(٣)</sup>. هذا غيض من فيض من التوجيهات والمبادئ الإلهية في الحرب إضافة إلى توجيهات ووصايا الرسول الكريم وقادة المسلمين التي اكتسبوها من خبرتهم وتجاربهم في الحروب مع الأمم الأخرى، ألا يستحق هذا أن يسمى فكراً عسكرياً إسلامياً وإلا فما هو الفكر العسكري إذن؟ وحتى مبادئ الحرب التي نعتبرها نحن قوانين ثابتة أليست خلاصة تجارب الحروب السابقة.

### الاعداد الاسلامي للقتال

قد يتصور البعض بأن الاسلام انتشر بالمعجزات وأن حضور المسلمين كان يكفي للانتصار في أي معركة، وهذا غير صحيح لأن الدين الاسلامي دين الواقع والقناعات فلم يخض المسلمون أية معركة إلا بالاعداد الصحيح لتلك المعركة وكانوا يحققون في الكثير من تلك المعارك التفوق بالقوة البشرية ففي معركة بدر حقق المسلمون التفوق بوجود الملائكة<sup>(١)</sup> وكذلك حققوا التفوق في فتح مكة وغيرها ولم ينفذ هذا التفوق ان لم يكن هناك تقييد بالفكر العسكري الاسلامي كما حصل في غزوة حنين، لهذا سنجد أن المسلمين اعدوا لكل معركة عدتها الضرورية من الناحيتين المادية والمعنوية، وحددوا الاسس والمبادئ التي يجب أن تنفذ بها تلك المعركة وكانوا يضعون الخطط الدفاعية والهجومية، حسب مقتضيات المعركة بعد دراسة مستفيضة نستطيع أن نقول بأن المسلمين بعد تأسيس دولتهم أسسوا مدرسة عسكرية لها مبادئها وقوانينها واخلاقها الحربية ولأول مرة في تاريخ العرب والجزيرة العربية.

### القيادة

#### القيادة من الجاهلية الى الاسلام

عندما ظهر الاسلام كانت قيادة القبائل العربية تؤول إلى شيوخها والأخيرة هذه متوارثة تنتقل من الجد الى الابن الى الحفيد، والشيوخ بطبيعته شجاع كريم يتسلم لواء الحرب لقبيلته لتوافر مؤهلات الرياسة لديه، وكما أن شيوخ القبيلة يتوارثون الزعامة كانت القبائل العربية أيضاً تحتكر الرياسة والزعامة فيما بينها لشرف أصاب تلك القبيلة، أو ذلك البطن، وقد تتجزأ الزعامة كما كانت في قريش الى زعماتين دينية وتجارية، وعندما جاء الاسلام ألغى جميع المميزات المتوارثة للقيادة ولم يجعلها حكراً على قبائل أو أشخاص. وكان الرسول هو أول قائد للمسلمين فكان يقود جميع الغزوات بنفسه وإذا أرسل السرايا سلم الراية لمن يستحقها ففي

(٢) سورة التوبة - آية ٤١

(٣) سورة الانفال - الآيات ١٥ - ١٦

(١) يقول الله تعالى في سورة الانفال - الآية ٩ (إني مدمكم بالف من الملائكة مردفين) وبالمقارنة مع جيش قريش في بدر الذي كان بحدود ٩٠٠ مقاتل وجيش المسلمين الذي أصبح ١٣٠٠ مقاتل بوجود الملائكة نجد تفوق المسلمين بعدد المقاتلين.

بدر سلم الراية لعلي بن ابي طالب وكان عمره عشرين عاماً وفي غزوة مؤتة الثانية سلم الراية لأسامة بن زيد وكان لا يزال حدثاً وكان لكل هذا أسبابه ومبرراته سنشرحها بالتفصيل. أما الرسول القائد فلم يكن قائداً خبيراً بفنون القتال وإنما كان قائداً ملهماً دلالة على صدق نبوته، فقبل الإسلام لم يدخل الرسول أي قتال أو حرب ما عدا غزوة واحدة من غزوات العرب المحدودة كحرب الفجار ولم يشترك بها بشكل فعلي وإنما كان يناول أعمامه النبال (كنت أنبل على أعمامي أي أزد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها)، وتميز الرسول ببعض الصفات القيادية والادبية التي أهلته لقيادة المسلمين في السلم والحرب فكان شجاعاً يحتمي به المسلمون عندما يشند أوار الحرب، قوياً قادراً على تحمل الصعاب فنراه في تبوك يتناوب مع رديفه المسير على الأرجل لمسافة ٧٠٠ كم رغم شدة الحر والعطش متواضعاً، سريع البديهة، ذكياً، عدلاً، حكيماً وهذه بعض من صفاته صلى الله عليه وسلم، فهو النبي القدوة. ويقول فيه تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)<sup>(١)</sup>.

عندما نتكلم عن القادة المسلمين الآخرين فعلينا أن نقيمهم تقييماً صحيحاً وأن نطبق عليهم الصفات القيادية التي كانت موجودة في ذلك العصر ونرى هل يصلح أن يكون أولئك قادة وهل تميزوا بصفات قيادية أهلتهم لقيادة المسلمين من نصر إلى نصر وهل السلب والنهب هي صفات المسلمين كما يدعي أعداء الإسلام؟ علينا أن نضع سعداً بن ابي وقاص ورستم في الميزان وكذلك خالد بن الوليد وماهان، وعمراً بن العاص والارطوبون، وغيرهم ونرى من ترجح له كفة الميزان بصفاته وأساليبه وفنونه القتالية. لا شك بأن الراجح هو المنتصر والالما انتشر الإسلام شبراً واحداً خارج المدينة المنورة وعندما كان المسلمون يأخذون بأسباب النصر كانوا يفوزون وعكس ذلك يخسرون كما حصل في حنين ومعركة الجسر<sup>(٢)</sup> وبلات الشهداء<sup>(٣)</sup> وأحسد.

## الأسس القيادية

### ١ - الخبرة والممارسة الحربية

وهذه تعتبر أحد الركائز الأساسية في تعيين القادة المسلمين وبالنظر للقادة المسلمين في صدر الإسلام نجد أن الكثير منهم قد اكتسب خبرة في الجاهلية وهذه الخبرة لم تنفعهم كثيراً بسبب اختلاف فنون وأساليب القتال التي استخدمها المسلمون ضد الفرس والروم، أما الخبرة الأساسية فهي التي اكتسبت في حروب المسلمين ضد الأمم والقبائل التي خاضوا حروباً معها ففي كل معركة كانت تبرز دروس جديدة وتتم الاستفادة منها في المعارك اللاحقة والدارس لفتوح العراق والشام لا يجد عناءً كبيراً في الوصول إلى ذلك.

(١) سورة الأحزاب - الآية ٢١

(٢) الجسر معركة بين المسلمين والفرس وكان يقود المسلمين أبو عبيد الثقفي وقد انتصر فيها الفرس لأن أبا عبيد أخطأ باتخاذ القرار بعبور نهر الفرات وكانت فسحة المناورة ضيقة فاستشهد القائد وغرق من المسلمين ٤٠٠٠ شهيد في النهر.

(٣) بلات الشهداء - معركة على حدود فرنسا قائد المسلمين فيها عبد الرحمن الغافقي وقد خسر المسلمون المعركة بعد استشهاد القائد.



## ٢ - السباقون الى الدين

وهذه مقترنة مع ما سبقها تصح لأن تكون أساساً في التعيين فالمسلم الذي كان من الأوائل جدير بهذه الميزة لمعرفة العميقة بدوافع الاسلام للقتال واستعداده للتضحية من أجل الدعوة الاسلامية والموت في سبيلها، لم يؤمر الرسول في معركة مؤته خالد بن الوليد رغم درايته الحربية وشجاعته المعروفة لأنه كان من حديثي العهد بالاسلام وقد أمر في وقت لاحق بعدما تأصل الإسلام في نفسه ونجد أيضاً أن أبا بكر وعمر لم يؤمرا أحداً ممن ارتد عن الإسلام حتى لا تشوب ذلك القائد أية شائبة ولا يغمز جانبه وليكون موضع ثقة جنوده. وكان معظم القادة المسلمين في هذه الفترة من المهاجرين والأنصار السابقين في الاسلام وهم نفر ضحوا بكل شيء من أجل الإسلام.

## ٣ - الشجاعة

وهي من ميزات القيادة الناجحة وكيف يكون القائد جباناً رعباً وبنفس الوقت يكون مثلاً يحتذى به؟ فالشجاعة أساس رصين ومهم من أسس القيادة وكان الرسول اشجع قومه إذ يقول علي بن أبي طالب (كنا اذا اشتد الخطب واحمّرت الحدق اتقيناً برسول الله وهو أقربنا للعدو). وقد حض الله على الشجاعة والثبات في الحرب (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)<sup>(١)</sup>. كانت الشجاعة مفخرة العرب في الجاهلية فكيف بوجود الاسلام. يصف الهرثمي<sup>(٢)</sup> فضائل القيادة بما يلي (قالوا أفضل الرؤساء في الحرب ايمنهم نقيية، واكملهم عقلاً وأطولهم تجربة وابعدهم صوتاً وأبصرهم بتبرير الحرب ومواضعها، ومواضع الفرص والحيل والمكايد وأحسنهم تعبئة لأصحابه في أحوال التعبئة وتسييرهم أو ان المسير وانزالهم. أو ان النزول وادخال الامن عليهم والخوف على عدوهم، مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو وأن يكون حسن السيرة عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً شجاعاً سخياً). هذه أوصاف القيادة قبل ألف عام ولا بد من العودة إلى مميزات القيادة في القرن العشرين تاركاً مجال المقارنة لفتنة القاريء العزيز.

تنص نظامات الخدمة السفرية<sup>(٣)</sup> (على أن أهم واجبات القائد هي اصدار القرارات وحتى تكون قراراته صحيحة لا تكفيه الشجاعة الشخصية ولا الإرادة القوية الثابتة ولا تحمل المسؤوليات بلا تردد بل فضلاً عن ذلك كله، عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادئ الحرب وقادراً على الحكم السريع الواضح وذو مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة وأن يكون سابراً غور الطبع البشري، ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله، فالشخصية القوية

(١) سورة الأنفال - الآية ٤٥

(٢) مؤرخ عربي ألف كتاب (مختصر في سياسة الحروب) للخليفة المأمون. عن كتاب الفن الحربي في الاسلام لمؤلفه عبد الرؤوف عون.

(٣) نظامات الخدمة السفرية - تعبر عن وجهة النظر البريطانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨).

ومعرفة الطبع البشري واصالة الرأي الموزون والتفاهم مع المرؤوسين. عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاءة العسكرية، فعلى القائد أن يغتتم كل فرصة سانحة للاتصال بالمرؤوسين وقطعاته للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة).

ألم تكن الصفات أعلاه متوفرة في الرسول القائد؟، ألم تكن متوفرة في خالد والمثنى وسعد وغيرهم؟ بلى كانت متوفرة، اللهم الا أن هذه الاسماء والمسميات لم تكن معروفة لديهم وقد طبقوا مبادئ الحرب رغم عدم وجود نظمات الخدمة السفرية الواردة أعلاه أو مبادئ الحرب على رأي كلاوزوفيتز أو ليدل هارت أو جوميني، لقد كانت الروح القيادية متأصلة فيهم لأنهم أبناء صحراء نشأوا نشأة حربية لأن القبائل العربية كانت تغزو بعضها تبعاً وسراعاً للدفاع من النفس أو لرد العدوان.

### نظام التعيين والواجبات القيادية

كان الخليفة هو الامام والقائد العام للجيش وكما ذكرنا فإن الرسول كان يقود غزواته بنفسه وكان يعين قائداً للسرية / الحملة التي لا يغزو فيها. سار الخلفاء على نهج الرسول فكانوا يعقدون الالوية<sup>(١)</sup> للقادة وهؤلاء القادة يمثلون الخليفة الذي لم تسمح له شؤون الحكم بالخروج الى الجهاد. تراوح المستوى القيادي من دورية استطلاع كدورية عبد الله بن القماح في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة الى غارة كغارة ابي سلمى بن عبد الأسود في السنة الثالثة للهجرة أو أعلى من ذلك كقيادة وحدة عسكرية ففي معركة بدر أعطى الرسول راية المهاجرين الى علي بن ابي طالب وراية الانصار الى سعد بن معاذ وفي فتح مكة قسم الجيش الى اربعة أقسام بقيادة خالد بن الوليد والزيبر بن العوام وسعد بن عباد و ابو عبيدة عامر بن الجراح وكانت كل قوة تقارب ألفين وخمسمائة مقاتل تقريباً. وقد تكون القيادة أعلى من هذا وهي القيادة المستقلة في قاطع عمليات مستقل مثل قيادة خالد لقوات فتح العراق وقيادة موسى بن نصير في شمال افريقيا. اعتمد نظام القائد البديل في معظم المعارك الاسلامية لأن القائد كان أكثر من غيره عرضة للاستشهاد فهو الذي يتقدم الصفوف دائماً وخسارة القائد تعني خسارة المعركة بشكل عام. في معركة مؤته تم تعيين قائدين بديلين واستشهد القادة الثلاثة واضطر المسلمون إلى انتخاب قائد رابع وفي معركة الجسر كان المثنى بن حارثة هو القائد البديل وبعد استشهاد ابي عبيدة استلم القيادة وهكذا وعند عدم تعيين قائد بديل ترك الأمر للمسلمين لاختيار القائد البديل في حينه.

### المشاركة في التخطيط

تطورت هيئة الركن منذ قديم الزمان الى أن اصبحت بوضعها الحالي تتألف من هيئات ركن عمليات وأخرى ادارية وهيئات ركن استشارية أخرى. أما حسب المذهب العسكري الاسلامي فهية الركن موجودة منذ نشأة الاسلام واعتمد مبدأ الشورى كأساس لكل القرارات

(١) ابن الاثير - الكامل ج ٥ ص ١٤٤

الصادرة بما فيها اختيار خليفة المسلمين يقول أبوهريرة عن الرسول (لم أر في حياتي شخصاً يستشير أصحابه أكثر من رسول الله) وقد ظهر هذا جلياً في معركة بدر الكبرى عندما أخذ برأي الحباب بن المنذر حول منطقة تحشد المسلمين وكذلك في معركة الخندق عندما أخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق. يقول الله تعالى (وشاورهم في الامر)<sup>(١)</sup>. يخدم مبدأ الشورى الاهداف التالية.

- تدريب القادة على التفكير وتعطيهم الجرأة لشرح وجهات نظرهم.

- تعلمهم حل المشاكل بالطرق العلمية وهي الاسلوب الصحيح نحو قرار سليم لحل المشاكل المستعصية من خلال فحص المعلومات، بيان الحقائق والافتراضات، مراجعة الحلول الممكنة ومن ثم انتخاب أفضل عمل ممكن لانجاز الواجب.

- تدريب القادة على الابداع الذاتي واتخاذ القرارات في المواقف الصعبة.

## الألوية والرايات

### أصل الاستخدام

اجمع اكثر المؤرخين بأن العرب لم يعرفوا نظام الألوية في سابق عهدهم وإنما نقلوه عن الفرس والروم ودليلهم في ذلك أن الروم كانوا يستخدمون العقاب رمزاً على راياتهم تيمناً بقوته وقدرته على الصيد والقنص وقد استخدم العرب أيضاً هذا الرمز على راياتهم وكان الفرس يستخدمون الرايات أيضاً وكانوا يحملون راية كبيرة من جلد النمر تسمى درفش كابياني<sup>(٢)</sup> وطولها ١٢ ذراعاً. أياً كان مصدر الراية عند العرب فإنهم استخدموها دليلاً للرياسة والقيادة، فعندما دخل الرسول المدينة مهاجراً عقد له اللواء على مدخل المدينة تكريماً له من قبل الانصار.

عندما كان يراد تعيين أحد القادة لمعركة معينة كان يستدعى الى الرسول أو الخليفة ويعقد له لواء على رمح طويل ينشره أثناء المسير للمعركة على نحو ما كان معروفاً في الجاهلية اذ كان يضع الواحد عمامته فيعقدها على رمحه جاعلاً منها رايته وكان القائد يركّز لواءه أمام بيته أو أمام المسجد فيجتمع له المجاهدون ومن هناك ينطلقون للحرب ظل عقد اللواء مرسوم التعيين للقائد لفترة طويلة الى أن اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وأصبح من العسير على الخليفة استدعاء القادة والولاء إلى مركز الخلافة لعقد اللواء لهم، فاستخدموا البريد في عهد العباسيين اذ كان الخليفة يرسل اللواء أو الخلعة وكتاب التعيين إلى الوالي أو القائد اذا لم يكن موجوداً في حضرته.

### الوان الألوية والرايات

يجدر بنا توضيح الفرق بين اللواء والراية فاللواء هو الرمز العام للجيش ومركز القيادة

(١) سورة الشورى - الآية ٣٨

(٢) اسمها في معجم اللغة الفارسية للدكتور الهنداوي ص ٢٥٢ (درفش كادياني أي العلم الايراني).

والراية هي رمز فرقة واحدة من ذلك الجيش ففي معركة القادسية مثلا كان للمسلمين لواء بقيادة سعد بن ابي وقاص وكان لكل قبيلة رايتها الخاصة وكانت تتميز هذه القبائل بالرايات.

لم يعرف عن الرسول استخدامه لون محدد للألوية التي عقدها للقادة وانما استخدم ألوان متعددة ومع مرور الزمن وكثرة الحكومات والاقطاعات المختلفة صار لكل دولة أو حكومة أو ولاية علما خاصا يختارون لونه بمناسبة معينة، فالامويون اختاروا اللون الابيض تخليداً لذكرى بدر التي كان فيها لواء الرسول ابيضاً والعباسيون اختاروا اللون الأسود تخليداً لراية الرسول السوداء المسماة (بالعقاب) ومنهم من كان يكتب عبارة (لا إله الا الله محمد رسول الله) على اللواء والجدير بالذكر ان عدد الرايات كان يدل على عدد فرق الجيش وكان خالد بن الوليد يقف على الرايات قبل خوض المعركة يحرض اصحابها على القتال وكانت الرايات في بداية الفتوح تتبع القبائل فكان لكل قبيلة راية وينمايزوا بها أثناء القتال وبعد اتساع الفتوح واختلاط القبائل والانساب صارت الراية تعقد للقائد ويتبعه عدد من الجند قد يكونوا متغايرين في الاصل والنسب وتورثت الدول استخدام الألوية والرايات فيما بينها وما نشاهده اليوم من اعلام مختلفة ما هو إلا نقل وتطوير لما استخدم في الماضي فعلم الدولة يرمز إلى الزراعة أو الصناعة أو القوة أو الدين أو العرق أو الجمع بينهما، وهناك علم للجيش وآخر للفيلق والفرقة وهكذا حتى مستوي الكتاب في بعض الدول.

(١) العامل - ج ٢ ص ٤٨ ، ج ٥ ص ١٤٤٤ الاعلام لعبد الرحمن زكي ص ٢٦  
القاموس المحيط - عن الفن الحربي في الاسلام لعبد الرؤوف عون.



## الباب الثاني

### الفصل الثاني

# العقيدة العسكرية

- ١ - نظرية الردع والجاهزية القتالية
- ٢ - الهجوم والمفاجأة
- ٣ - المصادر المالية
- ٤ - التصنيع العسكري
- ٥ - التعبئة للقتال
- ٦ - صفحات القتال
- ٧ - التعبئة المعنوية والحرب النفسية
- ٨ - الانضباط

## العقيدة العسكرية

تعرف العقيدة العسكرية بأنها السياسة المتبناه والتي توضح وجهة النظر الرسمية للدولة بناء على النزاع المسلح، وطبيعة الحرب، وأهدافها، ووسائل توجيهها ومن تعبئة الدولة والقوات المسلحة للحرب. وتتلخص العقيدة العسكرية الاسلامية بعقيدة الجهاد كما يقول الله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده)<sup>(١)</sup> وفي مكان آخر (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)<sup>(٢)</sup>. يقول الرسول (أحسن مؤمن قاتل في سبيل الله بماله ونفسه).

تميزت عقيدة الجهاد بهدفها الواضح وهو الله و لرفع كلمته وهذا الهدف يحوي كل القيم الانسانية النبيلة كدفاع الانسان عن كرامته وشعبه ووطنه وتأكيد الحق والسلام والعدل. ولم تبج العقيدة الاسلامية الاعتداء على الآخرين (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)<sup>(٣)</sup>.

أكدت العقيدة الاسلامية على السلام والذي بوجوده تنهياً الفرص للاستقرار والعيش باطمئنان (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)<sup>(٤)</sup>. وفي سورة الانفال (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم)<sup>(٥)</sup>.

### ١ - نظرية الردع والجاهزية القتالية

يقول الله جلّت قدرته (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)<sup>(١)</sup> ويقول الرسول (بالرعب تفوقت على عدوي مسيرة شهر)<sup>(٢)</sup>، نستنتج من الآية والحديث بأن الاسلام تبني نظرية الردع وذلك ببناء جيش قوي وإبقائه في جاهزية قتالية عالية لإرهاب العدو ومنعه من التفكير في الاعتداء على المسلمين وعلى أراضيهم، ومن حديث الرسول نتبين أن عرض القوة أمام العدو يحقق الكثير وقد يؤدي إلى النصر فمن بين الثامنة والعشرين حملة التي قام بها الرسول ضد الكفار واليهود جرى قتال مواجهة في تسعة منها فقط هي (بدر، وأحد، والخندق، وغزوة بني قريظة، وغزوة بني المصطلق، وفتح مكة، وخيبر، وحنين والطائف) أما الباقية فقد فرّ المشركون فيها دون قتال.

(١) سورة الحج - آية ٧٨

(٢) سورة التوبة - آية ١١١

(٣) سورة البقرة - آية ١٩٠

(٤) سورة البقرة - آية ٢٠٨

(٥) سورة الانفال - آية ١٦١

(١) سورة الانفال - آية ٦٠

(٢) صحيح البخاري

ليس من الواجب أن نعترف بأن نظرية الردع التي يتغنى بها المنظرون العسكريون هذه الأيام هي نظرية اسلامية يعود تاريخها الى أربعة عشر قرناً فتصبح المفتاح للاستراتيجية المعاصرة في القرن العشرين؟ انها نتاج التفكير العسكري العالمي والتجربة المريرة لحروب طالما عانى منها الجنس البشري وقد أوضح الجنرال «أندريه بوفر» هذه الافكار بقوله (ان انسان القرن العشرين قد انتابته نآسي حريين عالميتين قد وجد أخيراً الطريقة التي يمنع بها مثل هذه الكوارث باستراتيجية الردع).

ينبغي علينا التفريق بين استراتيجية الردع الاسلامي ومقاصدها السلمية واستراتيجية الردع المعاصرة التي كانت نتاج التوازن النووي فطالما أن هناك توازناً في هذه الأسلحة بين القوتين العظميين فلا احتمال لنشوب الحرب أما في حالة تفوق احدهما على الآخر فالحرب واقعه لا محالة. أما في حالة الامة الاسلامية وفي حالة تفوقها على اعدائها وطالما لم يُعتد عليها فلن تستخدم هذه القوة لأن العدوان ليس هدفاً حريياً وانما لارهاب العدو ومنعه من التفكير في الاعتداء (ترهبون به عدو الله وعدوكم)<sup>(١)</sup>.

أشارت الآية نفسها الى نزعة الاسلام نحو الاستمرار في الاستعداد لردع المعتدين (رباط الخيل) وهي تؤكد على الارتباط المباشر بين الاستعداد (الجاهزية القتالية) والقوة المقاتلة اثناء الانفتاح. كان الاصطلاح العربي (الانفتاح) يعني وضع الخيالة في الممرات حيث يتوقع هجوم العدو وواجب هؤلاء الخيالة أن يكونوا جاهزين لصد العدو اذا حاول الهجوم أما معناه في عصرنا الحاضر فيشمل كل أراضي الدولة وفضائها الجوي ومياهاها الاقليمية وقد يشمل كل المؤسسات الحيوية كالمصانع والجسور والمطارات ومصافي النفط ومحطات سكك الحديد والمناطق الاهلة بالسكان. اذن فالانفتاح واجب قومي لكل مواطني الدولة من عسكريين ومدنيين. تقوم الدول في الوقت الحاضر بالاحتفاظ بجزء من قواتها المقاتلة وتنتفح في المناطق الاكثر حيوية وتهديداً وجاهزية قتالية عالية استعداداً لدرء الخطر وعندما يصبح التهديد وشيكاً تستنفر قوات الاحتياط وباقي مؤسسات الدولة. يقول الرسول (خير الناس رجل يمسك عنان فرسه لخدمة الله وعندما يسمع النذير ينطلق الى مواطن الخطر).

## ٢ - الهجوم والمفاجأة

تبين الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) نوعية القوات التي لديها امكانية الردع وارهاب العدو وهذا يعطي القوة الاسلامية امكانية الحركة والهجوم والمفاجأة بسبب:

- أ - ان اصطلاح القوة استخدم بدون تحديد ولهذا فهو يجمع الامكانيات التعرضية والدفاعية.
- ب - رباط الخيل تعني الحماية والعمل الفوري والجاهزية والخيل تعني سرعة الحركة

(١) من سورة الانفال - آية ٦٠



والمفاجأة وهذا ينطبق مع ما ورد في سورة العاديات (والعاديات ضبحا فالموريات قدحاً، فالغبرات صبحا، فأثرن به نقعاً، فوسطن به جمعاً)<sup>(٢)</sup> إذ يقسم الله بالخيال السريعة التي يُسْمَعُ نَفْسُهَا عندما تعدو كما أن حوافرها تطير الشرر عندما تضرب الأرض الصخرية، وتغير هذه الخيل في الصباح فتشق صفوف العدو وتفرق وتشتت قواته.

### ٣ - المصادر المالية

من المعروف في الوقت الحاضر أن للقوات المسلحة موازنة خاصة بها وهذه تأخذ نسبة معينة من موازنة الدولة وحسب موقف تلك الدولة الحربي وأما العقيدة الاسلامية فقد حدّدت أبواباً للحصول على الاموال لدعم المجاهدين ومنها (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)<sup>(١)</sup> وقال جل وعلا في مكان آخر (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله)<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون)<sup>(٣)</sup>، وهناك العديد من الآيات التي تحض على التطوع للانفاق في سبيل الله وقد أخذ الجهاد بالمال الأولوية على الجهاد بالنفس نظراً لأهمية المال وحب البشرية وكما نعرف بأن الدعوة الاسلامية اعتمدت هذا الباب بشكل رئيسي في بداية الدعوة فكان الموسرون من المسلمين أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم يجهزون بالسلاح والخيال أولئك الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم. لم يستمر هذا الاسلوب طويلاً اذ اعتمد المسلمون بشكل رئيسي على بيت المال الذي يشبه خزينة الدولة في الوقت الحاضر ومن هذا البيت يجري تجهيز الجيوش وتدفع لهم الرواتب أما المتطوعون فلهم الخيار أن يقدموا ما يشاؤون لاسناد المقاتلين. ونلاحظ أيضاً أن الجهاد لم يكن مقصوراً على النفس فقط فالجهاد بالمال أحد انواع الجهاد فمن كان به علة أو شغله شاغل بأمور المسلمين فيستطيع ان يجاهد بثروته لأن المال أحد الركائز الاستراتيجية لاستمرار قوة الدولة وهيبتها العسكرية. واعتبر الجهاد بالمال شيئاً مفروغاً منه بالنسبة للمؤمنين وكأنه واجب الزامي (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين)<sup>(٤)</sup> هذا مع إباحة النظام الاسلامي لولي أمر الأمة الاسلامية أن يأخذ من أموال الناس بالقوة اذا لزم الامر لتجهيز الجيش واعداه كما يجري الآن عند النفير العام إذ تستولي الدولة على وسائل النقل المدنية والمصانع والمؤسسات الاخرى لخدمة أهداف الحرب.

### ٤ - التصنيع العسكري

رغم بدائية تصنيع الاسلحة في صدر الاسلام والفرق كبير بينها وبين التصنيع الحربي

(٢) سورة العاديات - الآيات ٥-١

(١) سورة التوبة - آية ٤١

(٢) سورة الأنفال - آية ٧٢

(٣) سورة الأنفال - آية ٦

(٤) سورة التوبة - آية ٤٤

الآن ولكن الله تعالى أشار الى ذلك (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)<sup>(٢)</sup> ونحن نعرف أهمية الحديد والمعادن الأخرى في الصناعات الحربية الثقيلة ولذا فإن على الأمة الإسلامية ان تركز اقتصادها على الصناعة وبالصناعة يمكن تطوير الاقتصاد وبنفس الوقت يمكن توجيه التصنيع نحو الصناعات الثقيلة لتصنيع الاسلحة والمعدات العسكرية الأخرى والتي ستخدم بالتالي عقيدتنا العسكرية المتبناه سواء كانت دفاعية أم هجومية وهذا عكس ما يري الآن اذ تتحكم الدول الصانعة بنوعية الاسلحة المباعة على أساس أن هذا سلاح دفاعي أو هجومي.

## ٥ - التعبئة القتال

التعبئة مصطلح قديم استخدم ليعطي معنى الانفتاح والتنظيم في العصر الحديث فكان يقال بأن خالد بن الوليد كان لا يسير بجيشه الا على قاعدة تعبوية فنظم قوته إلى ميسرة وميمنة وطليعه وساقه وهكذا اثناء المسير حتى لا يفاجأ من قبل العدو. أما حشد الجيوش فكانت الجيوش تتجمع عادة في المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية وقاعدتهم الحربية والادارية ومن هناك يُعيّن القادة ويجري تجهيز وإمداد القوات وتنطلق الى أهدافها المقررة. ومع توسع الفتوحات الإسلامية برزت الحاجة إلى وجود قواعد حربية متقدمة قريبة من جبهات القتال كالبصرة والكوفة كما اسلفنا سابقاً والموصل وطرطوس والمصيصة وغيرها وأطلق عليها المسلمون اسم الثغور (الحصون المواجهة للثغرات في ارض العدو) وهي مراكز حربية لها مواقع استراتيجية قريبة من الحدود ويتجمع بها الجند بشكل دائم لرد أي اعتداء وقمع الثورات في مناطق الحدود وقد اتسعت هذه الثغور زمن الدولتين الاموية والعباسية بشكل كبير. واصبحت الثغور مشابهة لمعسكرات اليوم فكان الجند يقيمون بها هم وعائلاتهم وتصرف لهم الارزاق والرواتب طيلة العام ومنها كانت تنطلق الدوريات المكلفة بحراسة الحدود صيفاً وسميت (بالصوافي) أو شتاء وسميت (بالشواتي).

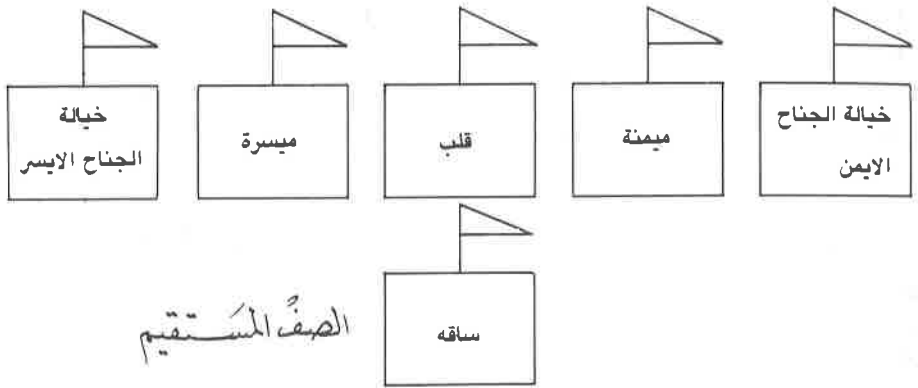
كما عرفنا بأن العرب لم يستخدموا إلا أسلوب الكر والفر في قتالهم لأنهم لم يقاتلوا لجيوش نظامية وبعد ظهور الإسلام تعلم المسلمون كيف ينظمون صفوفهم من الغساسنة والمناذرة ربما كان لاختلاطهم وحروبهم مع الروم والفرس فكان الصف يتألف من جناحين ومقدمة وساقه والقائد يتمركز في قلب الجيش ولا يتركه إلا لأمرهم واعتمد المسلمون نظام الصفوف كما يصطفون للصلاة وقد ورد تأكيد على تعبئة نظام الصفوف في القرآن الكريم في سورة الصف (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص)<sup>(١)</sup>

كان الرسول يمسك بيده عصا قصيرة يسوّي بها صفوف المقاتلين وكان علي بن ابي طالب يرتبهم في الصفوف فيظهرون كأنهم بنيان مرصوص لم يخرج المسلمون عن هذا النظام

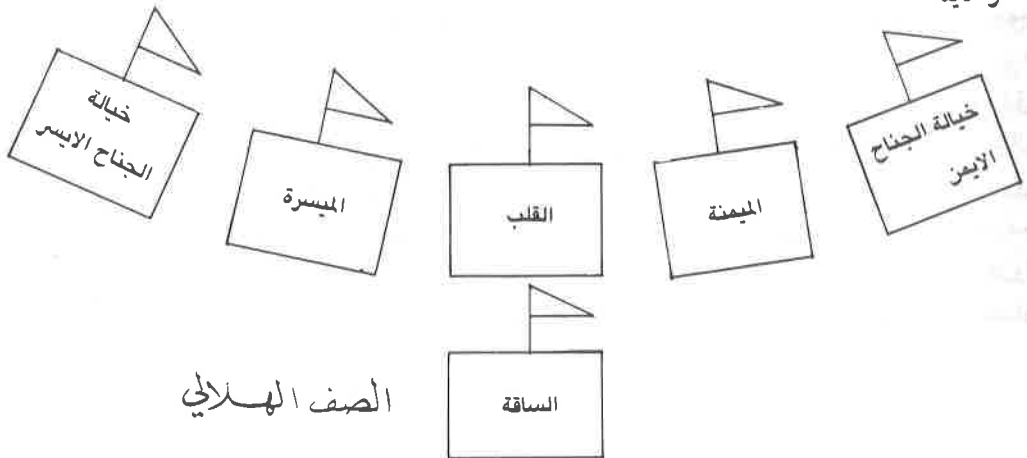
(٢) سورة الحديد - آية ٢٥

(١) سورة الصف - آية ٤

إلا في بعض المعارك مثل معركة اليرموك فقد استخدم خالد بن الوليد نظام الكراديس وقد كانت القوات ترتب في صفين أو ثلاثة صفوف وفي معركة القادسية قام سعد بترتيب جيشه في ثلاثة صفوف، في الصف الاول الفرسان وفي الثاني المشاة الذين يحملون السيوف والرماح وفي الصف الثالث يقف الرماة وكان عمل الفرسان على الأجنحة لتمكين الرماة من الرماية بحرية ووجرت العادة أن يعهد الى الفرسان بقاء مستقل لأنها عنصر الحركة والمرونة للقوات. ذكر ابن الهيثمي بأن نظام الكراديس مشابه لنظام الصفوف حيث أن الكردوس يؤلف صفاً بحيث يكون بين جناحي الميمنة والميسرة طريقان لمرور الخيل ولرور المبارزين فيكون بين الصفوف فُرَجَه في الميمنة وكذلك الميسرة والقلب (٢) اعتمدت الصفوف بأشكال مختلفة كما وصفها الهيثمي ومنها الصف المستوي ويكون فيه جناحات وقلب في خط مستقيم وهذا ما كان متبعاً لدى المسلمين بشكل عام.



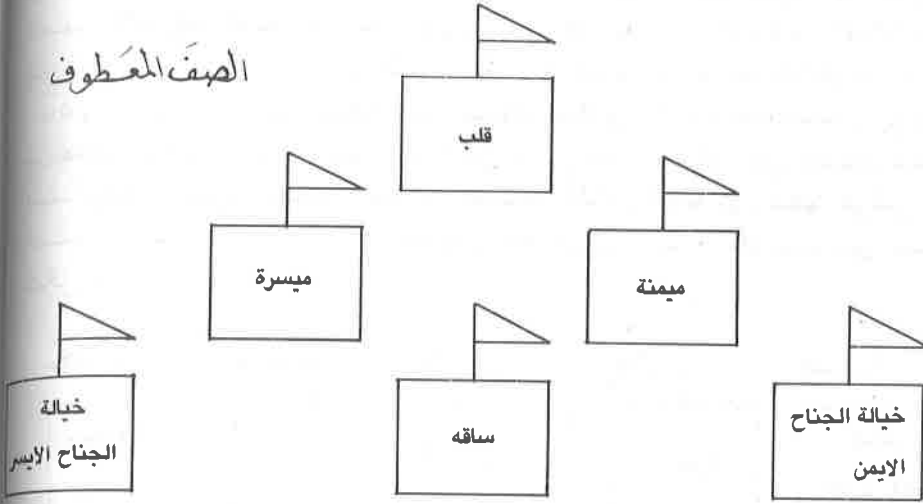
وهناك الصف الهلالي وهو الخارج الجناحين الداخل الصدر وهو أقوى في القلب وضعيف الجناحين وقد كانوا يسترون كل طرف من الجناحين الخارجيين بكردوس من الخيالة لتعزيزه وحمايته



(٢) انظر مخطوط الهيثمي صفحة ٢٠

وهناك الصف المعطوف وهو الداخل الجناحين الخارج القلب وهو ضعيف القلب قلوب  
الجناحين وهذا الأسلوب لم يتبع من قبل العرب إلا عند الضرورة

## الصف المعطوف



## ٦ - صفحات القتال

لم يكن هذا المصطلح معروفاً في صدر الاسلام ولم يكن هناك تقسيماً واضحاً لعمليات الدفاع والهجوم إلا أن المقاتل كان يتحصن إما داخل مدينة كما فعل المسلمون في الخندق أو داخل حصون كما فعل اليهود في حصن خيبر أو كان يهاجم كما ورد في كل غزوات الرسول والمعارك الاسلامية التي اغاروا بها على العدو. انه من الثابت بأن المسلمين عرفوا صفحات القتال وطبقوا فيها مبادئهم العسكرية المعروفة ونجحوا في معظمها إن لم نقل جميعها ومثالاً على كل صفحة من هذه الصفحات ففي مجال الدفاع فإن معركة الخندق كانت أفضل معركة دفاعية خاضها المسلمون ومما عزز ذلك حفرهم للخندق الذي لم يتعود العرب عليه لطبيعة اراضيهم الصحراوية وقد كانت الخنادق معمولاً بها لدى الروم والفرس وقد طبق المسلمون فيها مبادئ الدفاع الدائري والأمن والمخادعة وغيرها. كانت معركة الخندق بداية الطريق لعصر الخنادق بالنسبة للمسلمين فقد طُوروا استخدامها فقد استخدمها (العلاء بن الحضرمي) في قتال المرتدين حسب رواية الطبري وابن الاثير<sup>(١)</sup> وفي خلافة عمر بن الخطاب استخدم المسلمون الخنادق والتحصينات أيضاً فكان المسلمون عند المبيت يحفرون خندقاً حول معسكرهم ويتركون ممرين أو أربعة ممرات حسب الطريقة الرومانية وكانوا اذا حاصروا مدينة حفروا حولها خندقاً واذا أرادوا إحكام الحصار حفروا حولها خندقاً آخر ليأس العدو من فك الحصار

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٨ والكامل ج ٢ ص ١٥٥

كما حصل في حصار مدينة (هيت) على شاطئ الفرات فأسرع أهلها بالتسليم<sup>(٢)</sup> ومن ثم اعتمد المسلمون في الدفاع عن مدينتهم ببناء الأسوار والقلاع وحفر الخنادق فمدينة (واسط) مثلاً حصّنها الحجاج بن يوسف الثقفي بسور وخندقين وكلف بناؤها ٤٣ مليون درهم<sup>(٣)</sup> أما في مجال الانسحاب فمعركة مؤتة من المعارك البارزة في التاريخ الاسلامي حيث استطاع خالد بن الوليد بإجراء عمليات المخادعة والتمويه وقتال الإعاقة أن يسحب قوات المسلمين من معركة فاشلة كان فيها مصيرهم مهدداً بالفناء وأن يحقق أعظم انسحاب في ذلك الوقت مطبقاً مبادئ المخادعة والعمل التعرضي والاقتصاد بالجهد والمرونة.

أما في مجال التقدم والهجوم فتقدم المسلمين في غزوة تبوك فتقدم خالد بن الوليد من العراق الى الشام يعطينا مثالين حيين لأسلوب المسلمين في تطبيق هذه الصفحة القتالية فقد جرى تنظيم القوة في كليهما إلى مقدمة أو طليعة وهي عناصر الاستطلاع ومقدمة الحرس وقلب وهو الجسم الرئيسي وجناحين وهو حرس الجناح والى ساقه وهو حرس المؤخرة واستطاع المسلمون أن يصلوا في غزوة تبوك بقيادة الرسول إلى حدود بلاد الشام مما اضطر الرومان أن ينسحبوا دون قتال فحقق المسلمون مبادئ المعلومات والحشد والعمل التعرضي والمباغته والمعنويات وكذلك استطاع خالد أن يصل تحت ظروف طبيعية قاسية حيث لا ماء ولا كهرباء ولا تزويد حتى الطريق كانت شبه مجهولة وبوصوله غير مجرى التاريخ في معركة اليرموك الفاصلة مستفيداً من مبدأ المباغته والمرونة وأخيراً وحدة القيادة الاسلامية.

## ٧ - التعبئة المعنوية والحرب النفسية

المعنويات مبدأ من مبادئ الحرب الحديثة والاخلال به قد يقلب الموازين رأساً على عقب رغم توفر القوة العددية والعُدبية نحن نعلم أن معنويات المسلمين تابعة من عقيدتهم الدينية وليس أدل على ذلك من قوله تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يَغْلِبْ فسوف تؤتية أجراً عظيماً)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)،<sup>(٢)</sup> إنه عهد الهي أخذه على نفسه للمجاهدين في سبيله يحرك به عواطف المؤمنين ويعدهم بأن لهم الجنة وهذه غاية المقاتل المسلم وهي تعبئة بروح معنوية عالية. لم يعتمد المسلمون على المعنويات العالية فحسب وعلى الوعود الالهية بل وفزروا أسباب القوة من رجال وسلاح وحشد معنوي ونفسي لكل معركة فنرى خالداً يكتب للقائد الفارسي (أما بعد سلم تسلّم، او اعتقد لنفسك وقومك الذمة وقرر الجزية وإلا فلا تلومن إلا، نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) وقيل عن المسلمين في مكان آخر أنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار دالاً على معنوياتهم العالية وما أصدق قول خالد عندما قال لاحد المسلمين في معركة اليرموك عندما سمعه يقول (ما أكثر الروم وما أقل العرب) فقال

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٨٨ والفاروق عمر لهيكل ص ١٧٥

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٨

(١) سورة النساء - آية ٧٤

(٢) سورة التوبة - من الآية ١١١

خالد لا بل قل (ما أكثر العرب وما أقل الروم إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان).

أما في الجانب الآخر فقد حارب المسلمون معنويات أعدائهم بالقول والفعل والرسول عليه السلام يقول (قاتلوا الكفار بأموالكم وانفسكم وألسنتكم) وطلب من حسان بن ثابت أن يهجو الكفار وقال له إن جبريل معك. تبئى المسلمون شعارات ونداءات مختلفة للتأثير على معنوية العدو ومعرفة بعضهم البعض ومنها قول (الله اكبر)، (الله اكبر) (وأحد أحد) وغيرها.

استخدم المسلمون وسائل الخدعة أيضاً في التأثير على معنوية العدو وتشتيت جهده وقصة نعيم بن مسعود في معركة الخندق معروفة جيداً حيث استطاع بدهائه ان يخدع قريشاً واليهود ويفسخ الحلف القائم بينهم وهذه تعتبر من عمليات الحروب النفسية المشهورة إذ تراجعت قريش مهزومة نفسياً دون تحقيق غايتها وهي القضاء على قوة المسلمين، ومن ضمن الأمور التي نفذها الرسول تطبيق سياسة الاحلاف مع القبائل المجاورة وبذلك ضمن عدم اعتداء هذه القبائل على المسلمين والسماح للدين الاسلامي بالانتشار وحرم قريشاً من تعزيز قوتها بإضافة هذه القبائل إلى صفها.

حضر الدين الاسلامي على عدم التأثر بالحرب النفسية التي يشنها العدو ضد المسلمين سواء بحشد القوة أو التظاهر بالحشد وأفضل سلاح لدى المسلمين هو التمسك بالعقيدة اذ يقول الله تعالى (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعو لكم فآخسوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)<sup>(١)</sup>.

## ٨ - الانضباط

ينبتق الانضباط في الاسلام من الشعور الديني فالمسلم لديه قوة دافعة ومحركة داخلية تقوده الى تنفيذ الاعمال والواجبات المناطة به عن رضا وطيب خاطر وهذا يعتبر أعلى درجات الانضباط ويطلق عليه في مفهوم العصر الحديث (الانضباط النفسي)، هناك قناعة وجدانية لدى كل مسلم بتنفيذ ما يجب عمله. لم يعرف تاريخ الجيوش انضباطاً عسكرياً كالذي طبّقه المسلمون في قتالهم فكان الواحد يقاتل اباه أو اخاه أو ابنه طوعاً ولا يبالي، وكانوا يقاتلون قادة اليوم وجنوداً غداً كما حصل مع خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة. لقد كان للعبادات دوراً كبيراً في تربية الضبط في نفوس المسلمين فهم يقفون أمام الله يوماً خمس مرات في صفوف متوازية ويؤدون حركات منتظمة خلف الإمام والذي هو أفضلهم علماً وليس حسباً أو نسباً. وقد حضر الله تعالى بتنفيذ أوامر الرؤساء وحث على القيادة لأنها ضرورة اجتماعية إذ يقول الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)<sup>(٢)</sup>

(١) سورة آل عمران - آية ١٧٢

(٢) سورة النساء - آية ٥٩

## الباب الثاني الفصل الثالث

### ١ - نظام التعبئة والتجنيد

- أ . تعريفات
- ب . نظام التعبئة
- ج . التجنيد
- د . إعلان التعبئة
- هـ . التسريح من الخدمة
- و . الاعفاء من الخدمة

### ٢ - تنظيم الجيش الاسلامي

- أ . تنظيم الوحدات
- ب . مقارنة تنظيم الجيوش
- ج . وظائف الجيش

### ٣ - التدريب والأسلحة

- أ . التدريب على الخيل
- ب . القوس
- ج . الرمح
- د . السيف
- هـ . الترس
- د . الدرع
- ز . المنجنيق
- ح . الدبابات

### ٤ - الشؤون الادارية

- أ . تموين مواد القتال
- ب . النقلية
- ج . رواتب الجند
- د . الغنائم
- هـ . دفن الشهداء
- و . الأسرى

## نظام التعبئة والتجنيد

### تعريفات

#### ١ - التعبئة العامة

هي مجموعة التدابير التي تتخذها دولة ما، عندما تتحول من حالة السلم الى حالة الحرب وتشمل التدابير الرئيسية التالية: اعداد الجيوش التام للحرب، التعبئة الاقتصادية، التعبئة النفسية والحماية الوطنية وفي سبيل تنفيذ هذه التدابير والاجراءات اللازمة للتعبئة بشكل سريع ومنظم ينبغي أن تحضر هذه الترتيبات منذ زمن السلم وفق مخطط مدروس يدعى مخطط التعبئة العامة (١)

#### ٢ - الاستنفار

تأخذ القوات المسلحة أو بعض أسلحتها حالة الاستنفار عندما يكون من الضروري نقلها كلياً أو جزئياً من حالة السلم الى حالة الاستعداد للقتال، أي الى الحالة التي تستطيع فيها التحرك بكامل تعدادها وسلاحها وذخيرتها ودخول المعركة فور تلقي أمر العمليات. يتطلب الاستنفار مجموعة من التدابير كإلغاء الاجازات بنسب متفاوتة واعداد معدات القتال للحركة وتموينها بالذخائر والمحروقات وتحميل الذخائر الاحتياطية بالآليات أو تكديسها في مخازن قريبة من مناطق التحميل بالاضافة الى مجموعة تدابير ادارية أخرى. وتعرف الجيوش حالات متفاوتة من الاستنفار يطلق عليها أسماء الحالة أ، ب، ج، ولكل حالة تدابير تتعلق بالرجال والمعدات والأسلحة والشؤون الادارية يجري التدريب عليها في وقت السلم من قبل القطعات. تتناسب حالة الاستنفار مع تقديرات القائد للموقف في احتمال دخول المعركة فكلما كان الاحتمال أقوى كلما كانت النسبة أعلى وكذلك تؤثر طبيعة التهديد على نوعية قوات الاستنفار فاذا كان التهديد جوياً مثلاً تستنفر قوات الدفاع الجوي بنسبة ١٠٠٪. يؤثر تدريب القطعات وقابلية حركتها ومستوى شؤونها الادارية على المدة اللازمة للاستنفار أو الانتقال من حالة استنفار إلى أخرى. ان الاستنفار لغاية الهجوم يلفت انتباه العدو لذا يحاط بسرية تامة أو يغطى اعلامياً لمبررات دفاعية وهناك حالات يستخدم فيها الاستنفار كوسيلة من وسائل الحرب الباردة أو الضغط المعنوي على العدو بغية اكراهه على الخضوع عن طريق التلويح بالقوة. (٢)

#### ٣ - النفير

أ - النفير كلمة مشتقة من نفر القوم الى الأمر أي أسرعوا اليه (٣) وكذلك الى القتال أي

(١) الموسوعة العسكرية ص ٢٨٦.

(٢) الموسوعة العسكرية ص ٧٣.

(٣) المعاجم العربية - القرآن الكريم.



ذهبوا اليه وفي المصطلح العسكري نقل الجيش من حالة السلم الى حالة الحرب وان حالة النفير هي فاتحة كل حرب حيث يتغير شكل حياة الأمة من طبيعتها السلمية العادية الى حياة الحرب وهذا يشمل جميع التدابير التي وردت في التعبئة العامة.

ب. النفير عملية يتم بموجبها ايصال القوات المسلحة بأكملها أو جزء منها الى درجة الاستعداد للحرب أو الطوارئ الوطنية الأخرى ويشمل ذلك تجميع وتنظيم الأفراد والتموينات والمواد للخدمة العسكرية الفعلية. (٣)

ج - النفير العام هو تهيئة جميع موارد الدولة المادية والبشرية والمعنوية واعدادها اعداداً صحيحاً لتحويلها من حالتها السلمية إلى حالة الحرب بالنسبة لمقتضيات الظروف. (٤)

د - النفير العام يعني وضع جميع موارد المملكة وامكانياتها البشرية والمادية في خدمة المجهود الحربي. (١)

## نظام التعبئة

قامت الدولة الاسلامية على أكتاف المتطوعين للجهاد في سبيل الله وذلك بدوافع معنوية كثيرة وحث من الله على القتال (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٢). (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) (٣). فالجهاد كان ضرورة ملحة لبناء كيان الدولة الاسلامية وكان عدد المقاتلين هو عدد المسلمين بالكامل حيث لم يتخلف عن الجهاد إلا من كان في قلبه ريبة وشك في دينه وهؤلاء كانوا معروفين للرسول وأن الله أعددهم عن الجهاد لأنهم لو خرجوا مع المسلمين لزادوهم خيالاً أما باقي المسلمين فكانوا ينفرون للجهاد طوعاً وسبقاً حتى كان الأواد يقفون على رؤوس أصابعهم ليظهروا كبر سنهم للمسير إلى الجهاد كما حصل في الاستعداد لمعركة أحد (٤) وقد تخلف ثلاثة مسلمين في غزوة تبوك ورد ذكرهم في القرآن الكريم وقد نبذهم الناس حتى تاب الله عليهم.

(٣) نظام النفير للجيش البريطاني لسنة ١٩٧٦ - ص ٢٠.

(٤) قانون الخدمة العسكرية العراقية رقم ٦٥ لسنة ١٩٦٩ - ص ٥٥.

(١) القانون المؤقت لخدمة العلم والقوات الاحتياطية لسنة ١٩٧٦ المعمول به في المملكة الأردنية الهاشمية.

(٢) سورة التوبة - آية ٤١.

(٣) سورة التوبة - من آية ٢٠.

(٤) المقصود بالأواد سُمرَة بن جندب ورافعاً بن خديج وقد أجازهما الرسول للقتال - انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٠٥.

نلاحظ بأن التعبئة في عهد الرسول كانت تعبئة عامة شاملة لكل نواحي الحياة البشرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية (لا يستأذ نك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين)<sup>(٤)</sup>. وعليه فإن نظرية اعداد الدولة للحرب تتضح جوانبها في إطار عقيدة الجهاد بما انطوت عليه من شمول وتكامل ومن حشد لكل قوى الأمة المادية والمعنوية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). أما شروط المقاتلين فلم تتعد في عهد الرسول الرغبة في الجهاد والقدرة القتالية وامكانية تجهيز المقاتل بالسلاح وكان من الطبيعي بعد انتهاء المعركة أن ينصرف المسلمون لأعمالهم حتى يدعو داعي الجهاد مرة أخرى والسبب وراء ذلك عدم وجود مصادر مالية يمكن الانفاق منها على جيش دائم اذ كان تمويل الجيش يعتمد على المسلمين الموسرين.

ظل هذا الحال حتى عهد عمر بن الخطاب حيث اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فاستحدث الخليفة عمر ديوان الجند ووضع أسساً يتم بموجبها اختيار المقاتلين ومنها أن يكون الجندي مسلماً بالغاً عاقلاً تجاوز الخامسة عشرة من عمره سليماً من الأمراض، قوي البنية وقادراً على القتال فاذا توفرت هذه الصفات وتحققت الرغبة تم تسجيله في ديوان الجند وعندما كانت الحاجة تتطلب مزيداً من المقاتلين كانوا يجلبون طوعاً او كرهاً وقد كتب عمر إلى ولاته (لا تدعوا في مَضر ولا ربيعة ولا حلفائهم أحداً إلا جلبتموه فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه)<sup>(١)</sup>. قسم الجيش الاسلامي إلى قسمين وهم الجنود النظاميون ولهم ديوان خاص يتضمن أسماءهم وأعطياتهم وأماكن سكناتهم، والقسم الثاني وهم المتطوعون الذين يلحقون من البوادي والأمصار والبلاد المفتوحة وكان هؤلاء يجندون وقت الحرب ويسرحون وقت السلم، يرى بعض المؤرخين أن التجنيد الاجباري بدأ في عهد عمر اذ كان المتخلف عن القتال يُعاقب بشده وكان الأسلوب المتبع عند التعبئة أو النفير هو الرجوع إلى ديوان الجند لتثبيتهم ثم يجري بعد ذلك اعدادهم وتهيئتهم للقتال.

عرّف (ابن خلدون) الديوان بأنه (هو القيام بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم أوان إبّانها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارة الدولة)<sup>(٢)</sup>.

## التجنيد

عندما وضع الخليفة عمر ديوان الجند أصبح لزاماً على كل من هو مدوّن بهذا الديوان أن يسير للقتال ورغم هذا فقد كان هناك تقاعس عن الخروج إلى القتال فأخذ عمر بن الخطاب

(٤) سورة التوبة - آية ٤٣.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٦١، ٦٢، ٦٣.

(٢) الفن الحربي في الاسلام لعبد الرؤوف عون.

يصدر الأوامر الصارمة، ويكتب الى الولاة بجمع أعداد معينة من الجند بامرة قائد يعينه الخليفة ويتحرك هؤلاء لتعزيز القوات الاسلامية في أي مكان يتطلب ذلك، وقد كان الخليفة دقيقاً وشديداً ويتدخل بأدق التفاصيل لأن أمور الدولة كانت حرجة للغاية فقد كانت رواتب الجند تصرف من بيت المال إضافة الى اسهمهم من الغنائم أما المتطوعون وهم الذين يستنفرون وقت الحرب فكانوا يحصلون على الأسهم فقط خلال الحرب وكان يسمح لهم بممارسة التجارة والزراعة وغيرها وقت السلم أما الجنود والنظاميون فلا مجال للعمل غير الجندي.

بقيت الأنظمة التي سنّها الخليفة عمر سارية المفعول حتى عهد الدولة الأموية مع بعض التغيير في الأعطيات والرواتب كما كثر البذخ والعتاء ومال الحكام إلى أسلوب الترغيب في القتال بزيادة الأسهم من الغنائم وصرف رواتب جارية طوال العام.

مثّل ديوان الجند في صدر الدولة الاسلامية وزارة الدفاع في الوقت الحاضر فكان يتولى إدارة القوات ويقوم بالأعمال التالية:

- ١ - احصاء عدد القادة والجند.
- ٢ - تنظيم رواتب القادة والجند ودفعتها لهم.
- ٣ - تأمين الأسلحة الضرورية للقوات النظامية.
- ٤ - تأمين نفقات الجيش وتكاليفه.

## إعلان التعبئة

رغم أن الدعوة الاسلامية لم تبيح الإعتداء على الآخرين إلا لرد العدوان أو نشه الدعوة فقد ورد إعلان التعبئة صريحاً في القرآن الكريم (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إتأقلمتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرؤوه شيئاً والله على كل شيء قدير)<sup>(٢)</sup>. يطلب الله في الآيات السابقة من المسلمين الصادقين ان ينفروا للقتال والحرب أما المتخاذلين المنافقين فلا يجذب نفيرهم مع المسلمين لأن فيهم الضرر (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم، يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)<sup>(٣)</sup> إلى آخر الآيات ٥٠، ٥٧، ٨٣، ٩٦ حيث يورد الله صفات المتخاذلين وأنهم طابور خامس يؤدي الى الضعف والهوان.

(١) سورة الانفال - آية ٥٨.

(٢) سورة التوبة - الآيات ٢٨ - ٣٩.

(٣) سورة التوبة - الآية ٤٧.

يتم اعلان التعبئة عندما يتطلب الموقف القيام بغزوة أو سرية في زمن الرسول أو إرسال جيش فاتح أو قوة تعزيز زمن الخلفاء الراشدين وكان إعلان التعبئة في بدايته سهلاً لأن تواجد المسلمين اقتصر في بداية الدعوة على المدينة المنورة وما جاورها ولذا كان الاعلان يتم بالتبليغ الشخصي المباشر أما في عهد ابي بكر والخلفاء الذين تبعوه فكان يتم من خلال ولاة الأمصار وترسل الأسماء من ديوان الجند في عهد الخليفة عمر إلى الوالي الذي يقوم بتبليغهم ويقودهم القائد المعين إلى الوجهة التي يريدها الخليفة.

أما مكان اجتماع الجند بعد الإعلان فكان الجند يجتمعون بالقرب من مسجد الرسول وهناك يجري تنظيمهم وأصدار الأوامر اليهم وفي عهد أبي بكر كان يجمع الجند خارج المدينة لكثرتهم وأما في عهد عمر بن الخطاب فنادرًا ما كانوا يجتمعون لدى الخليفة إذ كانوا يبعثون مباشرة من قبل الوالي إلى جبهة القتال نظراً لاتساع رقعة الدولة الاسلامية والمشقة التي سيعانونها للوصول إلى مركز الخلافة

### التسريح من الخدمة

لم يكن هناك نظاماً خاصاً للاحتفاظ بالجند في عهد الرسول وخليفته ابي بكر اذ كان المسلمون يدعون للجهاد وبعد انتهاء الحملة يتفرقون إلى شؤونهم الخاصة وهذا بمثابة تسريح من الخدمة أما في عهد عمر فقد فرض الموقف الاحتفاظ بجيش دائم لاستمرارية الفتوح والدفاع عن الثغور الاسلامية وبما أن المسافات شاسعة ووسائل النقل قليلة ومحدودة لذا وضع الخليفة قانوناً أمر به تسريح الجنود كل أربعة شهور مرة يعود فيها إلى أهله ويستبدل بجندي آخر وقد طبق هذا في كل أرجاء الدولة الاسلامية وهذا ما يسمى بالتسريح المؤقت. إذ أن على المسرح أن يعود للجيش مرة أخرى بعد أربعة شهور، أما التسريح النهائي من الخدمة فلم يقف على سن معينة واعتمد هذا على حكم الوالي وتقديره أما المتطوعون فكانوا يخرجون للرباط في الثغور حتى اذا حل فصل الشتاء عادوا الى بلادهم. أمر عمر بن الخطاب ببناء معسكرين للجند معسكر البصرة والكوفة والقصد منهما أن يعود اليهما المتطوعون شتاء ثم ينطلقون منها الى القتال مرة أخرى.

### الاعفاء من الخدمة

يتناسب القانون السماوي مع ما أجازاه الرسول وبعض خلفه من بعده بأن الجهاد (الخدمة العسكرية) طوعية ويعتمد على ايمان الشخص ومدى اندفاعه للقتال لذا جاء الاعفاء بأمر من الله (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم)<sup>(١)</sup>. نلاحظ من الآية أن أسباب الاعفاء من القتال هي أسباب مادية تتعلق بالصحة العامة والمرضى والمقدرة على المال وهذه

(١) سورة التوبة - الآية ٩١.

الأسباب يمكن التحايل بها كما يفعل الكثير هذه الأيام مع اللجان الطبية للتملص من الخدمة العسكرية رغم أنهم أصحاب وذوي قابلية بدنية عالية ولكن مقياس المسلم ليست هذه الأسباب فهو أمام ضميره ونفسه وأمام ربه حيث لا مجال للمراوغة أو التمارض لأنه لن يفلت من العقاب وهذه ميزة المسلم عن غيره أنه يتعامل مع قانون سماوي بأخلاق بينما القوانين الوضعية بلا أخلاق فالمسلم هو المتهم والقاضي وعليه أن يحكم نفسه. نحن لا ننكر أن هذه كانت مقاييس الرسول وصحبه ولكنها تنطبق على كل زمان ومكان وأما الشخص الذي يحاول أن يتملص أو يتهرب من الخدمة فيجب أن يساق كرهاً كما أمر عمر بن الخطاب ولاته بسوق الناس كرهاً إذا لم يكونوا راغبين في القتال. أجاز بعض ولاة المسلمين نظام البديل للاعفاء الوقتي من الخدمة فإذا أراد أحدهم التخلف عن القتال يبيحه الوالي استأجر بدلاً منه أجيراً للقتال على شيء معين يدفعه له. (١)

### تنظيم الجيش الاسلامي

يتفق جميع المؤرخين بأن الخليفة عمر هو أول حاكم اسلامي أجرى تعديلات جوهرية على تنظيم الجيش باستحداث ديوان الجند وتسجيل جميع المقاتلين وأماكن سكناهم وأسلوب جمعهم وإقامة المراكز الحربية مثل البصرة والكوفة في العراق والاسكندرية والفسطاط في مصر وأربعة مراكز في الشام، ونلاحظ ان هذه المعسكرات اقيمت في أماكن متوسطة وفي ملتقى الطرق المؤدية للبلاد التي تم فتحها لتكون مركزاً للقوات المحاربة الدائمة ومن هذه المراكز يتحرك الجند لتعزيز القوات المرابطة في الثغور أو لتبديلها أو لفتح جديد أو لحماية الدولة من الخارجين وقمع الثورات وكانت هذه المعسكرات مؤمنة بالماء والمؤن ويُسمح للمقاتل باستصحاب عائلته في هذه المراكز. يروي ابن جرير (٢) بأن الخليفة عمر وضع في كل معسكر من المعسكرات الآتفة الذكر أربعة آلاف فارس وعين لهم قائداً يتقدم لنجدة المسلمين عند الطلب وقد ظلت هذه المعسكرات الحربية (معسكرات التعزيز) وخاصة مركز البصرة والكوفة حتى نهاية العهد الأموي مصدراً مهماً للتعزيز وإمداد الجيش بعناصر قتالية مدربة. ومن الجدير بالذكر أن جنود المراكز الحربية كانت رواتبهم جارية طوال العام وكان عدد الجند يزداد أو يقل حسب فترات الاستقرار أو التمرد والعصيان في الدولة فقد بلغ جند الخليفة المنصور مائة وعشرين ألفاً موزعين في الأقاليم والمراكز الحربية وكذلك جند الخليفة المأمون ما يقاربهم أو يزيد. (٣)

### تنظيم الوحدات

ليس من اليسير قيادة جيش غير منظم وخاصة إذا كان حجم هذا الجيش كبيراً يصعب السيطرة عليه وبما أن الجيش الاسلامي في فجر الاسلام لم يكن جيشاً نظامياً بالمعنى المعروف وإنما كان يستنفر لوقت الحرب فقط ومن ثم يتفرق المقاتلون بعد المعركة، لذا كان التنظيم وقتئذ

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٩٦.

(٣) ORIENT UNDER THE CALIPHS P. 336

واعتمد بشكل عام على النظام القبلي ففي حروب الردة كانت تستنفر القبيلة بأجمعها بقيادة زعيم القبيلة وفي معركة بدر نظم الرسول المسلمين إلى كتيبتين مهاجرين وأنصار (قريش وأوس وخزرج) وعين لكل كتيبة قائداً منهم. بقي هذا الأسلوب متبعاً حتى أوائل خلافة عمر عندما كثر الجند وبعُدت المسافة وأصبح من الصعب إمداد الجيش بالقبائل لذلك جرى تقسيم الجيش بأسلوب جديد بالرغم أن التنظيم القبلي بقي معمولاً به لدى بعض القادة حتى وقت متأخر من عهد الخلفاء الراشدين. يقول الطبري<sup>(١)</sup> إن الخليفة عمر أرسل كتاباً إلى سعد بن أبي وقاص قبيل معركة القادسية يقول فيه (إذا جاءك كتابي هذا فعضر الناس وعرف عليهم وأمر على اجنادهم، ومُر رؤساء القوم فليشهدوا وقدرهم وهم شهود واجعل على الرايات رجالاً من أهل السابقة) يفهم من هذا الكتاب بأن الخليفة أراد تقسيم الجنود إلى عشرات ويجعل لكل عشرة عريفاً ومن ثم مجموعة أكبر وعليهم أميراً، هذا ليس بجديد ولكن كان يجري تطبيقه من قبل القادة دون أوامر ملزمة فالرسول اختار اثنا عشر نقيباً لتبليغ دعوته عندما اجتمع بوفد المدينة سرّاً في ليلة العقبة الثانية وأما خالد بن الوليد فقد قسّم جنده إلى مجموعات صغيرة أثناء تنقله من الجزيرة إلى العراق لنجدة المنى بن حارثة الشيباني وإذا عدنا إلى سعد في القادسية نجد أنه نفذ أوامر الخليفة ولكن على النظام القبلي فقد جُزأ القبيلة نفسها إلى عشرات وأمارات وأعطاهم الرايات وكان هذا له مغزى عميقاً فالعربي يعتز بقبيلته ولا يسمح لنفسه أن يكون سبياً في هزيمتها وغمز جانبها لذا كان يقاتل من أجل رفعة وسُمة القبيلة ودليل ذلك أن سعداً كان مريضاً ويراقب المعركة من شرفة قصره فرأى قبيلة (بجيله) تتراجع وقد ميزها من رايتها فأرسل رسوله إلى بجيله بأن تعدل وأن لا يؤتى المسلمون من قبلها وأمر كتيبة بني أسد بتعزيزها. أما خالد بن الوليد في معركة اليرموك فقد قسّم الجيش إلى كراديس وكل كردوس يتألف من ألف جندي أما التنظيمات الصغرى فقد أوردها ابن خلدون<sup>(١)</sup> بقوله أن العريف كان على عشرة والخليفة كان على خمسين والقائد على مائة، أما المسعودي<sup>(٢)</sup> فقد أورد نظاماً للجند كان معمولاً به في زمن الخليفة المأمون وهو أن الأمير وتحتة عشرة قواد وجنده عشرة آلاف والقائد وتحتة عشرة نقيباً، وجنده ألف والنقيب وتحتة عشرة عرفاء وجنده مائة والعريف جنده عشرة فقط.

## معاربه تنظيم الجيوش

لاعرض الدراسة والتحليل بأدناه مقارنة بين تنظيم بعض الجيوش في العصر القديم والعصر الحديث لتبيان التشابه والفرق وكان أنسب التنظيمات لذلك هي الجيش الاسلامي في صدر الاسلام والجيش الروماني<sup>(٣)</sup> والجيش الفارسي<sup>(٢)</sup> والجيوش في العصر الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٨٨.

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٩٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٤١١ (طبعة ثانية سنة ١٩٤٨).

(٣) الفن الحربي في صدر الاسلام لعبد الرؤوف عون (عن المعجم الفارسي للدكتور هندأوي).

(٤) الفن الحربي في صدر الاسلام لعبد الرؤوف عون (عن تاريخ الحروب في العصور الوسطى للدكتور أومان).

(٥) اخذت نسب متفاوتة لأن تنظيم الجيوش في العصر الحديث يختلف من معسكر إلى معسكر ومن جيش إلى اخر فالتنظيم الشرقي يعتمد على كثرة القوة البشرية بينما في التنظيم الغربي يتم الاعتماد على المعدات والفرقة مثلاً في التنظيم الشرقي قد تصل إلى عشرين ألف مقاتل بينما في التنظيم الغربي قد لا تتعدى نصف هذا العدد.

ملحوظات	عدد الجند	القيادة	الجيش
			١ - الروماني
	عشرة آلاف	البطريق	
	خمسة آلاف	طور ماخان	
	الف	درانجري	
	مائتان	القومس	
لم يذكر العدد	—	القمطرخ	
	عشرة	الدمرداخ	
			٢ - الفارسي
كل مرتبة دنيا تساوي	غير محدد	الشاه أو الوزير	
ربع المرتبة التي قبلها	تسعمائة وستون الى ألف	الميرمران (قائد عظيم)	
أمير حاكم	مائتان وأربعون	الاصفهبين	
حاكم أقليم	ستون	المرزبان	
رئيس وتحتة عشرة أساور	خمسة عشر	السالار	
(فرسان) وخمسة من البيادق المشاه			
			٣ - الاسلامي
إمارة خالد في اليرموك	أكثر من عشرة آلاف	أمير الجيش	
وسعد في العراق			
قد يقود ميمنه، ميسرة	خمسة آلاف	أمير التعبئة	
أو قلب.			
	الف	أمير الكردوس	
	مائة	القائد	
لم يرد إلا في تاريخ ابن	خمسون	الخليفة	
خلدون.			
	عشرة	العريف	
			٤ - العصر الحديث
يعتمد على تنظيم الفيلق	غير محدد	القائد العام	
والفرقة.	ثلاثون - ستون ألفاً	قائد الفيلق	
أرقام قياسية	تسعة - عشرون ألفاً	قائد الفرقة	
تختلف من جيش إلى آخر.	ثلاثة - خمسة آلاف	أمرلواء	
	خمسمائة - ألف	أمركتيبة / فوج	
	مائة - مائتان	أمرسرية	
	ثلاثون - أربعون	أمرفصيل	
	عشرة - خمسة عشر	أهر حظيرة / جماعة	

## وظائف الجيش

### ١ - الرائد

وهو الذي كان يرتاد مكان نزول الجيش قبل قدومه وهذا المصطلح يقابله في التنظيم الحديث (جماعة المأوى) الذين يذهبون لاستطلاع المكان الجديد للقطعات وبيان الأماكن المناسبة للانفتاح والتستر والاختفاء وطرق الدخول والخروج ومدى مناسبة ذلك المكان لحجم القطعات. من خلال هذا نجد أن الرائد كان ينفذ نفس الواجبات مع اعطاء الأهمية لتوفر الماء والكلاً أحياناً وأمنية الموقع.

### ٢ - صاحب الأقباض

هو الشخص المسؤول عن جمع وتقسيم الغنائم وهو الركن المالي الذي يدفع رواتب الجنود مع أن بعض الجنود كانوا متطوعين ولا يصرف لهم رواتب جارية وإنما كانت رواتبهم ما يلحقهم من نصيب في تقسيم الغنائم.

### ٣ - القرّاء والقصاص

هم أشخاص كانوا يقرأون الشعر الحماسي في أيام الجاهلية ويروون القصص البطولية للمقاتلين واستعمل المسلمون هذا الأسلوب في بداية عهدهم فكان حسان بن ثابت شاعر المسلمين وظل هذا الأسلوب ساري المفعول لفترة طويلة ورافقه تعيين الوعّاظ (الخطباء) وهم قارئ القرآن ممن كانوا يتميزون بحسن الصوت وكانوا يقرأون عادة سورة الأنفال لحث الجنود على الجهاد والتضحية في سبيل الله ففي معركة اليرموك عين خالد بن الوليد أبو سفيان بن حرب قاصاً (خطيباً) وعين المقداد بن الأسود الكندي قارئاً للقرآن. أما في عصرنا الحديث فإن الإمام/ المرشد الديني في الجيوش الإسلامية والرهبان/رجال الدين في الجيوش الأخرى لا تزال تعتبر من أركان التنظيمات الرئيسية لما للموضوع الديني من أهمية في تغذية الروح ورفع الروح المعنوية. من الملاحظ بأن الجيش الإيراني لا يزال يعتمد الأسلوب القديم حيث يقوم القصاصون بقراءة القصص والبطولات والملاحم على الجنود وهم في طريقهم للقتال.

### ٤ - التمريض

عند ظهور الاسلام لم يكن الطب قد وصل ذلك المستوى الرفيع اذ اعتمد في معظمه على الأسلوب البدائي إضافة الى ذلك أساليب الشعوذة التي كانت رائجة في ذلك العصر وعندما بدأ القتال بين المسلمين والمشركيين لم يكن هناك أطباء ولا مستشفيات لمعالجة الجرحى وإنما كانت الجراح تُداوى من قبل أصحاب المعرفة والعناية تتم من قبل أهل الجريح وفي غزوة الخندق تطوعت بعض المسلمات لمداواة الجرحى وإسقاؤهم وكان من



بينهن (رُفِيدَه) وكان لها خيمة تداوي بها جرحى المسلمين. (١) عندما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وكثرت الفتوحات كان المقاتلون يأخذون معهم نساءهم إلى الحرب وهؤلاء يتطوعن للتمريض وسقاية الجرحى والمرضى وقد كن يضطربن للقتال كما حصل في معركة اليرموك مع خولة بنت الأزور ورفيقاتها من النسوة المسلمات وكذلك في القادسية والبيوب وغيرها. استنجد المسلمون من خبرة الجيوش التي حاربوها وتعلموا منهم مهنة الطب والتمريض واستعملوا قسماً من الروم والفرس ممن دخلوا الاسلام كأطباء وممرضين فصار الجريح يُحْمَل على محمل بين رجلين فيوضع في مكان العلاج وقد روى الجاحظ (٢) أن الحجاج بن يوسف الثقفي أول من عمل المحامل ثم صار الأطباء يرافقون الجيش عند خروجه للقتال وقد تطور الطب كثيراً في العهد الأموي والعباسي.

## ٥ - وظائف أخرى

لقد برزت الحاجة إلى وظائف أخرى في بعض المواقف واستخدمت في بعض المعارك ولم تستخدم في معارك أخرى مثل المترجمين والدعاة (الذين يدعون الكفار إلى الدين الاسلامي) والسعاة وأصحاب الساقة (الذين يخلفون الجيش لسوق الجنود إلى المعركة) وغيرها من الوظائف.

## التدريب والأسلحة

نحن لا نشك بأن الفتوحات الاسلامية كانت مدرسة حربية يمكن أن نستقي منها الكثير من مبادئنا واسسنا في القتال رغم ما يزعمه الكثير من المؤرخين الحاقدين على العروبة والاسلام بأن الفتوحات الاسلامية كانت بعضاً من أيام العرب السابقة ولا تحمل إلا فروقاً بسيطة في التنظيم وأساليب القتال وما القصد منها إلا السلب والنهب وطلب المال. إن من البديهيات المسلم بها أن المسلمين لو كانوا بهذه الصفة لما استطاعوا أن يصبحوا أسياد العالم في أقل من قرن وأن يهزموا اكبر امبراطوريتين في ذلك التاريخ.

نحن نعتقد بأن طبيعة العربي هي طبيعة قاسية محاربة وظروفه تتطلب منه أن يكون مقاتلاً شجاعاً حتى يستطيع الدفاع عن نفسه في ظرف كان القوي فيه يأكل الضعيف وبالرغم من أن الأسلحة لم تكن بذلك المستوى من التطور بحيث تحتاج إلى تدريب مكثف إلا أن التدريب قد نال حظه من العناية والاهتمام، يقول الرسول ﷺ (علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل) وقد ورد في الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لأهمية الاعداد والتدريب للقتال. يتبين لنا من هذا أن التدريب كان موجوداً قبل الاسلام ولكنه تدريباً عفويماً طبيعياً ناتجاً عن الممارسة ومتطلبات الموقف أما بعد ظهور الاسلام فقد جاء التركيز واضحاً على التدريب لأن

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦١.

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٤٢.

مستوى القتال قد اختلف فالمسلمون سيحاربون جيوشاً منظمة ومدربه منذ قرون عديدة ولهم خبرة وممارسة حربية.

## التدريب على الخيل

اهتم الاسلام بالخيل لأنها تؤمن حرب الحركة ففي قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) تبرز أهمية الخيل والتركيز عليها وكذلك ما ورد في سورة العاديات من التأثير المادي والمعنوي على العدو عند استخدام الخيل خاصة في الصباح الباكر، يقول الرسول (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)<sup>(١)</sup>. روى ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> بأن قوات الخيالة (الفرسان) التي كانت ترابط في المراكز الحربية تزاوّل تدريباتها خارج المركز في ميدان خاص بها يسمى (الحمى) لا يجتازه أحد من الناس وكان الخليفة أو الوالي يشرف على الحمى وتمريبات الخيل ويستصحب بيطرياً بصيراً بالخيل يسمى سلمان الخيل<sup>(٣)</sup> فكان يشرف على بيطرتها ويعنى بأمرها. أما التمرينات فكانت تشمل المبارزة بالرماح لاطهار المهارة في استخدامها والتناضل بالسهم وسباق الخيل والتمرن على ركوبها. كان الخليفة عمر يشرف بنفسه على تدريبات الخيل وهو القائل، رضي الله عنه (علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ورؤوهم ما يجمل من الشعر)<sup>(٤)</sup>.

كان للتدريب على الخيل مبادئ خاصة يعرفها العرب جيداً وفي هذا يقول (ابن الهذيل) (أعلم أن أصل الفروسية الثبات، وأن مبتدأها إنما هو الركوب على العربي فمن أراد التفرس على العربي فليلبس ثياباً خفافاً مشهرة ويلجم فرسه ويشدّ عليه جلّ صوف أو شعر وثيق الحزام واللب<sup>(٥)</sup> فإن الراكب على الحل<sup>(٦)</sup> أثبت منه على المجرّد. ويقف عن يسار فرسه عند منكبه ويمسك عنان لجامه بيده اليسرى وان أخذ العرق مع العنان فلا بأس به ويثب بسرعة وخفة فإذا استوى على ظهره جمع يديه في العنان عند كاهل الفرس ونصب ظهره وضغط بفخذه موضع دفتي السرج من ظهر الفرس ويتقدم قليلاً ويمد ركبتيه وساقيه وقدميه الى كتفي الفرس حتى يمكنه أن ينظر إلى إبهامي قدميه وليكن ركوبه غير ذلك فلا ركوب له ولا ثبات<sup>(٧)</sup>).

(١) البخاري ١٢/١٣٦ كتاب الجهاد والسير.

(٢) عيون الأخبار ج ١ - طبعة دار الكتاب ص ١٥٥.

(٣) سلمان الخيل نسبة الى سلمان بن ربيعة الباهلي الذي كان يصحبه الخليفة عمر معه عندما كان يذهب الى الحمى لعرفته في إدواء الخيل والعناية بها وقد عينه الخليفة للتفتيش على خيول الجيش بالكوفة.

(٤) الكامل للمبرد ١/١٢٦.

(٥) اللب موضع القلادة من الصدر واللب ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئثار السرج (المنجد).

(٦) ما يشد على جسم البعير من قماش.

(٧) الطريق الى المدائن لأحمد عادل كمال عن (الفروسية العربية ص ٤٧).

## القوس

عرف العرب القوس عن طريق الفرس والروم واستخدموه في حروبهم وقد كان الرسول يحث الناس على تعلم رمي القوس لأنه كان يعتقد بأن الفرس والروم أفضل من المسلمين بالرمية بقوله (هم أقوى منكم رمية). وروي عن رسول الله قوله في القوس (ما سبقها سلاح إلى خير قط، وإن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعة المحتسب في عمله الخير والرامي به، والممد به فارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا) وقد كان يشار إلى الرامي في الجاهلية بالبنان وكان سعد بن أبي وقاص في معركة أحد يرمي بالنبال أمام الرسول وكذلك سهيل بن حنيف<sup>(١)</sup> وكان من أمهر الرماة، ومن الجدير بالذكر بأن العرب لم يبقوا متخلفين في رمية النبل بل توسعوا في استعماله، وبالتدريب أجادوا الرماية به حتى أن بعض المؤرخين أطلق عليهم (رماة الحدق)<sup>(٢)</sup>. يروي الطبري<sup>(٣)</sup> بأن أهل الأنبار تحصنوا من خالد ابن الوليد في حصونهم فقال خالد لرماته (إني أرى أقواماً لأعلم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا تؤخوها غيرها)، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا الرمي ففقتوا ألف عين يومئذ حتى سميت تلك الموقعة ذات العيون.

- للإصابة بالسهم سبع درجات<sup>(٤)</sup> من حيث شدتها وقوتها وقد ذكر الأمام الشافعي أربعاً منها وقد كان رامياً وذكر أصحابه باقي السبعة وهي:
- ١ - الخاضل : وهو الذي يقرع القربة ولا يחדشها.
  - ٢ - الخازق : وهو الذي يחדشها ولا يثقبها.
  - ٣ - الخاسق : وهو الذي يثقبها ويثبت فيها.
  - ٤ - الحابي : وهو دنويد الرامي من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض كأنه يحبو فيصيب الهدف.
  - ٥ - المارق : وهو الذي يمرق في القربة ويثقبها وينفذ فيها.
  - ٦ - الخارم : وهو الذي يخرم طرف القربة (يقطعها).
  - ٧ - المزدلف : وهو الذي يسقط بقرب الهدف ثم يزدلف فيصيب الهدف.

سميت القسي بأسماء صانعيها فمنها العصفوري<sup>(١)</sup> والماسخي<sup>(٢)</sup> وكانت العرب تتخذ القسي من شجر الضال والتبع والشوحط والسدر والشريان والسراء والتين والأشكال والحما والتالب والنشم ويعطى لكل جزء من أجزاء القوس إسماً طبقاً لموقعه في القوس.

(١) بايع الرسول على الموت وكان الرسول يقول لأصحابه (نبلوا سهيلاً) أي أعطوه نبلكم لمهارته في الرماية.

(٢) يقصد بذلك لو أن أحدهم أراد أن يرمي إحدى عيني الغزال دون العين الأخرى لرمها.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٠.

(٤) الطريق إلى المدائن لأحمد عادل كمال عن (بلوغ الأرب ٣/٣٥٤).

(١) نسبة إلى رجل اسمه عصفور - الطريق إلى المدائن ص ٨٢.

(٢) نسبة إلى رجل اسمه ماسخة من ازد. نفس المرجع السابق.

أما السهم أو النبل فهو الذي يرمى به القوس وأجود السهام هي سهام بلاد ويثرب وهما قريتان باليمامة ويقال للسهم أيضاً النشاب والمريخ والمعبلة والمشقص وتتبع هذه الأسماء شكل السهم إن كان عريضاً أو خفيفاً أو غيره<sup>(٣)</sup> وكان للسهم في زمن الرسول سوق قرب المسجد حيث يجتمع الناس فقد روي عن جابر أنه قال<sup>(٤)</sup> (مررجل في المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله أمسك بنصالها) وقد كانت السهام تحفظ في كنانة أو جعبة أو وفضة.

## الرمح<sup>(٥)</sup>

الرمح سلاح قديم عرفه قدماء المصريين واليونانيين والفرس والروم والعرب في جاهليتهم وهو سلاح الفرسان والمشاة على حد سواء، شجع الرسول المسلمين على اقتنائه بالأشادة به بقوله لما رأى القوس (بهذه وبرماح القنا تفتحون البلاد) وقوله أيضاً (جعل رزقي تحت ظل رمحي<sup>(٦)</sup>) كان المسلمون يقضون وقتاً طويلاً في التدريب على استخدامه إما بمطاردة الوحوش وطعنها بها وإما بأعداد حلقة من الحديد تسمى (الوتره) يتمنون على الطعن داخلها حتى مهروا بالطعن وصار لهم طريقة خاصة في استخدامه. قال ابن الهذيل في التدريب عليه: (من أراد أن يركب جواده ورمحه معه عليه أن يأخذ رمحه بيمينه وعنانه بشماله مع قربوس<sup>(٧)</sup>) سرجه ويضع زجّ رمحه بالأرض ويبعد عنها قليلاً ويضع صدر قدمه اليسرى في ركابه الأيسر، ثم يعتمد على الرمح ويرفع نفسه على فرسه وينهض وهو يدير الرمح على كساء الفرس إلى الجانب الأيمن حتى يستقل بسرعة ثم يضع الرمح في يساره مع العنان ويسوي ثيابه وآلته بيمينه ثم ينقل رمحه إلى يمينه ولا ينبغي أن يتعرض الرجل لأخذ رمحه من الأرض وهو راكب فربما وطئه الفرس فكسره أو ضربه فأبعده عنه. وحين ينزل بالرمح يأخذه بيساره ويضع زجه بالأرض عند يد فرسه اليسرى ويأخذ القربوس بيده اليمنى ثم ينزل، وحين يصير إلى الأرض يأخذ رمحه بيمينه بسرعة لئلا يدور عليه الفرس فيحطمه أو يصيب الأرض بسنانه أو يصيب أحداً. وللتدريب على العمل بالرمح يفرز الفارس عدواً أو شبهه قائماً بالأرض قدر ارتفاع الفارس ويتوثق من أسفله ويشد في أعلاه حلقة أو حبلًا ملتئباً يشبه الحلقة ثم يتباعد عنه بأقصى سرعة فإذا قرب من ذلك العود تأبط رمحه وأخرج منه عن إبطه بقدر ما يخلف عليه حمله وتحتمله قوته ثم يأخذ سنانه تلك الحلقة ثم يلوي رمحه بسرعة ليخلص السنان من الحلقة<sup>(٨)</sup>.

(٣) الكامل للمبرد ١/١٦٥.

(٤) البخاري ١/٥٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى الطريق إلى المدائن لأحمد عادل كمال والفن الحربي في الإسلام لعبد الرؤوف عون.

(٦) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٠٠.

(٧) القربوس هو القسم المقوس أو المحني من السرج.

(٨) الطريق إلى المدائن لأحمد عادل كمال عن الفروسية العربية ٤٣.

## السيف

السيف هو سلاح الاشتباك القريب وهو يشبه في عمله البندقية أو العُدَّارة في الوقت الحاضر وهو غني عن التعريف فهو من اقدم الاسلحة في التاريخ وأنواعه عديدة وأسماءه لا تحصى وهو سلاح كل مقاتل وقد استخدمه المسلمون بمهارة فائقة وقد ورثوا هذه المهارة عن جاهليتهم فكانوا احذق من اعدائهم في استخدام هذا السلاح. وللتدريب على السيف كان يُعمد الى قصبَة رطبة أو قضيب رطب ويثبت في الأرض ويتوثق منه ثم يتباعد الفارس عنه ويجعله على يمينه ويجري بأقصى سرعته فإذا دنا منه سل سيفه بسرعة وخفة وضرب ما يحاذي رأسه من ذلك القضيب او القصبَة ويفعل ذلك مراراً وتكراراً وفي كل مرة يقص جزءاً منه حتى يبقى قدر ذراع ويُدمن العمل حتى يصير له عادة ويخف عليه العمل به. (٢)

## الترس

وهو سلاح دفاعي يتقي به المقاتل رميات العدو وضرباتهِ ويحمل باليد اليسرى وقد عرف العرب الترس<sup>(١)</sup> وكانوا يصنعونه من الجلود أو الخشب وتغطي بالجلد وعندما زادت امكانيات المسلمين المالية أصبحوا يصنعون هذه التروس من الحديد والفولاذ وقد ذُكر بأنها كانت تُنقَشُ عليها آيات قرآنية وأشعار وظهرت هذه التروس بأنواع واشعال مختلفة كالترس الدمشقي والعراقي والغرباطي ومنه المستطيل والمقَبَّب والمنحني الاطراف إلى الخارج والمستدير وغيرها.

## الدرع

وهو سلاح دفاعي أيضاً يصنع من الحديد ونسيج الكتان والنحاس وتُنسَب صناعة الدروع إلى سيدنا داوود عليه السلام كأول من صنعها وقد ورد ذلك في القرآن الكريم (ولقد آتينا داوود فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً اني بما تعملون بصير، ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور)<sup>(٢)</sup>.

ذكر أن الدروع كانت تصنع من جزئين احدهما للصدر والآخر للظهر وكانت تصنع

(٢). نفس المرجع السابق بتصرف.

(١) كانت تسمى الذَّرَق والحَجَف جمع درقة وحَجَفَة حيث كانت تصنع من جلود الابل او البقر وليس لها خشب او سيور من الجلد او العصب - الافصح ط دار الكتب ص ٢٩٨.

(٢) سورة سبأ - الآيات ١٠-١٣ (اعمل سابغات وقدر في السرد: اصنع دروعاً طويلة تغطي لابسها واحسن في صناعتها وسردها لتكون جميلة وقوية).

بشكلين درع الصفائح والحلق المتضافر والأخير أفضل من الأول لأنه يصد السيف والسهم والرمح لتداخل زريده. استخدم العرب في الجاهلية الدروع وكذلك المسلمون إذ ورد ذكر ذلك في أماكن عديدة في القرآن الكريم (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) (٣) وفي قوله تعالى (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر، وسراويل تقيكم بأسكم) (١) لقد لبس الرسول الدروع في الحرب وكان له درع اسمها البتراء وقد ذكر الادريسي (٢) بأنها كانت من جلد مبشور فيها ثلاث حلق من فضة والإبزيم والطرف من فضة ويبدو أن هذه الحلقات في النطاق كانت لتعليق فضلات الدرع بها لتكون مشموره خفيفة عند القتال. يعتبر الدرع من أهم وسائل الوقاية الشخصية للمقاتل وكانت باهظة الثمن ففي معركة أحد لم يكن لدى المسلمين إلا مائة دارع مقابل سبعمائة دارع لدى المشركين فاستعار الرسول مائة درع أخرى من صفوان بن أمية. كان المسلمون يقدمون الدارع في الصفوف الأمامية لتوفر الوقاية لديه ويؤخرون الحاسر. من ملحقات الدرع المغفر والبيضة، أما المغفر فهو نسيج من الحديد كالدرع يلبس تحت البيضة على الرأس ليكون واقياً لها إذا انكسرت ويتبدل جزء منه على الوجه لحمايته، وقد دخلت حلقتان من المغفر في وجنتي الرسول يوم أحد بسبب ضربة من المشرك (ابن قنينة) وأما البيضة فهي خوذة من الحديد أو الفولاذ مبطنه بمادة لينة طرية وهي مستديرة باستدارة الرأس.

## المنجنيق

وهو سلاح هجومي يستخدم الحجارة لدك الحصون والبنىات واجبار الخصم على الاستسلام وهو يشبه مدفعية اليوم. هناك روايات عديدة حول استخدام المسلمين لهذا السلاح في صدر الاسلام فمنهم من أنكروا معرفة المسلمين به حتى اواسط القرن الأول للهجرة ومنهم من قال بأن المسلمين استخدموه قبل هذا التاريخ في حصار خيبر وقد احتصلوا عليه من اليهود. يروي ابن هشام والطبري (٣) أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يشهدا حنيناً لأنهما كانا بجرش (٤) يتعلمان صنعة الدباب والصنوبر (٥) والمنجنيق. وذكر المؤرخون أيضاً أن المسلمين استخدموه في حصار الطائف (١). استخدم المسلمون المنجنيق بشكل مؤكد في القرن الثاني للهجرة وبشكل واسع في عهد الأمويين والعباسيين وكذلك رموا بها النار الاغريقية التي شاع استخدامها زمن هارون الرشيد.

(٣) سورة الانبياء - آية ٨٠ (لبوس لكم: ثوب تلبسونه وهو الدرع).

(١) سورة النحل - آية ٨١ (سراويل تقيكم بأسكم: ثياباً تحميكم اثناء الحرب وهي الدروع).

(٢) الادريسي - التراتيب الادارية - طقارس ١٣٤٦ - ص ٣٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٩ - تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٢.

(٤) جرش مدينة رومانية قديمة تقع في الأردن. ويقال مدينة في اليمن.

(٥) الدباب والصنوبر قد تكون اسماً لعنق واحد وهو ما كان يسمى الدبابة في العصر القديم.

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٣٣ والكامل ج ٢ ص ١١١.

## الدبابات

كانت تسمى الدباب وهي عربة تصنع من الخشب المكسو بالجلد يدخلها الرجال ويقتربون بها من جدران الحصون لينقبوها وهي تؤمن لهم الحماية من أسلحة العدو ولم يكن للعرب علم بصناعتها وإنما كانوا يشترونها أو كما ورد في رواية ابن هشام والطبري أنهما تعلموا صناعتها من الرومان، لم تورد المراجع التاريخية كثيراً عن استخدامها وقد ورد أن المسلمين استخدموا دبابتين في حصار الطائف واستطاعت ثقيف ان تحرقها بسك الحديد الحماة بالنار وقد احترق بعض من المسلمين الموجودين بها واستشهد الباقي بالنبال.

## الشؤون الادارية

### تموين مواد القتال<sup>(٢)</sup>

سبق وأن أشرنا بأن الدولة الاسلامية بدأت من لا شيء حيث لم يكن هناك خزينة ولا جباية ولا ضرائب وإنما تم الاعتماد على القدرات الذاتية للفرد المسلم ووقع على كاهله عبء الدفاع عن الاسلام بروحه وماله وجاءت الآيات القرآنية أمرة المسلمين بالجهاد والتجهيز له فكان المسلم مسؤولاً عن إعداد طعامه وسلاحه وعلف الحيوان الذي يقاتل عليه وبالمقابل إذا لم يستطع المسلم ذلك وجب على إخوانه الآخرين القادرين على ذلك فكان القادر يجهز نفسه وعدداً آخر من المقاتلين قد يصل إلى تجهيز الجيش كله كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه مع جيش العُسرة. حَبَّبَ اللهُ الجهاد بالمال وجعله في مصافِّ الجهاد بالنفس بقوله (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)<sup>(١)</sup>. نلاحظ بأن التجهيز للقتال كان تطوعاً بين المسلمين حتى النساء كانت تجود بحليها ومتاعها وكان الرجل إذا لم يجد من يجهزه يستقرض أو يستترهن من متاعه ولا يقعد عن الغزو بأي حال، أما مستلزمات التموين فكانت التمر والسويق واللحوم للمقاتلين والعلف للحيوانات وأما السلاح فكان بديهياً أن يكون لكل مقاتل سلاحه الشخصي، بقي أسلوب التجهيز معتمداً على التطوع الفردي وعلى التبرعات والهبات حتى عهد الخليفة عمر عندما أمر باستحداث ديوان الجند وبه رتب رواتب الجند المرابطين في الثغور واشترى الخيل والسلاح واللباس والمؤن من بيت مال المسلمين وجعل على السلاح والخيل خاتم الدولة الاسلامية حتى لا تختلط بغيرها وبقي هذا الاسلوب معمولاً به زمن الدولة الأموية والعباسية ونُسِّق بأسلوب أفضل لزيادة الحاجة الى الجند طيلة العام وزيادة متطلبات طبيعة البلاد المفتوحة لذا وُجِدَت المستودعات زمن العهد العباسي وكان هناك مخازن للسلاح والمؤن واللباس.

(٢) مواد القتال هي الزيوت والارزاق والعتاد ويقابلها قديماً علف الحيوانات والطعام والسلاح حيث لم يكن للأسلحة عتاد بالمعنى المعروف هذه الايام.

(١) سورة الصف - آية ١٠.

## النقلية

عندما نتكلم عن النقلية في صدر الاسلام فمن الطبيعي أن نتكلم عن النقلية الحيوانية الممثلة في الجمال والخيول، أما الجمل فهو سفينة الصحراء وقرين العربي في السلم والحرب يطعمه ويكسوه ويحملة ويقاتل به وعليه وأما الخيل فهي رمز الأئمة والرفعة وكانت غالية الثمن ليس من اليسير الحصول عليها واقتنائها وكان لها مكانة خاصة في نفس العربي وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة العاديات وأظهرت السورة أهميتها وتأثيرها النفسي والمعنوي على الأعداء. استخدم المسلمون الجمال والخيول في حروبهم جميعها رغم أنه لم يكن لديهم امكانيات واسعة في بداية الدعوة الاسلامية إذ لم يكن لدى المسلمين في غزوة بدر إلا سبعون جملًا وفرسان فقط وقد زاد عدد الجمال في معركة أحد ولم يزد عدد الخيل أما في معركة تبوك مثلاً فكان لدى المسلمين عشرة آلاف فرس وباقي المسلمين يركبون الجمال بالتناوب لعدم توفر العدد الكافي للركوب. استخدمت الجمال بالإضافة الى حمل المقاتلين في حمل النساء ونقل الخيام والأمتعة وآلات الحصار الثقيلة كالمجنيق والدبابة وأما الخيل فكانت تركب للحرب فهي سيدة الميدان وقد قال فيها رسول الله (الخيول معقود الخير في مواصيها الى يوم القيامة، الأجر والقيمة) وذلك ترغيباً في اقتنائها والاهتمام بها.

## رواتب الجند

لم تعرف الرواتب والاعطيات إلا في عهد الخليفة عمر فالمسلم الذي يجود بنفسه وحاله وسلاحه لا يحتاج إلى إعطيه ناهيك أن المعارك والغزوات الاسلامية كانت وقتية وعندما تنتهي المعركة يعود الجميع إلى أعمالهم، أما في عهد الخليفة عمر وما بعده فقد تطلب وجود مقاتلين على الدوام كما هو بالنسبة للجيش النظامي حالياً وهذا يعني انقطاعهم عن طلب الرزق لذا أجرى الخليفة عمر رواتباً لهؤلاء الجنود ومؤونة لعيالهم طالما هم في الثغور أما المتطوعون فكانوا يعدون أنفسهم لمستلزمات القتال ولا يصرف لهم راتباً جارياً بل كانوا يعطون من الغنائم وبعد انتهاء المعركة أو التطوع يردون إلى أعمالهم كما كان في عهد الرسول وأبي بكر.

## الغنائم

كانت العرب توزع الغنائم في الجاهلية حسب رأي سيد القبيلة فهو المتصرف بها وله الحق أن يعطي هذا ويحرم ذلك أما في العهد الاسلامي فقد جرى تنظيم ذلك وفق قانون سماوي كما ورد في سورة الانفال (وأعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)<sup>(١)</sup> من الظاهر في الآية أن الأربعة أخماس الباقية توزع على

(١) سورة الانفال - من آية ٤١.



المقاتلين بالتساوي ويلاحظ أيضاً أن نصيب الدولة من الخمس هو خمس الخمس أي أربعة بالمائة من الغنائم وهذا نزريسير خاصة بعد ان ينفق الرسول جزءاً منه على أهل بيته. والانفال هي الغنائم لقوله تعالى (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)<sup>(١)</sup> وهي التي تؤخذ قسراً من العدو في القتال وأما (الفيء) فهو الذي يتم الاستيلاء عليه من العدو دون قتال (وما أفاء الله على رسوله منهم، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، ولكن الله يسلط رُسُلَهُ على من يشاء والله على كل شيء قدير)<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)<sup>(٣)</sup> وقد كان هذا المال أو العقار أو الحيوان يُرصد كله للدولة وليس للجنود فيه نصيب لأنه أُخذ دون قتال فكان الرسول والخلفاء يرصدون هذا المال في بيت مال المسلمين ويُستغل لتجهيز الجيش ومساعدة الفقراء والمحتاجين. من الواجب على المسلم تسليم الغنيمة أو الفيء إلى القائد وقد ورد نص قرآني واضح في هذا (وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون)<sup>(٤)</sup>. كانت الغنائم تجمع بعد المعركة وتسلم الى صاحب الأقباض أو صاحب النفل<sup>(٥)</sup> ما عدا ما كان يُستهلك منها في القتال كعلف الحيوانات أو المؤن اذا احتاجوا اليه فكان هذا لا يُخمس وكان صاحب الأقباض يقسم الغنائم بتوزيع خمسها لله والرسول وأربعة أخماس على الجند وكان نصيب المقاتل سهماً واحداً والفارس ثلاثة أسهم<sup>(٦)</sup>

## دفن الشهداء

كان الرسول والخلفاء من بعده يدفنون الشهداء في أرض المعركة واذا كثر الشهداء جاز دفنهم في قبور جماعية وكما نعلم بأن للشهيد ميزة خاصة في الاسلام وله مكانة عالية في السماء (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة أن الملائكة تقوم بالصلاة على الشهيد والمسير في جنازته ولا تخرج منه إلا رائحة كرائحة المسك. أما قتلى العدو فكانوا يوارون بالتراب درءاً للروائح الكريهة وقد أمر الرسول بمنع التمثيل بقتلى العدو.

(١) سورة الانفال - آية ١.

(٢) سورة الحشر - آية ٦.

(٣) سورة الحشر - آية ٧.

(٤) سورة آل عمران - من آية ١٦٢ (يغلل: يخن في الغنائم فيسرقها).

(٥) النجوم الزاهرة لأبو المحاسن ج ١ ص ٨٧ - والتراتب الادارية للدريسي ج ١ ص ٣٨٠.

(٦) البداية لابن رشد ج ١ ص ٣١٤، والميزان للشعراني ج ٢ ص ١٧٣ وهذا التقسيم بأمر من الرسول حاثاً على اهمية

اقتناء الخيل فكان للفارس سهم واحد ولفرسه سهمان.

اتبع الرسول أساليب عديدة في معاملة الأسرى قبل نزول التشريع من السماء ففي معركة بدر أسر المسلمون سبعين مشركاً من قريش وقد جرى فداء بعضهم مقابل المال أو تعليم صبيان المسلمين والبعض الآخر أطلق سراحه دون دفع الفداء لفقره وجهله ومنهم من جرى قتله لا يذائه الشديد للمسلمين مثل عقبة بن أبي معيط والنضير بن الحارث ومن ثم نزل التشريع (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم)<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فصرّب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منأ بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)<sup>(٣)</sup>. تبين لنا الآيات السابقة أسلوب التعامل مع أسرى العدو وهو أن الأسير يمكن أن يطلق سراحه أو يُفدى بالمال أو يُفدى أسير بأسير أو يُقتل لأذائه للمسلمين وهذا يعود إلى تقدير حاكم المسلمين وطبيعة القتال الدائر مع العدو.

(١) سورة الأنفال - آية ٦٧ (يثخن: يقتل الكفار قتلاً بالغا حتى يضعفوا).

(٢) سورة الأنفال - آية ٧٠.

(٣) سورة محمد - من آية ٤.

## الباب الثاني الفصل الرابع

### نصوص ومعاهدات وخطب ووصايا ورسائل الرسول والخلفاء وقادة المسلمين

- ١ - نص معاهدة صلح الحديبية بين المسلمين ومشركي قريش.
- ٢ - نص المعاهدة بين المسلمين من جهة واليهود والمشركين من اهل المدينة من جهة اخرى.
- ٣ - وصية ابي بكر الصديق لجيش اسامة بن زيد.
- ٤ - وصايا ابي بكر الصديق الى قادة الجيوش عندما وجههم لقتال المرتدين.
- ٥ - وصية ابي بكر الصديق الى خالد بن الوليد عندما وجهه لقتال المرتدين.
- ٦ - وصية ابي بكر لعمر بن العاص عندما وجهه لفتح فلسطين.
- ٧ - وصية ابي بكر الصديق الى يزيد بن ابي سفيان عندما سير لفتح الشام.
- ٨ - رسالة ابي بكر الصديق الى اهل مكة يحثهم على الجهاد لفتح الشام.
- ٩ - وصية الخليفة عمر الى ابي عبيدة بن مسعود الثقفي عندما ولاء قيادة قوات العراق.
- ١٠ - رسائل اخرى.

## نص بعض معاهدات، خطب، وصايا، ورسائل الرسول والخلفاء وقادة المسلمين

قد يرى البعض غريباً أن أورد هذا العدد الكبير من الخطب والوصايا والرسائل بنصها الحرفي في هذا الكتاب ولكن أرجو أن تكون غايتي واضحة في ذلك حيث انني اتحدث عن الفكر العسكري الاسلامي والفكر بحقيقته لا يبرز إلا بقول أو عمل وبالنسبة للعمل فكان واضحاً للعيان لا يحتاج الى اثبات شهود ولكن بعض المستشرقين الحاقدين برروا ذلك بالطمعية والغوغائية العربية التي استطاع بها المسلمون أن يصلوا إلى ما وصلوا اليه ونحن إذ نرد على ذلك بهذه الأمور المكتوبة والتي تثبت عكس ما يقولون.

ففي مجال المعاهدات أوردت معاهدتين الأولى بين سكان المدينة المنورة والمسلمون طرف رئيسي بها ونشم من خلال نص المعاهدة رائحة الاخلاق الاسلامية نفاذة وهذا ما لم يفرح به أهل المدينة من قبل كما نلاحظ أنها اشتملت على قوانين وأسس يجب اتباعها والمخالف يعاقب على ذلك وهذه بداية تأسيس دولة، أما المعاهدة الثانية فهي صلح الحديبية بين المسلمين من جهة والمشركين من جهة أخرى ورغم أن الملاحظ بأن هذه المعاهدة كانت ضد المسلمين بشكل عام بشروطها الاثنتي عشر وهذا ما عبّر عنه المسلمون علانية بصورة من عدم الرضا بلغت حد الاحتجاج على قائدهم النبي ورفضهم ذبح هديهم في بداية الأمر ولكن المتفرّس فيها والدارس لتطبيقاتها يرى أنها جاءت كلها لصالح المسلمين وهذا يدل على الفكر العسكري الثاقب للرسول العظيم فمجرد وجود المعاهدة هو اعتراف ضمني من قبل المشركين بدولة الاسلام وايقاف للحرب لمدة عشر سنوات مما ساعد المسلمين على تثبيت اركان دولتهم، ولا ضير عليه بعدها لو اشترطوا أن من دخل في دين محمد فعلى المسلمين رده فكلنا يعرف بأن هؤلاء لم يقبلوا العودة الى قريش. وشكلوا قوة للغارة على قوافل قريش مما اضطر بعدها قريشاً أن تطلب الغاء هذا الشرط. وأما من ارتد عن دين محمد وعاد إلى قريش فلا يردوه، فالمسلمون ليسوا بحاجة اليه لأنه سيصبح جاسوساً عليهم والأولى ان يعود الى أهل الشرك. وهذا ما أردت أن أوضحه من خلال نص المعاهدتين

أما في مجال الوصايا والخطب والرسائل فهناك ثلاث ملاحظات رئيسية: أولهما الجانب الاخلاقي. ونحن نرى أن معظم وصايا الخلفاء ورسائلهم هي أوامر تتضمن اخلاق المسلم في الحرب بالأب لا يقتلوا، ولا يحرقوا، ولا يهدموا، وهكذا من الأوامر الصريحة وهذا ليس غريباً فالاسلام كله أخلاق ورسولنا الكريم يقول (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) والحق يقال أن معاملة المسلمين الطيبة لسكان المناطق المفتوحة ساعدت بشكل كبير على انتشار الاسلام بهذه السرعة المذهلة وهذا واضح. فهناك عشرات الملايين من المسلمين في الصين والهند وروسيا

بالرغم ان الفتوحات الاسلامية لم تصل الى تلك البلاد، ولكنها فضائل الاسلام التي وصلتهم عن طريق التجار والرحالة.

أما الجانب الثاني فهو الجانب المعنوي للفرد المسلم وهو التركيز على الايمان العميق ومدى التصرف الفردي لكل مسلم من تلقاء ذاته وبوحي من ارادته دون مراقبة أو اصدار أوامر، وهذا جانب آخر من عظمة الاسلام ترتكز في كل فرد وكأنة الخليفة أو الحاكم أو القائد فالخليفة عمر يقول (إذا رأيتم مني اعوجاجاً فقوموه) وينهض اعرابي رث الثياب لا يكاد يحصل على قوت يومه فيقول (لورأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فيقول عمر (الحمد لله الذي يوجد في أمة محمد من يقومني بسيفه).

أما الجانب الثالث فالمبادئ والأسس العسكرية القتالية وهذه كثيرة وواضحة وأترك تحليلها للقارئ العزيز وسأعرض لها في وقت لاحق عند مناقشتي لمبادئ الحرب.

### نص معاهدة صلح الحديبية بين المسلمين ومشركي قريش<sup>(١)</sup>.

باسمك اللهم، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل ابن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا اغلال<sup>(٢)</sup> وأن بيننا عيبه مكفوفه<sup>(٣)</sup> وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل وأنه من أتى محمداً منهم بغير اذن وليه رده اليه، وأنه من أتى قريشاً من اصحاب محمد لم ترده، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، يدخل علينا قابل (٤) في اصحابه فيقيم ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح الا سلاح المسافر، السيوف في القرب<sup>(٥)</sup>.

(١) صلح الحديبية - محمد أحمد باشميل ص ٢٧٨. ويقال لها غزوة الحديبية لأن الرسول كان على رأس أصحابه ومستعدين للقتال وكان ذلك في السادس من الهجرة حيث قرر الرسول واصحابه أن يعتمروا فمنعتهم قريش من ذلك على أن يسمح لهم في العام المقبل بعد توقيع صلح الحديبية أعلاه والذي تضمن اثنا عشر شرطاً لم يرض عنها المسلمون ولكن الرسول قبلها لبعد نظره ففيها أهم بند اعتراف المشركين بدولة المسلمين وقد نزل بحق هذا الصلح سورة الفتح إشادة بأهمية هذه المعاهدة.

(٢) الاسلال : السرقة الخفية والاغلال : الخيانة عن أبي ذر في شرحه ص ٣٤١.

(٣) العَيْبَةُ : صدور منطويه على ما فيها، لا نبدي عداوة (الروض الأنف).

(٤) قابل : العام القادم.

(٥) يرجى العودة إلى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١٧ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٠١ وجوامع السيرة ص ٢٠٨ والمغازي للوافدي ج ٢ ص ٦١١ والسيرة الطلبية ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥ والعبرية العسكرية في غزوات الرسول محمد فرج ص ٢١٠.

## نص المعاهدة بين المسلمين من جهة واليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى (١).

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. انهم أمة واحدة من الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم (٢) يتعاقلون بينهم وهم يغدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لا يتركون مغرماً (٣) بينهم أن يعطوه بالمعروف وفي فداء أو عقل. ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (٤) أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة الله واحسده يجبر عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة (٥) غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء بينهم، وأن كان كل غازية غزت معنا يعقب بعضهم بعضاً. وأن المؤمنين ينبيء بعضهم عن بعض (٦) بما نال دماؤهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن. وأنه من اعتبط (٧) مؤمناً قتلاً عن بينه فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنه من نصره وآواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله والى محمد عليه الصلاة والسلام، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود بينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو اثم فإنه لا يوتغ (١) إلا نفسه وأهل بيته وان يهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف. وان موالي ثعلبة كأنفسهم وان بطانة يهود كأنفسهم وان لا يخرج منهم أحد الا بإذن محمد، وأنه لا يتحجر (٢) على ثأر جرح وأنه من فتك فبنفسه وأهله إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وأنه لم يأت امرؤ

(١) الحركات العسكرية للرسول الأعظم بين كفتي ميزان ص ٩١ - سيف الدين آل يحيى.

(٢) ربعتهم : أمرهم الذي كانوا عليه.

(٣) مغرماً : المقتل بالدين والعيال.

(٤) دسيعة ظلم : طبيعته.

(٥) الأسوة : المساواة في المعاملة.

(٦) ينبيء بعضهم عن بعض : المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماؤهم.

(٧) اعتبط : قتله بلا جناية كانت منه أو جزيره توجب قتله.

(١) يوتغ : يهلك ويفسد.

(٢) لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثأر.

بحليفه وأن النصر للمظلوم. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وأنه لا تجار حرمه إلا باذن أهلها وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حرث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله. وأن الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه. وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذين قبلهم. وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. وأن البردون الأثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه. وأن الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم وأن من خرج آثم وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظنم أو اثم وأن الله جار لمن برّ واتقى. (٣)

### وصية ابي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد عندما سيره لقتال الروم في بلاد الشام.

(إني أوصيكم بعشر فاحفظوها، لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمتلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وإذا لقيتم أناساً فحصوا أو أسطروؤوسهم وتركوا حولها مثل العصايب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه - العدو - فإذا قرب اليكم الطعام فاذكروا اسم الله وكلوا، ترّفّعوا باسم الله). (١)

ثم قال (يا أسامة اصنع ما أمرك به النبي، ابدأ ببلاذ قُضاعة ثم أنت آبل ولا تفرطن في شيء من أمر رسول الله ولا تعجلن لما خلف من عهده.

(٣) كانت هذه اول معاهدة يعقدها الرسول في المدينة المنورة واستطاع بها ان ينظّم الدفاع عن المدينة والحياة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع غير متجانس فهناك اليهود والمسلمون والمشركون من الناحية الدينية وهناك القبائل المختلفة مثل القرشيين والأوس والخزرج وقبائل اليهود المختلفة ورغم الأحكام الواضح في هذه المعاهدة إلا ان اليهود والمنافقين أخلوا بما جاء بها في وقت لاحق فجرى طرد اليهود من بني قريضة وبني القينقاع وبني النضير ومعاقبة المنافقين بسبب عدم التزامهم بما جاء فيها.

(١) سبّرت هذه الحملة في عهد الرسول للانتقام من الروم بعد معركة مؤتة التي استشهد فيها والد أسامة ولكن مرض الرسول الشديد أوقف الحملة وبعد وفاة الرسول ودفنه سيرها أبو بكر رغم حاجته الماسة للجنود لقتال المرتدين وقد كان لها تأثير نفسي ومعنوي كبير على المرتدين وعلى الروم. انظر ابن خلدون ج ٢ ص ٢٥٧، الطبري ج ٣ ص ٢٢١ وهيكل ص ٩٩ - عن تحرير العراق - القادسية للواء الركن شاذان محمود رامز ص ٣٦.

## وصايا أبي بكر الصديق إلى قادة الجيوش عندما وجههم لقتال المرتدين. (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من ابي بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الاسلام، وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كلُّه سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الإسلام. فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يُقَرَّوا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا يُنظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن اجاب الى امر الله عز وجل وأقرله قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسّر به. ومن لم يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مُراغمة، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الاسلام، فمن أجابه وأقرَّبه قبل منه وعلمه. ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم أقسم ما أفاء الله عليه إلا الحُمس فإنه يبلغناه. وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يُدخِل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يجعل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.

## وصية أبي بكر الصديق الى خالد بن الوليد عندما وجهه لقتال المرتدين. (١)

يا خالد عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله والرفق بمن معك من رعيتك، فإن معك أصحاب رسول الله، أهل السابقة من المهاجرين والأنصار، فشاورهم فيما نزل

(١) الطريق الى المدائن لأحمد عادل كمال ص ١٦٣.

(١) تشبه هذه الوصية تعليمات العمليات التي تصدر للقادة في عصرنا الحاضر والحق أنها تشمل دروساً هامة تصلح كأسس لمواقف كثيرة في المعركة الحديثة ومنها:

- ١ - أمور قيادية تتعلق بأسلوب التعامل مع نوعية الجند.
- ٢ - اتباع مبدأ الشورى وهو ما يشبه الاستفادة من هيئات الركن في الوقت الحاضر.
- ٣ - بيان أهمية الاستطلاع.
- ٤ - أهمية الكتمان في تحقيق المباغثة وتأمين عامل الأمن.
- ٥ - الاهتمام بالشؤون الادارية ومنها معالجة الجرحى وأسلوب معاملتهم.
- ٦ - اوقات وأساليب مهاجمة العدو (المرتدين).
- ٧ - استخدام التنظيم الصحيح للقتال (على تعبئة جديدة).
- ٨ - أهمية العقيدة في تثبيت الروح المعنوية والصمود للمقاتلين.
- ٩ - الشروط التي يفرضها القائد على عدوه اذا انتصر عليه.
- ١٠ - الخبرة الأكيدة في معرفة نفسية العدو وتقسيمه الى عناصره الأساسية.



بك، ثم لا تخالفهم فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً عن الحمله فإنني لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالادلاء وقدم أمامك الطلائع تترد لك المنازل وسر في أصحابك على تعبئة جديدة، واحرص على الموت توهب لك الحياة. ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه واحترس من البيات فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم، واذا أتيت داراً فاقحم فإن سمعت آذاناً أو رأيت مصلياً فامسك حتى تسألهم عن الذين نقموا ومنعوا الصدقة، فان لم تسمع آذاناً ولم ترمصلياً شن الغارة فاقتل واحرق كل من ترك واحدة من الخمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت حتى اذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع واذا لقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك وبعضهم لا لك ولا عليك متربص دائرة السوء، ينظر لمن تكون الدبره، فيميل مع من تكون الغلبة، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة، فاستعن بالله على قتالهم، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم، فإن كفاك الله الضاحية فامض الى أهل اليمامة. سر على بركة الله.

### وصية ابي بكر لعمر بن العاص عندما وجهه لفتح فلسطين. (١)

اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك، وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة، وأرد بعملك وجه الله وكن والداً لمن معك وارفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل بل اسلك طريق ايليا<sup>(٢)</sup> حتى تنتهي الى أرض فلسطين وبعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيده فإن كان ظافراً بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين، وان كان يريد عسكراً فانفذ اليه جيشاً في أثر جيش، وقدم سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد، واياك أن تكون دانيا عما ندبتك اليه واياك والوهن أن تقول جعلني ابن ابي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به، وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما تلاقي من جموع المشركين ونحن قلة من عدونا ثم رأيت يوم حنين ما نصر الله عليهم. واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر فاكرمهم واعرف حقهم ولا تتناول عليهم بسطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول انما ولاني ابو بكر لأنني خيرهم، واياك وخداع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك، والصلاة ثم الصلاة، اذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة إلا بأذان يسمعه اهل العسكر، ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك فذلك افضل له، ومن صلاها وحده اجزأته

(١) فتوح الشام ج ١ - الواقدي - ص ١٥ طدار الجبل بيروت.

(٢) ايلياء وهي القدس حالياً.

(٣) كان عدد جيش عمرو بن العاص تسعة آلاف مقاتل.

صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعاً عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا أوعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالأمام ينفرد إلى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته واني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسرك في سيرك وقدم قبلك طلائع فيكونوا أمامك، وخلف على الناس من ترضاه، واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخراً والزم أصحابك قراءة القرآن وانهم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فإن ذلك يورث العداوة بينهم وأعرض على زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الأئمة المدوحين في القرآن ان يقول الله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (\*).

### وصية أبي بكر الصديق الى يزيد بن ابي سفيان عندما سيّره لفتح الشام. (١)

اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك، ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور، فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصيروا على عدوهم، واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الأدبار<sup>(٢)</sup> ومن يولهم يومئذ دُبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة<sup>(٣)</sup> فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولذاً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تعفروا بهيمة إلا للمأكل ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون انهم تهربوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوماً آخرين من حزب الشيطان وعبد الصلطان قد حلقوا اوساط رؤوسهم حتى كأنها مناحيض العظام فاعلوهم بسيفوكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتم الله.

### رسالة أبي بكر الصديق إلى أهل مكة يحثهم على الجهاد لفتح الشام. (١)

بسم الله الرحمن الرحيم، من ابي بكر إلى أهل مكة وسائر المؤمنين، فاني احمد الله الذي

(١) فتوح الشام ج ١ - الواقدي - ص ٨ ط دار الجبل بيروت.

(٢) تولوهم الأدبار - تهربون من القتال.

(٣) متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة : تاركاً القتال بشكل مؤقت لخداع العدو وجره الى مكان فيه مقتله او انحيازاً الى قوة اخرى اتت لمجابهة العدو (تفسير المؤمنين لعبد الدود يوسف). تعتبر هذه من اسباب الانسحاب الرئيسية في العصر الحاضر.

(٤) نحض العظم : أخذ اللحم عنه (المنجد في اللغة والاعلام) ص (٧٩٥).

(١) الفتوحات الاسلامية لأحمد زيني بن دحلان صفحة ٣٧٠ وفتوح الشام ج ١ - الواقدي - ص ١٣ دار الجبل بيروت.

لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد . أما بعد فإنني قد استنفرت<sup>(٢)</sup> المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى ما أمركم به ربكم تبارك الله وتعالى : از يقول (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) وهذه الآية فيكم وانتم أحق بها وأهلها، وأول من صدق وقام بحكمها، من ينصر دين الله فالله ناصره، ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد، فسارعوا الى جنة عالية طوفوها دانية أعدها الله للمهاجرين والأنصار، فمن اتبع سبيلهم كتب من الأولياء الأخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل.<sup>(٣)</sup>

**وصية الخليفة عمر الى ابي عبيد بن مسعود الثقفي عندما ولّاه قيادة قوات العراق.<sup>(١)</sup>**

انك تقدم على ارض المكر والخديعة والخيانة والخزي، تقدم على قوم تجرؤوا على الشر فعملوه، وتناسوا الخير فجعلوه، فانظر كيف تكون، واحرز لسانك، ولا تفشي سرك، فإن صاحب السر متحصن، لا يُؤتى من وجه يكرهه، واذا ضيعه كان بمضيعة<sup>(٢)</sup> اسمع من اصحاب النبي واشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً، حتى تتبين فأنها الحرب، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكشف.

**خطبة المثني بن جارية الشيباني في الجيش بعد نصر المسلمين على الفرس في معركة البويب.<sup>(٣)</sup>**

قد قاتلت العجم في الجاهلية والاسلام فوالله لمائة من العجم كانوا أشد عليّ من ألف من العرب، ولمائة من العرب أشد عليّ من الف من العجم اليوم، ان الله قد أذهب مصدوقهم ووَهَن كيدهم، فلا يرد عنكم زهاء ترونيه، ولا سواد ولا قسي فج، ولا نبال طوال، فإنهم اذا أعجلوا عنها أفقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت.

(٢) استنفر القوم : استنجدهم واستنصرهم وكلفهم ان ينفروا (المنجد في اللغة والاعلام ص ٨٢٤) والنفير مصطلح قديم حديث وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في سورة النساء الآية ٧١ وسورة التوبة الآية ٤١ والآية ١٢٢ وهو مستخدم لدى بعض الدول العربية مثل مصر وسوريا وتستخدم بدلاً عنه مصطلحات التعبئة والتعبئة العامة والاستنفار في الدول العربية الأخرى مثل الاردن والعراق ولزويد من المعلومات يمكن الرجوع الى نظام التعبئة والتجنيد في هذا المرجع.

(٣) الذي حمل الرسالة هو عبدالله ابن حذافه السهمي.

(١) أبو عبيد بن مسعود الثقفي اول من لبي دعوة الخليفة عمر للجهاد وقد عينه الخليفة قائداً للجيش المتجه الى العراق وقد استشهد في وقت لاحق في معركة الجسر

(٢) راجع تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣١٠.

(٣) معركة البويب : معركة اسلامية بقيادة المثني ضد الفرس بالقرب من الكوفة وقد انتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً أما البويب نفسه فهو نهر فرعي يأخذ ماءه من نهر الفرات ومجراه من دار صالح بن علي ومصبه في الجوف العتيق - راجع معجم البلدان لياقوت الحموي والفتح الاسلامي للمقدم عبد الحميد حسين - مطبعة شفيق - بغداد .

وصية المثني بن حارثة الشيباني إلى خَلْفه على جيش العراق القائد سعد بن ابي وقاص.

لا تقاتل أعداءك من أهل فارس اذا استجمع امرهم وماؤهم في عقردارهم وقَاتْلْهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مَدْرَة<sup>(١)</sup> من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وان كانت الأخرى رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسلبهم وأجراً على أرضهم إن يرد الله الكرّة عليهم.

رسالة عمر بن الخطاب لأبي عبيدة عامر بن الجراح عند تعيينه قائداً للمسلمين في الشام بدلاً من خالد بن الوليد.<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح. سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله إلا هو وأصلي على نبيه محمد، وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق، واني قد استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل اني ارجولكم النصر فإن النصر انما يكون مع اليقين والثقة بالله، وإياك والتغريب بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك وأله عنها قلبك، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار<sup>(٢)</sup> وقد تقدم فيها سلفك وأنت كأنك منتظر سفيراً ورحيلاً من دار قد مضت نضرتها وهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل منها إلى غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت.

رسالة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص عندما ولاه قيادة جيش العراق.<sup>(١)</sup>

اني أمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فإن التقوى افضل العده على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وأمرك ومن معك أن تكونوا اشد احتراساً من المعاصي من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وانما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عدتنا كعدوتهم، فاذا استوتينا في

(١) المدرة: القرية.

(١) فتوح الشام ج ١ - الواقدي - ص ٩٧ - طدار الجيل بيروت.

(٢) الخُمَار، الخُمَار: كثرة الناس وزحمتهم (المنجد في اللغة والاعلام ص ١٩٥).

(١) كراسة العمليات التعرضية - كلية القيادة والاركان الملكية الأردنية والفتح الاسلامي للمقدم عبد الحميد حسين ص ٤٧.

المعصية كان لهم الفضل علينا من القوة، والا نصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظه من الله، يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه العون على عدوكم. أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم. ترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم سيراً يتعجبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم، والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حاسي الأنفس والكراع، واقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون راحة لهم يحيون بها أنفسهم، ويرمون اسلحتهم وامتعهم.

ونح منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من اصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحد من اهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فإن صبروا لكم فتولهم خيراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.

واذا وطأت ارض العدو فاذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من أهل العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه، فان الكذب لا ينفك خبره، وان صدقك في بعضه، والغاش عيناً عليك وليس عيناً لك، وليكن منك عند دنوك من ارض العدو أن تكثر الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من اصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل امر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلال، ولا تخص بها احداً تهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خدمتك، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبه أو ضيعة أو نكايه. اذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك، ثم أذك أحراسك على عسكريك، وتيقظ من البيات جهدك. والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

رسالة الخليفة عمر الى سعد بن ابي وقاص وهو في طريقه لفتح العراق<sup>(١)</sup> وكان لا يزال معسكراً في شراق.<sup>(٢)</sup>

أما بعد فسر من شراق نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله، واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع، وان كان سهلاً كؤوداً<sup>(٣)</sup> لجوره وقيوضه ودادته<sup>(٤)</sup> الا أن توافقوا غيضاً من فيض،

(١) هذه ليست رسالة وإنما هي وصايا حربية من رجل خبير محنك حذر يخاف على أرواح جنوده في مقابلة القوات الفارسية خاصة بعد معركة الجسر التي انهزم فيها المسلمون وقتل قائدهم ابو عبيد وبخسارة ما يزيد عن أربعة آلاف مقاتل مسلم ولهذا فهو يصف العدو وصفاً دقيقاً من حيث القوة والعدد ويصف طبيعة منطقة العمليات أيضاً والأسلوب المناسب لمناجزة العدو وبعض الأمور القيادية وتثبيت هموم ومعنويات المسلمين.

(٢) شراق : مكان على بعد ثمانية فراسخ من الأحساء.

(٣) كؤود : شاقة المصعد صعبة المرتقى. (٤) الدادة : الشديدة الظلمة.

وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدأؤهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخذعنكم فإنهم خدعة مكره، أمرهم غير امركم إلا أن تجاروهم، وإذا انتهيت الى القادسية، والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل، وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وانهار ممتنعة فتكون مسالك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدّر على حافات الحجر والمدّر<sup>(٥)</sup> والجرا<sup>(٦)</sup> بينهما، ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم اذا أحسوك انغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم، فإن انتم احصبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في ادياركم فانصرفتم من أدنى مدّرة من أرضهم الى ادنى حجر من ارضكم ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لهم الكرة.

وكتب له أيضاً يحثه على الصبر ويحذره من العدو (أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالمؤظة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة والحذر والحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية واكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله واكتب اليّ ابن بلغك جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفه كأنني انظر اليها واجعلني من امركم على الجلية وخفّ الله وارزجّه ولا تُدَلْ بشيء واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خُلف له فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم).

وعندما وصل سعد الى القادسية كتب الى الخليفة بوصوله فكتب له الخليفة يعظه (اني قد القي في روعي انكم اذا لقيتم العدو هزتموهم فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه فإن لأعب احد منكم أحداً من العجم بأمان أو ووفّه<sup>(١)</sup> بإشارة أو بلسان كان لا يدري الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أماناً فاجروا ذلك له مجرى الأمان واياكم والضحك الوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالعدو الهلكه<sup>(٢)</sup> وفيها وهنكم<sup>(٣)</sup> وقوة عدوكم وذهاب ريحهم واقبال ريحهم واعلموا اني احذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين وسبباً لتوهينهم<sup>(٤)</sup>).

(٥) المدّر : الطين العَلَك الذي لا يخالطه رمل (المدن والعرى لان بنيانها غالباً من المدّر).

(٦) الجَرّعة : رمله مستوية لا تنبت شيئاً.

(١) قَرْفَه : بغى عليه وكذب.

(٢) الهَلْكَة : الموت.

(٣) الوَهْن : الضعف.

(٤) صفحات معركة القادسية الأولى للدكتور صلاح القرطوسي والدكتور محمد البكاء - منشورات مجلة صوت الكلية العراقية. وتحرير العراق - القادسية للواء الركن شاكر محمود رامن، مديرية المطابع العسكرية العراقية.

## من خطب الإمام علي بن ابي طالب في ساحات القتال.

(وأي امريء منكم أحس من نفسه رباطه جأش عند اللقاء ورأى من أحد من اخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله، ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليه من مية على الفراش في غير طاعة الله.

وقال أيضاً (فقدمو الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام، والتوا في اطراف الرماح فانه أمر للأسنة وعضوا الأبصار فانه أربط للجأش واسكن للقلوب واميتوا الأصوات فإنه اطرده للفشل، ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمنعين الذمار فلکم، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يصفون براياتهم ويكتنفونها حفافها ووراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها.

وقال أيضاً (معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجليبوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه أنبى للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في أعماها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشذر ونافحوا بالظب وصلوا بالسيوف بالخطا واعلموا انكم بعين الله، فعادوا الكر، واستحيوا من الفر، فانه عار في الأقارب ونار يوم الحساب، وطيبوا عن انفسكم نفسا، وأمشوا الى الموت مشيا سوحجا، وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان كامن في كسره وقد قدم للوثبة يداً وآخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي عنكم عمود الحق (وانتم الأعلون والله معكم ولن يترك اعمالكم).

وقال أيضاً (درب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض اوتاداً وللخلق اعتماداً ان اظهرتنا على عدونا فجنبتنا البعض وسددنا للحق واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ، العار وراكم والجنة امامكم).<sup>(١)</sup>

من خطب معاذ بن جبل في ميدان القتال.

(يا أهل الدين اعلموا رحمكم الله أنه لا تنال الآخرة الا بالعمل والنية ايها الناس غضوا ابصاركم واجثوا على الركب وشرعوا الرماح واذا حملوا عليكم فامهلوهم واذا ركبوا اطراف الأسنة نثبوا في وجوههم وثوب الأسد إلى فريستها ولا يهولنكم جموعهم ولا عددهم يا معاشر المسلمين ان اعداء الله واعداءكم قد زحفوا اليكم فتأهبوا للحمله واعلموا ان الله معكم فثبثوا انفسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله تعالى ثم لحظ السماء بطرفه وقال، اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحده ولا نشرك بك شيئاً وان هؤلاء الأعداء يكفرون بك وبآياتك اللهم فانصرنا عليهم يا من قال في كتابه العزيز (واعصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)).<sup>(١)</sup>

(١) القادسية العراقية - الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني.

تمتد شبه جزيرة العرب حوالي ألفي كيلومتر طولاً على افتراض أن الطول من الشمال الى الجنوب (من العقبة الى باب المندب)<sup>(١)</sup> ويكاد عرضها يصل نفس المسافة في الجنوب من باب المندب على البحر الأحمر وحتى مضيق هرمز على الخليج العربي ويضيق العرض حتى يكاد يصل الى النصف بين جده والظهران أما الطول فيزداد في المنتصف خاصة بين المدوّرة في الشمال والمكلا على بحر العرب وتمتد بين خطي العرض ١٣ و ٣١ وخطي الطول ٣٥° و ٦٠°<sup>(٢)</sup>.

يمكن تقسيم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام رئيسية هي:<sup>(٣)</sup>

- ١ - **تهامة** : وهو السهل الساحلي المحاذي للبحر الأحمر وهي منطقة محصورة بين البحر الأحمر وسلسلة جبال السراة ويضيق هذا السهل كلما اتجهنا شمالاً حتى تتصل سلسلة جبال السراة بالبحر. أخذت هذه المنطقة اسمها من التهم وهي لغة شدة الحر. تنتشر على طول هذا الساحل الشعاب المرجانية التي تشكل خطراً على الملاحة ولذلك فالوائيء قادرة على طول هذا الساحل ولم يعرف سكان هذه المناطق ركوب البحر خلافاً للعرب الذين يسكنون على الساحل الشرقي.
- ٢ - **الحجاز** : وهي سلسلة جبال السراة التي تمتد بين اليمن والشام بعرض ١٧٥ كم تقريباً وسمي هذا القسم حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد وفيه تقع مدينتي الطائف ومكة المكرمة اللتين كان لهما دوراً كبيراً في الفتوحات الإسلامية وقد وصفها حكيم للخليفة عمر فقال<sup>(٤)</sup> (ان الحجاز حاجز بين الشام واليمن والتهائم هوائه حرور وليله بهور يخف الاجسام ويجفف الأدمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جذب صنك).
- ٣ - **نجد** : النجد في اللغة المرتفع وقد سميت بذلك لارتفاع أرضها وتبدأ جنوباً من حدود اليمن وتنتهي شمالاً بصحراء السماوة وقد سميت بهضبة نجد.
- ٤ - **اليمن** : ويشكل قسماً طبيعياً متناسقاً ويقع جنوب نجد حتى الساحل الجنوبي ويمتد شرقاً الى حضرموت وعمان وقد وصفه الحكيم الى الخليفة عمر (اما اليمن فيضعف الأجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة، في أهله هم كبار ولهم أحساب وأخطار ومغايضة خصبة وأطرافه جدبه وفي هوائه القلاب وفي سكانه اغتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبه من الترفه وفقره من الفصاحة.<sup>(١)</sup>)

(١) انظر الطريق الى المدائن لأحمد عادل كمال ص ٣٤ أما محمد فرج في العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول فيقول ان طولها يبلغ الف كيلومتر وعرضها كذلك والحقيقة ان ما أورده السيد أحمد عادل كمال هو الأصح وللتحقق من ذلك انظر الأطلس العام لصادق صالح العاني صفحة ٣٣.

(٢) الأطلس العام - صادق صالح العاني.

(٣) انظر الخريطة رقم ١ - أقسام شبه الجزيرة العربية.

(٤) مروج الذهب للمسعودي صفحة ٦٤. (١) نفس المرجع السابق.



٥ - **العروض** : وسمي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق وهي المنطقة المحاذية للخليج العربي والقسم الشرقي من بحر العرب. به تميزت شبه جزيرة العرب<sup>(٢)</sup> بموقع جغرافي وطبيعية خاصة أبعد عنها قوافل الغزاة وهواة الأُمجاد طيلة عهود التاريخ السابقة حتى في العصر الحديث فقد خضعت هذه المنطقة المتوسطة من العالم إلى نير الاستعمار وتقساموا أجزائها ما عدا شبه جزيرة العرب اللهم إلا بعض اطرافها فقد ظلت حرة ليس لأنها بعيدة المنال لا بل لأنها لم تحمل تلك الصورة البراقة التي يتطلع اليها الاستعمار رغم كنوزها الدفينة والتي ظهرت في وقت متأخر. جزيرة العرب بوجه عام صحراء تكثر فيها الجبال الجرداء ومنها الحرار<sup>(٣)</sup> وهي الجبال السوداء ويتخللها كثير من الأودية التي يجري فيها ماء السيول في فصل الشتاء فينبت فيه المرعى والكلأ وتسكن القبائل حول هذه الأودية لرعي ماشيتها وتنتقل من منطقة إلى أخرى تبعاً لوجود الكلأ. أكبر أودية الجزيرة وادي الدهناء الذي سكنته قبيلة تميم ويمر على ديار أسد ثم ديار غطفان حيث يسمى وادي الرُمة ويستمر حتى مساكن بني طيء فيسمونه حائل، ثم يتجه الى ديار بني كلب فيسمونه قراقرم يتجه نحو صحراء السماوه فيسميه بني ثعلب سموري ثم يتجه الى الكوفة من ارض العراق. يعتبر الدهناء الوادي الوحيد الذي يشق الحجاز ويوصل بين المدينة والبصرة وهو الطريق الذي سلكته الجيوش الاسلامية لفتح مناطق الخليج والعراق. يكثر في اليمن اودية كثيرة لارتفاع ارضها ومنها ما يصب في البحر ومنها ما ينحدر الى الداخل ومن النوع الأول وادي مور وهو اعظمها وادي زبيد.

غالبية شبه الجزيرة جبال ونجود وأودية غير ذات زرع وطبيعتها جرداء قاحلة جدياء لا تسر الاستقرار فيها ومع ذلك فإن هناك الكثير من الرياض حيث تتجمع المياه وتنبت الأعشاب الصحراوية وقد تصل سعة الروضة الواحدة ميل مربع سطح الجزيرة العربية لا يسمح بتجميع الماء الكثير بسبب طبيعتها الرملية المفككة وشدة حرارتها الا ما قد يمكن حجزه بالسود كسد مأرب. تقل الوديان في شمال الحجاز ويعتمد أهله على العيون الضئيلة واما نجد والعروض فيمر به وادي الدهناء بما يصب فيه من أودية كثيرة. عندما يندر سقوط المطر يرتحل العرب من مكان الى آخر طلباً للكلأ والماء وقد أضفى هذا عليهم خفة ونشاطاً وطبعهم على عدم الارتباط بالأرض فاعتمدوا على الابل تحملهم وتحمل أثقالهم ويأكلون لحومها ويشربون ألبانها ويكتسون بأوبارها.

(٢) اختلف المؤرخون في أصل تسميتها فمنهم من قال (العيقرية العسكرية في غزوات ان لفظ عرب مشتق من إعراب اي القدرة على التعبير وأهل الرسول لمحمة فرج) الجزيرة كانوا على جانب من البلاغة وحسن البيان فأطلقوا على أنفسهم لفظ عرب بينما أطلقوا على غيرهم من الدول لفظ العجم اي العجز عن الافصاح ومنهم من قال ان اول من نزل الجزيرة يعرب بن قحطان ولهذا نسبت الجزيرة اليه ومنهم من قال انها سميت باسم (عرابة) ومعناه في اللغات السامية - الصحراء - وجاء في سفر التكوين ان كلمة بلاد العرب ذكرت لأول مرة منذ زمن سليمان قبل الميلاد بألف سنة. (٣) انظر الخريطة رقم ٢ - تضاريس شبه الجزيرة العربية.

يجتاز الجزيرة العربية طريقان رئيسيان للقوافل بالإضافة الى الطرق الفرعية والداخلية الأخرى وأول الطريقين هو الطريق الشرقي الذي يتاخم الخليج العربي (بحر العجم) ويحاذي نهر دجلة باتجاه بادية الشام الى البحر الأبيض واوروبا والطريق الآخر هو الطريق العربي الذي كان يحاذي البحر الأحمر باتجاه بلاد الشام واستخدم هذا الطريق في التجارة الداخلية للعرب وكذلك التجارة الخارجية .

أما الطرق الداخلية فهي متعددة يصل الكثير منها الى مكة وكانت الطريق تسمى محجة أو جادة ومن أكثر هذه الجواد استعمالاً جادة مكة - المدينة - بغداد وبها ٣٤ منزلة (محطة) وطولها حوالي ١٥٣٤ كم حيث يبلغ متوسط المسافة بين منزلتين ٤٥ كم وهي مسيرة يوم واحد بالابل وهي محملة بالأنثقال. لقد أحاطت الطبيعة جزيرة العرب بسور كبير صعب على غير سكانها الدخول منه فالغزاة العابرين من الشمال تعترضهم صحراء النفوذ المترامية وفيها كتبان الرمل الزاحفة الخالية من الماء والنبات، أما باقي جهات الجزيرة فهي محاطة بالبحر.

نستخلص من دراستنا الجغرافية للجزيرة العربية الأمور التالية:

- ١ - منطقة محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث والجهة الرابعة بها مانع صحراوي كبير.
- ٢ - منطقة واسعة مترامية الأطراف.
- ٣ - طبيعتها جدياء قاحلة تخلو تماماً من الأنهار ونادراً ما تتساقط عليها الأمطار.
- ٤ - أجزاءها متباينة فترتفع الأرض بالقرب من البحار وتنخفض في الداخل وترتفع مرة أخرى في هضبة نجد وهكذا.
- ٥ - لم يتشكل فيها اي حضارة معروفة بسبب طبيعتها التي اجبرت سكانها على متابعة الحركة والتنقل ما عدا الحضارات التي ظهرت في اليمن. كان للطبيعة الجغرافية أثر كبير على العمليات الحربية التي حققها الفتوحات الاسلامية في مطلع القرن الأول الهجري والسابع الميلادي من عدة نواحٍ أهمها:
  - ١ - أثر هذه الجغرافية على البيئة العربية التي حملت رسالة الاسلام اذ كان لها تأثيراً كبيراً على طبيعة السكان الذين شكلوا نواة الجيوش الاسلامية، هذه الطبيعة هي التي اثرت في مآكلهم ومشربهم وأسلحتهم وفي طبيعتهم البشرية القاسية التي تحملت شظف العيش وقلة الماء وشدة الحر، فرسمت فيهم علائم الفروسية المتميزة وقوة التحمل عند الشدائد فكان لكل ذلك انعكاساته وآثاره على الجيوش المتحاربة.
  - ٢ - الأثر المباشر لتلك الطبيعة على العمليات الحربية نفسها، فلقد كانت شبه الجزيرة العربية باعتبارها صحراء قاحلة شاسعة لا يطرقها أحد من خارجها ولا يدري شيئاً عن مسالكها ودروبها فكانت بهذه الصورة أشبه بمكبس له صمام يسمح

بالمرور في اتجاه واحد ولهذا بنى المسلمون خططهم الحربية على أساس التقدم في حالة الانتصار والتراجع الى الصحراء قاعدتهم الأمية في حالة الهزيمة حيث لا يستطيع عدوهم ان يلاحقهم ويتبعهم فيستطيعون ان يجمعوا قواتهم ويعيدون تنظيمها كما فعل المثنى بن حارثة الشيباني بعد معركة الجسر ووصيته للقائد سعد بن ابي وقاص تثبت ذلك حيث يقول له (قاتل الفرس على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم).

٣ - أعطت طبيعة الجزيرة العربية المسلمين الفاتحين امكانية الحصول على المعلومات بسهولة أكثر حيث كان العرب الغساسنة والمناذرة يعيشون على حدود الجزيرة العربية ولهم اتصال مباشر مع دولتي الروم والفرس وقد أمكن تجنيد قسم كبير منهم خاصة من أعلن اسلامه لصالح المسلمين بينما حرمت طبيعة الجزيرة العربية ذلك على الروم وعدم وجود عناصر مواليه لهم داخل الجزيرة العربية أبقت تحركات المسلمين بشكل عام غامضة ومخفية ومثال ذلك حركة خالد بن الوليد من العراق الى بلاد الشام محاذياً أطراف الجزيرة كان بمثابة مباغته سوقية للروم.

### العراق<sup>(١)</sup>

احتل العراق موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية<sup>(١)</sup> لأنه كان يمثل الجسر البري الذي يربط القارات الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقيا كما كان يصل المحيط الهندي براً بالبحر الأبيض المتوسط وكان لذلك أثره على التجارة بين القارات مما جعل العراق محط أنظار الغزاة حتى في العصر الحديث وقد تشكلت حضارات عظيمة في العراق لم يسبقه لها قطر آخر فالحضارة البابلية والشورية والأكديّة والاشورية من الحضارات التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن، أما من الناحية التجارية فكانت منتجات الصين وجنوب شرق آسيا مثل الحرير والتوابل والعاج والسكر والكحل والأحجار الكريمة تمر جميعها الى أوروبا من خلال العراق، ولم يفقد العراق أهميته التجارية هذه الا بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وشق قناة السويس.

أرض العراق سهل منخفض وكأنه واحة كبيرة وسط ما حوله فمن الشمال تحده جبال أرمينيا وأذربيجان ومن الجنوب والجنوب الغربي العروض ونجد ومن الشرق سلسلة المرتفعات المحاذية لايران حالياً ومن الغرب صحراء السماوة التي ترتفع عن مستواه. عرف العراق عند العرب بالسواد لكثرة زروعه وأشجاره حيث يكون يراه الرائي من الصحراء وكأنه سواد وقد كان العرب يجمعون بين الخضرة والسواد في الأسماء أيضاً وقيل انهم سموها خضرة العراق سواداً، أما كلمة العراق في اللغة فهي الاستواء وأرض العراق مستوية بشكل عام. (٢)

(١) انظر الخريطة رقم ٣ - طبوغرافية سطح العراق الحديث.

(٢) انظر الخريطة رقم ٤ - تضاريس العراق القديم.

وقد وصفها حكيم للخليفة عمر (أما العراق فمنار الشرق وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت أمزجة أهله ولطفت أذهانهم واحتدت خواطرهم واتصلت مسراتهم، فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم وقلب الأرض العراق وهو المخبئي من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق ومسلك النور ولأهله أعدل الألوان وانقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات وفضائله كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته وإغداق الماء عليه ورفاهية العيش به)<sup>(١)</sup> يشق العراق من شماله الى جنوبه نهران كبيران هما الفرات ودجلة ولذلك عرف منذ القدم ببلاد النهرين. ينبع الفرات من الأراضي التركية ويمر عبر سوريا ويجتمع له عدة روافد تلتقي بشمال العراق ويبلغ طوله حوالي ٣٣٠٠ كم ويمر بمبنيج ثم صفين والرقعة والرحبة وهيت والرمادي ويتفرع عنه عدة أنهار صغيرة مثل نهر الملك ونهر عيسى ونهر النيل التي تصب في نهر دجلة، يستمر نهر الفرات حيث يمر بمحاذاة الكوفة<sup>(٢)</sup> والى نرسي والطفوف والبطيحة التي تقع بين واسط والبصرة ثم يلتقي بدجلة ويشكلان مجرى واحداً يقال له الآن شط العرب وقديماً (الدجلة العوراء). أما المسعودي<sup>(٣)</sup> فيصف الفرات (أما الفرات فمبدؤه من بلاد قاليقلا ومقدار جريانه من بلاد الروم الى ان يأتي الى بلاد ملطية مائة فرسخ وينتهي الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز قلعة سُمياط وهي قلعة الطين ثم ينتهي الى بالس ويمر بصفين ثم ينتهي الى الرقة والى الرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه هناك انهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهي الى مدينة السلام فيصب في دجلة وينتهي الفرات الى بلاد سوري وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين وأحمد آباد والفرس والطفوف وتنتهي غايته الى البطيحة التي بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على الأرض نحواً من خمسمائة فرسخ، وقد قيل اكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائة ينتهي الى بلاد الحيرة ونهرها بين الى هذا الوقت وهو يعرف بالعيثق وعليه وقعت معركة القادسية فيصب في البحر الحبشي وكان البحر في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة).

أما نهر دجلة فينبع من جنوب شرق تركيا وطوله من منبعه الى مصبه حوالي ٢٧٤٨ كم ويصب فيه الكثير من الروافد مثل الزاب الكبير والزاب الصغير فوق مدينة السن وتتبع هذه من ارمينيا واذريجان، ينتهي نهر دجلة الى تكريت وسامراء فيصب فيه الخندق والصرارة ونهر عيسى وغيرها من الأنهار الآتية من الفرات يلتقي النهران عند القرنة ليسلكا مجرى واحداً طوله حوالي ١١٠ كم ويبلغ عرضه عند المصب اكثر من ٢ كم<sup>(١)</sup> يتأثر النهران بأحوال الطقس السائدة في شمال العراق ففي فصل الشتاء تزداد مياه النهرين وفيضان في الربيع بسبب

(١) مروج الذهب - المسعودي - ص ٦٢.

(٢) انظر الخريطة رقم ٥ - مجرى نهر الفرات.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ١/١٠٣.

(١) الخريطة رقم ٦ - ساحل الخليج العربي زمن الفتح الاسلامي.

نوبان الثلوج وبالإضافة الى الأنهار فقد غمرت البحيرات الكبيرة والصغيرة والمستنقعات ما يقارب ثلث أراضي العراق الجنوبي فهناك بحيرة الحباينة والرزازة وبحيرة الثرثار وهسور الحمّار والسّنية والبقر والحويزه وغيرها.

الرياح السائدة في العراق شمالية غربية طيلة ايام السنة ومناخها قاري حار صيفاً ونهاراً بارداً شتاءً وليلاً وشتاؤها قصير وصيفها طويل وتزداد الرطوبة صيفاً وترتفع درجات الحرارة لتصل احياناً الى ٥٠ درجة مئوية. تشتد الرياح احياناً فتصل سرعتها ٦٥ كم في الساعة وتجلب معها الغبار الكثيف من صحراء السماوة. استغلّت الأقوام التي سكنت العراق نهري دجلة والفرات استفلاً جيداً وبنّت حضاراتها على ضفتي هذين النهرين وقد استغلّ البابليون ذلك فشقوا القنوات والترع للأغراض الزراعية والدفاعية أيضاً عن شمال مملكتهم وقد ورد ذلك في أبواب جنة عدن التي ورد ذكرها في التوراة<sup>(٢)</sup> وهذه القنوات تقع في منطقة الأنهار في الزمن الفارسي وهي منطقة الصقلاوية حالياً حيث جدت الحكومة العراقية فتح الأنهار فيها. أما الفرس فقد سيطروا على مياه دجلة والفرات وقد عمروا الجزء الجنوبي بالزراعة وقد انشغل الفرس في أواخر حكمهم بالخلافات الداخلية فأهملت السدود وحدثت فيضانات كثيرة زمن قباد بن فيروز فغمرت المياه مناطق كثيرة من لوائي الكوت والعمارة الحاليين.

كان لطبيعة أرض العراق أثر كبير على عمليات الفتوح الإسلامية نورد منها:

- ١ - كان لوجود صحراء السماوة بين العراق والشام ميزة استراتيجية وهي أنهم كانوا اثناء عمليات الفتح لبلاد الشام والعراق يتنقلون بحرية وتوجيه الضربات يميناً الى الفرس وشمالاً الى الروم ويسمح لهم بنقل قواتهم بين ساحة العمليات في العراق وساحة العمليات في بلاد الشام والجزيرة العربية بسهولة وحرية دون علم الفرس والروم.
- ٢ - امكانية الانسحاب غرباً وجنوباً دون امكانية المتابعة من قبل القوات الفارسية.
- ٣ - اجراء تنقلات استراتيجية من مكان لاخر كما فعل خالد بن الوليد عند تحركه من العراق لاسناد قواد المسلمين في بلاد الشام والتي تعتبر حركته الأولى في التاريخ من حيث الزمان والمكان حتى لا يزال الباحثون العسكريون يحللون كيف استطاع خالد ان ينفذ هذا التنقل الاستراتيجي لوقت قصير.
- ٤ - ساعد وجود العرب في سواد العراق في تسهيل اعمال الفتح لمعرفتهم بطبيعة المنطقة واسرارها كما ان اسلام العدد الكبير منهم كان له فعلاً عظيماً في تنفيذ الفتوح خاصة بنو شيبان وعلى رأسهم المثني بن حارثة الشيباني.
- ٥ - أثرت طبيعة ارض العراق على عمليات الفتح بسبب جهل المسلمين بطبيعتها القاسية وعدم تعودهم لصور الأنهر وعدم توفر وسائل الصور ولهذا فشلوا في اول عملية عبور في معركة الجسر كما ان اختلاف الطقس عنه في الجزيرة العربية اثر بشكل عام على المقاتلين.

(٢) كتاب من جنة عدن الى عبر الاردن - وليم وليكوس - ترجمة احمد سوسة.

٦ - تنقسم منطقة جنوب العراق، الى منطقتين مختلفتين جنوبيه صحراوية تعطي حرية المناورة لعدم وجود الموانع المائية كالأهوار والأنهار وهذا ساعد الجيوش الاسلامية كثيراً لأنهم اعتادوا على هذا النوع من الأراضي وشماليه بها الكثير من الموانع المائية كالأنهار والأهوار وهي تناسب الفرس ولكنهم غير قادرين على مطاردة الجيوش الاسلامية جنوباً فعندما انسحب المثني بن حارثة بالجيش جنوباً، استطاع ان يتملص بسهولة لعدم متابعته من قبل الفرس ولهذه الأسباب جاء المسلمون العراق من أعلاه بمحاذاة نهر الفرات ومن اتجاه القادسية الى الحيرة وهكذا حتى يستغلوا طبيعة الأرض التي تناسبهم.

٧ - كانت المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات عامرة بالزراعة وهذا ساعد الجيوش الاسلامية على الادماء والتزويد واعطاهم الفرصة لمواصلة القتال وعقد أحلاف مع السكان وبالمقابل لم يقيم الفرس برد فعل إلا متأخراً مما مكّن المسلمون من استغلال ذلك وقد استطاع خالد بن الوليد من تأمين الجناح الغربي للقوات الاسلامية بتطهير ضفة الفرات الجنوبية من الأبله حتى الفراض.<sup>(١)</sup>

٨ - بسبب طبيعة الأرض كان هناك محوران أحدهما رئيسي وهو الحيرة - المدائن - جلولاء - خانقين وهو محور الحركات الاسلامية والمحور الآخر محور ثانوي وهو محور الأبله (شط العرب) باتجاه الأهواز ومن دراستنا للفتوح نجد ان المسلمين قد استخدموا المحورين فخالد بن الوليد جاء على المحور الرئيسي (أعلى العراق) وعياض بن غنم جاء المحور الثانوي (أسفل العراق) وقد اجتمعت قوات المسلمين على المحور الرئيسي لأن المناطق الواقعة عليه كانت مفتاح العراق وسنرى فيما بعد ان معركة القادسية كانت نقطة ارتكاز اذ بعدها انهارت القوات الفارسية بسهولة وبدأت مدن العراق تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد القوات الاسلامية.<sup>(٢)</sup>

## بلاد الشام

احتلت بلاد الشام<sup>(٣)</sup> مكانة فريدة في تاريخ العالم وقد كان لها الفضل في رقي العالم من الناحيتين الفكرية والروحية حيث انها مهد الديانات السماوية ومركز الحضارات في العالم القديم حيث عثر فيها على أقدم مدينة ذات حضارة في العالم وهي مدينة اريحا في فلسطين المحتلة. نظراً لأهمية بلاد الشام ومركزها المتوسط بين القارات الثلاث فقد تعاقب عليها الغزاة والطامعون من الشرق والغرب كالبابليين الاموريين والكلدانيين والاشوريين واليونانيين والفرس والرومان وانتهى ذلك بالفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي (٦٣٣ - ٦٤٠ م). لقد شهدت

(١) راجع القائد الخالد - خالد بن الوليد للمقدم عبد الحميد حسين.

(٢) خريطة رقم ٧ - فتوح العراق.

(٣) تشمل بلاد الشام في الوقت الحاضر الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان.

بلاد الشام قبل ظهور الاسلام ثلاث دول عربية هي دولة الانباط في الجنوب ودولة تدمر في الشمال ودولة الغساسنة في الوسط أصبحت بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الميلاديين مسرحاً للأحداث بين اكبر دولتين (الفرس والرومان) الى ان انتهت بوقوعها تحت سيطرة الرومان عندما فتحها المسلمون وقد ذُكر ذلك في القرآن الكريم في سورة الروم (الم، غُلِبَتِ الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلِبِهِم سَيِّغِلُونَ).<sup>(١)</sup>

تقع بلاد الشام او سوريا الطبيعية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط<sup>(٢)</sup> وتمتد من جبال طوروس شمالاً حتى صحراء سيناء جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً الى بادية الشام شرقاً وتبلغ مساحتها ٣١٢ ألف كم مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي ٢٠ مليون نسمة باستثناء اليهود.

يُقسم سطح بلاد الشام الى خمسة اقسام رئيسية هي السهول الساحلية، الجبال الغربية، حفرة الانهدام، الجبال الشرقية والاقسام الداخلية<sup>(٣)</sup> يجري في بلاد الشام عدد من الأنهار السريعة الجريان أهمها نهر العاصي ونهر الليطاني ونهر الأردن وعدد من الأنهار الصغيرة الأخرى. تفتقر بلاد الشام الى البحيرات عدا بحيرة طبريا والحولة (شبه مجففة حالياً) وبحر لوط (البحر الميت) الذي يعتبر الاكثر انخفاضاً عن سطح البحر في العالم اذ يبلغ انخفاضه ٣٩٢ متراً وهو شديد الملوحة لا تعيش به كائنات حيّة.

مناخ بلاد الشام يعتبر من المناخات المعتدلة ويسمى بمناخ البحر الأبيض المتوسط التميز بفصوله المنتظمة واعتدال هوائه وجمال طبيعته. تتراوح درجات الحرارة بين ١٠ م - ٤٠ م ونادراً ما ترتفع او تنخفض عن هاتين الدرجتين الا في المناطق الصحراوية او الجبال الشاهقة مثل جبل الشيخ في سوريا او جبال لبنان، تسقط الأمطار في فصل الشتاء وتكون قليلة كلما اتجهنا الى الداخل وتزداد كلما اتجهنا، الى الساحل وقد وصفها الحكيم الى الخليفة عمر بقوله (أما الشام فسحب وآكام، وريح وغمام وغدق وركام ترطب الأجسام، وتبذل الأحلام وتصفى الألوان، وهي مسرح خصب ووابل سكب كثرت أشجاره واطردت انهاره وغمرت اعشاره).<sup>(٤)</sup>

ألف العرب في الجاهلية بلاد الشام اكثر من أي بلد آخر فقد كانت آخر محطاتهم التجارية وبها توفي جدهم هاشم في غزة هاشم وقد ذكر الله تجارتهم في القرآن الكريم (إيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من

- (١) سورة الروم - الآيات ١ - ٢.
- (٢) انظر خريطة رقم ٩ - خريطة بلاد الشام.
- (٣) انظر خريطة رقم ٨ - تضاريس بلاد الشام.
- (٤) مروج الذهب للمسعودي ص ٦٢.

خوف<sup>(١)</sup>. وبلاد الشام كانت ممراً للقوافل التجارية المحمّلة بكنوز الهند والصين عبر العراق والجزيرة العربية حيث كان هناك طريقان تجاريان احدهما ما ورد ذكره في العراق والآخر من مكة - المدينة - تبوك ومن ثم بلاد الشام او مكة - جده - الطريق الساحلي الى بلاد الشام.

كان لبلاد الشام تأثير حسن على الفتوحات الاسلامية من جوانب عديدة أهمها:

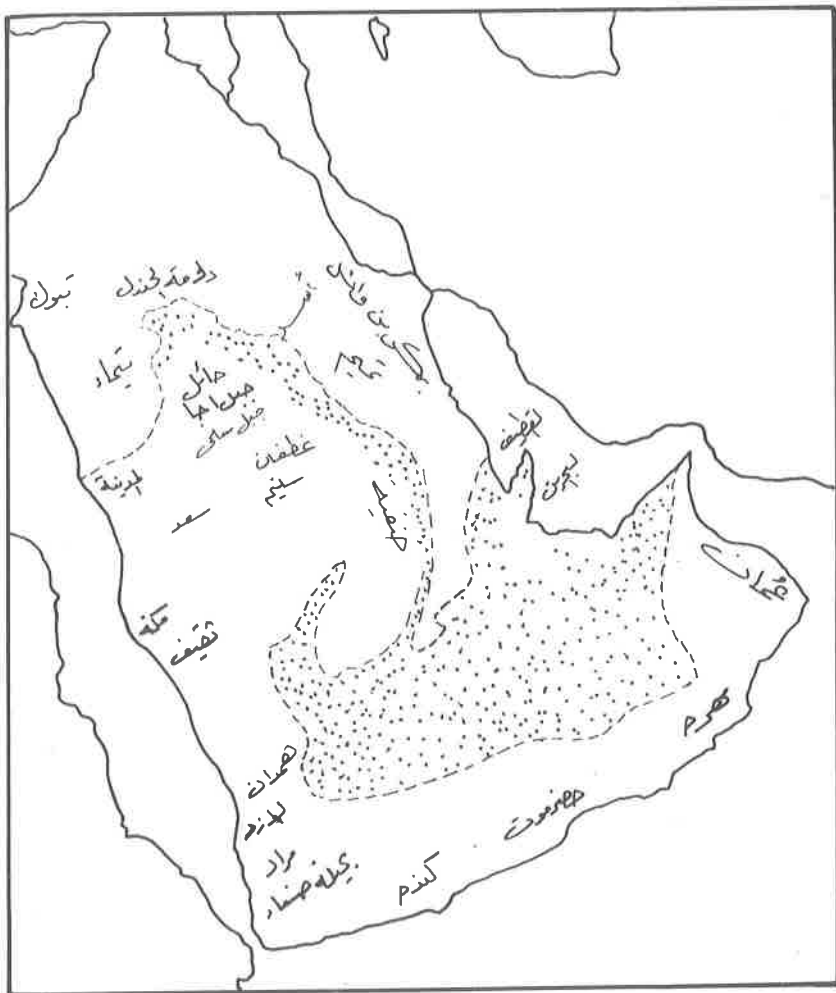
- ١ - مناطق بلاد الشام سهلية بشكل عام في معظم اجزائها خاصة الشرقية منها وتشبه طبيعة الجزيرة العربية فلم يجد المسلمون غرابة او صعوبة في التعايش او الحركة من خلالها والمناورة على حدودها الداخلية والخارجية.
- ٢ - تفتقر بلاد الشام الى الموانع الطبيعية كما هو بالعراق وهذا ساعد على وصول النجدات بسرعة ومطاردة العدو وسهولة استغلال وتطوير المواقع.
- ٣ - كان خط مواصلات الرومان طويلاً كما هو بالنسبة للمسلمين ولذلك واجه العدو نفس الظروف والصعوبات التي واجهها المسلمون واذا رجعنا الى ان المسلمين لديهم قدرة على التحمل اكثر بسبب طبيعة بلادهم القاسية نجد ان هذا كان في صالح المسلمين بعكس ما حدث في العراق حيث ان القاعدة الادارية للدولة الساسانية كانت قريبة وتقدم الامدادات والدعم بسرعة لقواتها.
- ٤ - يعرف العرب بلاد الشام جيداً والكثير منهم مر بها من خلال القوافل التجارية كما ان المسلمين قد غزوها قبل بدء الفتح العام في غزوة تبوك ومؤتة وسرية أسامة بن زيد وهذه المعلومات أفادتهم في التنقل والحركة من مكان الى آخر.<sup>(٢)</sup>

(١) سورة قريش.

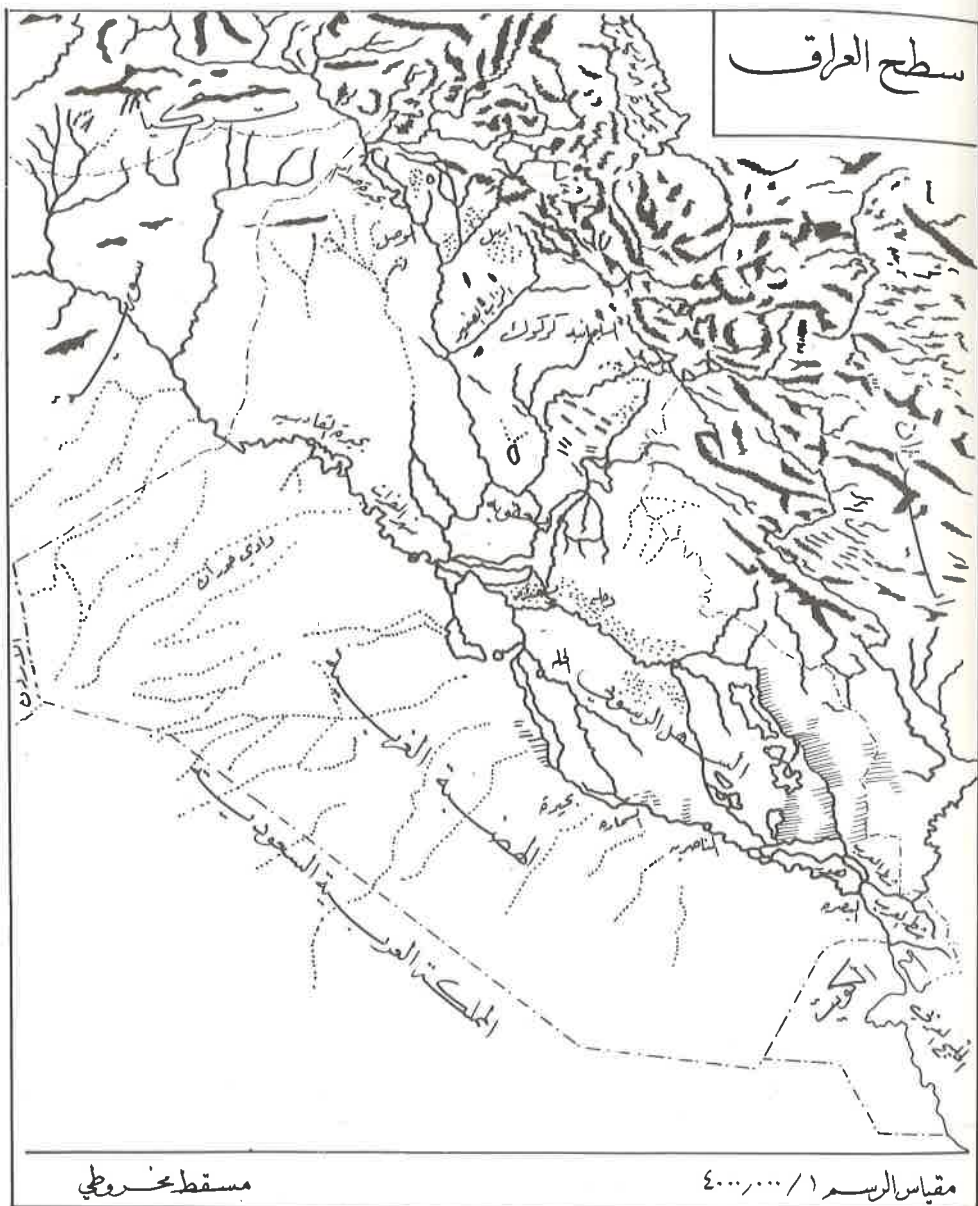
(٢) خريطة رقم ١٠ - فتوح الشام.



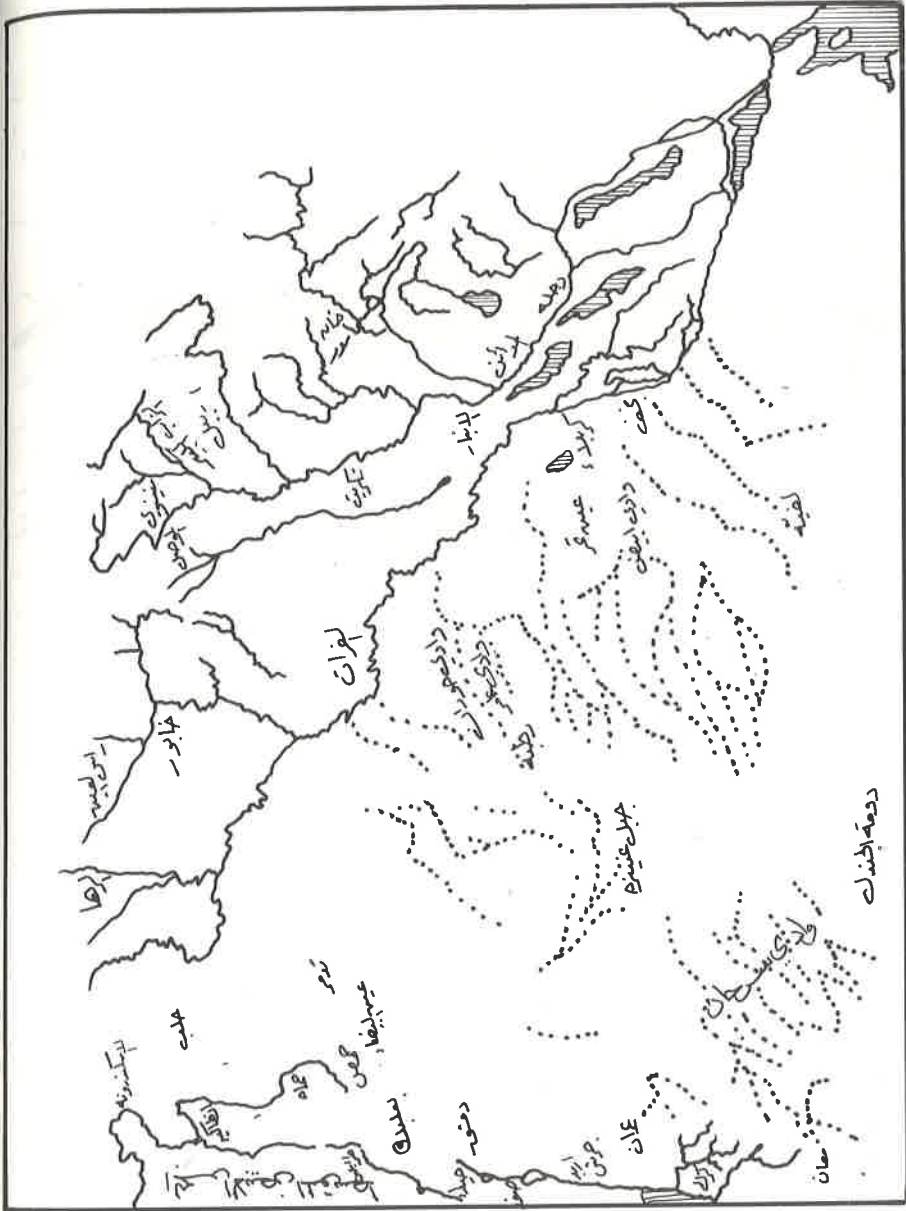




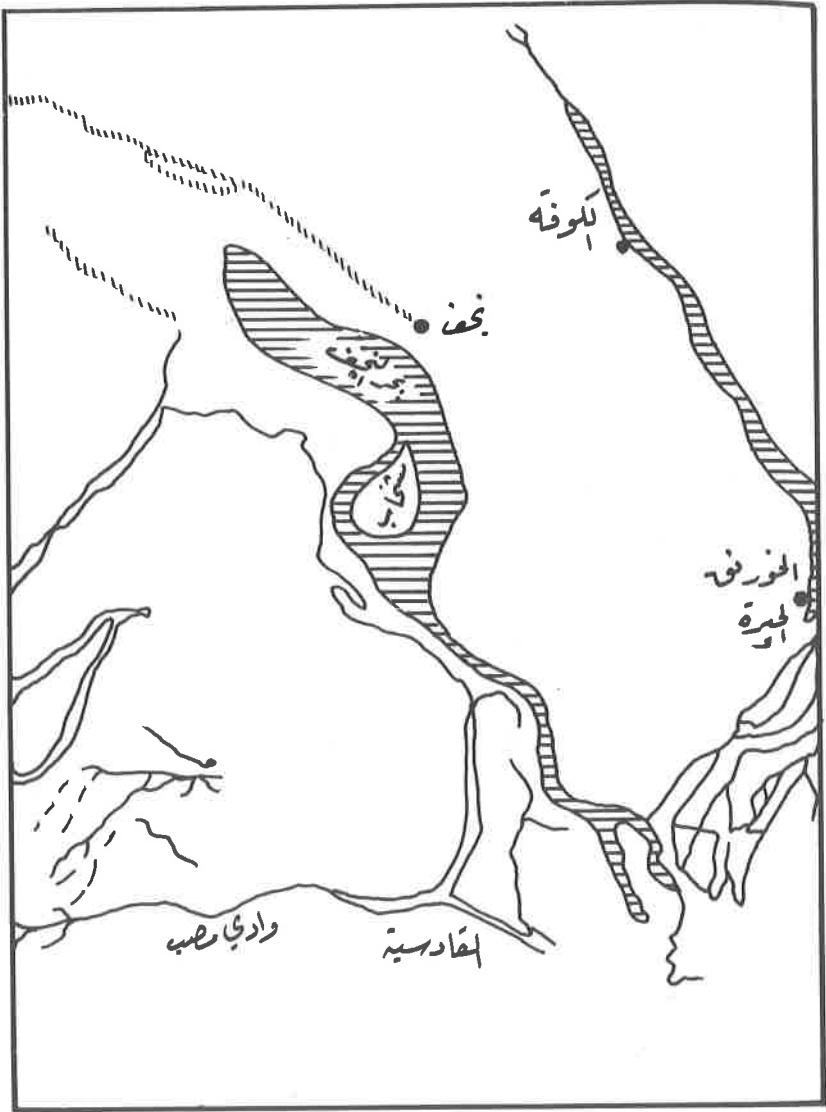
خريطة رقم ٢  
تضاريس شبة الجزيرة العربية



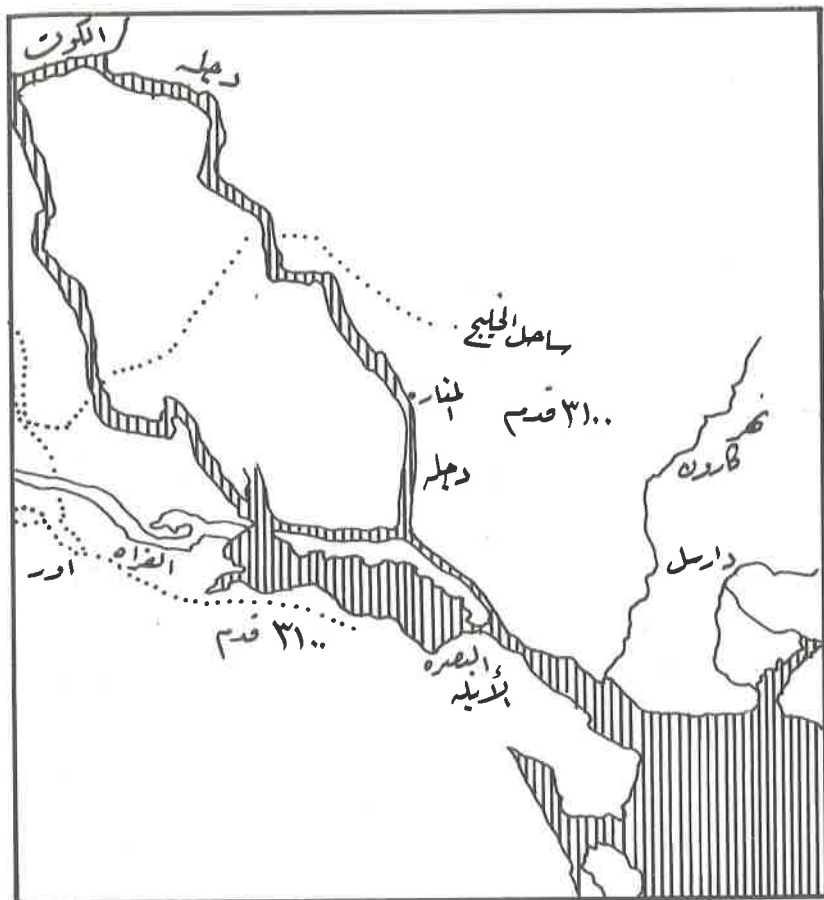
خريطة رقم ٣  
 طبوغرافية سطح العراق



خريطة رقم ٤  
 تضاريس العراق



خريطة رقم ٥  
مجرى نهر الفرات



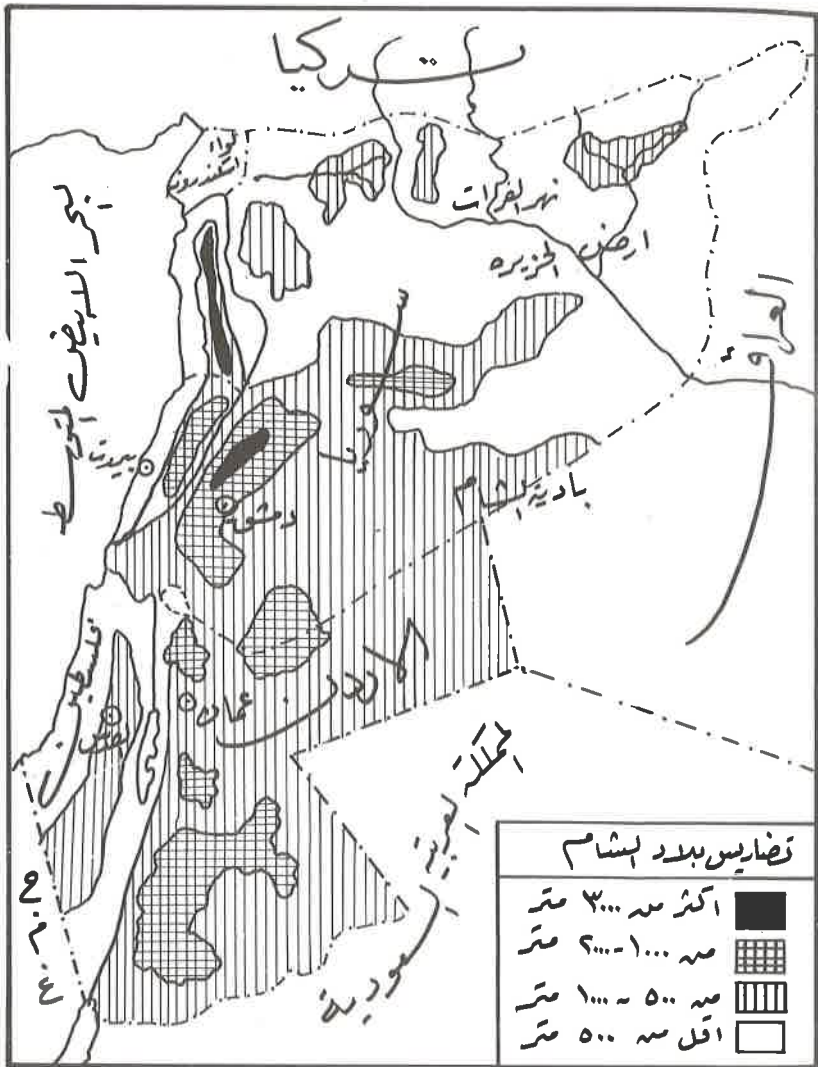
خريطة رقم ٦  
ساحل الخليج العربي زمن الفتح الاسلامي



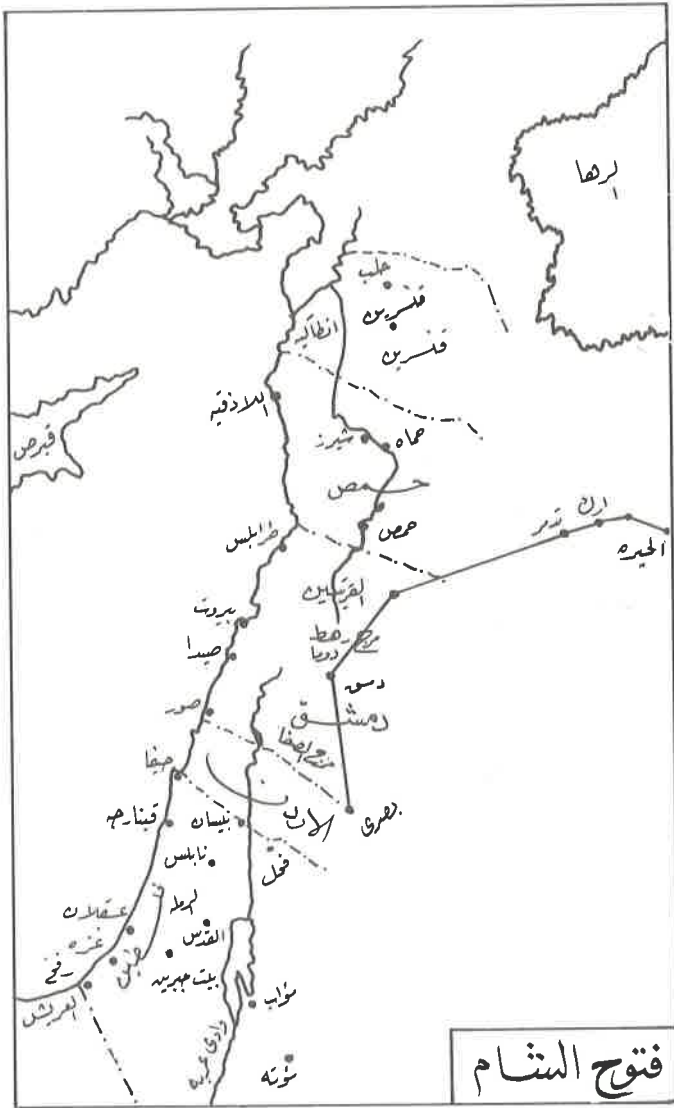


خريطة رقم ٨  
خريطة بلاد الشام





خريطة رقم ٩  
تضاريس بلاد الشام



# خريطة رقم ١٠ فتوح الشام

## الباب الرابع

# المعطيات البشرية

### الفصل الأول

- ١ - تمهيد
- ٢- العرب
  - أ - عرب العراق
  - ب- عرب الشام
- ٣ - الفرس
- ٤ - الرومان
  - أ - موقف الرومان
  - ب- موقف النصارى
  - ج - اسباب الانتصارات الاسلامية على الرومان

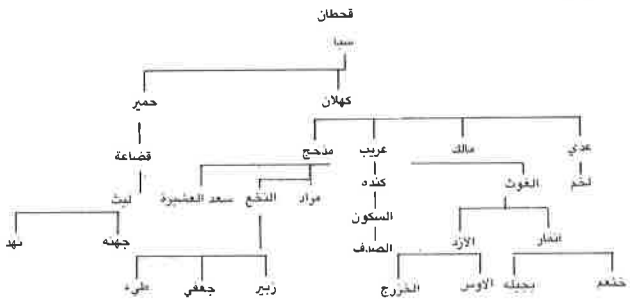
## تمهيد

تمر كل أمة من الأمم في حياتها بفترات من القوة والمجد والضعف والانحطاط، فالأمة العظيمة تستطيع أن تتربع على قمة المجد مرات ومرات وتصنع تاريخها من جديد بعد كل كبوة، إذا استطاعت أن تتعظ من خلال تجاربها وأخطائها الماضية والأمة العربية التي أعزها الله بالاسلام، استطاعت أن تبني صروحاً من المجد وتسجل صفحات بيضاء ناصعة في التاريخ، وتهزم اكبر امبراطوريتين عرفهما التاريخ في ذلك الزمان، وهي في كبوة الآن ههني في أضعف حالاتها، فالعربي يقف ضد العربي، والمسلم ضد المسلم، والأعداء يمولون جميع الأطراف، ويغذون نار الحرب والفتنة وعزة الجاهلية في نفوسنا، فهل العرب من الأمم العظيمة التي تستطيع أن تترك أثراً في التاريخ بعد كل صحوة؟

كان العرب أمماً وقبائل شتى همهم النهب والسلب والغزو وقلماً أجمعوا الأمر فيه معروف، وفي الجانب الآخر كانت الدولة الرومانية دولة منظمة لها جيشها الذي يحمي حدود الامبراطورية ويهيمن على جزء كبير من قارتين كبيرتين وكانت الشعوب الأخرى التي تعيش في كنف الدولة الرومانية، كالعرب تدفع الخاوة، والضريبة لقاء معيشتها وتأمين الحماية لها ضمن ممتلكات الدولة الرومانية، ولم يكن الرومان يحسبون حساباً لأحد، فجاء من يكسر أنوفهم فيودع امبراطورهم في بلاد الشام وداع اليأس - وداعاً ياسورياً، وداعاً لا لقاء بعده . أما الامبراطورية الفارسية فقد كانت أشد وطأة على الأمم المغلوبة على أمرها وكانت الحرب سجلاً بين الدولتين نصر أحدهما هزيمة للآخر فجاءهم فارس عربي من الصحراء، قلبه مليء بالإيمان، طالباً الموت فوهبت له الحياة، ومضى خرائط الامبراطوريتين العظيمتين من الوجود.

## العرب

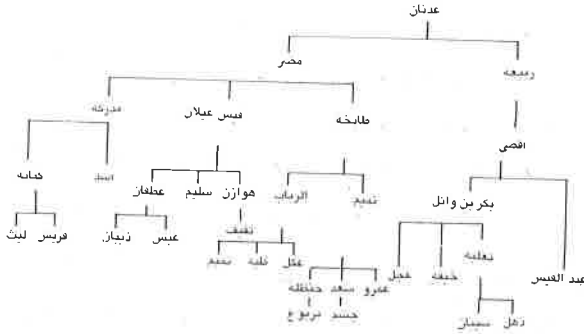
ينحدر العرب من اصلين كبيرين هما عدنان وقحطان والثاني أقدم من الأول حيث ان بين عدنان والرسول اثنى وعشرين جيلاً بينما نجد ان بين قحطان والرسول ٢٨ جيلاً. كان موطن قحطان الأساسي هو اليمن وقد تشعبت قبائله وبطونه من (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)<sup>(١)</sup> وأشهرهم (حمير وكهلان).<sup>(٢)</sup>



(١) الطريق الى المدائن احمد عادل كمال ص ٤١.

(٢) خريطة رقم ١١ - توزيع القبائل العربية في الجزيرة.

أما عدنان فهو ولد اسماعيل عليه السلام، ومن نسله كان رسول الله محمد ﷺ . سكنت بطون عدنان وقبائله أرض الحجاز وتهامة والبحرين وأرض الجزيرة بين دجلة والفرات، وأواسط الجزيرة العربية. (١)



نشأ عن طبيعة الجزيرة العربية، وحتمية انتقال العرب وراء الكلا والماء نظاماً قبلياً كضرورة اجتماعية مما دفعهم الى التنقل على شكل جماعات وعشائر لتوفير الأمن والحماية لافرادهم الأمر الذي ادى الى دفع العربي الى الاهتمام باظهار فروسيته واعتداده بكرمه وشجاعته، فقد اتصف بصلاية التكوين والسمره الشديده وسرعة الحركة وحدة البصر. وقد اتصفت صراعات العرب بالشجاعة الفردية، وأسلوب المبارزة في اظهار ذلك. إلى أن جاء الاسلام فظهر معه - التخطيط - الحربي والتنظيم الى جانب ذلك اشتهر العرب بالتجارة، فكانت قوافلهم تقطع بلاد العرب ما بين اليمن والشام والعراق وأطراف الجزيرة، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في سورة قريش، لم يكن العرب أصحاب حرفه، فقد كانوا يعيشون على منتجات الماشية التي يرعونها ويلبسون من أصوافها ويبنون بيوتهم من أوبارها.

بالرغم من الصفات العربية الحميدة. كالشجاعة والكرم وحماية المستجير وغيرها فقد كانت هناك صفات اجتماعية سيئة أهمها حب الغزو وسلب الأموال وسبي النساء ووأد البنات ومعاقره الخمره، وكانت هذه الصفات تقود الى حروب طاحنة، بين القبائل العربية حيث سميت بأيام العرب، وكان القصد الأساسي منها النهب والغزو وحماية مناطق الكلا وأشهرها (يوم خزاز ويوم الغبيط، ويوم الزورين، ويوم الفجاج وثبتل، ويوم الكلاب الثاني، وحرب داحس والغبراء، ويوم البسوس، وحرب الفجار وغيرها الكثير) (١). لم يعرف العرب من تكتيك الحروب الا الكر والفر وقد أبطل الاسلام هذا الأسلوب من القتال واعتمد أسلوب الصفوف كما ورد ذكره في سورة الصف (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (٢) ثم

(١) نفس المرجع السابق ذكر المرجع (وهذا التوزيع يوضح درجة الصلة بين الرسول ﷺ وعدنان).

(١) العبقريه العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج ص ٤٦.

(٢) سورة الصف - آية ٤.

طوّر المسلمون أسلوب قتالهم باستخدام نظام الكراديس. قدّر العربي أهمية الخيل كوسيلة لابرز فروسيته وشجاعته فرعاها واهتم بها، وجاء الاسلام ليؤكد على دور الخيل في المعركة على قدره الحركة، رغم ان المسلمين في بداية حروبهم ضد المشركين لم يكن لديهم الا القليل منها، لفقروهم ففي معركتي بدر وأحد لم يكن لديهم إلا فرسان، وفي غزوة الخندق أصبح لديهم ست وثلاثون فرساً، أما في غزوة تبوك فقد أصبح لديهم عشرة آلاف فارس. استخدم العرب أدوات الحروب البدائية في قتالهم، وأهمها السيف الذي كانوا يصنعونه بأنفسهم، وأطلقوا عليه أسماء عديدة أهمها (العُمار والصمصامه وذئ الفقار)، وكان السيف سلاح الفرسان والمشاة في آن واحد)، أما الرماح فقد استخدموها وكانت سلاح الفرسان على الأغلب وكانت تصنع في الجزيرة العربية أيضاً وتخصص بصناعتها لليهود. استخدم العرب الأسلحة الأخرى وبشكل أقل مثل القسيّ والدروع. استخدم العرب الرايات والأعلام لتمييز القبائل والجيوش وكان يحملها القادة بأنفسهم أو من ينوب عنهم.

كان العرب أبعد ما يكونون عن عبادة التوحيد فقد شاعت الوثنية في الجزيرة العربية فعبدوا الطبيعة بسمائها ونجومها وكواكبها وأحجارها وقد مثلوا تلك القوى الطبيعية بأصنام صنعوها بأنفسهم منها ما تم نحته من الحجارة مثل هُبل ومناة واللات والعزى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ومنها ما صنعوه من التمر وعندما أصابهم الجوع والقحط أكلوا الهتهم وكان للكثير من القبائل اصنامها الخاصة بها فمثلاً (عبدت قبيلتي كلب وقضاعة (ودًا)، وكان بدومة الجندل ويمثل رجالاً متقلداً سيفاً وبين يديه حربه، وعبدت هذيل (سواعاً) واتخذت مذبح (يغوثة)، وهمذان (يعوقا)، وحمير (نسرأ)<sup>(١)</sup> وبالإضافة الى عبادة الأصنام فقد عبد بعض العرب النجوم والكواكب والشمس والزرادشتية<sup>(٢)</sup> واليهودية والنصرانية.

## عرب العراق

منذ أقدم العصور استوطن العرب العراق ففي سنة ٣٥٠٠ ق.م هاجرت قبائل عربية الى العراق وأسست مملكة عظيمة وقد عرف هؤلاء العرب بالاكديين وعرف ملكهم بسرجون الأول الذي شملت مملكته معظم اقسام الهلال الخصيب، وبلاد عيلام (الأحواز)، وقسماً من آسيا الصغرى، ومن ثم استطاع العموريون العرب الذين سكنوا بلاد الشام أن يوسعوا دولتهم على حساب المملكة الاكديّة بعد سقوطها وأسسوا مملكة بابل الأولى، التي استمرت في العراق حوالي ٣٠٠ سنة، واشهر ملوكهم حمورابي صاحب الشرائع الذائعة الصيت.

أسس العرب اللخميون ممالك لهم بعد الميلاد على حدود الجزيرة العربية المحاذية للعراق، وكانت عاصمتهم الحيرة، وقد تبادلوا المنفعة مع الفرس بأن يقوم هؤلاء بحماية حدود

(١) ودأ كان بصورة رجل، سواع على صورة امرأة، يغوث على صورة أسد، يعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر.

(٢) نسبة الى زرادشت كاهن الفرس.

الدولة الفارسية من الجنوب والجنوب الغربي مقابل السماح لهم بالاستيطان ضمن اموال الدولة الفارسية واستمرارية الولاء لهم.

كان التنافس على أشده بين الممالك العربية التي تتبع الفرس والممالك العربية التي تتبع الرومان، وقد وصل التنافس أوجه في القرن السادس الميلادي، حيث استطاع الفساسنة بقيادة الحارث الثاني ان يهزموا المناذرة بقيادة المنذر الثالث، وقد عين الامبراطور الروماني (جستينيان) الحارث الثاني سيداً على جميع القبائل العربية في الشام. كانت علاقة عرب العراق بالفرس بشكل عام علاقة التابع بالسيد، ورغم تذبذبها، إلا أن العرب كانوا أداة من أدوات الفرس لتأمين استقرار الدولة الفارسية، ولم يستقم الأمر على هذا إذ كان كثيراً ما يتعكر صفو العلاقة العربية الفارسية لطمع في مال، او تقصير في واجب، او رداً للكرامة، وكان آخرها حبس النعمان بن المنذر وحماته في سجن الامبراطور الفارسي سنة ٦٠٢ م عندما رفض تزويج ابنته الى الامبراطور وكان النعمان قد آمن عياله وأمواله لبني شيبان الذين رفضوا تسليمها إلى الفرس، فجهز الامبراطور جيشاً لمحاربة العرب الشيبانيين وحدثت بينهم معركة ذي قار المشهورة التي انتصر فيها العرب على الفرس وذكرها رسول الله ﷺ بقوله: (اليوم انتصف العرب من العجم) وكان ذلك سنة ٦٠٢ م. أما موقف العرب من حركة الفتوح في العراق فهناك تناقض كبير في روايات المؤرخين وأكثرهم رجح مساعدة العرب للعرب وهذا الكلام مشكوك فيه ان لم يثبت بأدله دامغة. وهنا بعض الأمثلة:

- ١ - معركة الولجة: حارب العرب الى جانب الفرس وكانت قوات المسلمين يقودها خالد بن الوليد وقد أسر خالد أناساً من بكر بن وائل ابناً لجابر بن جبير وابناً لعبد الأسود.<sup>(١)</sup>
- ٢ - أليس: حارب العرب النصارى قوات المسلمين الى جانب الفرس انتصاراً لبكر بن وائل، وكان عليهم عبد الأسود العجلي في نصارى العرب من بني عجل وتيم واللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة وقتل عدد كبير من نصارى العرب.<sup>(٢)</sup>
- ٣ - أمغيشيا: وقد عاجلهم خالد بالحرب وقتل أناساً منهم والباقي تفرق في السواد وقد أمر خالد بهدم أمغيشيا.
- ٤ - الحيرة: حاصر خالد بن الوليد الحيرة بقواته واستسلمت له على مائة وتسعين ألف درهم<sup>(٤)</sup> وفي رواية لابن هشام الكلبي أن خالداً صالح أهل الحيرة على ان يكونوا عيوناً له ففعلوا.<sup>(٥)</sup>

(١) تاريخ الطبري ٤/١ - ٢٠٢٩ - ٢٠٣١.

(٢) المرجع السابق ٤/١ - ٢٠٣١ - ٢٠٣٤.

(٣) المرجع السابق ٤/١ - ٢٠٣٦ - ٢٠٣٧.

(٤) المرجع السابق ٤/١ - ٢٠٤١ خلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين وبدأ أصحاب عدي فقال ويحكم ما أنتم؟ أعرب فما تنعمون من العرب، أو عجم فما تنعمون من الانصاف والعدل فقال عدي بل عرب عاربه وأخرى متعربه فقال لو كنتم كما تقول لم تحادونا وتكروهن أمرنا؟ فقال له عدي: ليذكرك على ما تقول انه ليس لنا لسان الا العربية .. الخ.

(٥) الطبري ٤/١ - ٢٠٢٠.

- ٥ - الأنبار : خرج خالد على تعبيته يريد الأنبار والانبار خليط من العرب والعجم وقد تحصن أهلها واستطاع خالد ان يفتحها ويصالح أهلها.
- ٦ - عين النمر : التقت قوات المسلمين الجيش الفارسي وكذلك جموعاً من القبائل العربية من تغلب وإياد واستطاع المسلمون ان يهزموهم.
- ٧ - دومة الجندل : وكان معظم سكانها من عرب بهراء وکلب وفسان وتنوخ والضجاعم وقد حدثت بينهم وبين عياض بن غنم مناوشات فوضعهم خالد بن الوليد بينه وبين عياض وهزمهم هزيمة ساحقة.

هذه أمثلة من واقع العرب في العراق وموقفهم من الدعوة الاسلامية واذا تطرقنا الى عرب المدن كعرب الحيرة والأنبار نجد انهم ليسوا افضل من عرب البوادي الذين تم التطرق اليهم، من هذا نستخلص بأن الدم العربي لم يتحرك كما يدعي البعض وانما تحرك التابع الى السيد لمحاربة أعدائه، وبما ان الحرب كانت أصلاً حرباً دينية، فالاختلاف موجود فعرب العراق نصارى والعرب الفاتحون مسلمون، ولهذا لم تجد القوات الاسلامية الطريق مهيأة، فالعرب هم اول من نهض بوجههم وحاربهم وكانوا سبباً في الاقتصاد بجهد القوات الفارسية وتأخير الفتح لأكثر من عام كامل. حتى بعد الفتح وعقد الصلح معهم ودخول الكثير منهم الدين الاسلامي فقد نقضوا العهد وارتدوا عن الدين ثلاث مرات في عهد خالد والمثنى وسعد.<sup>(١)</sup>

## عرب الشام

عندما نتكلم عن عرب الشام فكأنما نتكلم عن عرب العراق فهؤلاء استوطنوا بلاد الشام منذ قديم الزمان، فالعرب الكنعانيون هم أول من سكن بلاد الشام، ومن ثم الأموريون وقد تقلص النفوذ العربي في بلاد الشام بعد استيلاء الرومان عليها، ولم تظهر هويتهم الا في ممالك ثلاث سبق ان تطرقنا اليها، وهي تدمر في الشمال والغساسنة في الوسط والانباط في الجنوب، وقد كان لكل من هذه الدول شأن في التاريخ ولكن عندما أرسل المسلمون جيوشهم لفتح الشام لم يكن هناك الاممملكة الغساسنة التي تتبع الامبراطورية الرومانية وتآتمر بامرتها.

أما ما هو موقف الغساسنة العرب من الفتوحات الاسلامية؟ فواقع حال عرب العراق ينطبق عليهم اذ قاوموا الدعوة وحاربوها بكل قوتهم، وأول بوادر المقاومة، ان قائد قلعة بصرى العربي قتل الرسول الذي أرسله النبي ﷺ إليه لدعوته الى الاسلام. وهناك حوادث كثيرة متفرقة منها ما يروج مساندة العرب للمسلمين ومنها ما ينكر ذلك، ولكن بحكم المؤكد ان العرب الغساسنة بقيادة (جَبَلَة بن الايهم الغساني)<sup>(٢)</sup> قاتلوا وبشراسة جنباً الى جنب مع الرومان

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ٢٣٤٧/٥/٧ فسار القيقلاق بمائة الف مقاتل معه من اهل أرمينية اثنا عشر ألفاً عليهم جرحى ومن المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاة من قضاة اثنا عشر ألفاً عليهم جيله بن الايهم الغساني وسائرهم من الروم.



ضد العرب المسلمين. انني حسب اعتقادي الشخصي بأن عرب الشام، كانوا أكثر قابلية للتعاون مع المسلمين من عرب العراق، وسبب ذلك ان عرب الجزيرة قبل الاسلام كانت لهم ارتباطات مباشرة مع عرب الشام من خلال التجارة المستمرة، أضف الى ذلك بان عرب الشام كانت لديهم بعض الحرية في التصرف قياساً بعرب العراق الذين كان الفرس شديدي الوطأة عليهم وعلى التي تعيش ضمن إطار دولتهم، ومن الأسباب الأخرى أيضاً ان الرومان أنفسهم كانوا اقرب من الناحية الدينية الى الاسلام، حيث ان قصة هرقل الروم معروفة ولو استطاع ان يقنع حاشيته بهذا الدين لأسلم وأسلمت كل الأمة الرومانية معه، وكلنا يعرف بأن التبشير بالدين الاسلامي ورد ذكره في الأنجيل، وبذلك فقد تطوع الكثير من النصارى في ذلك الوقت للدخول في الدين الجديد وعرب الشام كان معظمهم من النصارى.

## الفرس

عندما غزا المسلمون العراق عام ١٢ هـ كانت تحت حكم بني ساسان وهم الأسره الفارسية المالكة في ذلك الوقت، وتنسب هذه الأسره الى رجل من عائلة نبيلة عاش في اواخر عهد الدولة الاشكانية، وكان سادناً لبيت النار وقد استطاع احد احفاد هذا الرجل وهو (اردشير) ان يصبح ملك فارس بعد ان قتل جميع إخوته، وقد غزا اردشير سواحل الخليج والعراق واستطاع ان يخضعها لحكمه، توالى أبناء اردشير حكم فارس، حتى جاء الفتح الاسلامي حيث كان ملك فارس قباز الثاني (شبيرويه) سنة ٦٣٣ ميلادية. وتولى من بعده عدد من الأكاسره الذين لم تطل مدة حكمهم، وكان آخر الأكاسره الفرس يزيد جرد الثالث بن شهريار كان يعيش في العراق ثلاثة فئات متباينة هم العرب، والسكان الأصليين، والفرس. وقد رأينا موقف العرب من العرب فكيف يكون موقف غير العرب؟ لقد أظهروا عداً شديداً وقاتلوا قتالاً مستميتاً لكرهيتهم الشديدة للعرب وعدم تصورهم ان العرب التابعين لهم يخرج من جنسهم من يهزم دولة فارس.

أما المجتمع الفارسي، فكان يقسم الى سبع طبقات، وهم الملوك ويعتبرون الطبقة الأولى، وتضم هذه الطبقة العائلة المالكة، والأمراء التابعين الذين يحكمون أطراف الدولة، والاشراف وهم طبقة العائلات السبع الممتازة، وكان لكل أسره منطقة نفوذ من مناطق فارس تقيم بها.

هذا الى جوار انخراطهم في البلاط الملكي، استغلت هذه الطبقة بعض المناصب الهامة في الدولة، مثل وظائف تنويع الملك، وإدارة شؤون الحرب، والادارات المدنية، وقيادة الفرسان، وجباية الضرائب، والعناية بالأسلحة والتعبئة الحربية. أما رجال الدين منهم الطبقة الثالثة، وقد اعتبر الدين المجوسي الزرداشتي هو الدين الرسمي للدولة في عهد كسرى الأول<sup>(١)</sup> (ولم يسمح الاعتراف بأي دين آخر في فارس، ونتج عن ذلك اضطهاد أصحاب الأديان الأخرى

(١) وهم الذين يطلق عليهم ملوك الطوائف في التاريخ - عن القادسية للواء الركن شاکر محمود رامز.

كاليهودية، والنصرانية، والمزدكية).<sup>(٢)</sup>

والطبقة الرابعة هم رجال الحرب وهم من الفرسان والخيالة، والحرس الامبراطوري والطبقة الخامسة وهم الكتاب وينقسمون الى كتّاب الرسائل، والحسابات والأقضية، ويدخل فيهم الأطباء والمنجمون والشعراء. والطبقة السادسة الدهاقين، وهم رؤساء القرى، وكانوا يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للادارة المحلية، فهم أساساً متيناً للادارة حيث كانوا يجمعون الضرائب واليهم يرجع الفضل في تمويل الدولة. أما الطبقة الأخيرة فهم الشعب من الفلاحين والصنّاع، ويدخل فيهم الرعاة والتجار وأصحاب الحرف.

اتجهت السياسة الحربية للفرس للاحتفاظ بجيش قوي يحمي حدود الدولة، حيث كانت أطراف وممتلكات الدولة دائماً مهددة خاصة وان الرومان كانوا لهم الند القوي خلال فترات عهد الدولة الفارسية. لقد أدمجت طوائف الجند التي كانت تتبع الأقاليم في الجيش المنظم وكان اكبر الألقاب العسكرية وراثياً في الدولة الفارسية. كانت قوة الفرس قائمة على الفرسان والرماة، وكان أسلوبهم في القتال ان يمتطروا العدو سهاما ثم يكتسحوه بهجوم الفرسان<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر ذلك القائد المثنى بن حارثة الشيباني في خطبته لجنوده في معركة البويب (فلا يرد عنكم زهأء ترونه ولا سواد(كثرة) ولا قسي فُج (أجود انواع القسي) ولا نبال طوال فإنهم اذا اعجلوا عنها او فقدوها، كالبهائم اينما وجهتموها اتجهت). وكان لدى الفرس فرقة من عشرة آلاف مقاتل من الفرسان المختارين تسمى فرقة الخالدين وفرقة أخرى من الفدائيين.

استخدم الفرس الفيله في القتال وكانت تتخذ مكانها خلف الفرسان وكانت أصواتها وروائحها ومناظرها المرعبة تلقي الرعب في الأعداء وتخيفهم. كانت مؤخرة الجيش تتألف من أهل القرى يسخرون للحرب بأجر وبدون أجر، وهم غير مهرة في القتال. وقد قسم الفرس جيشهم الى فرق وكتائب اسموها (كُسند) وهي الوحدات الكبيرة (ودرفنش) وحدات أصغر تسمى (وشت)<sup>(١)</sup>.

يطيب لنا ان نقف قليلا ونرى اسباب انتصار القوات الاسلامية وهزيمة الامبراطورية الفارسية العظيمة، وهل كانت أسباب القوة هذه متوفرة في المسلمين؟ أم أسباب الضعف متوفرة في الفرس ومن خلال المطالعات والبحث والتحليل فإن الاسباب التالية قد تكون معقولة:

١ - (التناحر والتنافس في الوصول الى سدة الحكم في فارس جعل ثقة الأمة الفارسية بقيادتها مهزوزة، ومفككة رغم ان كسرى انوشروان الذي ولد الرسول في عهده قد جدد قوة

(٢) نسبة الى مزدك وهو فارسي ظهر عام ٤٨٧ م وتعاليمه اشتراكية إباحية حيث لا يوجد ملكية فردية بل المال والنساء وغيرها مشتركة بين أفراد المجتمع.

(٣) الطريق الى المدائن - عن عبقرية خالد لارثر برني ص ١٨٦.

(١) ايران في عهد الساسانيين ص ٢٠٠.

الامبراطورية الفارسية ولكن المتتبع لمسيرة حكم بني سلسان يجد انهم جميعاً جاءوا بعد قتل وغزو ونهب فهذا يقتل أخاه وذلك يقتل أباه أو أمه).<sup>(٢)</sup>

٢ - الفساد والمجون والدسائس والقهر الديني كانت من عوامل تداعي هذه الامبراطورية، ومثال ذلك فإن المزدكيين الذين كان عددهم كبيراً في فارس جرت مطاردتهم وقتلهم ونهب أموالهم وسبي نسائهم، يقول براون (ان فارس ولو انها كانت في المظهر تبدو رائعة فخوره، الا انها كانت في صميمها متعفنه، حياتها مملوءه بالدسائس، تغلي داخلها بالسخط وتمزقها المنازعات الداخلية).<sup>(٣)</sup>

٣ - فئات السكان المختلفة من فرس وسكان اصليين وعرب، وكذلك طبقات المجتمع الفارسي المختلفة، كانت تكره بعضها بسبب الفوارق الواضحة بين فئات الشعب وكذلك الطبقات.

٤ - التسليح الجيد للجيش الفارسي لم يمنعه من الهزيمة، فهو مقاتل خوار ليس لديه القدرة على الصمود في حالة الانهيار وقد رأينا قول المثني فيه وهو الرجل الخبير بنفسية الجندي الفارسي، وكذلك مقولة آرثر برني في عبقرية خالد بن الجندي الفارسي لم يكن ذا بأس في الحروب ولم يتعودوا النضال في جسارة الا ان يكونوا على مسافة بعيدة من اعدائهم، فاذا بدأت فرقتهم في التراجع فانهم يتقهقرون سراعاً كالريح مطلقين سهامهم من خلفهم ليخففوا من ضغط مطاردتهم). ولقد رأينا ذلك، في معركة القادسية كيف ان الفرس كانوا يتحصنون خلف منبلتهم ويستخدمون السهام بكثافة عالية ولكن عندما استطاع المسلمون ان يحدّوا الغيله ويديموا الاشتباك القريب بدأت القوات الفارسية بالانهيار، لأن الجندي المسلم هو رجل الاشتباك القريب لشجاعته وحسن استخدامه لسيفه.

٥ - الهزيمة القوية التي مُني بها الفرس من قبل الرومان قبل بدء الفتوحات الاسلامية بقليل هزّ أركان الدولة الفارسية وأفقدتها الكثير من جنودها المحاربين، وأثر على هيبتها أمام شعوبها.

٦ - تصميم القوات الاسلامية على القتال، وقوة اندفاعها أفقدت القوات الفارسية القدرة على استمرار المقاومة، لقد تباطأت الفتوحات الاسلامية في العراق في بداية عهدها بسبب اعطاء الأولوية لميدان الشام. ولكن عند ارسال سعد بن ابي وقاص أديم الزخم، وبعد النجاح في معركة القادسية الفاصلة، استطاعت القوات الاسلامية ان تقضي على دولة فارس.

## الرومان

تأسست روما سنة ٧٥٣ قبل الميلاد، وتأسست معها الدولة الرومانية، وظلت روما عاصمة تلك الدولة عشرة قرون ونصف، وقد فتحت العالم المعروف يومئذ كله، وفي سنة ٣٢١

(٢) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى ايران في عهد الساسانيين.

(٣) الخراج في الدولة الاسلامية ص ٨٢.

ميلادية انتقلت العاصمة الى بيزانتيوم وسماها قسطنطين الأكبر القسطنطينية. بعد وفاة قسطنطين انقسمت الدولة الرومانية الى مملكتين احدهما شرقية وعاصمتها القسطنطينية والأخرى غربية وعاصمتها روما وكانت حدود المملكة الشرقية تنتهي غرباً بالبحر الاريايكي وشرقاً بصفاف دجلة وشمالاً الى أعالي التترو وفي الجنوب حتى الحبشة.

أستهل القرن السابع الميلادي بنشوب صراع عنيف بين دولتي الروم والفرس بسبب اطماع الأولى التوسعية في ممتلكات الدولة الرومانية، التي سادها الاضطراب وتفشى فيها حوادث القتل، والدس والمؤامرات، واستطاع الفرس ان يتوغلوا في أقاليم آسيا الصغرى، حتى وصلوا مشارف القسطنطينية، كما وصلت قوات فارسية اخرى الى بلاد الشام سنة ٦٠٧ ميلادية. استمر الزحف الفارسي في تقدمه، وعندما تقلد هرقل منصب الامبراطور، على الدولة الرومانية الشرقية، تقدمت جيوش الفرس الى ارمينية وحمص ودمشق وبيت المقدس وفي سنة ٦١٩ ميلادية. أصبح الفرس سادة بحر الشام، واكلوا سيطرتهم على البحر الابيض المتوسط باستيلائهم على مصر.

أثار خطر التيار الفارسي وتهديده للقسطنطينية الشعور الديني للرومان، وامتألوا حماسة للدفاع عن كيانهم، وعلى رأسهم الكنيسة التي أضفت على خطط هرقل الحربية صبغة دينية، وأخذت تجمع النقود لصالح تحرير الأرض المقدسة. أنكب هرقل على اعداد خطته الحربية، لتخليص البلاد من سيطرة الفرس، وفي سنة ٦٢١ ميلادية، بدأ هرقل بتنفيذ خطته، وفي غضون ثلاث سنوات استطاع ان يستعيد البلاد التي احتلها الفرس، وان يتوغلوا في عمق بلاد الفرس ويعيد الصليب العظيم الذي استولى عليه الفرس من القدس، وقد نادى الرومان بهرقل بعد هذه الانتصارات العظيمة كمحرر للمسيحية ومعيداً لأمجاد الامبراطورية الرومانية الشرقية، هذا وقد أعلم الله سيدنا محمد ﷺ في القرآن الكريم بقرب وقوع هذه الأحداث، وعندما حدثت اعتبرت معجزة، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله وسقط إدعاء المشركين بأن القرآن من نسج خيال محمد عليه الصلاة والسلام. وذلك في قوله تعالى (غلبت الروم) خرج هرقل من الحرب الفارسية شديد الاعتداد بنفسه، مؤمناً بأنه قادر على حل المشاكل الدينية، التي بلغت ذروة تعقدها في عهده، وقد فشل هرقل في حل المشاكل الدينية، وأدى ذلك الى شرخ كبير في الدولة مما أدى الى انقسامات سياسية لاختلاط السياسة بالدين، حتى آل ذلك الى خروج شعوب بأسرها من حوزة الروم الى الفرس، كما حصل بالنسبة للأرمن مثلاً، فقد شدّد هرقل الضغط عليهم لتمسكهم بعقيدتهم فأفضت بهم الحال الى تسليم دولتهم للفرس.

كان الرومان في بلاد الشام وغيرها يعتبرون البلاد وأهلها ملكاً لهم، يتصرفون بهم كيف ما شاؤوا، وكان الفلاحون تابعين للملك، فعندما ينتقل العقار من مالك الى آخر، ينتقل الفلاحون معه. انقسم الناس في العهد الروماني الى طبقتين، طبقة العامة وهم أهل البلاد الاصليين واكثرهم من العمال والفلاحين، والطبقة الخاصة وهم الملك وأعوانه ورجال الدين، وكان

الخاصة من أهل الشام هم البطارقة، وهم أشرف الدولة الرومانية، وقد عهد لهم بحكم المستعمرات بعد اتساع الدولة، فكانت ولاية الشام مثلاً تقسم الى أحد عشر أقليماً، على كل إقليم بطريق ومعه جنده، أما سكان بلاد الشام الاصليين، فهم من أصل آرامي وسرياني وسامريين وانباط، وغساسنة، وأخلاط من مولدي الرومان، واليونان على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

تطور الجيش الروماني بالتدريج، أسوة بالجيوش العالمية الأخرى، فقد كان الجيش في البداية تطوعياً، عندما يدهم الخطر حدود الدولة يهب الرجال القادرون على حمل السلاح للدفاع عنها، مع تطور الزمن اقتبس الرومان نظام الكتائب، والفرق عن اليونان، فكانت كل فرقة تتألف من ستة آلاف رجل، تتشكل من ثلاثة صنوف، الشباب ويشكلون الكتيبة الأمامية (الصف الأول)، والكهول في الصف الثاني، وأهل الدراية والحنكة في الصف الثالث، وكان يُجِجُ بكل فرقة كوكبة فرسان تنقل السهام والمقاليع والمزاريق لمشاغلة الأعداء في حرب المشاة، ولإجراء الاستطلاع الأولي قبل الاصطدام، ثم قسّم الروم الفِرَقَ الى كراديس، فجعلوا الفرقة عشرة كراديس، كل كردوس ثلاثة أقسام، كل قسم فصّيلتين. عدد رجال كل منهما مائة رجل، وقد ظل نظام تقسيم الجند هكذا حتى الفتح الاسلامي.

استنفذت الحرب الفارسية الرومانية قوى الجيش الروماني في المال والسلاح، كما أهمل الروم إدامة حصونهم، وتضعضع الضبط والنظام وكثر التمرد والفضوى في صفوفهم بسبب الرشوة والفساد الاداري وكثرت الفتن الدينية والنزاع على الملك والولاية. اتهم الرومان الشعوب التي تعيش ضمن ممتلكاتهم بالخيانة، اذا لم يدينوا بالمسيحية، واتبعوا أسلوب التعذيب والقتل لكل من لا يدين بالولاء للمسيحية، ولهذا عندما بدأ الرسول ﷺ برسالة الحملات الى اطراف الدولة الرومانية، كانت هذه تلاقى الاستجابة والمساعدة من السكان الاصليين ما عدا الغساسنة العرب، الذين وقفوا ضد الدعوة الاسلامية.

### موقف عرب الشام من الفتوحات

سبق وأن تطرقت لهذا الموضوع، وبيّنت بأن عرب الشام لم يكونوا أحسن حالاً تجاه الدعوة الاسلامية، والكثير من المؤرخين برروا مساعدة البعض من الغساسنة للمسلمين، بدعوى القومية العربية، وهذا كلام مردود عليهم، ولو كان هذا صحيحاً لأسلمت الجزيرة العربية بأسرع ما يمكن ليعتزوا بالدين الجديد، ويدافعوا عنه ويحموه ولكن العرب أهل مكة، مهد الديانة الاسلامية، وقفوا بعناد وإصرار ضد الدين الإسلامي، ولذلك فإن الصراع في بلاد الشام كان صراع عقيدتين ووقف العرب الغساسنة النصارى ضد المسلمين انتصاراً لنصرانيتهم وبأوامر من سادتهم الروم، وهذا بالطبع لا يمنع الحوادث الفردية، فقد أسلم

الكثير من العرب بشكل فردي، وقدّموا مساعدات قيمة للمسلمين، أما ما أثبتته المؤرخون<sup>(١)</sup> بأن عرب الشام من غساسنة ولخم وجذام وعرب الضاحية قاتلوا المسلمين في مؤتة ووادي عربة واليرموك وفي كل معركة أدخلها الرومان ضد المسلمين، حتى ان بعض القبائل لحقت بالروم ومضت معهم إلى بلاد الروم.<sup>(٢)</sup>

## موقف الرومان

مما لا شك فيه بأن الرومان كانوا يعتبرون بلاد الشام الخط الدفاعي الأول عن امبراطوريتهم، واعتبروها أيضاً مفتاحاً لمصر، ولذلك نجدهم قد حشدوا كل طاقات الدولة الرومانية حتى في المعارك الصغيرة التي قصد منها المسلمون جس نبض الروم، ففي معركة مؤتة دفع المسلمون ثلاثة آلاف مقاتل، ودفع الرومان أربعين ألفاً، اي بنسبة ثلاثة عشر الى واحد، وفي اليرموك اجتمعت كل قوات المسلمين، وحتى الموجوده في العراق فبلغت نحو ما يزيد عن اربعين ألفاً، ولكن الرومان حشدوا ما يزيد عن مائة الف، ومنهم من يغالي فيقول مائتا ألف أي بنسبة أقلها ثلاثة الى واحد، وكذلك في جميع المعارك السابقة واللاحقة فالرومان لم يهملوا (مبدأ حشد القوة)، ولم يغفلوا عن التكتيك الحربي، فهم متمرسون جيداً بالقتال، ورغم ذلك خسروا كل معاركهم أمام المسلمين.

## موقف النصارى

نحن نعتقد بأن الفتوحات الاسلامية اتخذت الطابع الديني، واستثار الرومان المشاعر الدينية للنصارى، واستغلوا رجال الدين وكان القادة الرومان يدفعون أمامهم الرهبان والقساوسة، لتحريضهم على القتال<sup>(١)</sup> وكان من هؤلاء الرهبان قسماً من الجيش يقيمون معه ويرتحلون كلما ارتحل.

بعد تقدم الفتوحات الاسلامية رغب سكان البلاد المفتوحة من النصارى مداراة المسلمين، إما خوفاً من سطوتهم او ترغيباً لهم بالتعايش بسلام معهم، (ولهذا نجد ان اهل أيليا<sup>(٢)</sup> يطلبون الصلح مع المسلمين ويطلبون من الخليفة توقيع العقد بنفسه)<sup>(٣)</sup> وهذا ما فعله صفر ونيوس بطريرك القدس إذ رفض تسليم القدس ال للخليفة عمر بن الخطاب، وقصته معروفة للجميع. اما اهل دمشق فقد صالحوا أبا عبيده بعد ان يسّوا من التحصن داخل

(١) تاريخ الطبري ١/٥/٢٣٤٧ - وابن اسحاق.

(٢) الطبري ١/٥/٢٣٤٧ - ودخل ابو عبيدة تلك السنة دمشق فشتى بها، فلما أصافت الروم ساره رقل بالروم حتى نزل إنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبل وعامله، وتك القبائل من قضاة وغسان بشر كثير.

(١) الطبري ١/٤/٢٠٨٩.

(٢) القدس حالياً

(٣) نفس المرجع السابق - اذكره واذكر الصفحات.

اسوارها، وبعد ان استطاع خالد بن الوليد ورجاله من التسوُّر وفتح ابواب المدينة للمسلمين ولكن أبا عبيده اوفى بعهده لأهل دمشق.

### أسباب الانتصارات الاسلامية على الرومان

لسنا بعيدين عن الأسباب التي أدت الى الانتصارات الحاسمة لقوات المسلمين على الفرس، والرومان حيث كانوا يعيشون تقريباً نفس الظروف اللهم بعض الانتصارات التي حققوها على الفرس في مطلع القرن السابع الميلادي، فرفعت من معنوياتهم وزادتهم أنفة وكبرياء ومظاهر، أما داخلهم فهو متعفن من الرشوة والفساد والتنافس والتناحر، والاختلاف الديني بين الكنيستين البيزنطية والسورية. أضف الى ذلك بأن الكثير من الرومان، بما فيهم الأمبراطور هرقل لديهم بُبوءات عن العرب المسلمين وماذا سيحدث اذ ان هذا مكتوب في الانجيل ولكنهم كابروا وأخذتهم العزة بالاثم فكان مصيرهم واحد وودَّعوا بلاد الشام وداعاً لا لقاء بعده





## الباب الخامس

### الفصل الأول

# مبادئ الحرب

- ١ - تعريفات.
- ٢ - نبذة تاريخية.
- ٣ - تطور مبادئ الحرب.
- ٤ - تطبيق مبادئ الحرب.
- ٥ - مبادئ الحرب عند بعض المفكرين والقادة.
- ٦ - مبادئ الحرب عند بعض الدول.

## تعريفات :

- مبدأ (١) الحرب : هو دليل عسكري أساسي يزيد العمل به فرصة الحصول على نتائج أفضل اذا طبق بشكل صحيح في الوقت المناسب، أو هو حقائق أساسية تؤثر على تنفيذ الحرب، ويقول آخرون أنها دلائل عقلية يمكن تطبيقها في كافة العمليات، وعلى مختلف المستويات (٢).
  - المبدأ : هو العلاقة الشاملة ما بين السبب والنتيجة، أما بالنسبة لمبادئ الحرب فإنها لا تبين العلاقة ما بين السبب والنتيجة، أي ما بين تطبيقها والنصر في المعركة (٣) مثلاً فإذا طبق مبدأ الدفاع لجميع الجهات في معركة دفاعية لا يعني ضمان نجاح ذلك الدفاع.
  - المبدأ : هو عنصر قوة أو قانون أولي ينتج أو يقرر نتائج خاصة، وأنه الأساس النهائي الذي يعتمد عليه وجود شيء ما (٤).
  - المبدأ : هو حقيقة جوهرية تؤسس عليها أو تنبع منها الحقائق الأخرى، وأنها قانون أو عقيدة تشتق منه القوانين والعقائد الأخرى (٥) أو هو الأفكار أو القواعد الجوهرية التي تحدث بموجبها الفعاليات العملية في ميدان محدد .
  - المبدأ : هو دليل اداري ثبت نجاحه قديماً، وقد استخدم كتحذير بأن تجاهله يعني مخاطره. ومن المحتمل أن تجلب الفشل، وهو ليس قانون القوانين العلوم الطبيعية، حيث يتوصل المراقبون لبعض الظواهر المعينة إلى نتيجة محتومة، وهي ليست كقواعد الالعاب، وأن خرقها يتطلب عقوبة معينة (٦).
- وأخيراً فإن مبادئ الحرب : هي دلائل توجه التخطيط وادارة العمليات وقد جربت وفحصت واثبت تطبيقها نجاحاً والأهمال بها فشلاً في الحرب، وهي ليست تقليداً أعمى بل دليلاً واضحاً بأن عدم الانتباه لها، أو لأحدها قد يجبرنا إلى مخاطر غير محسوبة يستغلها العدو لصالحه.

## نبذة تاريخية :

الحرب قديمة قِدَم الوجود نفسه، مارسها الانسان بكل جوارحه ليؤمن لنفسه البقاء، أو لتحقيق أطماع مغروسة في نفسه، ومع مر العصور تطور الانسان، وتطورت معه آلة الحرب،

(١) الاصل فيها بدأ اي افتتح أو قَدَّم في العمل والمبدأ هو الاصل (انظر المنجد في اللغة والاعلام ص ٢٨).

(٢) كراسة الاستراتيجية لكلية القيادة والاركان الملكية الاردنية.

(٣) محاضرة الدفاع لكلية الاركان العراقية.

(٤) قاموس اكسفورد - عن مبادئ الحرب في العصر الحديث للعقيد الركن حازم عبد الرزاق.

(٥) المجلة العسكرية الأمريكية ملترى ريفيو (العدد ١١ تشرين ثاني ١٩٨٠) بقلم المقدم ريتشارد م. سوين.

(٦) كراسة استخدام القوة رقم ٣٩٤ (عراقية) ص ١٦.

بعضها كان بطيئاً واستمر حقبا طويلة من الزمن، وبعضها أحدث ثورة مفاجئة في العلم العسكري، ولم يكن الانسان جامداً حيال هذا التطور، فكان لا بد له من التجاوب مع الابتكار والتجديد، وتتفقت عبقريته بتأثير حاجاته الملحة عن فنون حربية جديدة لازمت هذا التطور في المعدات والأسلحة.

لو عدنا الى الماضي القريب لوجدنا أنه لم يكن هناك ما يسمى بمبادئ الحرب بمعناها الواضح المتبنى من قبل الدول في القرن العشرين، بل كان هناك فنون وأساليب وطرائق وغيرها من المصطلحات، غير المعتمد بها هذه الأيام، بل يقولون بأن القائد فلان طبق مبادئ الحرب كذا وكذا ولم يطبق المبدأ الفلاني، أو أغفله، ولهذا فشل في تنفيذ معركته وأما في دراستنا التاريخية فإننا نقرأ عن خالد بن الوليد وكيف كان قائداً فذاً في اختراق الصحراء، وإسعاف قوات المسلمين في الوقت المناسب، ولم نسمع بأن الطبري في تاريخه، أو المسعودي، أو ابن اسحاق قال بأن خالد قد حقق المباغته، أو طبق مبدأ الشؤون الادارية بشكل جيد، أو أمن مبدأ التحشد، وكذلك هانيبال أو الاسكندر لم يستطع المؤرخون أن يتوصلوا الى فن حربي مكتوب أقدم مما كتب عن القائد الصيني (صن تزو) وأن أول معركة تيسرت حولها وثائق مفصلة كانت معركة قادش سنة ١٢٨٨ قبل الميلاد، التي دارت بين الجيش المصري الفرعوني بقيادة رمسيس الثاني والجيش الحثي<sup>(١)</sup>. وهذا يثبت أن قدماء المصريين قد أتقنوا فنون الحرب، وطبقوا مبادئ الادارة والحشد والخدعة، وكذلك فإن الدول التي أسست بنيانها في بلاد ما بين النهرين على أساس عسكري، فالجيش الكلداني والجيش الامبراطوري الاشوري أشتهرت بالتنظيم، والتعبئة، وفن استخدام القتال، رغم أن الوسائل الحربية كانت محدودة. أشتهر اليونانيين، والرومان، والفرس ببناء امبراطوريات عظيمة عبر التاريخ، واستخدموا فنوناً حربية قد تكون جديدة في عهدهم كاستخدام الفيلة، وتنظيم الكراديس، والمناورة بالخيالة، وحشد اكبر ما يمكن من القوات، والأساليب الدفاعية عن المدن والحصون، ولكن هذه كان تطورها بطيئاً لقرون عديدة.

مع ظهور عصر الفتوحات الاسلامية بدأ عصر الخيالة (حرب الحركة)، واضطرت الامم الأخرى لمجاراتهم، ولكن المسلمين كانوا سباقين في هذا المجال، فحققوا الفوز في معركة اليرموك، والقادسية، وما تبعهما من معارك لاحقة، ففي معركة عمورية سنة ٧٩٨ ميلادية بين القوات العباسية والرومانية، حشد المسلمون ما يزيد على مائة الف مقاتل. طبق المسلمون فنوناً حربية استمدوها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومنها المفاجأة، والادارة، والتعرض وخفة الحركة والمعنويات والعقيدة، وكانت الشهادة مبدأ لديهم، فأحبوا الموت لتوهب لهم الحياة، والشهادة مرتبطة بالمعنويات والعقيدة، وذكُر أنهم اعتمدوا (بث العيون) في معظم معاركهم ومغازيهم، وهذه تعتبر مثلاً جيداً للاستخبارات.

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث للعقيد الركن حازم عبد الرزاق شهاب.

يدعي كثيرون بأن سبب نجاح المسلمين في معاركهم بالقدرة الالهية وهذا لا مجال فيه للشك، ولكن المسلمين أخذوا بأسباب القوة والنصر وأمرهم الله تعالى بحشد القوى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، واعتماد المناورة وقابلية الحركة (ومن رباط الخيل) والاستفادة من حشد القوة بردع العدو (ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وأمرهم كذلك بالتمسك بمواضعهم والصمود في القتال وعدم الانسحاب من القتال الا لأسباب واضحة (إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة)، وكذلك فإن الرسول ﷺ ركز على القوة النارية بقوله: - (الا أن القوة الرمي، الا أن القوة الرمي، الا أن القوة الرمي) وقال أيضاً: (أرموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا) أما قادة الأمة الاسلامية من الخلفاء والأمراء والقادة فنلمس في خطبهم التي مرت علينا فنوناً حربية أصيلة يمكن أن نستفيد منها في عصرنا الحاضر (عصر الذرة)، فهذا الامام علي رضي الله عنه يقول: (خير الدفاع ما كان هجومياً) وهذه تعتبر من الفنون الحربية الحديثة في القرن العشرين.

يرجع الفضل في تنظيم فنون الحرب ووضع مبادئ محددة لها إلى الملك السويدي غوستاف أدولف في القرن السابع عشر، وأظهر بجلاء أدوار المناورة والادارة والاتصالات، أما فردريك الأكبر فقد وضع مبادئ خاصة للحرب استفاد منها قادته. لقد أظهر نابليون في نهاية القرن الثامن عشر أفكاراً جديدة مثل - التحشد وقابلية الحركة، وبالرغم من أن نابليون قد تحدث مراراً عن مبادئ الحرب، إلا أنه حسب رأيه لم يجد الوقت الكافي لتأليف كتاب يوضح فيه مبادئ الحرب بصورة دقيقة حتى يكون في متناول العسكريين، ومع أنه لم يفعل ذلك إلا أن ثقته لم تتزعزع في الهجوم كعامل حاسم، معتمداً على السرعة لكسب الوقت ولتحقيق المفاجأة الاستراتيجية، وكذلك إصراره على حشد قوات متفوقة وخاصة في موقع الهجوم الحاسم.

(لقد كانت حملات نابليون بونابرت مثاراً لأفكار البارون هنري جوميني، واللواء كارل فون كلاوزوفيتز)<sup>(١)</sup> الذين سطوروا مبادئ الحرب بشكلها الحالي ولأول مرة في تاريخ العلم العسكري، وقد جرت تعديلات كثيرة على هذه المبادئ في وقت لاحق.

بعد اندلاع شرارة الحرب العالمية الأولى، ظهرت أسلحة جديدة استخدمت لأول مرة، وكان تأثيرها بالغاً على ميدان المعركة، ومنها الدبابة والطائرة وهذه سببت تدهوراً وتردياً للسوق والتعبية في آن واحد، واضطرت الجيوش لتطوير واتباع مبادئ جديدة لتوجيه عملياتها القتالية، أما الجيش الامريكي فلم يغير فنون وأساليب القتال لديه، إلا بعد انتهاء الحرب في سنة ١٩١٨م، وقد ظهرت في كتاب انظمة التدريب الصادرة عن وزارة الحربية عام ١٩٢١<sup>(٢)</sup>. أما في بريطانيا فقد تبنى الجيش مبادئ فوللر، وقد ظهرت في انظمة خدمة الميدان السفيرية لعام ١٩٢٩<sup>(٣)</sup>

(١) المجلة العسكرية الامريكية ملترى ريفيو العدد ٩ لسنة ١٩٨١ - مقال بقلم الفريق دون - ١ - ستاري.

(٢) نفس المصدر أعلاه.

(٣) الحرب في عصر الردع - اللواء د.ك باليت الهندي.

عند نشوب الحرب العالمية الثانية كانت هناك دولاً لا تزال تتمسك بأسس ومبادئ الحرب الأولى مثل فرنسا، فانهارت وانهار معها خطها الدفاعي (ماجينو)، الذي تحصنت وراءه بينما في الجانب الآخر فإن ألمانيا قد طورت فنونها وأساليبها ومبادئها، واعتمدت حرب الحركة والناوارة، فنجحت في كثير من المواقف، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك العديد من المبادئ الجديدة، التي تم اعتبارها من قبل الدول المتحاربة، ومن قبل المنظرين العسكريين الذين كانوا يراقبون الحرب عن كثب ويدونون الظروف والنتائج لكل معركة. بعد الحرب العالمية الثانية جرت حروب تقليدية مثل حرب القرم، الحرب الكورية، حرب فيتنام، والتي لم تؤثر كثيراً على مبادئ الحرب وأما حرب رمضان، فقد كان تأثيرها بالغاً بحيث أضعفت أهمية بعض المبادئ كالأمن والتعاون والحشد وأضاف أهمية أخرى إلى مبادئ المرونة، وقابلية الحركة، والمفاجأة، والسرعة، والاستخبارات. من الصعب عرض علاقة نسبية بين المبادئ ونتائج الظفر أو الفشل في المعارك، لأنها ليست سبباً ونتيجة، ولا يوجد أي اتفاق بين الدول في تبني هذه المبادئ فلكل دولة مبادئها الخاصة بها، وكذلك المنظرون العسكريون أمثال كولن، فوش، مولتكه فولر، ليدل هارت وغيرهم، فلم يتفقوا على اتباع مبادئ معينة، ولذا فإنني سأناقش المبادئ المتفق عليها بشكل عام بين الدول بشكل تفصيلي، وأما المبادئ الأخرى فسأتعرض لها بإيجاز قدر الامكان.

#### تطور مبادئ الحرب

هل اكتشفت مبادئ الحرب، كما اكتشفت الذرة، أو النحاس، أو قانون نيوتن، وبعدها أصبحت قوانين، وأسس جامدة لا تقبل التغيير، أو التحوير، كما هو في قاعدة أرخميدس، أو نظرية فيثاغورس؟ أم عكس ذلك حدث خلال الحروب حيث تمت الاستفادة من مواقف معينة، اصطُح عليها اسماً معيناً؟ وقد تكرر هذا في أكثر من معركة لصالح المدافع أو المهاجم، وقد تم القبول بتبنيها في كل موقف مشابه لدى المهتمين به والباحثين عنه، لقد اختلفت الجيوش في تثبيت مبادئ الحرب، وكذلك شأن الكتّاب والقادة العسكريين فبعضهم اعتمد على ثلاثة مبادئ، والآخر اعتمد على أربعة عشر، وآخر أقل أو أكثر مع الاختلاف في التسمية والموقف. لهذا فمبادئ الحرب ليست قوانين جامدة، وإنما عرفها القُدماء واستنبطوها من دراسة عوامل النجاح والفشل، وطوّرها الحاضرون كل حسب عقيدته ومفاهيمه التعبوية والسوقية.

ان مبادئ الحرب لمختلف الدول ليست جامدة وليدة الماضي، بل إنها في تغير مستمر نتيجة الخبرات الجديدة، والتغير المستمر في فنون الحرب وأساليبها النابعة من تطور المعدات والوسائل القتالية الجديدة، لذا فإن العسكري المحترف عليه ان يتصور الاتجاه الجديد في التغيير، ويحسب له حساباً، يقول الجنرال (فريدريك ب موريس) ! (ليس هناك قوانين وانظمة ثابتة لفن الحرب وحتى لمبادئها فإنها سيّالة وتحتاج إلى إعادة فحص وتقييم على ضوء التغيرات التي تحدث بين حين وآخر) يظهر في العالم أن هناك نظريتين تتعلقان بتطوير علم الحرب

ومبادئها، فهناك أصحاب نظرية التجربة التاريخية ويعتمد هؤلاء في حججهم أن علم الحرب يتطور بناء على ما حدث، فنحن نستفيد من تجارب الماضي ونطوّر مبادئنا للمستقبل، وهناك أصحاب نظرية تطور الأسلحة، وحجة هؤلاء أن مبادئ المستقبل تُبنى على ما قد يُستحدث من معدات وأسلحة متطورة، وهؤلاء يرون أنه يجب تطوير وسائل الصراع بغض النظر عن أي تفكير أو مفهوم آخر وما على مستخدمي هذه الوسائل إلا التدريب واختيار الوسائل المناسبة لاستخدامها في العمليات يظهر بجلاء أن أصحاب هذه النظرية يقللون من أهمية التجارب التاريخية ومن أهمية مبادئ الحرب، وهم يعالجون الصراع على أساس أن لكل فعل رد فعل، فظهور الدبابية أدى إلى ظهور المدفع المضاد، وظهور الطائرة أبرز إلى حيز الوجود المدفع المضاد للطائرات جاءت تجارب الحرب المحدودة بين العرب وإسرائيل لتبرهن على ضعف هذه النظرية، إذ ظهر أنه من المستحيل الاعتماد على التّقنية بمعزل عن القوات ومبادئ الحرب، فعاد أصحاب هذه النظريات إلى تاريخ فن الحرب وبرمجوه بحيث يتوافق مع نظرياتهم، فأخذوا بالموازنة بين وسائل الدفاع والهجوم وانصرفوا للبحث عن أحجام الجيوش المتصارعة، وما يتوفر لها من مميزات وما نطبقه من مبادئ، وخرّجوا هذه المعلومات في العقول الالكترونية وأخذوا بتطبيق ما يسمى (لعبة الحرب).

كان لتطور الأسلحة الهائل أثره الفعال في مجال القتال، فلم تعد عوامل النصر أو الفشل مقتصرة على عدد الرجال وقوة بأسهم، بل تعددت أسباب قوة الجيوش ومن بينها المعنويات والتسليح والتنظيم والتدريب الجيد والثقافة العسكرية العالية، وصار لزاماً على الجندي أن يستغل التطور التقني بمعرفة السلاح وخصائصه المبتكرة، وذلك يتطلب قدراً كبيراً من الممارسة والخبرة. إن التقدم التقني أدى إلى إبراز فنون ومبادئ حربية تطورت هي أيضاً في الزمان، والمكان حتى غدت في جملتها علماً عسكرياً ينهل منه كل فرد عسكري في الحاضر مستفيداً من خلاصة معرفته لتجارب الماضي.

### تطبيق مبادئ الحرب :

نسمع ونقرأ كثيراً بأن الجنرال مونتغمري يطبّق مبادئ الحرب بشكلها الصحيح، ولهذا كان ينجح في معاركه، وبالمقابل كنا نسمع عن روميل أنه كان يضرب بالمبادئ أحياناً عرض الحائط وينجح أيضاً. إذن فما هو المقياس وهل هناك خلل في المبادئ؟ وإلا كيف نطبق وننجح ولا نطبق فننجح أيضاً، هل هو لغز أم هناك شيء آخر؟ وهنا يجب أن لا يغيب عن بالنا بأن مقياس المبادئ ليس النجاح أو الفشل في الحروب، وهي ليست مطيّة يركبها الخائب فتوصله إلى بر الأمان، وإنما هي عوامل مساعدة إذا تم تبنيها، فالنتائج قد تكون ايجابية، وإذا لم يتم تبنيها فالنتائج قد تكون سلبية وهذا يعتمد على عوامل أخرى أيضاً موجودة في الخصم، فلو طبّق روميل في معركة العلمين كل المبادئ المعروفة في عصره هل كان سينجح؟ والجواب كلا،

والسبب في ذلك أن العدو يتفوق عليه بالنوعية والكمية، وبنفس الوقت لديه أسباب النجاح من تدريب وتنظيم واختيار جيد للمبديء أيضاً.

اذن فإن فن الحرب يكمن في التطبيق الصائب للمبديء المختلفة، ويعتمد استخدام أي منها على طبيعة المعركة والظروف المحيطة، ولا يمكن ايجاد موقفين متشابهين في الحرب، ولهذا لا يوجد مقياس ثابت أو قاعدة معينة لكيفية تطبيق المبديء، وعلى القائد ان يقرر الأهمية النسبية للمبديء المتعارضة في موقف ما ليقرر أي المبديء سيأخذ بها وأيها سيتركه، وإن تقدير أهمية مبدأ ما في موقف معين علامة القائد العسكري الناجح.

ان معرفة وتفهم مبديء الحرب لن يضمن وحدة النجاح في المعركة، اذ أن هناك أموراً أخرى تساهم في ذلك ومنها توفر مقومات المعركة والصفات الشخصية للقادة والجنود كالشجاعة والمعنوية والتصميم، إلا أن تفهم مبديء الحرب ضرورة لتنوير القادة وتوسيع مداركهم خاصة وأن هذه المبديء لم تنبع من الفراغ بل هي حصيلة خبرات طويلة لقادة عسكريين عبر التاريخ.

ان التطبيق الحالي لمبديء الحرب التي وجهت اعمال ميادين القتال لغاية الآن، قد اقتصر بشكل واضح على النواحي التعبوية وأهمل الجانب السوقي. ان الحاجة تدعونا إلى إغارة السوق اهتماماً بشكل أكبر والنظر إلى الحرب بشمولية وفي هذا يقول الجنرال السير (ادوارد هاملي) ! (اننا غالباً ما نعالج السؤق والتعبية كمواضيع مستقلة وهذا يصعب تجنبه، لكن من الضروري أن تدرك ذلك عند التطبيق فالاثنتان لا يمكن أن يفترقا أبداً فالاعتماد المتبادل بينهما يجب أن يُلاحظ ويؤخذ بنظر الاعتبار<sup>(١)</sup>).

- مبديء الحرب عند بعض المفكرين والقادة<sup>(٢)</sup>.

١ - صن تزو ٥٠٠ قبل الميلاد

أ - الاستخبارات.

ب - المباغتة.

ج - النصر هو الهدف.

د - قابلية الحركة / الطاقة.

هـ - تحشيد القوة / الكتل

(١) آرمي جورنال الامريكية - العدد ٢٧٢ (كانون الثاني ١٩٧٢) - مقال بقلم المقدم د. ج - مكبرايد بعنوان مبديء الحرب الأساسية.

(٢) كراسة العمليات التعرضية لكلية القيادة والاركان الملكية الاردنية ومبديء الحرب في العصر الحديث للعقيد الركن حازم عبد الرزاق شهاب.

٢٣- مبادئ الحرب النابليونه ١٨٠٠ م

- أ - السرعة
- ب - الحركة
- ج - المفاجأة ( المباغتة )
- د - الحشد
- هـ - الأمن ( الحماية )

٢ - كلاوزوفيتز ١٨٣٠ م

- أ - انتخاب وتوخي الهدف
- ب - الاقتصاد بالجهد
- ج - المباغتة
- د - المطاردة
- هـ - العمل التعرضي
- و - قابلية الحركة / الطاقة
- ز - الرأي العام
- ح - تحشيد القوة

٣ - هندرسون ١٨٩٩ م.

- أ - الأمن.
- ب - البساطة
- ج - المطاردة
- د - تحشيد القوة / الكتل

٤ - فوش ١٩٠٣ م.

- أ - الأمن
- ب - الاقتصاد بالجهد
- ج - حرية العمل
- د - المباغتة
- هـ - التوزيع الحركي للقوات

٥ - مفكرة الحرب البريطانية.

- أ - الأمن
- ب - انتخاب وتوخي الهدف
- ج - الاقتصاد بالجهد
- د - البساطة
- هـ - المباغتة
- و - العمل التعرضي
- ز - قابلية الحركة
- ح - تحشيد القوة
- ط - التعاون / وحدة القيادة.



٦ - فوللر ١٩٢٣ م

- أ - الأمن
- ب - انتخاب وتوخي الهدف
- ج - الاقتصاد بالجهد
- د - المباغثة
- هـ - العمل التعرضي
- و - قابلية الحركة
- ز - تحشيد القوة
- ح - التعاون / وحدة القيادة.

٧ - ليدل هارت ١٩٣٢ م - (١)

- أ - الاستثمار
- ب - لا تحاول تعزيز الفشل
- ج - لا تضرب اذا كان بمقدور خصمك تجنب الضربة
- د - المباغثة
- هـ - المعنويات

٨ - مونتغمري (١) ١٩٤٥ م

- أ - الاستخبارات
- ب - المباغثة
- ج - المعنويات
- د - العمل التعرضي
- هـ - قابلية الحركة
- و - القدرة الجوية
- ز - الشؤون الادارية
- ح - تحشيد القوة
- ط - التعاون

(١) وضع ليدل هارت مبادئه في عام ١٩٢٤م وكذلك عام ١٩٢٩م وتخلى عن بعضها في عام ١٩٣٢ ومنها الأمن والاقتصاد وبالجهد وانتخاب وتوخي الهدف. ليدل هارت كاتب ومفكر الماني كتب حوالي ٢٧ كتاباً في مجال فن الحرب بين عامي ١٩١٨ - ١٩٥٠.

(١) قائد بريطاني مشهور في الحرب العالمية الثانية.

٩ - ماكلين ١٩٤٨ م

أ - الأمن

ب - انتخاب وتوخي الهدف

ج - المباغثة

د - المعنويات

هـ - المرونة

و - العمل التعرضي

ز - الرأي العام

ح - الشؤون الادارية

ط - تحشيد القوة

- مبادئ الحرب عند بعض الدول :

لكل أمة مبادئ حرب خاصة بها، وهي سواء كانت مكتومة أو معلنة أو غير مكتومة وغير معلنة، هي بمثابة أفكار جوهرية يهتدي بها قادة الأمة لوضع خططهم العسكرية، تحدد كل أمة مبادئها مستندة الى عقيدتها السياسية ووضعها الاجتماعي، والاقتصادي والجغرافي، وامكاناتها البشرية والعلمية، وبالنظر بنفس الوقت إلى العدو المقابل. من المتعارف عليه بأن هناك مذهبين عسكريين، هما المذهب الغربي، والمذهب الشرقي، وهناك الكثير من الدول الصغيرة من يتبع أحد المذهبين لعدم القدرة على تحديد سياسة قومية واضحة، أو لأسباب خاصة بنفس الدولة. تاليا بعض الدول التي لديها مبادئ متبناه: (١).

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث للعقيد الركن حازم عبد الرزاق وكراسة العمليات التعرضية لكلية القيادة والاركان الملكية الاردنية.

عصر صدر الاسلام الغاية	المانيا الغربية	الهند	الباكستان	اسرائيل	الصين الشعبية	فرنسا	روسيا	الولايات المتحدة الامريكية	بريطانيا و استراليا و العراق
المهمة	انتخاب وتوخي الهدف	ادامة القصد	انتخاب وادامة القصد	التعبئة السياسية وادامة القصد	الترغبة في تحقيق قصد واحد	تعبية السوق العسكري للسياسة وتحديد الهدف	الهدف	الهدف	انتخاب وتوخي الهدف
الاستخبارات	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
العمل التعرضي	العمليات التعرضية	العمل التعرضي	العمل التعرضي	العمل التعرضي	—	—	—	التعرض	التعرض
—	جميع القوات المتوفرة	تحشيد القوة	التحشد	العمل التعرضي	تحشيد الجهد	حشد الجهود الرئيسي على الاتجاهات الرئيسية للعدو	التحشد	التحشد	الكتل
تحشيد القوة	—	الاقتصاد بالجهد	الاقتصاد بالجهد	الاقتصاد بالجهد	—	—	الاقتصاد	الاقتصاد	الاقتصاد بالقوة
قابلية الحركة	قابلية الحركة	—	قابلية الحركة	قابلية الحركة	—	—	المناوره	المناوره	المناوره
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
وحدة القيادة	—	التعاون	وحدة القيادة	وحدة القيادة والتعاون	التنسيق	—	توحيد الجهود المشتركة	التعاون	التعاون
—	—	—	—	—	—	—	—	—	وحدة القيادة
—	—	—	—	—	—	—	—	—	التعاون

(٢) سيتم التعرض لمبادئ الحرب في عصر الاسلام بشكل تفصيلي في وقت لاحق.

—	الأمن	الأمن	الأمن	—	الأمن	—	—	الأمن	الأمن	الأمن	الأمن	١٣
—	—	—	—	—	—	—	وقاية الاهداف الحيوية ضد الهجوم المعادي	—	—	—	—	١٤
—	—	—	—	—	—	—	احتياط سوقي واحتياط دولي	—	—	—	—	١٥
المباغته	المباغته والخدعة	المباغته	المباغته	المباغته	المباغته	المباغته	المباغته والمخادعة	المباغته	المباغته	المباغته	المباغته	١٦
المعنويات والعقيدة	—	ادامة المعنويات	الايمان والمعنويات	ادامة المعنويات	الروحية	—	المعنويات بين الشعب والقوات المسلحة	—	المعنويات	—	ادامة المعنويات	١٧
—	—	—	—	—	الثقة	—	—	—	—	—	—	١٨
الشؤون الادارية	—	الشؤون الادارية	الشؤون الادارية	—	الاستحضارات	—	—	—	—	—	الشؤون الادارية	١٩
—	—	—	—	—	—	—	الاستعداد القتالي العالي	—	—	—	—	٢٠
—	—	—	—	—	—	—	الاسناد الشامل للمعاملات السوقية	—	—	—	—	٢١
—	—	—	—	—	حرية العمل أو المرونة	حرية العمل	—	—	—	—	المرونة	٢٢
الشهادة هي الهدف	—	المرونة	البساطة	المرونة وقابلية الحركة	—	—	—	البساطة	البساطة	البساطة	—	٢٣
—	—	—	—	—	—	—	النجاح يعتمد على التطور الاقتصادي والعلمي للدولة	—	—	—	—	٢٤

## الباب الخامس الفصل الثاني

مبادئ الحرب الأساسية

- ١ - الأمن
- ٢ - الهدف
- ٣ - المفاجأة
- ٤ - الحشد
- ٥ - الاقتصاد بالجهد
- ٦ - التعرض
- ٧ - المعنويات
- ٨ - المرونة
- ٩ - الشؤون الادارية
- ١٠ - التعاون

## مبادئ الحرب الأساسية

### ١ - الأمن

الأمن هو مجموع الاجراءات والتدابير التي تضع القيادة، والقوات في مأمن من المباغته وتسمح للقائد بالحصول على الفترة الزمنية اللازمة والمنطقة الارضية الضرورية لاجراء المناورة التي يخطط لها ويصمم على تنفيذها<sup>(١)</sup>. تتبنى معظم الدول الشرقية والغربية هذا المبدأ، وقد وضع أساسه المنظر العسكري (قوللر)، وأخذت به بريطانيا وروسيا واعتمده بصورة أساسية في التخطيط. ان مبدأ الأمن عُرف قديماً، منذ نشأة العلم العسكري وتطور مع تطور الأهداف والوسائل، ويعتبر سور الصين العظيم من أقدم الاجراءات الامنية في التاريخ، عندما اتسعت رقعة الدولة الرومانية ولم يعد باستطاعة قواتها مجابهة كل الاحتمالات، وعلى جميع الجبهات فقد انشأت تحصينات على امتداد أوروبا وآسيا وافريقيا أسمتها (الليمات وهي عبارة عن مراكز دفاعية تتوفر فيها جميع المتطلبات الحياتية، وهدفها الأول دفع الهجمات المباغته، وكانت هذه بمثابة حاجز الأمن للدولة الرومانية). عندما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق وتغلبوا على دولة فارس والروم وسيطروا على مناطق شاسعة، اصبحت قواتهم عاجزة عن متابعة الهجوم في جميع الجبهات، ولذلك نظموا الثغور على حدود الدولة الرومانية، ومزجوا مفهوم الهجوم بالدفاع، فكان لديهم الهجوم الوقائي، وكانت جيوش الصوافي والشواتي نموذجاً متطوراً أمكن بواسطته تكريس الجهد الأكبر للعمليات الهجومية فوق مساح العمليات المختلفة، مع تخصيص قوات للمحافظة على الأمن تجاه العمليات غير المتوقعة على الجبهة الرومانية. ادرك المسلمون انهم لا يستطيعون تحقيق الأمن مع بقاء السيطرة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط بيد الرومان، فعملوا على انشاء أساطيل بحرية، وانتزعوا من الرومان مجالهم الحيوي، واصبحت القوة البحرية العربية هي المسؤولة عن الأمن في البحر الأبيض، عندما سقطت الدولة الأموية على يد العباسيين وقامت الدولة الأموية في الأندلس. ووجد أمويو الأندلس انفسهم امام موقف جديد في مجابهة دول الشمال، فلجأوا الى انشاء الثغور وعمل الصوافي والشواتي وتحولت عملياتهم الى استراتيجية للردع، امكن لهم بواسطتها الحفاظ على أمن الأندلس.

الأمن هو انعكاس للقوة القتالية، والقوة العسكرية، والقوة القومية، ويضمن هذا المبدأ منع العدو من معرفة نوايانا ومنع العدو من تحقيق المفاجأة وبنفس الوقت يسمح لنا بحرية العمل، ويضمن هذا المبدأ في الاستراتيجية العظمى حماية الوطن، أما في استراتيجية الميدان فيتضمن درجة معنية من الأمن لضمان حرية العمل وشن التعرض. بسبب تطور المعدات

(١) الموسوعة العسكرية.

والتقنية الحديثة العالية جعلت من الحصول على مبدأ الأمن شيئاً صعب المنال. (١)

يؤمن مبدأ الأمن توازن القوات: ويعتمد على الموقف الجوي الملائم، أمن القواعد، خطوط المواصلات، المناطق والنقاط الواهنة، امن الاجنحة، الاحتفاظ باحتياط كافي في مكان ملائم، ويحتل الأمن أهمية قصوى في مراحل التخطيط للعمليات. اذا استطعنا القضاء على المخاطر المحتملة وتحقق الأمن ووزعت الموارد بصورة صحيحة، فإن مرونة التنفيذ تأتي طوعياً، ولا يمكن سبق النظر بمتطلبات الأمن الا كمعلومات كافية وموقوته التخطيط والتحضير، يجب ان لا يسمح للعدو بالحصول على فائدة غير متوقعة.

يتطلب الأمن في المستوى السوقي اتخاذ التدابير الايجابية والسلبية لحماية الدولة والقوات المسلحة تجاه الجاسوسية والتخريب، والحصول على الاستخبارات السوقية والأفكار الهدامه، او على أية حال فإن ما يتبع تلك التدابير الأمنية يجب ان لا يؤثر على الصلة بين الجيش والشعب، وأن لا تؤثر على المرونة العقلية والفعلية، وأن لا تؤدي الى الجمود لأن في الجمود وهناً. ان الفهم التام للسوق المعادي وتعبياته وعقائده بجانب تخطيط الأركان السوقي المفصل من شأنها ان تحسن مستوى الأمن وتقلل درجة الوهن تجاه المفاجأة المعادية.

أما في المستوى التعبوي، فنجد أن الأمن أساس الحماية ومرتبطة بالقدرة القتالية، وينتج عن التدابير المتخذة من قبل القيادة لحماية نفسها من المفاجأة، والرصد، والاستطلاع، والتدخل المعادي، ويمكن تحقيق الأمن من خلال تأسيس وإدامة تدابير الحماية تجاه العدو، ويمكن ضمان ذلك بعمليات الخدعة المصممة لارباك العدو، وتبديد جهوده، ومحاولاته للتدخل بالقوة الجاري حمايتها. (٢)

- أ - الأمن العسكري: هي مجموعة الاجراءات والتدابير التي تتخذها الجهات الامنية المعنية لمنع العدو من الحصول على المعلومات عن القوات المسلحة والامكانيات الاقتصادية والصناعية والعلمية والبشرية وغيرها من المعلومات ذات العلاقة بالمجهود الحربي.
- ب - الأمن القومي: هي مجموعة التدابير المتخذة في دولة للحفاظ على أمنها وسيادتها القومية من خطر اخضاعها لسيطرة قوة اجنبية او امن سيادتها وتشمل هذه التدابير، التحالفات العسكرية مع دول اخرى ومعاهدات الدفاع المشترك كما عرّف الأمن القومي بأنه المحافظة على سيادة دولة ما عن طريق المحافظة على استقلالها الداخلي والخارجي.
- ج - أمن القتال (المعركة). هي التدابير الواجب اتخاذها من قبل جميع الوحدات والتشكيلات في ساحة المعركة وفي كافة صفحات القتال لمنع العدو من مفاجئة القطعات والحاق الخسائر بها وتتضمن هذه التدابير المتخذة لتحقيق الأمن في المعركة الحديثة ما يلي:
- أ - تأمين استطلاع مواقع العدو وفعالياته واحتياطاته ومناطق تجمعه.. الخ.

(١) كراسة العمليات التعرضية الاردنية.

(٢) مبادئ الحرب في العصر الحديث.

ب - تجهيز وسائل انذار كفوءه لانذار القطعات عن تقرب العدو.

ج - اتخاذ تدابير التخفية والتستر والانتشار فوق مسرح العمليات.

د - تخصيص قطعات حماية أمام القوات وخلفها وعلى جانبيها.

هـ - اتخاذ التدابير الامنية السلكية واللاسلكية والالكترونية.

و - الوقاية من أسلحة التدمير الشامل.

ز - الدفاع الجوي تجاه الضربات الجوية المعادية او تقليل تأثيرها بالاجراءات

السلبية والايجابية.

ح - الاحتفاظ بالقوة الرئيسية متوازنة واحتياط كافي قادر على رد الفعل في جميع

الظروف.

د - الأمن العالمي : هدف عام لدول تتعاون للمحافظة على أمنها القومي وينظر الى إقامة

منظمات تحالف كبيرة ضد الغزاة مثل التحالف ضد لويس الرابع عشر وضد نابليون

وهتلر وحلفاء الأطلسي وحلف وارسو والدفاع العربي المشترك كإحدى الوسائل

للمحافظة على السيادة القومية وهناك وسيلة أخرى لها صبغة جماعية تتمثل في اندماج

الدول في منظمات مثل الأمم المتحدة وعصبة الأمم قبلها وأقامة هيئة دولية تضمن أمن

وسلامة كل دولة من أعضائها. (٢)

هـ - مبدأ الأمن وارتباطه بالمبادئ الأخرى. إن مبادئ الحرب وثيقة الصلة ببعضها البعض

وعلى القائد ان يستخدم ابداعه الذاتي في تطبيق مبدأ ما وتأثيره على المبادئ الأخرى

وكمثال على ذلك فإن مبدأ المفاجأة يتطلب اجراءات أمنية كالكتمان والتخفية والخدعة

والابتكار والتي ليست إلا تدابير أمنية لاستثمار غاية المفاجأة، أما مبدأ الحشد فيتطلب

حشد قوة مادية كبيرة في مكان أو امكنه معينة وهذه قد تصبح معروفة لدى العدو نتيجة

استطلاع الجوي والأرضي وهذا له تأثير عكسي على عامل الأمن إلا اذا اتخذت ترتيبات

جيدة لمنع استطلاع العدو أو رد فعله. نلاحظ بأن مبدأ الأمن يتأثر بالمبادئ الأخرى

والقائد هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يوازن بين تطبيق المبادئ المختلفة.

و - الأمن في صدر الاسلام : من خلال دراستنا للمعارك في صدر الاسلام نجد ان مبدأ الأمن

لم يُهمل سواء في التخطيط او التنفيذ، ونجد كذلك أن وسائل ووصايا الخلفاء والقادة

جميعها تحث على الأمن فمثلاً نجد في وصية الخليفة عمر إلى سعد بن أبي وقاص عندما

أرسله لفتح العراق يقول له فيها: (ولا يخذ عنكم فإنهم خدعة مكره، أمرهم غير أمركم الا

ان تجاوزهم)، وقال أيضاً (قاتلهم على أدنى حجر من ارضكم وأدنى مدرة من أرضهم

فتكونوا عليها أجراً وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل) وقال أيضاً في رسالته إلى

أبي عبيده عامر بن الجراح (لا تنفذ سريه الى جمع كثير وتقول اني ارجوكم النصر انما

(٢) الموسوعة العسكرية.



يكون مع اليقين والتقة بالله وإيك والتغيرير بالقاء المسلمين الى الهلكة).

أما أبو بكر في وصيته لعمرو بن العاص فيقول له: (وقدّم قبلك الطلائع فيكونوا أمامك) وقال أيضاً في وصيته الى خالد بن الوليد: (وقدّم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل وسر في أصحابك على تعبئة جديده).

هذه بعض من الوصايا ولكن يجب ان نعرف بأن معظم القادة المسلمين كانوا لا يسيرون الا على حبية، أي تأمين الحماية، لقواتهم، وكان خالد بن الوليد لا يتحرك الا بعد تقديم الطلائع وحماية أجنحة القوة ومؤخرتها، أما أثناء معاركهم فظهر هذا جلياً في معركة بدر وتبوك، والبويب، واليرموك، والخندق، وسنأتي على تفصيل ذلك.

## الهدف

هو معرفة القصد التام من العمليات القتالية من قبل القوة العسكرية التي تخوض تلك العمليات، وعليها المحافظة عليه وإدامته. ومن الضروري في ادارة الحرب وفي كل عملية عسكرية انتخاب وتحديد الهدف بوضوح. ان الهدف النهائي ربما يكون تحطيم ارادة العدو على القتال، مع أنه قد يتحدد بالاعتبارات السياسية، وهذا يكون اكثر تحديداً، مهما يكن الهدف النهائي فعلى أية حال فإن كل مرحلة من العملية وكل عملية منفصلة يجب أن توجه باتجاه تحقيق الهدف النهائي. تختلف انواع العمليات والظروف كثيراً، بحيث يمكن ان يكون لدى الأمر اختلافاً كبيراً للأهداف الممكنة، معتمداً على الاسناد السياسي، والقوة النسبية ونوع الأرض. ان انتخاب الهدف الفوري هو من أهم واجبات الأمر ويتطلب تفكير واضح ومنطقي، وقد يكون الهدف دقيقاً ويعبر عنه بتعابير واضحة، ويجب ان لا يكون غامضاً وفوق كل شيء يجب ان يكون قابلاً للتطبيق بالقطعات المتيسرة تحت تصرف القائد.<sup>(١)</sup>

اختلفت الآراء في تسمية هذا المبدأ فهناك من يسميه انتخاب وتوخي الهدف، انتخاب الهدف، الهدفية، غاية الحرب، المقصد، ادامة القصد، القصد، الثبات على المبدأ وتسميات اخرى لها معاني خاصة فوجهة النظر الأمريكية مثلاً تفضل تسمية (القصد) لأنها في نظرهم شاملة للأهداف السياسية والغايات العسكرية.

أما بعض وجهات النظر العراقية فتسمي (تحقيق غاية الحرب) على افتراض (ان غاية الحرب ليست تدمير قوات العدو وتحطيم قدرته على القتال فحسب وإنما تخفيف غايتها لمصلحتنا والمهم تحقيق أهداف السياسة التي رسمت طريق الحرب بحيث يتم الاصرار على ادامة كل الجهود الممكنة لتحقيق السلم الذي تسعى اليه بواسطة الحرب).

(١) كراسة استخدام القوة رقم ٣٩٤، اصدار دائرة التدريب العراقية.

كتب ليدل هارت : ( ان غاية الحرب ليست المعركة نفسها بل دحر الخصم والمعركة وسيلة  
فحسب ضمن وسائل اخرى لتحقيق ذلك الاندحار)<sup>(٢)</sup>. ان اول خطوة في ادارة الحرب هي  
التخطيط واول خطوة في التخطيط بيان الهدف (القصدي) قومياً كان او عملياً، وبعد هذا يستمر  
المخططون بالتخطيط لبيان العمل الممكن الذي يحقق ذلك الهدف على أفضل وجه. كذلك فإن  
(كلاروزوفيتز ١٧٨٠ - ١٨٢١) كمفكر عسكري ساهم في تبيان أهمية الهدف عندما اوضح بأن  
الحرب لا تشن من اجل الحرب نفسها، وانما تشن لتحقيق غاية محددة اسمها بالهدف  
السياسي للحرب، وقال بأن الهدف السياسي هو غاية والحرب هي الوسيلة، التي توصل الى هذه  
الغاية، والوسائل لا يمكن أبداً ان تؤخذ بنظر الاعتبار بمعزل عن أغراضها، من هذا نستنتج ان  
اهمية الهدف متأتية من طبيعته وموقعه في الحرب فهو يمثل هدف الحرب في بعده السوقي  
ويمثل غاية المعركة في بعده التعبوي).<sup>(١)</sup>

بالرغم من اختلاف أشكال الحروب، الا ان العمليات العسكرية لا يمكن ان تنفصل عن  
السياسة، وان قرار استخدام القوة العسكرية يخضع دائماً للسيطرة السياسية، وعندما  
يجري تحليل مبادئ الحرب فيؤكد على جانبي السوقي والتعبوي (العملياتي)، لأن هذين  
البعدين يشكلان الاطار العام لكل مبدأ، فمبدأ الهدف يعتمد اختياره على الظروف السياسية  
والعسكرية والاقتصادية وكل ما يتعلق بشؤون التهيؤ للحرب، وهذه الظروف تختلف من حيث  
قوتها وتأثيراتها، أما على المستوى التعبوي فإن اختيار الأهداف يبني على الوسائل المتوفرة  
والعدو وطبيعة منطقة العمليات، وهذا الهدف يجب ان ينسجم مع الأهداف السياسية. لقد  
اشار كلاروزوفيتز في كتابه (في الحرب) (ينبغي ان تتطابق الحرب تطابقاً تاماً مع النوايا  
السياسية) الا ان هذه النوايا قد لا تكون ثابتة بشكل مطلق ويمكن ان تتغير الى حد كبير خلال  
سير الحرب وربما تتبدل كلياً طالما أنها تتأثر بالأحداث ونتائجها المحتملة.

كان ميكافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) أول من عكس الأفكار المتطورة حول الحرب فألف كتاباً  
اسماه (فن الحرب) وما يهمنها منه، ان السوق عنده يعني تنظيم مصادر الأمة مجتمعة، من أجل  
خوض حرب تستهدف خدمة مصالح الأمة، وقد يكون هذا الهدف اقتصادياً، او سياسياً، او  
قومياً، او دستورياً. أما مفهوم المارشال دي ساكس (١٥٧٠ - ١٦٩٦) فإن الهدف يعني احتلال  
ارض العدو قطعة قطعة حيث كانت الحرب ذات طابع دفاعي تتمثل بالدفاع عن الموانع  
والتحصينات فكانت النتيجة حملات طويلة غير حاسمة ومحدودة الساحة حتى جاء نابليون  
فغير المفهوم من الطابع الدفاعي الى حرب تتميز بالحركة والمناورة، وبدلاً من ان يكون الهدف  
كسب الأرض شيئاً فشيئاً، او الدفاع عن منطقة محدودة اصبح الهدف اجبار العدو على  
الدخول في معركة غير مواتية له فيحقق النصر فيها بتدمير العدو، ونحن لا ننكر بأن الثورة  
الصناعية الفرنسية ساعدت نابليون على تحقيق هذا الهدف بانتاج اسلحة متطورة زادت فيها

(٢) نظرية الحرب وممارستها للجنرال اندريه بوفير تحرير ميشيل هورد ص ١٢٨.  
(١) مختارات سوقية العدد الأول شباط ١٩٨٥ بقلم العميد الركن عبد الرحمن خزعل الجبوري.

الكثافة النارية، اضافة الى قانون التجنيد الذي أصدره نابليون لزيادة الكثافة البشرية.

#### - أسس انتخاب الهدف.

- ان مبدأ انتخاب الهدف (القصود) يجب ان يكون على رأس قائمة المبادئ لكنه لا يكون تاماً الا اذا تضمن انتخاب الهدف وتوحيه وافضل طريقة لانتخابه بما يلي:
- ١ - ان انتخاب الهدف المحلي يجب ان يقرّر ليخدم بدوره هدف القيادة الأعلى التالية وهكذا حتى الهدف القومي.
  - ٢ - حالما نقرر على هدف يجب ان ننحرف عنه حتى يتم تحقيقه.
  - ٣ - يجب عدم اتخاذ اكثر من هدف رئيسي واحد في وقت واحد.
  - ٤ - ان كل عملية يجب ان تفحص بمقدار توجهها نحو الهدف.<sup>(١)</sup>

#### - التطبيق التعبوي لمبدأ الهدف.

يجب ان يدرك القائد في جميع المستويات، ان اغلب فعالياته التعبوية والادارية أو مكافحة عصابات، أو أعمال أمن داخلي، أو غيرها مرتبطة بالأمور السياسية، وعليه أن يقدر ذلك ضمن مستواه، لذا يجب انتخاب وتوخي الهدف بوضوح بحيث يحقق الغاية النهائية، وهي تحطيم إرادة العدو على القتال.

تُبنى العمليات العسكرية على ثلاثة مراحل وهي:

- ١ - التخطيط
- ٢ - والتحصير
- ٣ - والادارة.

أما التخطيط فهو عمل فكري أساسه التفكير والتصور والتخيل، وهو ليس عملاً مجرداً بقدر ما هو مبني على معلومات دقيقة. ان هذا العمل الفكري المتسلسل ينبغي ان يؤدي الى خلاصة، وهو ما يجب على القائد عمله. اي بمعنى آخر ما هو الهدف الذي يتوخاه من هذه العملية وكيف يريد تنفيذ ذلك، أي ما هو الأسلوب للتوصل الى الهدف، وعليه فإن التخطيط هو العمل الفكري الأساسي الذي تنبع منه كل الأعمال اللاحقة وهو لذلك يشمل المهمة بكاملها أو الهدف الذي حدده المستوى الأعلى ان الهدف النهائي وضع في إطار كبير ضمن التخطيط وخلال ادارة المعركة يقسم التخطيط الى مراحل تنفيذية متتابعة تستهدف كل مرحلة منها هدفاً جزئياً وتتصافر الجهود الجزئية للحصول على الهدف النهائي. تحتاج كل مرحلة من هذه المراحل الى قرار من قبل القائد، أي عليه ان يقرر على تحقيق الهدف الجزئي لأنه خطوه في طريق تحقيق الهدف النهائي، وهذا يعكس التصور المنتظم لتحقيق الهدف كطرف مقارنة مع الأعمال والفعاليات التي تجري كردود فعل على افعال العدو وارايدته في الميدان.

(١) مبادئ الحرب - كلية الأركان العراقية ص ١٤-١٦.

## تحديد الهدف

ينبغي اختيار الهدف بحيث يتلاءم مع قدره القتالية، والوسائل المتوفرة وهي عملية موازنة بين ما نطمح اليه. ان المهمة في أي مستوى عسكري تعطى من قبل المستوى الأعلى المباشر لذلك ينبغي ان تفحص بعناية وبحرفية لأن طابعها الزامي التنفيذ. إن فهم المهمة يعني تحديد مداها أو اتساعها على الأرض، وفي الزمان المطلوب ورؤية النتيجة النهائية لها، وتأثيراتها على العدو. لا يمكن تحديد الهدف ما لم نفهم المهمة فهماً جيداً، وعندما نستطيع ان نعمل باتجاه تحقيق الهدف في كل الظروف المتغيرة للمعركة، وسيبقى الهدف شاخصاً أمامنا عند التنفيذ.

تتجسد المهمة (الواجب) في الأرض التي سنقاتل عليها، وهي وحدها ليست كافية لتحقيق الهدف، لأن الأرض يتواجد عليها العدو ولأن وجوده هو الذي يعوق قدرتنا على تحقيق الهدف من خلال امكانياته، والتسهيلات التي تقدمها له الأرض، ولأننا لا نقاتل ضد الأرض، بل نقاتل العدو الذي يتواجد عليها لذلك ينبغي لغرض تحديد أبعاد الهدف أن نتعرف على قدرة العدو فيه.

من خلال المناقشة يتبين لنا خصائص الهدف وهي:

- ١ - لا يمكن اعتباره الهدف بشكل مستقل الا ضمن إطار المهمة أو إطار مناورة المستوى القيادي الأعلى المباشر.
- ٢ - تعرف قيمة الهدف بالنتيجة التي يراد تحقيقها ضد العدو فكلما كانت هذه القيمة ذات اثر كبير على العدو كلما كان ذلك الهدف مناسباً أكثر من غيره.
- ٣ - موقع الهدف او الأرض التي يقع عليها الهدف اي المجال الجغرافي لمنطقة الفعالية التي يراد احتلالها او الدفاع عنها.
- ٤ - الزمان وهو البعد الذي ينبغي ان لا يغفل عنه لأنه عنصر مهم واذا لم يحقق الهدف ضمن السقف الزمني الموضوع فإن الهدف يفقد قيمته.

## تحقيق الهدف

سبق وأن أشرنا بأنه لا يتحقق الهدف إلا اذا كان ضمن القدرات والامكانيات المتيسرة، وهذه الامكانيات لا تحسب بشكلها المادي فقط كما يقول القائد خالد بن الوليد: (انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان). انما تحسب كقدره نوعية ومدى القابلية لها على المناورة. يجب تدقيق الامكانيات المتاحة والوسائل الموضوعه لبلوغ الهدف للتوصل الى الأعمال الممكنة لتحقيقها، والتي تدرس كل العوامل المحيطة بتحقيق الغاية، ومنها الوسائط اللازمة للتنفيذ للتوصل الى خطه، وينبغي ان تجيب على اسئلة محددة. وهي كيف نحقق الهدف؟ ومتى؟ وما هي الوسائل الكافية لذلك؟ لا يمكن التوصل الى هذه الخطة الا اذا تم دراسة وتحليل جميع

الجوانب الموضوعية المنظورة وغير المنظورة المؤثرة على تحقيق الهدف. لغرض تحقيق الهدف ينبغي العمل بجانبين سلبي وإيجابي :-

١ - الجانب السلبي: وهو بذل الجهود في عدم الخضوع لارادة الخصم واجراء كل ما ينبغي العمل به على أن لا يكون ردوداً لفعل العدو.

٢ - الجانب الايجابي: وهو العمل بخطوات مرسومة باتجاه تحقيق الهدف حتى يتم إنجازه بشكل كامل وفرض ارادتنا على العدو ضمن حدود الهدف المنجز.

ان تحقيق الهدف يجب ان لا ينحصر بتعداد القطعات فقط بل يشمل العناصر التالية أيضاً:-

أ - المعلومات الكاملة المفصلة والدقيقة.

ب- ترتيب القطعات والاتجاهات وفق الأسس والمبانيء العامة لنوع العملية او المناورة.

ج- السرعة بالتنفيذ وهي عامل مهم وينبغي عدم إهماله ولا يعني هذا السرعة، الاستعجال بل السرعة ضمن التوقيتات الموضوععة للعملية.

د - توخي الهدف المحدد من العملية فاذا قررنا خرق مواضع العدو مثلاً فيجب تركيز كل الوسائل في هذا الاتجاه حتى يتحقق الهدف تمشياً مع رأي كلاوزوفيتز (ان الحرب عمل من أعمال العنف يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادتنا).

## المسلمون ومبدأ الهدف

طبق المسلمون هذا المبدأ وكتبه المؤرخون بأسماء مختلفة مثل المحافظة على الهدف، الهدف، اختيار القصد، المقصد وقد برز هذا المبدأ واضحاً في فتح مكة وغزوة أحد وغزوة بدر والخندق واليرموك والبويب، ولننظر إلى بعض الوصايا ومنها وصية ابي بكر الصديق إلى قادة الجيوش عندما وجههم لقتال المرتدين، (فمن أجاب إلى أمر الله وأمر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وانما يُقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله)، نلاحظ ان هدف القائد العام أبو بكر كان إرجاع الناس إلى حظيرة الدين في هذه المرحلة الحرجة، فلا مجال حتى للتيقن هل عاد بشكل صحيح أم أنه عاد خوفاً من القتل حيث يقول (فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسّر به) ونلاحظ أيضاً وصايا الخليفة ابي بكر إلى قادة فتح الشام فنجد ان الهدف العام من هذه الحملات كان فقط لرفع راية الاسلام والجهاد في سبيل الله وكانت جميع الوصايا تنص على من أسلم سَلِمَ ومن كفر قوتل ومن تعبد لله ترك على عبادته وهذه الأعمال ما هي إلا ترغيب للناس في الدخول في الدين الجديد. ونلاحظ بأن جميع الوصايا كان لها هدف عام وهو الجهاد في سبيل الله، أما الهدف الخاص فقد كان لكل حملة هدفها وفي قتال المرتدين اجتمع الهدفان في إعادة الناس الى الدين الاسلامي الذي ارتد الكثيرون منهم عنه مجرد ان سمعوا بأن العرب رجعت الى دينها القديم لأن الايمان لم يتوطن في قلوب العرب في أطراف الجزيرة العربية حيث كانوا حديثي العهد بالاسلام.

## المفاجأة

يطلق على هذا المبدأ (المباغته) وهو ضرب العدو في زمان ومكان غير متوقعين، يقول (صن تزو) (تظاهر بأنك قاصد الشرق وهاجم في الغرب، أُحْدِثْ ضجيجاً في الشرق ولكن هاجم في الغرب).<sup>(١)</sup>

يعتبر مبدأ المفاجأة من أهم مبادئ الحرب، لما له من تأثير قوي على المعنويات، وتكمن قوة المفاجأة في أنها تضع توازن العدو وتماسكه وتجعل الاضطراب يدب في صفوفه، وقد تكون المفاجأة تعبوية أو فنية أو سوقية، ويمكن الحصول عليها من خلال الزمان، والمكان، السرية، والسرعة. ويمكن أن تقلب المفاجأة ميزان القوى لأحد الطرفين، وهي تنتج من ضرب العدو في زمان، أو مكان، أو طريقة غير متوقعة للطرف الآخر، أو غير مستعد لها، ويتوقف نجاحها على طريقة وسرعة التنفيذ بحيث لا يستطيع العدو من رد الفعل. ان الغاية من المفاجأة هي أن تجعل عدوك جاهلاً لما ستقوم به، وبذلك تلوح المبادأة بيدك وتجبره على الانقياد لرغباتك، وأن يكون رد فعله عشوائياً متخبطاً وستصبح إرادته على القتال والمقاومة محدودة وبذلك يمكن ايقاع الخسائر به وهزيمته.

### تعريف المفاجأة.

- ١ - الاستخدام الأمثل للحيلة، والخدعة والاختفاء والتستر في مجالات التخطيط والاستعدادات والابتكارات والمخترعات في الأسلحة وفي السوق والتعبية وبكل ما يتعلق بالحرب، بحيث يؤخذ العدو على حين غرّه وهو غافل وغير مستعد وغير قادر على التصرف أو القيام برد الفعل بشكل فعّال.<sup>(٢)</sup>
- ٢ - عملية خلق أو ايجاد مواقف في وقت ومكان يجري تعينهما ويكون العدو فيها غير متهيء، مما يؤدي الى قلب أوراق خطته بحيث لا يتمكن من القيام برد فعل مدروس من جانبه.<sup>(٣)</sup>
- ٣ - المفاجأة عمل الغرض منه استثمار غفلة العدو في مجال عمل معين وذلك بتوجيه ضربه سريعة في زمان ومكان معينين بحيث لا يتمكن من اتخاذ أي فعل مضاد لاحباط الخطط المعدة له.
- ٤ - المفاجأة هي ضرب العدو في زمان ومكان غير متوقعين بالنسبة له بحيث يفقد القدرة على رد الفعل الحاسم.

(١) المجلة العسكرية العراقية السنة الثانية لشهر نيسان ١٩٨٦ - مقال بعنوان المباغته قمة مبادئ الحرب للعميد الركن زيد جواد حسن.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

٥ - تأمين موقف في زمان ومكان محسوبين لم يتهيأ العدو له والذي من شأنه الاخلال بالعدو وإجباره على توجيه رد فعل لم يسبق له التفكير به. (١)

## المفاجأة في التاريخ

المفاجأة مبدأ قديم عرفه كل المحاربين عبر التاريخ، وللتدليل على ذلك فإن حصان طروادة كان قمة المفاجأة، وكذلك الخندق الذي بناه المسلمون حول المدينة أجبر المشركين على تحديد ردود فعلهم الحاسمة، أما خالد بن الوليد فقد كانت له مفاجأة في كل معركة فقد استطاع ان يفاجيء القائد الفارسي اردشير في معركة الولجة<sup>(٢)</sup> ويحطم قواته التي كانت تزيد أضعافاً عن قوات المسلمين، وكذلك فعل خالد بن الوليد في فتح دمشق فبينما كان القائد أبو عبيده يتفاوض مع أهل دمشق كان خالد يعد العدة لمفاجأتهم واستطاع أن ينقب السور ويفتح أبواب دمشق أمام قوات المسلمين.

أما في العصر الحديث فقد استطاع الألمان ان يفاجئوا الحلفاء في اوربا وأن ينقضوا على الخطوط الدفاعية الفرنسية في ماجينو التي لم تصمد الا قليلا أمام الألمان، وقد كانت مفاجأتهم باختيار ساعة الصفر غير المتوقعة، وضرب الطائرات الفرنسية وهي في مطاراتها، وزج تشكيلات مدرعة عبر الاردن، وهو مكان كان غير متوقع استخدامه من قبل الألمان لعدم صلاحية الأرض للدروع، وكذلك استخدام متفجرات الحشوة الجوفاء (مفاجأة فنية) للتأثير على تحصينات (حصن اين ماتل) البلجيكي باستخدام الطائرات الشراعية. أما خلال الحروب العربية الاسرائيلية فقد استطاعت اسرائيل أن تفاجيء العرب في حربي ٥٦ و ٦٧ ففي الأولى اندفاعهم العميق في الأراضي المصرية والانزال المظلي في عمق سيناء وقطع خطوط القوات المصرية، مما أربك القيادة المصرية واضطرها لسحب قواتها غربي قناة السويس،<sup>(١)</sup> وفي حرب ٦٧ حقق الاسرائيليون أيضاً المفاجأة على القوات العربية بضرب جميع المطارات العربية القادرة على ضرب اسرائيل وتدمير الطائرات وهي جاثمة في أرض المطار. لقد انعكست الآية في حرب رمضان ١٩٧٣ فقد استطاعت القوات العربية أن تحقق المفاجأة بأساليب تعبوية وسوقية وفنية أدت إلى ارباك وشل القيادة العسكرية الصهيونية وحرمانه من تعبئة قواته المسلحة وحشدها في الوقت والمكان المناسبين.

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث - عن الحرب في عصر الردع اللواء الهندي درك باليت.

(٢) معركة الولجة - من معارك المسلمين ضد الفرس في جنوب العراق.

(١) هناك عوامل أخرى اثرت على قرار القيادة المصرية بسحب قطعاتها نحن لسنا بصدها هنا.

## انواع المفاجأة

تنقسم المفاجأة الى ثلاثة أنواع وهي: (٢)

- ١ - المفاجأة السوقية. ويمكن تحقيقها عادة في بداية الحرب بانتهاز فرصة عدم استعداد العدو للحرب واللجوء الى اشكال جديده من الفعاليات أو الأعمال السوقية أو الخدعة. إن أحدث مفاجأة سوقية هي الهجوم الايراني في ٩ شباط ١٩٨٦ على منطقة الفاو في جنوب شرق العراق.
- ٢ - المفاجأة التعبوية. ويمكن الحصول عليها باجراءات الخدعة والتمويه واخفاء مواقع القطعات قبل الهجوم، زج قطعات جديدة في الموضع الدفاعي دون علم المهاجم، الاستخدام الفعال والمؤثر للأرض والوقت والأحوال الجوية، توجيه ضربات ناربية مفاجئة، اجراء هجمات معاكسة، اجراء غارات ناجحة على مواقع للعدو غير متوقع الهجوم عليها وغيرها من الأعمال التعبوية.
- ٣ - المفاجأة الفنية. وهي استخدام سلاح جديد أو معدات جديدة يكون تأثيرها حاسماً على القتال بحيث يربح كفة أحد المتحاربين ويساعده في الحصول على النصر، ومثال ذلك تأثير صواريخ (التاو) الامريكيه المقاومة للدبابات كان حاسماً ضد القوات السورية والاردنية والعراقية في حرب رمضان ٧٣ وكان هذا التأثير بمثابة مفاجأة فنية حققها الاسرائيليون.

## اهمية وتأثير مبدأ المفاجأة

تعتبر المفاجأة أحد مبادئ الحرب الهامة، والتي يتبناها معظم دول العالم لما لها من تأثير على تحقيق النصر في المعركة. ان حساب الزمان والمكان الملائمين لتحقيق المفاجأة يعتبر ناحية مهمة في التخطيط. ان التعبئة السريعة لأي جيش عند اندلاع الأعمال القتالية قبل الأعلان الحقيقي للحرب والتنقلات السريعة للقطعات من جبهة الى اخرى ومن قاطع لآخر، وتطوير الأسلحة الحديثة، وامتلاك وسائل الاطلاق المتطورة تعتبر أساليب للحصول على المفاجأة السوقية، رغم ان الحصول عليها اصبح صعباً للغاية بسبب التقنية المتطورة لوسائل مراقبة السطح والجو لمعظم الجيوش.

ان المفاجأة على المستوى التعبوي مهمة أيضاً ويمكن الحصول عليها بضرب العدو في زمان ومكان لا يتوقعه، وان اختيار مكان غير متوقع للهجوم وسرية تحشد الاحتياط في مناطق

(٢) الدول التي تسير على العقيدة الشرقية تضيف نوعاً رابعاً وهي المفاجأة العملياتية وهي تتوسط المفاجأة السوقية والتعبوية ويمكن تأمينها باستخدام وسائل 'خفاء الاستعدادات، الانفتاح المسبق للتشكيلات وبدء غير متوقع للعمليات، اختيار توجيه اتجاه الضربة الرئيسية، اللجوء الى استخدام وسائل وأشكال جديدة لادارة العمليات، واجراء هجمات مقابلة فورية بواسطة جيوش أو جيوش معينة.



مختارة، وتجديد الأساليب التعبوية تعتبر من وسائل تحقيق هذه المفاجأة. تعتمد قيمة المفاجأة على امكانية خداع العدو بحيث يجري الأخلال بتوازنه في اللحظة الحرجة وان مفاجأة العدو وهو متيقظ لا يعتبر شيئاً حيوياً ويمكن الحصول عليه دائماً وانما المفاجأة ان تشل العدو وهو يقظ، ولكن لا يستطيع رد الفعل بشكل مؤثر ضمن الوقت المطلوب. أصبحت المفاجأة في العصر الحديث، وفي ظل التقنية العسكرية المتطورة ذات أهمية بالغة، خاصة بعد ظهور منظومات الصواريخ النووية والوسائل الأخرى للتدمير الشامل، اذ ان اقتران استخدام هذه الأسلحة بالسرعة العالية، وامكانيات المناورة الكبيرة للقوات البرية امكن بموجبها مفاجأة العدو حتى لو كان لديه وسائل كشف متطورة.

ان العوامل التي تساعد في تحقيق مبدأ المفاجأة هي السرعة والحركة العالية، والاستخبارات الدقيقة، واستخدام القطعات في مكان وزمان غير متوقعين، إضافة الى عمليات الخداع ذات الاساليب المختلفة، يقول (ليدل هارت) (يجب البحث عن النجاح قدر الامكان بمزج الأساليب التي يقصد منها خداع العدو، ولخداعه لا بد من مواجهته بورطة)<sup>(١)</sup>.

### هل المفاجأة عمل حاسم؟

قد تؤمن المفاجأة نصراً لقوات صغيرة على قوات كبيرة، اذا أحسن استغلالها لأنها تؤدي الى فقدان توازن الخصم، وتؤثر على قدراته القتالية بامتصاص جزء من قوته المعنوية الناتجة عن الازهال الوقتي، والارتباك الذي سيسود صفوف الخصم، وقد وصفت المفاجأة بأنها (تمكن من تغيير ميزان القوى القتالية بشكل حاسم، فالمفاجأة يمكن ان تحقق نجاحاً لا يتناسب والجهد المبذول وتنجم عن ضرب العدو في وقت ومكان وأسلوب غير مستعد له): ان الكثير من العسكريين يعززون نجاح المفاجأة بالأحكام المتقن لعمليات الأمن والسرية، ويكون هذا ناتجاً عن تخطيط علمي مدروس بعيداً عن التوقعات والحظوظ.

ان المفاجأة ليست وفقاً على الأعمال التعرضية، بل يمكن الحصول عليها من خلال العمليات الدفاعية أيضاً بمفاجأة العدو بمواقع قوية، أسلحة جديدة أو أية وسيلة أو أسلوب دفاعي جديد.

يمكن ان تكون المفاجأة عملاً حاسماً، إذا تم استغلالها إلى الحد الأقصى، بحيث تفقد العدو القدرة تماماً على رد الفعل ولكن لا نستطيع القول أن العرب استغلوا مبدأ المفاجأة في حرب ١٩٧٣ بشكل كامل لأنه لم يلبث الاسرائيليون ان سيطروا على الارتباك الوقتي وشنوا هجمات معاكسة أفقدت عامل المفاجأة الأولي معناه الصحيح، على المستويات الدنيا يمكن ان

(١) نظرية الحرب وممارستها - تحرير ميشيل هورد، لندن - شركة كاسل - ١٩٦٥ - Howard Michael, The Theory and practice of war, London Cassel and Co, 1965

تحقق المفاجأة الحسم الكامل للمعركة، وكلما ارتفع المستوى يصبح عامل المفاجأة أقل حسماً، إذ ليس من الممكن حسم الحرب بمجرد تحقيق مبدأ المفاجأة.

## المفاجأة والحرب الالكترونية

اصبحت معظم الدول في الوقت الحاضر تملك معدات الكترونية متطورة، وهذا يحتمّ شن حرب الكترونية على الخصم المقابل لشل قدراته الالكترونية في كشف تحركاتنا، وتنفيذ خططنا ضده وإذا استطاع ان يستخدم أجهزته الالكترونية بكفاءة سواء بشن حرب الكترونية مضاده أو أن معداته لم تتأثر بعملياتنا المضاده، فإنه قد يصبح من العسير تحقيق هذا المبدأ ولا بد أن نتذكر في هذا المجال الاحتلال الروسي لتشيكوسلوفاكيا في مطلع الستينات كيف شنت حرباً الكترونية ضد حلف الاطلسي بحيث لم يستطيعوا اكتشاف نصف مليون جندي وهم يتقدمون أرضاً وينزلون بالمظلات، وصحا العالم على روسيا وهي تعلن للعالم احتلالها لتشيكوسلوفاكيا.

## المفاجأة في صدر الاسلام

هل عرف العرب المسلمون المفاجأة؟ وإذا كانوا قد عرفوها فهل طبقوها في فتوحاتهم؟ والجواب على ذلك لماذا لا يعرفها المسلمون إذا كانت الأمم التي عاشت قبل التاريخ المكتوب قد عرفتها؟ لماذا يعرفها هنيبال القرطاجي واليونانيون، والرومان، والفراعنة، والفرس، ولا يعرفها المسلمون؟ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (إن الحرب خدعة) والخدعة من وسائل المفاجأة. كان الرسول يستلهم أعماله من السماء، ودعا ربه أن يؤمن له مباغثة قريش عندما توجه لفتح مكة فقال: (اللهم خذ على قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغثة) وقد عمل الرسول بهذا المبدأ بشكل واضح، وكان يراعي الحصول عليه بأية طريقة حتى كان يخفي نواياه، وتحركاته على أقرب المقربين له، وكان في كثير من الحالات يصدر أوامره مكتوبه الى قائد الجند، ويأمره بفض الكتاب بعد مسيرة أيام من المدينة حتى لا يشاع في الناس الخبر وينتقل الى الأعداء فيضيع مبدأ المفاجأة.

نلاحظ أن قادة المسلمين ركزوا على هذا المبدأ كثيراً في وصاياهم، يقول الخليفة أبو بكر الصديق في وصيته لخالد بن الوليد: (١) (واحترس من البيات فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام)، وفي وصية الخليفة عمر الى ابي عبيد بن مسعود الثقفي (٢) (واحرز لسانك ولا تُفش سرك، فإن صاحب السر متحصن، لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيعه كان بمضيعة). وفي رسالة الخليفة عمر لأبي عبيده عامر بن الجراح (٣) (وإياك والتغريب بإلقاء المسلمين إلى الهلكة)

(١) عندما وجهه لقتال المرتدين.

(٢) عندما وجهه لفتح العراق.

(٣) عندما عينه قائدا لقوات المسلمين في الشام.

وهنا يحذر من عدم زج قوات المسلمين في موقع قد يفاجئهم فيه العدو فيقودهم ذلك الى الهلاك ويقول أيضاً في رسالته لسعد بن ابي وقاص عندما ولاه قيادة جيش العراق (واجمع مكيدتك وقوتك). هذه بعض التعليمات التي تحض على استخدام المفاجأة. أما التطبيقات فهي كثيرة وقد كان الكثير منها فرصاً سانحة استغلها القادة وحققوا بها النجاح، ومنها ما كان مديراً كحركة خالد بن الوليد إلى الشام حيث حقق بظهوره مفاجأة سوقية ضد الروم.

## الحشد

### تعريفات

الحشد، التحشد، تحشيد القوة، التفوق المحلي، التفوق، حشد القوات، وجميع القوات المتوفرة، كلها مصطلحات تعني توفير قوة قتالية متفوقة على العدو في النقطة الحاسمة، وفي المكان والوقت المناسبين.<sup>(١)</sup>

- والحشد - مبدأ من مبادئ الحرب القديمة، والذي يحتل مرتبة هامة بين مبادئ الحرب الحديثة، وقد وضعه المفكر العسكري البريطاني (جون فوللر) بين المبادئ الخمسة للحرب، واعتمده المذهب العسكري الأمريكي، والروسي والبريطاني، ودول كثيرة أخرى، وهو الوسيلة الوحيدة والحاسمة للحصول على التفوق الذي يمكن به تحقيق النصر، ويتم ذلك عن طريق زج مجموعة القوى والوسائط في اتجاه الضربة الرئيسية، والمقصود بالقوى والوسائط، الامكانات المتوفرة جميعها دون إهمال بعضها أو قسم منها، وقد أوضح كلاوزوفيتز هذه النقطة بقوله : (ان البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن استخدام جزء من وسائله في الوقت الذي يصمم فيه خصمه على استخدام وسائله كلها)<sup>(٢)</sup> يهدف الحشد الى توجيه القوى والوسائط في اتجاه منطقة الحشد، وقد يتم الحشد باتجاهات ثانوية في إطار مخطط العمليات، ولكن المضمون الأساسي للحشد هو توجيه القوى في اتجاه العمليات الرئيسي او بمعنى اوضح إجراء الحشد لتحقيق هدف سوقي.

- الحشد - يعني حشد القوة المتفوقة كماً ونوعاً في الزمان والمكان الملائمين لتحقيق هدف حاسم.

- الحشد - هو التطبيق الصحيح والماهر لمبادئ الحرب بحيث يؤدي الى حشد الرجال، والأسلحة والقوة النارية، وكافة الموارد لدحر العدو في زمان ومكان مختارين.

(١) كراسة الاستراتيجية لكلية القيادة والاركان الأردنية.

(٢) الموسوعة العسكرية.

## الحشد في التاريخ

كان الحشد قديماً محدوداً بسبب محدودية الوسائل المستخدمة في القتال ومحدودية حجم الجيوش المتحاربة، وحاجتها المحدودة الى المؤن والذخائر، ورغم كل ذلك كان الحشد يتم في الاتجاه الرئيسي للمعركة المقبلة. كانت الدول تحشد كل ما تملك من مقاتلين سواء بالتطوع او بالاكراه، ووصلت بعض الجيوش في المعركة الواحدة مائة ألف أو يزيد كما حصل في المعارك الرومانية الفارسية، والاسلامية الرومانية والاسلامية الفارسية، وسبب ذلك ان النصر كان يعتمد بشكل كبير على عدد الجيش، لأن القوة البشرية كانت هي العامل الحاسم في الميدان بسبب نقص قابلية الحركة، وقوة النار في ذلك الوقت.

عندما بدأ الفتح الاسلامي لم يكن باستطاعة المسلمين حشد قوات كبيرة مثل الرومان والفرس، ولكن مع تطور الدولة الاسلامية واتساعها وازدياد عدد المسلمين، والامكانيات المادية، اصبح بوسع العرب المسلمين حشد قوات كبيرة فكانت غزوات الشواتي والصوافي تصل الى مائة الف مقاتل أحياناً، وقد حشد الخليفة العباسي المعتصم في عموريه حوالي نصف مليون مقاتل<sup>(١)</sup> كما وصل عدد القوات في معركة الزلاقة (١٠٨٦) وموقعة الأرك (١١٩٤م) وموقعة العقاب (١٢١٢ م) حوالي ستة مائة الف مقاتل. لقد رافق تطور الحشد تطور التنظيم، فكلما ازداد عدد الجيوش برزت الحاجة إلى تنظيم جديد.

كان للامكانيات المادية اثر كبير في حشد القوات، والدولة التي لا تستطيع دفع رواتب جندها لا تستطيع ان تحشد جيشاً كبيراً، ففي عام ١٢٤٢ م وقعت معركة (الجليد) بين روسيا والمانيا، ولم تستطع الدولتان ان تحشدا أكثر من ثلاثين الف مقاتل بسبب ظروفهما المادية، بينما استطاعت روسيا ان تحشد عام ١٣٨٠ م في معركة (كوليكوف) اكثر من مائة الف مقاتل، وقد بقي الأمر كذلك حتى ظهور عصر البارود، ودخلت الحرب عهداً جديداً قلّت فيه الحاجة الى العدد الكبير من الجند، واستعاض عنهم في كثير من الأحيان بالقوة النارية. أما بعد الثورة الفرنسية وما بعدها فقد دخل مفهوم (الأمة في الحرب)، وتم إنشاء الحرس الوطني كظاهرة لهذا المفهوم، وبذلك أمكن دعم القوات المسلحة بقوات كبيرة، كما أصدر نابليون بونابرت أول قانون تجنيد، وبذلك استطاع ان يحشد جيشاً يزيد عن مليون مقاتل (ألف كتيبة مشاة تعادل ثمانمائة الف مقاتل، واربعمائة سرية خياله، تقدر بمائة ألف مقاتل، وقوات مدفعية وهندسية حوالي مائة ألف مقاتل) عام ١٨١٢ م عندما هاجم روسيا وبالمقابل استطاعت روسيا ان تحشد حوالي ربع مليون مقاتل ايضا مع ما يقارب الف مدفع.

كان من الملاحظ ازدياد إمكانية حشد القوات بعد الثورة الصناعية مباشرة، وأمکن دعم القوات المسلحة بالرجال والمعدات، إضافة الى تطور التنظيم والتعبئة لدى الجيوش وصدور (١) الموسوعة العسكرية.

قوانين التجنيد المختلفة، ورغم هذا فإنه لم يزد عدد الجيوش عن ٦٪ من مجموع السكان حتى الحرب العالمية الأولى، وارتفعت هذه النسبة في بداية الحرب العالمية الأولى الى ١٠,٦٪ في روسيا، ١٧,٢٪ في فرنسا و ١٩,٧٪ في ألمانيا وظهر للمرة الأولى في تاريخ العالم جيوش تقدر بالملايين. عندما نشبت الحرب العالمية الثانية بلغ الحشد ذروته في معظم الجيوش المتحاربة. وارتبط مصير المعارك الحاسمة بقدرة هذه الحشود وقوتها ومكانها، وقد بلغ الحشد الألماني مثلاً ذروته ضد روسيا عام ١٩٤٢، فقد حشدت ١٥٣ فرقة مجهزة بحوالي ٣٧١٢ دبابة ومدفع و ٤٩٥٠ طائرة، وقد ازداد هذا الحشد، الى ٢٦٦ فرقة زاد عددها على ستة ملايين جندي وكانت روسيا تملك بمقدار هذا العدد من المقاتلين أيضاً. وفي عام ١٩٤٥ استطاعت روسيا ان تحشد قوة هائلة بلغت حوالي سبعة ملايين جندي و ١١٥ ألف مدفع. هاون و ١٥ ألف طائرة، وكذلك استطاعت أمريكا ان تحشد اكثر من هذا العدد بحدود ثمانية ملايين جندي. (١)

بعد الحرب العالمية الثانية اصبح الحشد ظاهرة عامة ومبدأ سوقي اكثر منه تعبوي واصبح من مسؤولية الأمة وليس الجيش نفسه، ومع ازدياد نفقات الجيوش وارتفاع كلفة ادامة قوات بحجم كبير، بدأت معظم الجيوش تميل إلى انظمة خدمة العلم. (٢) والاحتفاظ بجيش دائم صغير لتخفيف الضغط عن موازنتها الدفاعية، واصبحت الدول الأفضل في حشد قواتها، هي تلك الدول التي تستطيع حشد اكبر قوة في اقصر وقت وهي مدربه تدريباً جيداً على القتال.

### أهمية وتأثير الحشد

يقول نابليون: (ان كل فن الحرب يمكن تلخيصه بمبدأ واحد وهو ان تجمع في جبهة واحدة قوة اكبر من قوة عدوك). ويقول ليدل هارت: (يمكن تلخيص مبادئ الحرب جميعها بعبارة واحدة هي الحشد). يتضمن مبدأ الحشد جانبي السوق والتعبية ففي الجانب السوقي يتضمن هذا المبدأ ضرورة وضع الأمة او استعدادها لوضع اقصى طاقتها القومية في الأماكن التي يكون فيها تهديد مصالح أمنها الحيوية على أشده، ويكون لزاماً على القادة العسكريين ان يتوقعوا المواقع المحتملة الأكثر أهمية، وأن يطوروا وفقاً لذلك خطط الطوارئ الملائمة، وهذا يتطلب وضع القوات في مختلف الساحات بمواقع ملائمة، بحيث يمكن تحشيدها من تلك المواقع إلى أي نقطة حاسمة حسب الحاجة.

أما في البعد التعبوي فان مبدأ الحشد يتطلب وضع القدرات القتالية في مكان وزمان حاسمين، بطريقة تؤمن تفوقاً على العدو في مكان التماس او الخرق بنسبة لا تقل عن ثلاثة الى

(١) الموسوعة العسكرية.

(٢) خدمة العلم، الخدمة الوطنية، نظام التكليف، المكلفون، National service، أسماء تعني انه على الفرد ان يخدم وطنه فترة زمنية تتراوح من سنة الى ثلاث سنوات ويبقى ضمن الاحتياط العام للجيش لفترة معينة من الزمن ويستدعى للقتال او الخدمة عندما تدعو الحاجة بموجب قانون النضير (التعبئة العامة).

واحد في حالة التعرض، وبعض الجيوش كالجيش الامريكي يحاول رفع هذه النسبة حتى ستة الى واحد. على القائد ان يختار الزمان والمكان، ويقرر على القدرة القتالية المتيسرة لديه كما عليه ان يقرر على القوة المطلوبة وهذا من الصعب تحقيقه دون اجراء مقارنة قوى بين قواته وقوات العدو ومعرفته الجيدة لقدرات العدو في حشد قدراته القتالية في قاطع معين، والقدرات القتالية، هي مجموع الوسائل المادية والوسائل المعنوية المتيسرة لدى القائد.

يعتبر مبدأ الحشد مهماً، اذا اقترن مع التعرض، ولا يعني هذا تجميع القطعات في مكان معين واحد، ان هذا المبدأ لا يتعارض مع الانتشار المسيطر عليه، وهذا يعني تيسير اقصى قوة في مكان معين في الزمان والمكان المطلوبين لتنفيذ قرار القائد، ومثال ذلك حشد القوات الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ على الاتجاه الخطر وهو الجبهة المصرية، وبعد تدمير هذه الجبهة استطاعت ان تنقل قسماً كبيراً من هذه القوات وتحشد قوة متفوقة على الجبهة الشمالية (سوريا، الاردن، ولبنان) وتدمر هذه الجبهة أيضاً.

### الارتباط مع مبدأ الاقتصاد بالقوة

كان كل من حشد القوة والاقتصاد بالقوة مبدئين مستقلين، وكان الكثير من العسكريين يرى تعارضهما ولا يمكن تطبيقهما في آن واحد، ولكن العلاقة الوثيقة التي ربطت هذين المبدئين معاً وهي استخدام القوة أدت الى التفكير لدى الكثير من الجيوش بدمجها تحت عنوان واحد. ان حشد القوة يعني حشد كل الصنوف المقاتلة المتيسرة ضد قوات العدو والاقتصاد بالجهد، هو نتيجة حتمية لمبدأ الحشد، فلأجل حشد قوة مقاتلة في أي مكان يجب ممارسة الاقتصاد بالجهد في اماكن اخرى، اي استخدام اقل قوة ممكنة في جميع الأماكن ما عدا باتجاه الجهد الرئيسي.

عند وضع خطة ما فمن النادر الحصول على معلومات كاملة عن العدو ومع ذلك فيجب اتخاذ قرار العمل ضد العدو رغم احتمالات غير متوقعة بعد تطور المعركة ومن هنا فإن الاقتصاد بالجهد يعتبر مكملاً للتخطيط والتنفيذ لمبدأ الحشد، ولكن ينبغي ان يورّع هذا الحشد باقتصاد بحيث تشترك في القتال ادنى قوة تحقق نسبة تفوق ناجح ضد العدو وباقي القوة ستبقى في الاحتياط لمعالجة التطورات اللاحقة والمستجدة في المعركة.

يجب ان لا يساء فهم الاقتصاد بالجهد على انه الاحتفاظ بالجزء الاكبر من القوة، وزج الحد الأدنى من القوات في المعركة، ان هذا المفهوم خاطيء، وان الاحتفاظ بقطعات في وقت يمكن استخدامها ذا نتائج مفيدة، هو الاقتصاد المخطوء بعينه ولتوضيح ذلك، نقول اذا تيسرت مطرقة ثقيلة لأداء مهمة وانجازها على الوجه الأكمل فإن استخدام اي شيء اخف من ذلك لا يعتبر الا مخاطرة، وأما اذا استخدمت مطرقة اثقل فهذا هو التبذير بالجهد الذي قد نحتاجه في مكان آخر.

من الصعب فصل هذين المبدأين عن بعضهما البعض، حيث ان الفكرة المتأصلة في كلا المبدأين، هي وجوب استخدام كافة الموارد المتيسرة باكثر الطرق كفاية وتأثيراً، ان المبدأين هما إلتوازن للموارد وفقاً للمتطلبات لكي تكون لدينا قوات كافية في الزمان والمكان الصحيحين والاحتفاظ باحتياطات كافية في كل مرحلة من مراحل المعركة. ان موارد أية أمة أو جيش، أو تشكيل أو وحده هي محدوده، وان الحصول على حشد مؤثر يتطلب عناية بتوازن القطاعات والقوى المادية المتيسرة.

**القوات الإسلامية ومبدأ الحشد**

لم يجد المسلمون كبير عناء في البحث عن هذا المبدأ في بطون كتب التاريخ، ويروا هل طبقه صنن تزوام الاسكندر المقدوني؟ لأنه لم يكن امامهم اي خيار في تطبيق هذا المبدأ، ففي غزوة بدر كان عدد المسلمين ثلاثمائة مقاتل ولم يتخلف احد منهم عن القتال، وفي غزوة احد كان عدد المقاتلين سبعمائة<sup>(١)</sup> ولم يتخلف احداً منهم وهكذا في المعارك اللاحقة وقد تخلف ثلاثة في غزوة تبوك دون عذر، ولم يعذرهم البشر وفرضوا عليهم الحرمان في التعامل والكلام وربطوا انفسهم في سارية المسجد، وامتنعوا عن الطعام والشراب للتكفير عن ذنبهم وطلب الغفران من الله تعالى، وبالفعل لم يستطع احد ان يعفو عنهم حتى نزل العفو عنهم من السماء بقوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا).

اذن فإن مبدأ الحشد لم يكن مبدأ مطلقاً وحده بل كان مرتبطاً بأسس اخرى، وهي الايمان والعقيدة وهذه تتحكم بهذا المبدأ وكأنها صمام أمان، ولذلك لم يتخلف أحد من المسلمين في عهد الرسول عن الاستنفار حال الدعوة للحرب طواعية دون أية مؤثرات او قوانين صارمة تسوقه للجهاد، وقد استطاع المسلمون ان يحشدوا اعداداً كبيرة في بداية الدعوة، ففي غزوة تبوك بلغ عدد المسلمين ثلاثون ألفاً وهو عدد المسلمين جميعاً في هذا الوقت، وكان قسم كبير منهم لا يستطيع شراء السلاح وليس لديه ما يركبه أو يقاتل به، ولكن حالما استنفرت لبى الدعوة لأنه لا يستطيع التخلف لأسباب معنوية نابعة من ايمانه وعقيدته وأسباب اخرى تتعلق بشجاعة العربي المسلم ولا يقبل بأي حال ان يطعن بشجاعته لأنها كل ما يملك.

هل بقي الحال كما هو في عهد الخلفاء الراشدين والعهود التي تلتهم ام تغير الحال؟ من البديهي ان يتغير الحال لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، وصعوبة السيطرة على حشد المقاتلين من أنحاء الجزيرة العربية، أضف الى ذلك ان الكثير ممن دخلوا الاسلام في وقت متأخر لم يتمكن الايمان في قلوبهم ولم يحملوا ذلك الدافع المحرك للطاقت الكامنة بحيث يتحرك المسلم للجهاد دون ان يسأل اين ومتى سيقاتل؟ بل كان كل تفكيره محصوراً في الطريقة التي يرضي به ربه، ويؤمن الشهادة في سبيل الله، لذلك نجد ان الخليفة عمر اضطر ان يستحدث ديواناً للجنود ليسجل به الجنود ورواتبهم واعطياتهم، وطلب من ولاته ان يقوموا بتسجيل القادرين على القتال

(١) العبرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج ص ٢٤٣.

وحشدهم عند الطلب، حتى انه ارسل الى ولاته (لا تتركوا أحداً في مُضَر طوعاً او كراهية الا جلبتموه) والسبب في ذلك ان الخليفة والولاة اصبحوا يعانون كثيراً في جمع المقاتلين، واستحثائهم على القتال، وقد تطرقنا الى احد الأسباب، وهناك أسباب أخرى أهمها اتساع الفتوحات الاسلامية وبعُدت الشقة ولم يكن لدى الدولة امكانية صرف رواتب مجزية للمقاتلين، وكان جُلّ اعتمادهم على الفيء والغنائم، وقد أدرك الخليفة عمر ببصيرته الناقبة هذه الأمور المهمة، والعوامل الحساسة التي اثرت على حشد القوة الاسلامية، فأمر بصرف رواتب جارية للجنود النظاميين وسمح للمقاتلين باصطحاب عائلاتهم معهم، وافتتح مراكز حشد دائمة في ميادين القتال، في البصرة والكوفة ومن ثم في بلاد الشام ومصر، وهذه كانت تحشد بها الجيوش ومعهم عائلاتهم، وكانت تستغل كمراكز تدريب وتنطلق ومنها جيوش الصوافي والشواتي، وقد حلت هذه المراكز الحربية الكثير من مشاكل كل الحشد التي واجهت الخليفة عمر في بداية عهده حيث بقي أياماً يدعو المسلمين لقتال الفرس بعد معركة الجسر، ولم يستجب له الا القليل حتى اضطر ان يعلن بانة سيقود المسلمين بنفسه لقتال الفرس.

هذه الحال كانت في زمن الخليفة عمر وقد سار الخليفة عثمان على نفس الأسس التي وضعها عمر، رغم ان الفتوحات في عهد عثمان لم تكن بنفس المستوى في عهد سلفه، أما في عهد الامام علي بن ابي طالب فقد تجزأت القوى الاسلامية بسبب فتنة عثمان، وبدأ كل طرف يحشد القوى التي تؤيده وتناصره، وكما نعلم بأن الفتوحات الاسلامية كانت شبه متوقفة في عهد الخليفة الرابع حيث انشغل كثيراً بفض الفتن، وقاتل الخارجين عن طاعة الدولة الاسلامية، وبعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وبدء عصر الدولة الأموية، بدأ التركيز على مبدأ الحشد يتصاعد شيئاً فشيئاً مع تصاعد حاجة الدولة الى الجند حتى بلغ ذروته في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد.

## الاقتصاد بالجهد

### تعريفات

الاقتصاد بالجهد، أو الاقتصاد بالقوة، او الاقتصاد بالقوات، أو الاقتصاد بالقوى، مبدأ من مبادئ الحرب يستهدف الحصول على أفضل النتائج بأقل حد ممكن من الجهد والقوات وهو متلازم مع مبدأ الحشد في كل الظروف.

هو المبدأ المكمل لمبدأ التحشد ويتضمن استخدام أقل قدر ممكن من الموارد في الأماكن الأخرى.

هذا المبدأ يعني التفوق في الوقت والمكان المناسبين فقط وعدم التبذير بالقوة في أماكن وأوقات أخرى.



لهذا المبدأ بعدان هما: (١) البُعد السوقي ويقضي هذا المبدأ ان تقبل الأمة المجازفة في حالة الموارد والمحدودة في المواقع التي تتعرض لها المصالح الوطنية الحيوية الى خطر مباشر. يعني هذا ان الأمة يجب ان تركز طاقتها جميعها تجاه تهديد رئيسي واضح، وعليها الا تسمح بالمساومة على تحقيق هذا الهدف بالتحول غير الضروري الى المواقع الأقل اسبقية. إن هذا ينطوي على مخاطرة ويتطلب تخطيطاً سوقياً ماهراً، وحكماً صائباً من قبل القادة السياسيين والعسكريين. اما في البُعد التعبوي فيستلزم مبدأ الاقتصاد بالجهد تخصيص أقل قدرة قتالية ضرورية للجهود الثانوية، أن هذا المبدأ نتيجة طبيعية لمبدأ الحشد لأنه أسلوب لتحقيقه، وكما في مبدأ الحشد يتطلب مبدأ الاقتصاد من القائد ان يختار الزمان والمكان للجهود الثانوية، وان يقرر الموارد المادية التي تؤلف القدرة القتالية الضرورية الدنيا في الزمان والمكان المناسبين.

### أهمية الاقتصاد بالجهد

تزايدت أهمية هذا المبدأ تزايداً كبيراً في المعركة الحديثة، ويرى البعض بان تنسيق التعاون بين الأسلحة المشتركة في المعركة الحديثة هو نوع من الاقتصاد بالجهد، أما توزيع القوى بشكل لا يتناسب مع الموقف او اهمال قوات دون تكليفها بمهمة معينة، فإنما هو تبديد للجهد. وهو أمر أكثر خطورة من الاستخدام السيء للجهد. ان مبدأ الاقتصاد بالجهد يعني استخدام جميع القوى ووسائل الصراع المتوفرة على ان ترتبط بثلاثة عناصر مهمة وهي استخدام الاحتياط السوقي، اجراء الحشد للقوى والوسائل ضمن الحدود الزمنية الضرورية، وزجها في المكان المناسب من مسرح العمليات<sup>(١)</sup> يستهدف الاقتصاد بالجهد فرض الارادة على العدو بأقل التكاليف الممكنة، ومثال ذلك فإن الاقتصاد بالجهد يرتبط بالتقرب غير المباشر، أما التقرب المباشر في الاتجاه الذي ينتظر فيه العدو، فلا يعطي الانتائج سلبية، الا اذا كان هناك تفوق ساحق لصالح القوات المهاجمة. يعني هذا أنه يجب تجنب الضربات التي يكون بوسع العدو مجابتهها بأسهل الوسائل، وتجنب تكرارها بعد الفشل، ثم اختيار خط غير متوقع للتدخل مع جعل العدو حتى النهاية مشككاً في الأهداف التي يهدف اليها المهاجم. لقد كان أحد التعاريف لمبدأ الاقتصاد بالجهد هو (محاولة القضاء على العدو بالتخويف الذي تحدثه الأسلحة، وتحقيق المباغته عوضاً عن الاشتباك في المعركة، على أساس ان الحظ هو الذي يقرر مصير المعركة في غالب الأحيان أكثر من قيمتها). وواضح ان هذا التعريف يدعو لاستخدام الاستراتيجية غير المباشرة المرتبطة بالتعبية المباشرة. وفي هذا الاطار فان مفهوم الاقتصاد بالجهد يتوافق مع مفهوم استراتيجية الردع التي ترتبط بالأثر النفسي والمعنوي أكثر من ارتباطها بالوسائل المادية، التي قد تستخدم فعلاً في الصراع المسلح، وهذا هو ما يتم تنفيذه

(١) الموسوعة العسكرية.

عملياً في إطار ميزان القوى وظهور قوة الردع السوقي. لقد اكتسب مفهوم الاقتصاد بالجهد في عصر الأسلحة الذرية مفهوماً متميزاً يتلخص في القدرة على دفع العدو لأخذ مواقف تجعل الضربة الذرية مؤثرة كلياً، وهنا يفترض ان العدو متفوق في مجال الأسلحة التقليدية يقابل ذلك تفوق عند الطرف الأول في الأسلحة الذرية، وسيحاول كل طرف الاستفادة من تفوقه عن طريق الردع، وإذا ما سارت الأمور بصورة اعتيادية، وحاول الطرف المتفوق بالأسلحة التقليدية استثمار تفوقه فإن إرغامه على خوض حرب ذرية يعني خسارته لكل ما يتميز به من تفوق وفي جميع الأحوال، فإن المتفوق في الأسلحة التقليدية سيحاول حرمان المتفوق في الأسلحة الذرية من الاستفادة من هذا التفوق بتحقيق التماس المستمر وعدم إعطائه هدفاً مغرباً لضربه بأسلحة ذرية. لقد اتفقت الكثير من الدول على إبراز مبدأ الاقتصاد بالجهد بسبب أهميته في الصراع المسلح ودوره فيه، وإذا استعرضنا مبادئ الحرب الصينية وهي الانسحاب امام عدو متقدم والكر على العدو المتراجع واستراتيجية واحد ضد خمسة، والتموين من مؤونة العدو نفسه وضرورة وجود تلاحم بين الجيش والشعب،<sup>(١)</sup> فإنه من الواضح ان المبادئ جميعها ذات مضمون واحد هو الاقتصاد بالجهد، وذلك على الرغم من عدم التطرق الى هذا المبدأ بصورة مباشرة. كما ان مبادئ السوق البريطانية، وهي ارغام العدو على بعثرة قواته عن طريق استخدام التقرب غير المباشر، والبحث عن الحل في ميادين العمليات الثانوية والمفاجأة باعمال غير متوقعة، هي ايضا مرتبطة بمفهوم الاقتصاد بالجهد.

يكتسب مبدأ الاقتصاد بالجهد أهمية خاصة في الحركات والحروب الثورية لضعف امكاناتها المادية والبشرية، واعتمادها على المصادر الخارجية في التمويل والسلاح، بعكس الخصم الذي يملك التفوق دائماً بالقوى والوسائل، لذلك تحاول الحركات التحررية استنزاف قوات العدو مقابل الاقتصاد في قواتها واسنادها بصورة مستمرة حتى تصل الى مرحلة التوازن فالتفوق على الخصم.

### الاسلام ومبدأ الاقتصاد بالجهد

لم يبرز هذا المبدأ في صدر الاسلام سواء بأخذه بعين الاعتبار أو باستخدامه، الا في حالات نادرة ويعود ذلك الى سببين رئيسيين أولاهما ان المعارك القتالية لم تكن سلسلة من العمليات الدفاعية، او الهجومية كما يجري في الوقت الحاضر، فلم يكن هناك خطوط دفاعية بمعناها المعروف الآن، بل كان الدفاع يعتمد على المدن والقلاع والحصون، وفي حال سقوطها تنتهي المعركة الدفاعية وينتقل المدافع الى قلعة او حصن آخر، او قد يخوض معركة في العراء اذا دعت الحاجة، وكذلك الحال بالنسبة للمهاجم، فالمعركة تنتهي بشكل عام حالما يهزم المدافع او يستسلم، ومن ثم تبدأ معركة جديدة لا علاقة لها بالأولى من الناحية التعبوية او السوقية وفي

(١) الموسوعة العسكرية.

كلتا الحالتين كان المدافع والمهاجم يركز كل ما يملك من قوة في اتجاه القتال حتى يكسب المعركة. اما السبب الآخر فهو محدودية عدد المقاتلين لأن النظام كان يعتمد بشكل عام على التطوع. ولم يكن هناك انظمة خدمة العلم او الخدمة الوطنية او غيرها كما هو معروف الآن، وأما بالنسبة للمسلمين فعددهم كما نعرف كان محدوداً جداً خاصة في بداية الدعوة وبنفس الوقت كان موقفهم حساساً لذا كانوا يزجون بكل رجالهم في كل معركة حتى يؤمنوا الفوز الحاسم، إضافة الى ذلك، فإنه كما ذكرت لم يكن هناك اتجاهات رئيسية او ثانوية، او مواقع حيوية او غير مهمة. أما الحالة التي طبّق فيها المسلمون مبدأ الاقتصاد في الجهد فهي معركة اليرموك حيث عزز الخليفة عمر قوات فتح الشام بجزء من قوات العراق حيث كانت تجري في بلاد الشام معركة حاسمة تهدد مصير القوات الاسلامية باكملها بينما اعتبر الخليفة ان محور العراق هو محور ثانوي في الوقت الحاضر.<sup>(١)</sup>

## التعرض

### تعريفات

- ١ - التعرض، العمل التعرضي، الروح التعرضية، أسبقية التعرض والحركية، جميعها مصطلحات لمعنى واحد هو: القيام بجميع الأعمال والمواقف التي تمكن القوة العسكرية من مسك زمام المبادرة ومهاجمة العدو في كل فرصة ممكنة، انها المجموع الاجمالي لمعرفة القائد التعبوية وقدرة جنوده القتالية.
- ٢ - يقول الجنرال جورج باتون: (يعتبر التعرض في الحرب الضمان الأوحد لنجاح الدفاع، وتتوقف كفاءة التعرض على الروحية القتالية للقائمين بادارتها).
- ٣ - أما المفكر العسكري كلاوزوفيتز فيقول: (إن اهم شيء في الحرب دائماً هو الحاق الهزيمة بالخصم، ومن الصعب ان يتصور المرء كيفية الحاق الهزيمة بالعدو بدون التعرض).
- ٤ - إن مبدأ التعرض يعني الحصول على المبادرة، او استعادتها واستثمارها لايجاد العدو وتدميره، فبإدامة المبادرة يحتفظ القائد بحرية العمل، ويعزز معنويات قطعاته، ان مبدأ العمل التعرضي يوحي بأن اعمال التعرض او إدامة المبادرة، هي الطريقة المؤثرة والحاسمة لمتابعة ذلك الهدف وتحقيقه.

### أهمية هذا المبدأ:

لا يستطيع أحد ان ينكر اهمية هذا المبدأ فقد اتفق جميع القادة والمنظرين على ان النصر لا يتحقق بالعمليات الدفاعية، بل بالعمليات التعرضية. إن العمل التعرضي ضروري لتحقيق نتائج حاسمة، ان بواسطته يستطيع القائد فرض ارادته على العدو واجباره على اتخاذ رد فعل

(١) هذا بالرغم من نظرة الاسلام الى الوسطية في كل شيء كالمأكل والمشرب والملبس ولذا كانوا أقل حشداً واعظم استخداماً لهذا القليل ومعركة مؤتة تشهد على ذلك.

مرتبك وغير متوازن، وبالتالي يمكن استغلال نقاط ضعف ووهن العدو. لا يمكن كسب المعركة ضد عدو متفوق كمًّا، كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية، او نوعاً كما هو الحال في حرب فيتنام، الا بضباط وجنود يمتلكون الروح التعرضية العالية والتصميم والارادة على تحقيق النصر، إن افضل وصف لتأثير نزعة الروح التعرضية لدى القادة هو ما قاله خالد بن الوليد لأحد الجنود في معركة اليرموك عندما قال: (ما أكثر الروم وما أقل العرب) فقال له بل قل (ما أكثر العرب وما أقل الروم، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان).

من اكبر الأخطاء ان نتمسك بالتعرض اذا كانت الظروف المحيطة لا تسمح بذلك، ومثال ذلك - وضع القوات العربية في الحربين الأولى والثانية ضد اسرائيل، وكذلك الحرب العراقية الايرانية من الجانب العراقي، ولكن يجب ان لا نهمل الجانب المعنوي والاستعدادي للتعرض، فالروح التعرضية يجب عدم فقدانها والا ستخلق حالة من اليأس والفشل لدى الجنود من الصعب استعادتها، وأما الاستعداد فيتم تدريجياً مع تهيئة الظروف اللازمة للتعرض الشامل. إذن لا يمكن اسقاط الدفاع كمرحلة قتالية، اذ ان كثيراً من المعارك لم تكسب الا بعد عمليات دفاعية ناجحة، مثل (معركة ستالينغراد).<sup>(١)</sup>

يجب ان لا يكون التعرض بقصد التعرض فقط، كما فعل العرب في حرب ٦٧ بل يجب خلق الظروف الملائمة للتعرض، فالمتنى بن حارثة الشيباني رفض خوض اي معركة ضد الفرس حتى تنتهي له الظروف التعبوية لذلك، وكذلك فعل القائد الانجليزي مونتغمري إذ رفض خوض معركة العلمين ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية قبل تهيئة الظروف الملائمة لقواته ومنها التدريب، خلق الروح التعرضية، حشد القطعات، وتحسين الأمور الادارية للجيش.

وفي الدفاع الطويل الأمد يُخلق لدى القطعات حالة من الأرهاق النفسي، وانخفاض المعنويات خصوصاً اذا كان الدفاع مستكناً لدى أحد الاطراف، او لدى الطرفين، لذلك فإن الروح التعرضية يجب ان تتأصل في ادارة العمليات الدفاعية، ويجب ان يكون الدفاع تعرضياً فعلاً نشطاً في مراحل الثلاث التخطيط، التحضير والادارة، ويمكن تحقيق ذلك بوسائل عديدة منها، الدوريات، الغارات، الاستطلاع بالقوة، الهجمات المعاكسة،<sup>(١)</sup> الهجمات التخريبية<sup>(٢)</sup> الضربات المقابلة،<sup>(٣)</sup> نيران الازعاج البرية والجوية والبحرية.

(١) مدينة روسية احتلها الألمان في الحرب العالمية الثانية ودافعت ببسالة وقد حدثت بها هذه المعركة وكسبها الروس في النهاية.

(١) الهجوم المعاكس : (الهجوم المقابل: Counter attack) هجوم يشن على العدو بقوة الاحتياط بعد خرقه للمواقع الدفاعية.

(٢) الهجوم التخريبي : (الضربة الاجهاضية (Spoiling attack)، هجوم يشن على العدو وهو في مناطق التجمع او التشكيل لتخريب هجومه المنتظر).

(٣) الضربة المقابلة : Counter stroke هجوم يشن على العدو وهو في حالة حركة في مواقعنا الدفاعية، القصد منه شل هجوم العدو.

كان الجنرال (ماكس فون بريتويز) يقود جيشاً المانياً في معركة دفاعية متحركة ضد جيشين روسيين، فقام الجنرال (ماكس) بمهاجمة احد الجيشين الروسيين، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً وطلب من القيادة الألمانية ان ينسحب من المنطقة الدفاعية، لأن القوات الألمانية مهددة بالفناء، عندها قامت القيادة الألمانية بعزل هذا الجنرال وتعيين الجنرال (بول فون هندنبرغ) بدلاً منه. أعد هندنبرغ ورئيس اركانها الجنرال (ايريخ فون لودندورف) ومدير العمليات المتقدم (ماكس هوفمان) خطة جيدة أوقع فيها احد الجيشين الروسيين بكمين، إذ سحب القطعات الموجودة امام هذا الجيش وحشدها امام الجيش الآخر، وبعد خمسة أيام قام بهجوم جانبي استطاع فيه ان يدمر ذلك الجيش، ان خسر الروس (١٢٥ ألف) مقاتل وما يزيد عن ٥٠٠ مدفع في معركة سميت (كانتبرغ) وكان هذا بفضل الروح التعرضية لهذا القائد وهيئة ركنه وتقبلهم المخاطر المحسوبة.

من الممكن اعتبار العمل التعرضي حالة ذهنية يجب اداؤها على المستوى التعبوي والسوقي، ففي المستوى التعبوي اوردنا الأمور التي يمكن بواسطتها ادامة الروح التعرضية للمقاتلين، واما على المستوى السوقي فيتم ذلك بوسائل الاعلام للدولة، إذ لا فائدة من جيش لديه روح تعرضية يدافع عن أمة معنوياتها ساقطة مهزومة من داخلها. ان التأثير النفسي على الروح التعرضية عامل بالغ الأهمية لكل الأمة ويجب ان ينظر اليه من زوايا متعددة.

### مقياس التعرض

من الضروري لأي جيش إدخال مفهوم الروح التعرضية في عقيدته التعبوية، ولكن هذا قد يصطدم بعوائق كثيرة، يجب التغلب عليها ومعالجتها قبل ترجمة الروح التعرضية الى لغة يستفيد منها القائمون بتحليل المعارك وتطوير اساليب المعركة.

من السهل مقارنة قوات الطرفين من حيث القوة البشرية، الدروع، المدفعية، والهندسة وغيرها، ولكن يصعب ايجاد مقياس مشابه لبيان تأثير مفاهيم مجردة، مثل الشجاعة، والمفاجأة، والخدعة والمعنوية، وهذه عوامل مهمة جداً تزيد او تنقص من القوة القتالية للأطراف المتحاربة.

من المسلم به انه لا يوجد مقياس لهذه العوامل الآتفة الذكر، قبل ادخالها في مخططات سير العمليات القتالية وأساليب اتخاذ وتحليل القرارات، وعند مناقشتها نعتف بأهميتها وتتركها جانباً، ثم نعود لمناقشة أرقام جامدة للدبابات، وجنود المشاة والمدافع. لقد ساعدت لعبات الحرب على تقييم وتحليل خطط الجيوش لما لها من فوائد كثيرة في تقييم كفاءة مختلف عناصر وتنظيمات الجيش، ومعداته وأساليبه التعبوية، ان اصبحت ذات تقنية عالية يمكن

الحكم بواسطة على نتيجة الاشتباكات،<sup>(١)</sup> بالإضافة الى المقارنات العديدة المار ذكرها، إن هذا التقييم النوعي لا زال في بدايته، إذ ان لعبة الحرب لا تسمح بمهاجمة قوة معادية متفوقة في العدد والعدة وعلى افتراض ان لدينا روح تعرضية عالية، او معنويات ممتازة او اسلوب بارع في القتال. فان القائد الأقل تفوقاً في العدد والعدة لا يستطيع ان يحقق النجاح. حتى لو كانت لديه وسائل المفاجأة والشجاعة، والجرأة والتعرض، رغم ان الكثير من المعارك تم كسبها بهذه الوسائل ومنها اليرموك، بدر، القادسية، واترلو، ماراثون واربيل وغيرها. يجب عدم اعتبار هذا النقص في القائد او الجنود الذين يقودهم، بل هو في الواقع قصور كامن في أسلوب الفحص والتحليل الذي نستعمله لادارة لعبة الحرب، والذي نأمل ان يتطور لمعالجة الوسائل الحيوية اعلاه.

(ان المتردد يجد مائة عذر لتجنب التعرض، أما المتهور فله مئة سبب وسبب لاتخاذ التعرض، وبين الحالتين يكمن الحل. ينطوي العمل التعرضي على استخدام فعلي للقوات، وهذا غير ممكن دائماً في المستوى السياسي. ان التعرض يجد مجالاً واسعاً لاستخدام الطاقات والدوافع والفعاليات مما يجعلها أكثر حيوية. وفي هذا المنظر نخلص إلى القول بوجود الاحتفاظ بهذا المبدأ في قائمة المبادئ (دون تغيير)<sup>(٢)</sup>

### التعرض والتفوق العددي :

يقول الجنرال توماس مستونويل جاكسون: (لا تستسلم الى مخاوفك أبداً لأن العدو اكثر منك قلقاً، ان التفوق العددي مفيد ولكنه غير حيوي لنجاح العمل التعرضي، إن مجرد قيامك بالهجوم يجعل عدوك يعتقد بأنه أقوى منك).

هذا الكلام قد يكون مقنعاً، ولكن نظرية المقارنة معروفة للجميع وهو أن المهاجم يجب ان يتفوق على المدافع بنسبة ٣:١ حتى يضمن أقل نسبة من النجاح، هل هذا يعني ان التفوق ضروري حتى تميل إلى التعرض؟ وعكس ذلك هل يجب ان نتبنى الدفاع؟ أم هناك أسباب أخرى كأن لا توصل الدولة بالعدوان؟ أم أن هناك نزعات سياسية أخرى مؤثرة مثل سياسة حلف الاطلسي السابقة (الانتقام الشامل) ومن ثم السياسة اللاحقة (الردع المتدرج) التي دفعتها الى تبني الدفاع والسير في طريق إعداد، وإدارة اكبر مجهود عسكري دفاعي عرفه التاريخ مقابل حلف وارسو المتفوق عدداً وعدة؟ أم ان هناك نزعات سياسية أخرى تدفع الدولة الى التعرض، رغم بعض نقص القوة العددية، كما تفعل اسرائيل بالأمة العربية؟ فجيئها جيش الدفاع والحقيقة هو جيش الهجوم والاحتلال، والسياسة المعلنة سياسة دفاعية والحقيقة هي

(١) لكل لعبة حرب قوانين إرشادية خاصة بها مبنية على حقائق وافتراضات معتمدة على معارك سابقة حدثت بنفس النوال.

(٢) مبادئ الحرب في العصر الحديث - العقيد الركن حازم عبد الرزاق شهاب.

سياسة تعرضية، إذ يكفي أنه لا يوجد حدود معروفة لدولة إسرائيل، وفي كل حرب تحتل جزءاً جديداً من أراضي الأمة العربية، وهي أقل عدداً وعدة من جيوش الدول العربية، ورغم هذا تحقق التفوق والنجاح في المكان الذي جرى عليه التعرض؛ لهذا يجب أخذ العبرة من الأمثلة الموجودة، والحقائق المتيسرة، فحتى نبني روحاً تعرضية في جيش ما، لا يكفي التأكيد على أهميته في العقيدة العسكرية بل يجب إحداث تغييرات جذرية في التنظيم والتدريب والتسليح، وأن لا يجري تقليد السياسة التدريبية للدول الأخرى تقليداً أعمى كأن نقول إذا أردنا أن نهاجم فيجب أن نعرف كيف يدافع العدو؟ إذ قد لا يكون هناك ارتباط بينهما، فمثال ذلك في الحرب الهندية - الباكستانية عام ١٩٦٥ تعرض الهنود في قاطع، وتعرض الباكستانيون في قاطع آخر. وكلاهما حقق النجاح، وقد تجري معركة مصادمة بين قوتين دون أن يكونا في وضعية دفاعية، وهذا ما تؤكد عليه العقيدة العسكرية الروسية، بأن أكثر المعارك احتمالاً في ساحة المعركة هي التي يمكن أن تنشب نتيجة للتصادم بين قوتين مهاجمتين.

### التعرض وزمام المبادرة

ترتبط المبادرة ارتباطاً وثيقاً بالتعرض لدرجة أن الكثيرين يخلطون بينها، وبما أننا عرفنا التعرض، فالمبادرة هي: (مجموعة الأعمال، والاجراءات السوقية، والتعبوية الواجب القيام بها بشكل فعال) ومستمر تجاه العدو، والتي تؤدي بشكل مباشر الى فقدانه حرية العمل واربائه وشل إرادته وتغيير خططه بشكل مستمر)، (أما الاحتفاظ بالمبادرة فهي القدرة على الاستمرار بهذه الأعمال للتأثير على العدو وجعله دائماً في حالة الاربك التي لا تمكنه من تحقيق أي تفوق أو انتزاع زمام المبادرة).<sup>(١)</sup> من خلال التعريفين السابقين، نجد أنه يصعب الفصل بين التعرض والمبادرة، إذ لا يمكن المحافظة على المبادرة إلا بأعمال تعرضية فعالة مبنية على أسس وحقائق ثابتة معتمدة على معرفة العدو ونواياه وتسليحه وتجهيزه وخطته التعرضية، حتى يمكن معرفة نقاط ضعف العدو ومفاجأته، أو تحقيق التفوق عليه للحصول على زمام المبادرة وأدامتها فيما بعد.

هل يمكن الحصول على زمام المبادرة من خلال العمليات الدفاعية؟ والجواب نعم، يمكن ذلك، إذا جرى تدمير قوات العدو ودفاع ناجح وهنا على المدافع أن ينتقل الى دور التعرض. يقول احد القادة واصفاً الدفاع المتحرك (السيار) (إن الدفاع ترس والهجوم سيف، والقائد الناجح هو الذي يمسك الاثنتين معاً، أما الدفاع النشط (الفعال)<sup>(٢)</sup>، فهو يحقق المرونة في ساحة المعركة ويعطي القائد حرية أكبر من العمل وصلاحيه اتخاذ القرارات بشأن كيفية ادارة العمليات في

(١) المجلة العسكرية العراقية - العدد الرابع - سنة ٦٢ - مقال المبادرة روح النصر للعميد الركن ناطق بهجت نامق.

(٢) نوع من أنواع الدفاع تتبناه المؤسسة العسكرية الامريكىة وهو أكثر فعالية ونشاطاً من أنواع الدفاع الأخرى ولمزيد من المعلومات راجع الكراسه الامريكىة FM 100-5.

منطقة المسؤولية، وقد قلل هذا النوع من الدفاع من الفروق الضمنية بين العمليات التعرضية والعمليات الدفاعية في مستوى الفرقة، واصبح التأكيد على ضرورة مهاجمة العدو في كل فرصة سانحة هو العامل المشترك بين النوعين. يمكن تقسيم المبادأة الى نوعين هما: (١) المبادأة السوقية (٢) والمبادأة التعبوية. تشمل المبادأة السوقية: سبق العدو بالأعمال الواجب القيام بها منذ السلم لتهيئة مستلزمات مسرح العمليات من المعدات والتجهيزات، والقوى البشرية التي من شأنها الحصول على التفوق على العدو في زمن الحرب، وأهم متطلباتها إعداد القوة المسلحة للحرب، إعداد الدولة للحرب، التعبئة النفسية، اعداد مسرح العمليات، الخطط الادارية، ادامة طرق المواصلات والمعلومات

المبادأة التعبوية: تعني قيام القادة على مختلف المستويات باعداد خطط العمليات، والقيام بالأعمال التي من شأنها ارباك العدو وفرض الارادة عليه، واجباره للخضوع، والقيام بأعمال في غير صالحه، ولا يتم ذلك إلا بالقيام بالأعمال التعرضية، والفعاليات المستمرة في ساحة المعركة، وأهم متطلباتها الاستطلاع، الأمن، المباغتة، التجريد، الابداع الذاتي، الفعل السريع وإدامة الزخم. تعتبر جمهورية الصين الشعبية واسرائيل (المبادأة) مبدأ رئيسي من مبادئ الحرب، بالاضافة الى مبدأ العمل التعرضي لما لهذا العامل من أهمية حاسمة في مجرى الحرب، ولسياسة هاتين الدولتين تجاه جاراتهما من الدول الأخرى رغم الفارق الكبير بين حجميهما، اما الدول الأخرى فتعتبر المبادأة عاملاً ملازماً ثابتاً للتعرض ومن الصعب الفصل بينهما كما هو في مبدأي الحشد والاقتصاد بالجهد.

### مبدأ التعرض في صدر الاسلام

التعرض هو تصميم فكري واستعداد جسدي للقتال، ويمكن تحقيقه بفرض موقف في غير صالح العدو.

هل من الممكن ان يصل المسلمون إلى ما وصلوا اليه لولم يتمتعوا بروح تعرضية عالية ساعدتهم في فتح بلاد الشام وبلاد فارس في عقود قليلة من الزمن. قد تختلف العوامل التي ساعدت على ايجاد الروح التعرضية للمسلمين في صدر الاسلام، عن العوامل الموجودة في عصرنا الحاضر، ولكن المبدأ واحد. كانت الشهادة هي الهدف الأسمى للمقاتل، وهي جزء مهم من العقيدة القتالية اذ يكفي هذا العامل فقط للصمود في ميدان المعركة، اما الاستعداد للقتال من الناحية المادية، فكان واضحاً في القرآن الكريم (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والأحاديث النبوية (ألا ان القوة الرمي) و (أرموا واركبوا وان ترموا أحب الي من ان تركبوا، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا). ولناخذ أمثلة من معارك المسلمين المشهورة عن هذا المبدأ، ففي معركة بدر خرجوا للهدف اقتصادي، وقد فرضت عليهم المعركة، وخاضوها باستعداد نفسي جزئي ولكنهم نجحوا في المعركة رغم تفوق العدو بنسبة ١:٣.



أما في معركة تبوك، فكان التعرض واضحاً، إذ حشد المسلمون كل قوتهم ضد عدو متفوق عليهم بنسبة عالية، ولكن روحهم التعرضية العالية ساعدتهم على التقدم بمسافة ٧٠٠ كم لمهاجمة العدو الذي ترك ارض المعركة خوفاً من المواجهة.

وفي حروب الردء، كان الموقف في غير صالح المسلمين للتعرض لأن القوة المرتدء اكبر بكثير من قوة المسلمين، إضافة الى انها تعمل على جبهات متعددة، ولكن الخليفة أبا بكر وقف في المسلمين وقال (والله لو منعوني عقلاً كانوا يدفعونه زمن الرسول لقاتلتهم عليه)، ولم تكن هذه حدود التعرض فقط فقد ارسل جيش اسامة بثلاثة آلاف مقاتل ليغير على الروم كان هو بحاجة الى كل جندي منهم في هذا الظرف العصيب. أما في معركة اليرموك، فقد فرض الروم المعركة على المسلمين أيضاً، رغم أن فتوحات الشام هي اعمال تعرضية، وقد حاول القائد الرومي: أن يطاول المسلمين بالتخلي عن أهدافهم بمقابل، فرفض المسلمون ذلك، لأن شروطهم واضحة، وعندما بدأت المعركة، وكان الموقف متأرجحاً في اليوم الثالث، أرسل القائد الرومي يطلب الهدنة، وكان جواب المسلمين (نحن في عجلة من هذا الأمر)، لأنهم لا يقبلون بأنصاف الحلول، فروحهم التعرضية تدعوهم للوصول الى النصر النهائي والحاسم.

والقادسية، كانت عملاً تعرضياً بحثاً ضد الفرس، فقد حشد المسلمون كل طاقاتهم، حتى انه جمع لسعد في القادسية جيش لم يجتمع للمسلمين من قبل، وقد حاول الفرس بشتى الوسائل اغراء المسلمين بالمال، والأرض، والمك حتى لا يخوضوا المعركة لأنه شتان بين الروحين، الروح الاسلامية العالية التي تطلب الشهادة لاعلاء كلمة الله والاسلام، والروح الفارسية المتردء التي تدافع عن ملك فارس. اذا اسقطنا حساب الدفاع والهجوم على افتراض انها معركة مصادمة كانت قوة الفرس متفوقة بنسبة ١:٣ والنتيجة كانت لغير صالحهم، وقد رأينا خلال المعركة ان فارساً واحداً من المسلمين يصول ويجول مثل القعقاع، وابو محجن وعاصم، ولا يوقفه جيش فكيف يمكن حساب ذلك بالمقاييس الرقمية. إذا درسنا بامعان كل معارك المسلمين في صدر الاسلام، نجد ان التفوق العددي لصالح العدودائماً<sup>(١)</sup> وكان النصر فيها للمسلمين ما عدا معركتي أحد والجسر.<sup>(٢)</sup> واعتقادي أن أحد الاسباب الرئيسية فيها هو الروح التعرضية العالية التي تمتع بها المسلمون قادة وجنوداً.

(١) ما عدا معركة بدر التي قاتلت فيها الملائكة الى جانب المسلمين.

(٢) ناقشنا اسباب هزيمة المسلمين في هاتين المعركتين.

## المعنويات تعريفات

- ١ - المعنويات. هي الروحية التي تحث الرجال أفراداً أو جماعات لمواجهة المخاطر عن طيب خاطر. إن حالة المعنوية: هي المجموع الكلي لما تسهم به جملة عوامل تتعلق بنواحي عديدة للفرد والمجتمع الذي تنتمي اليه بنية القطاعات، ان المعنويات هي الروحية التي تحمل ميدان المعركة والتي بدونها سوف لن يقا تل أي رجل في عالم اليوم الذي يتجه أكثر وأكثر نحو الانفرادية. (١)
- ٢ - المعنويات. هي الحالة الذهنية، والعاطفية، مثل حالة الحماس والثقة، والولاء للشخص أو الجماعة فيما يخص الأداء أو المهام الوشيكة الوقوع، وهي شعور الجماعة واحساسها بالهدف العام المشترك فيما يخص روح العمل الجماعية، مستوى الخير والرفاهية للفرد على الصعيد النفسي علماً بأن هذه العوامل تستند الى شعور بالهدف المشترك وإلى ثقة بالمستقبل. (٢)
- ٣ - المعنويات تشمل مهارة القائد، خبرة وشجاعة الجند، وروحهم الوطنية. (٣)
- ٤ - المعنويات هي المضاعف المشترك في القوة العسكرية لطاقة المعركة. (٤)

## أهمية المعنويات

تعتبر المعنويات المبدأ العاشر من مبادئ الحرب، رغم عدم ورودها بهذا التسلسل في هذا البحث، وقد اعتمدت كمبدأ لدى الكثير من الدول مع بعض التحوير اللفظي أو المعنوي مثل إدامة المعنويات لدى المملكة المتحدة والعراق والهند، الروحية لدى جمهورية الصين الشعبية، الروح المعنوية لدى اسرائيل، والايامن والمعنويات لدى الباكستان، أما بعض الدول فلم تعتمد المعنويات كمبدأ مثل الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا.

يعتمد نجاح العمليات العسكرية على جملة عناصر منها المعنويات. ان المعنويات : هي انعكاس للأفكار الوطنية ومستوى الايمان بعقيدة الأمة وأهدافها، انها تعكس أيضاً العقيدة العسكرية للقوات المسلحة ودورها الأساسي ومدى الثقة المتبادلة بين القيادة والفرد.

ان الشعب الذي يسير نحو الحرب بدافع ومحرك ذاتي أساسه الايمان الراسخ بشرعية الأهداف، ومشاركة القيادة العسكرية والسياسية في تحمل اعباء ذلك، يستطيع ان يتحمل اعباء ونتائج الحرب مهما كان مداها طويلاً وابعائها ثقيلة.

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث - حازم عبد الرزاق.

(٢) مل تري ريفو عدد آذار ٨٢ - عن قاموس ويبستر.

(٣) كارل فون كلاوزوفيتز.

(٤) كراسة قوة المعركة - الجيش الاسترالي.

تعكس المعنويات ايضا، مدى التماسك الاجتماعي بين الجيش والشعب، اذ أن آمال الجندي العريقة هي نفسها آمال المواطن، ومثال ذلك اندفاع الشعب الباكستاني في الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥ أمام الشعب، أما في حرب عام ١٩٧١ فكان الاندفاع أقل، وسيكون أقل من ذلك في ظل الظروف الراهنة، وسبب ذلك هو الثقة المتبادلة والتماسك الذي كان يربطهما عام ٦٥ والذي بدأ يتراجع عكسياً في السنوات الأخيرة.

يمكن الحصول على معنويات عالية في المستوى الوطني اذا امكن اقناع الشعب والجيش بأن الحرب التي يخوضونها حرباً عادلة وهي حيوية لوجود الأمة. يجب ان تعباً القوات المسلحة في السلم والحرب، ويجب ان يعتنى بها في مستوى معيشة متكافئ مع الشعب التي تشكل أحد عناصره، كما يجب الاعتناء بعائلات الجنود في حياتهم ومماتهم، لأن الجندي الذي يضحي بروحه في سبيل وطنه، وأمه، ينبغي ان يعيش حراً كريماً وكذلك عائلته من بعده.

في المستوى العسكري يمكن خلق روح معنوية عالية بأساليب عديدة أهمها غرس الايمان الواعي<sup>(١)</sup> لدى الفرد، أما العوامل الأخرى فهي:

- ١ - القيادة الجيدة.
- ٢ - الانتصارات الأولى في المعارك.
- ٣ - التدريب المشترك في كافة المستويات.
- ٤ - الكفاءة العالية للفرد والوحدة.
- ٥ - الثقة العالية بالنفس والسلاح والقيادة.

ليس من السهل في المستوى الميداني التأثير على المعنويات في فترة قصيرة من قبل القادة، وسبب ذلك ان معظم الجيوش تحتفظ الآن بجيش نظامي صغير، وعندما تبدأ الحرب، يشكل الاحتياط الغالبية العظمى للجيش، وهؤلاء يعتمد مستوى معنوياتهم على مستوى معنويات الشعب ككل، اضافة الى ذلك، فإن التأثير على المعنويات يحتاج إلى خطة طويلة الأمد على كافة المستويات، وهذه الظروف لا تتيح لقيادة بشكل منفرد وإنما يجب ان يجري تبني هذه السياسة على مستوى الجيش ككل.

**معنويات الفرد**

تتأثر معنويات الفرد بالطريقة التي يتصور بها هذا الفرد دوره ضمن المجموعة التي يعمل معها، حيث تضيف القيم والعقيدة الروحية والخبرات والآمال على هذا الشخص صفة الذاتية من خلال عملية النشأة الاجتماعية المعقدة التي تتشكل بمرور الزمن، وبشكل ملحوظ خلال العقدين الأولين من عمر الانسان. عندما ينتقل الفرد من حياته المدنية الى الحياة العسكرية، فإن يجلب معه قيماً وتقاليد وخبرات اكتسبها من خلال عائلته والمجتمع الذي تربى فيه، خاصة الاشخاص المؤثرين في ذلك المجتمع كالشيوخ والوجهاء والمعلمين ورجال الدين.

(١) الايمان الروحي عامل رئيسي وهو الذي كان يدفع المسلمين للموت وسناتي على تفصيل ذلك في وقت لاحق.

من البديهي ان يعاد تكييف الفرد المستجد، وتغيير بعض المفاهيم لديه بالتدريب الحثيث والمتواصل، وسوف يجري توجيه قيمه واهدافه وآماله في قنوات جديدة تختلف إلى حد كبير عن سابقتها، فهذه القيم تشمل تحمل الصعاب، والضبط والربط العسكري، الكفاءة العسكرية، اللياقة البدنية العالية، والعمل الجماعي، وإنَّ مخالفة هذه القيم يعتبر انحرافاً عن الخط العسكري ويستوجب العقاب.

## معنويات الوحدة

يؤدي التدريب الأساسي دوراً مهماً في التأثير العام على معنويات الوحدة من خلال الفرد، إذ ان الفرد الموجه والمدرّب تدريباً صحيحاً سيصبح عضواً فاعلاً في عمل جماعي والعكس صحيح.

حتى نستطيع ان نميِّز معنويات وحدة فرعية من معنويات وحدة فرعية أخرى، علينا ان نضع فصيلاً من الجنود أمام فصيل منافس آخر، ونلاحظ دور كل جندي واهتماماته والجهود المضنية لدى كل واحد منهم للوصول بوحدته الى منصة الفوز، والشيء المؤكد ان الوحدة التي معنوياتها عالية هي التي ستفوز.

إن معنويات الفرد والوحدة، هي العناصر المهمة في تدريب الفرد المتقدم ولكنها تتخذ أهمية أكبر عند التحاق الجندي بوحدته، ونرى كيف سيتم استقباله وتكييفه وفق ظروف ملائمة، واندماجه في وحدته الجديدة. إن كل ذلك سيؤثر بشكل عام على تكييف الجندي للمحيط الجديد، وفي هذه المرحلة فإن تحفيز الجندي والاهتمام به ورعايته سيجعل منه عضواً فعالاً ضمن المجموعة. اما عند إهمال الجندي وعدم الاكتراث بوجوده أو تكليفه بواجبات ومهام ثقيلة عليه، فإنه سيصاب بالاحباط مما يهبط من معنوياته بشكل كبير.

ليس هناك مقياس ضغط لمعرفة كفاءة وحدة ما، ولكن هناك دلائل واضحة تشير إلى ارتفاعها او انخفاضها، ومنها كفاءة تلك الوحدة، الثقة المتبادلة بين الرأس والمرؤوس، والضبط والربط العسكري الذي يتمتع به أفراد تلك الوحدة.

## معنويات القوات المسلحة

سبق وان بينا بأن المعنويات حالة ذهنية وعاطفية للفرد، وهذه يصعب قياسها بالنسبة لجيش بأكمله، وإنما تبقى أفكار عامة يعرف بها ذلك الجيش، إذ لا يمكن اعتبار ان معنويات الجيش مرتفعة لمجرد ان يصفها رئيس الأركان او المفتش العام انها كذلك، ولا أنها متدنية أو تحت الصفر كما يصفها بعض الأفراد والضباط الساخطين.

إن معنويات الجيش هي كالبنا، إذا كان أساسه متيناً كان البناء قوياً، ويقاوم ضغوطات

الطبيعية، وكذلك الجيش فإن كانت معنوياته عالية، يستطيع تنفيذ جميع مهامه، رغم جميع الصعاب التي قد تعترضه، وأما إذا كان الأساس ضعيفاً ومهزوزاً كان البناء واهناً آيلاً للسقوط في أول زخة مطر، وكذلك معنويات الجيش ستكون متردية وتندثر بالسوء في أول معركة قد يخوضها الجيش.

قد يتساءل البعض، ما هي أسس معنويات الجيش حتى يكون البناء متيناً قوياً؟ والجواب، أن القادة والجنود والوحدات هم الأعمدة الأساسية لبناء الجيش، وعلينا بناؤهم بناءً صحيحاً لنكون مطمئنين لمستقبل هذا الجيش.

## دور القادة نحو المعنويات

عند دراستنا للتاريخ العسكري نجد بأن المعنويات، وهي من مهام القادة بشكل مباشر، وأن الذي يخلق الوحدة الكفؤة والفعالة هو القائد الجيد. لقد أدرك (يوليوس قيصر) ذلك، وكما أشار (لاين مونتروس الأمريكي) (إذا كان الاسكندر المقدوني هو الفاتح الأعظم في العصور القديمة، وهانيبال هو المخطط الحربي والتعبوي الأكثر براعة وقدرة، فإن قيصر يستحق الاعتراف به كأفضل قائد للرجال، أن كفاءته تعتمد على العلاقة الحميمة المتبادلة بين القائد وجنده.

اذن ما هي طبيعة العلاقة بين قيصر ورجاله؟ أو القائد الجيد ورجاله؟ انها روابط يزيد مداها عن رئيس يصدر أوامر ومروؤس ينفذها، انها روابط قوية متينة، تدعو الجندي لأن ينفذ أوامر قائده برغبة وتصميم وإطاعة دون مناقشتها لتثقتة بحكمة وخبرة ورعاية قائده. اذن فإن للقائد دوراً في رفع معنويات جنوده، وتحقيق النصر. يقول الجنرال «مارشال»<sup>(١)</sup>:- (ليس من الكفاية القتال لتحقيق النصر، لأن الإرادة والعزيمة هي التي تحسم الأمر، وأن المعنويات هي التي تحرز النصر في النهاية)، وقد جلب الجنرال «باتون»<sup>(٢)</sup> في قوله :- (يمكن خوض المعارك والحروب بواسطة الأسلحة ولكن الانتصار بها يتم بواسطة الرجال، وأن عزيمة الرجال وقائدهم هي التي تحقق النصر).

## مبدأ المعنويات في صدر الاسلام

رغم أنه يصعب معرفة مستوى المعنويات التقريبي وقت السلم، الا انه من السهل معرفة مستواها وقت الحرب، إذ يمكن وصف معنويات الفرد من قدرته القتالية وصموده أمام العدو، وقد تميّز الفرد المسلم بهذا في صدر الاسلام. فهل كانت عوامل إدامة المعنويات في ذلك العصر هي نفسها العوامل التي ندرسها لجنودنا هذه الأيام ومنها التدريب الجيد، زرع الثقة بين

(١) جنرال امريكي حصل على أعلى رتبة عسكرية امريكية من فئة خمس نجوم.

(٢) الجنرال ياتون، جنرال امريكي خاض الحرب العالمية الثانية.

القائد وجنده، والمحافظة على رفاهية وصحة الجنود، والاهتمام بالمشاكل الداخلية والخارجية للجنود وغيرها من العوامل؟ نعم، كانت هذه العوامل موجودة بشكل نسبي وحسب المواقف والظروف، أما العامل الأهم فلم نتطرق له لأنه يعتبر من العوامل الثانوية في العصر الحديث، إلا وهو العامل الروحي، لقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواقف ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم مقابل الجنة، ولهذا السبب كنا نجد المسلمين يطلبون الموت والشهادة فتوهب لهم الحياة. وقف الرسول في غزوة بدر مخاطباً المسلمين بقوله: (من قاتل في هذا اليوم مقبلاً غير مدبر فقتل ضمننت له الجنة) وكان يقف بجانبه احد المسلمين بيده بعض من التمرات يأكلها فقال: (بخ بخ) واندفع يقاتل غير مبالي بالنتيجة واستشهد بعد قليل من اندفاعه فقال الرسول لأصحابه: (لقد ضمن صاحبنا الجنة).

هذه هي الروحية العالية والمعنوية الرفيعة التي تمتع بها المسلمون في صدر الاسلام، والشواهد كثيرة يضيق بنا المجال لذكرها او ذكر بعضها ولكننا نركز القول بأن العامل الرئيسي في هذه المعنوية العالية هو الصفة الرابحة بين المسلم وربّه (روحه مقابل الجنة)، ولكننا لا نستطيع ان نسقط العوامل الأخرى المؤثرة على المعنويات، فالخليفة ابو بكر قال في وصاياه عندما وجّه قادة الجيوش لقتال المرتدين (اقتصدوا بالمسلمين، وارفقوا بهم في السير والمنزل وتفقدوهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، واستوصوا بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول).

أما وصية ابي بكر لعمر بن العاص عندما وجّهه لفتح فلسطين فيقول فيها: (كن والدأ لمن معك، وارفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف، واعلم يا عمرو ان معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم واعرف حقهم، ولا تتطاول عليهم بسطانك، وكن كأحدهم، وشاورهم فيما تريد من أمرك).

وكذلك وصيته الى يزيد بن أبي سفيان: (اذا سرت فلا تضيّق على نفسك ولا على أصحابك، واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور).

لقد كانت وصايا الخليفة عمر كثيرة وناخذ مقتطفات فقط من رسالته إلى سعد عندما ولّاه جيش العراق حيث يقول: (ترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشّمهم سيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون الى عدو مقيم حامي النفس والكراع، واقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون راحة لهم يحيون بها أنفسهم، ويرمون اسلحتهم وامتعهم).

ونلاحظ المعنويات العالية في خطبة الإمام علي بن ابي طالب حيث يقول: (ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ان اكرم الموت القتل، والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف اهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله).

لقد كانت معارك المسلمين في صدر الاسلام مثلاً حياً للمعنويات العالية، التي يمكن ان

يضرب بها المثل، وهنا بعض الأمثلة لهذه المعارك:

١ - غزوة بدر: أول معركة يخوضها المسلمون بشكل رسمي امام أعدائهم، والأعداء هم الآباء والابناء والأشقاء، انهم عشيرة واحدة ولكن العقيدة غلبت على القرابة، والمعنوية والتصميم تغلبت على التفوق في العدد والعدة، فكان النصر بجانب المسلمين.

٢ - فتح مكة: كانت مكة بالنسبة للمسلمين (المهاجرين) أكثر من بلد مقدس، فهي مسقط رأسهم الذي تركوه فراراً بدينهم وتركوا فيها أموالهم وعائلاتهم وأقاربهم، لذلك لم تكن معنويات المسلمين في وقت من الأوقات اعلى منها في فتح مكة، وهذه المعنويات كانت وليدة الحشد الكبير لقوات المسلمين، العدة الحربية، أهمية الهدف بالنسبة للمسلمين، بالمقابل كانت معنويات عدوهم ضعيفة مترددة حتى انهم لم يجتمعوا على رأي، أهو القتال ام الاستسلام؟ وفتحت مكة من قبل المسلمين دون قتال للفارق الكبير بين معنويات المهاجمين والمدافعين.

٣ - معركة تبوك: حشد المسلمون ثلاثين ألف مقاتل وهو جيش كبير قياساً بدولة المسلمين الناشئة، وقد حشد الروم اكبر من هذا العدد على حدود الجزيرة العربية، وسار المسلمون من المدينة ولديهم تصميم على القتال رغم قساوة ظروف الطبيعة، وعندما وصلوا تبوك لم يجدوا قوات معادية يحاربونها، لقد انسحب العدو وأثر تقبل الهزيمة المعنوية على ان لا يهزم عسكرياً وحقق المسلمون نصراً معنوياً هائلاً، وقد ارتفعت معنوياتهم لمجرد ان سمعوا بانسحاب العدو، وهذا جراًهم على ان يبدؤوا بفتح بلاد الشام في وقت لاحق.

٤ - معركة البويب: كانت معنويات المسلمين قبل خوض هذه المعركة متوسطة او دون الوسط لأن الجيش الإسلامي كان من عنصرين، عنصر خاض معركة الجسر ولحقت به الهزيمة، وعنصر جديد لم يخض المعركة ولكنه يتهب لقاء الفرس، اما معنويات الفرس فكانت عالية جداً لدرجة انهم اجتازوا النهر تجاه المسلمين دون مراعاة عامل الأرض، وعندما بدأت المعركة كان صمود المسلمين رائعاً. وحققوا نصراً ساحقاً رغم ان نسبة القوى بين الطرفين لم تزد عن ١:١٠ وهذه من الأمور التي يصعب تصديقها في الحروب الحديثة.

٥ - معركة القادسية: اولي القائد سعد هذا العامل اهمية بالغة واهتماماً خاصاً، فوقف وخطب بالجنود ورفع من معنوياتهم، كما ارسل وراء الخطباء وطلب منهم ان يثيروا حماس المقاتلين،<sup>(١)</sup> كل يوم قبل بدء القتال. كان لوصول تعزيزات الشام بقيادة القعقاع، وهاشم بن عتبة، وغارات الفدائيين المسلمين على فيلة الفرس، والقادة العظام أمثال القعقاع وزهرة وعاصم اثر عظيم في رفع المعنويات.

(١) ورد قسم من هذه الخطب في معركة القادسية.

## المرونة تعريف

المرونة: هي القدرة على الحركة والتنقل بسرعة (التحشد والمناورة) لمواجهة مختلف المواقف، وهذه المرونة تعني مرونة الفكر العسكري على مستوى التنظيم والاستخدام وقابلية الحركة، فالمرونة تعني تطبيق الخطط الموضوعية بحيث يمكن تحويل تلك الخطط حسب الحاجة لمواجهة كل موقف طارئ في مستوى السوق، اما على المستوى التعبوي فيمكن تحقيق المرونة بالاتصالات الجيدة، والضبط الجيد، وأعمال الركن الدقيقة مع وجود مرونة في تفكير القادة على مختلف مستوياتهم وفي تطوير الخطط وتنفيذها. (١)

يجب عدم الخلط بين المرونة التي هي خاصية من خواص القوة، والمناورة التي هي أسلوب من أساليبها للوصول الى الغاية المنشودة.

## تسمية المبدأ

اتفقت معظم الدول التي تتبنى عقيدة عسكرية واضحة، وكذلك المنظرون العسكريون الذين لديهم خط عسكري واضح، أمثال كلاوزوفيتز، وليدل هارت بأن المرونة هي مبدأ رئيسي من مبادئ الحرب، ولكنهم اختلفوا في التسمية، رغم ان المفهوم العام متقارب. اتفقت المملكة المتحدة والهند والعراق على تسمية المرونة اما بالباكستان فقد اسمتها «قابلية الحركة»، وفرنسا «حرية العمل»، واسرائيل «حرية الحركة والمناورة» وأما فوللر، ليدل هارت، غودريان، ماوتسي تونغ وكلاوزوفيتز فأسموها الحركة (الحركية).

## عناصر المرونة

- ١ - التدريب الجيد
- ٢ - التنظيم الجيد
- ٣ - الوسائل اللازمة للتنقل السريع
- ٤ - الضبط الجيد
- ٥ - القيادة المرنة وعمل الركن الدقيق
- ٦ - تدابير إدارية جيدة.

(١) كراسة محاضرات السوق لكلية الأركان العراقية.



## أهمية المرونة

يجب ان تكون كافة الخطط العسكرية سوقية، تعبوية ام ادارية مرنة بالقدر الكافي، لأن الممارك نادراً ما تحدث كما هو مخطط لها، لا تعني المرونة رد الفعل المباشر لكل حركة معادية او خطة جديدة، وإنما هي القدرة على تنبؤ المستقبل واتخاذ التدابير المسبقة قبل وقوع هذا الحدث.

يمكن الحصول على المرونة في المستويات العليا، فإعطاء مجال واسع من حرية العمل، أما في المستويات الدنيا فتكمن المرونة في الحشد السريع والحركة السريعة ضمن إطار الخطة الموضوعية والواجبات المحددة، وكلما تطور الموقف تصدر أوامر جديدة،<sup>(١)</sup> لمواجهة المواقف المتبدلة تتطلب المرونة تدريباً راقياً، وقابلية حركة عالية للقوات، واتصالات سريعة وكفؤة، واحتياطات كافية، واسناد إداري جيد يلبي متطلبات التغيير السريع في الخطة. تمكن المرونة القائد من تغيير وضعه السوقي او التعبوي بإعادة التجنفل السريع.

(يشير المفكرون السوفييت الى ان السرعة في العمل، والمهارة في المناورة وقابلية الحركة هي احدى الشروط الأساسية للنجاح)<sup>(٢)</sup>، وأن القوات التي تنفذ الأوامر بسرعة، وتتجمع وتتحرك بسرعة، وتنتقل من الراحة الى العمل بسرعة، وتقفز للأمام، وتتخذ تشكيلة القتال، وتندفع في هجومها، وتستخدم نيرانها، وتطاردها بسرعة - ان هذه القوات عليها ان تكون واثقة من النصر دائماً، لأن السرعة وقابلية الحركة والايقاع السريع في القتال تسمح بكسب الوقت، وتخلق اوضاعاً لم يكن العدو يتوقعها، ويصعب عليه مقابلتها، وتؤمن زمام المبادرة وتمنع العدو من اتخاذ اجراءات لايقاف الهجوم.

ان تطبيق مبدأ المرونة، والعناصر التي تتألف منها (المناورة) (قابلية الحركة، والسرعة والتعاون) ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببداية القائد وتفكيره وسرعة إدراكه وقراره، لذا لا بد من تشجيع الابداع الذاتي لدى الضباط من جميع الرتب، وتشجيع القرارات والاحكام التي يصدرونها، لقد بذلت اسرائيل جهوداً مضمّنية لتقليل الفارق الكبير في موازنة القوى بينها وبين جاراتها، وقد اعتمدت وسائل عديدة، منها الاعتماد على هذا المبدأ بشكل اساسي، وقد انعكس هذا على استراتيجيتها وأساليبها التعبوية، وتنظيم قطعاتها وأفكار قادتها، فقد رفضت فكرة الحرب الثابتة واعتمدت على الحسم السريع للمعارك بفضل مرونة تنظيم مقطعاتها وقابلية حركتها العالية.

(١) تسمى (اوامر مجزأة) من قبل الجيش الامريكي والجيش الأردني وجيوش اخرى تتبع نفس المذهب العسكري.

(٢) اهم احداث العالم المعاصرة - ج ١ عقيد ركن سيف الدين عبد القادر.

تعتبر المرونة من اهم صفات جندي المشاة، ان القيام بالناورة كالاحاطة، والتطويق، او التسلل ما هي الا نتيجة طبيعية لمرونة المشاة، فهو القادر على امتطاء اي نوع من وسائل النقل البرية، والجوية، والبحرية وهو القادر ايضا على القتال في جميع الظروف المناخية، أما الدروع فالمرونة خاصة من خواصها، وهذه الخاصية متأتية من قابلية حركتها العالية، ووسائل المواصلات المتوفرة، والسرعة في الحشد والانتشار، وتحقيق الصدمة للعدو بالظهور في أماكن غير متوقعة. أما المدفعية فتحصل على مرونتها من امكانياتها الكبيرة في المناورة بالقطعات، او المناورة بالنيران، وكذلك الصنوف الأخرى لها درجة معينة من المرونة تتناسب والعوامل المتوفرة في ذلك الصنف او السلاح.

## انواع المرونة

### ١ - المرونة التعبوية.

هي المقدرة على الحركة والانتقال عندما تكون القطعات بتماس مباشر مع العدو، يمكن الحصول على هذه المرونة باستخدام وحدات مدرعة وآلية لديها مقدرة على الحركة السريعة ضمن ميدان المعركة، ولكن هذا لا يلغي وجود جندي المشاة، لأنه الوحيد القادر على الدفاع ومسك الأرض، ومعالجة الأهداف التي تعترض الوحدات المدرعة والآلية، التي شهدت تطوراً ملموساً خلال العقدین الاخیرین، ناهيك عن الذيل الاداري الكبير الذي تعاني منه الوحدات المدرعة.

### ٢ - المرونة السوقية.

هي القدرة على تحريك ونقل القطعات بالموارد من مكان لآخر، عندما لا تكون تحت تأثير النيران المصوبة والمرصودة. تتوقف المرونة السوقية على المرونة الادارية المتعلقة بوسائل النقل. وطرقه المختلفة، لأن اختلال التوازن بين هذه الوسائل ومتطلبات الوحدات من مواد تموين القتال، والتجهيز، والادامة، يهدد المناورة السوقية ويؤدي الى التباطؤ، ويقلل من سرعة المعركة، ويحدّد من قوتها، كما ان الذيل الاداري عند تعرضه للخطر الجوي يشل المناورة بأكملها، ولذا فإن الحصول على موقف جوي ملائم احد المتطلبات الأساسية للمرونة السوقية.

ان الحركات السوقية الألمانية ضد فرنسا وبلجيكا وهولندا في الحرب العالمية الثانية، تعتبر دلائل للمرونة السوقية، وكذلك جميع الحركات التي قام بها رومل والحلفاء في شمال افريقيا، كما ان حركة الفرقة المدرعة التاسعة العراقية، وتقدمها نحو الأحواز عن طريق الشيب، سهل حركات الفرقة الخامسة الآلية التي كانت تقترب اقترباً مباشراً، وأرغم القوات الإيرانية على الانسحاب خوفاً من التطويق بسبب المناورة السوقية التي قامت بها الفرقة التاسعة.

يمكن تحقيق التفوق السوقي بالمرونة السوقية، والتي تسبب اضطراب تشكيلات العدو

وتجبره على اجراء تبديل مفاجيء في جبهته، وتجزئة قوات العدو، وتهدد المقتربات التي يستطيع  
منها التراجع الى قواعد الخلفية وتهدد خطوط تموينه.

## المرونة والموقف الجوي

يمكن القول بان تأمين كافة متطلبات المرونة من معدات، وأفراد، وقادة، واتصالات،  
تصبح غير فعّالة في حالة حصول العدو على التفوق الجوي المطلق، ان التشكيلات المدرعة  
والآلية، هي اكثر انواع التشكيلات مرونة، الا ان هذه تحتاج الى كميات كبيرة من مواد  
التموين، وهذه لا يمكن تأمينها الا بمنظومة ادارية لديها قابلية حركة عالية، وبالتالي فإن  
حصول العدو على التفوق الجوي، سيؤدي الى شل هذه المنظومة عن العمل، وبالتالي التأثير  
المباشر على القطعات المقاتلة.

عقب معركة العلمين أشار رومل ان سبب فشله في تلك المعركة هو فقدان الموقف الجوي في  
شمال أفريقيا، فقد كتب عن ذلك يقول: (ان الرجال الشجعان لا يمكنهم القتال بدون أسلحة)،  
والأسلحة لا تعمل بدون ذخيرة، والذخيرة لا يمكن احضارها الا بالنقلات، والنقلات تحتاج الى  
وقود، ولكن هل يمكن القيام بكل هذا بدون موقف جوي ملائم؟.

## اكتساب المرونة بالتدريب

قد تكون المرونة خاصية متأصلة في القوة مثل خواص المعدات مثلاً، فالدباية تتميز  
بخاصية المرونة، والرشاش تتميز بسرعة الرمي، وهكذا ولكن هناك خواص يمكن اكتسابها  
بالتدريب، وهذه ترتبط بالضباط والأفراد، الذين يستخدمون المعدات. هناك قول مأثور «المدافع  
مهمة ولكن الرجال الذين هم وراؤها أهم».

ينبغي وضع التدريب من الأسبقيات المهمة والمُلحة، ويجب ان نرتقي بضباطنا وأفرادنا  
لمستوى المعدات المتطورة في هذه الأيام. إن الاعتماد على القوة النارية، والجمود التعبوي، سواء  
في الدفاع ام في الهجوم، يجب تغييره بحيث تعتمد العمليات التعبوية على السرعة والمفاجأة،  
وقابلية الحركة، وقوة الصدمة. يقول الجنرال (غودريان): (إن محرك الدباية سلاح لا يقل  
اهمية عن مدفعها) مشيراً إلى أهمية قابلية الحركة في الميدان.

(كتب (صن تزو) قبل خمسة وعشرين قرناً بأن السرعة هي جوهر الحرب، ويجب  
الاستفادة من عدم استعداد العدو والتنقل بطريق غير متوقعة وضربه في المكان الذي لا  
يتوقعه)، وقال الجنرال (باتون) الشيء نفسه وهي: (ان الصدمة النفسية لما هو غير متوقع،  
وحشد قوة القتال، بحيث يكون بإمكانها الحاق اكبر تدمير ممكن بالعدو غير المنتهيء، هو مفتاح  
النجاح في المعركة وهذا لا يتأتى الا بالمرونة، والمرونة لا يمكن اكتسابها للضباط والجنود الا

مرتبك وغير متوازن، وبالتالي يمكن استغلال نقاط ضعف ووهن العدو. لا يمكن كسب المعركة ضد عدو متفوق كماً، كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية، او نوعاً كما هو الحال في حرب فيتنام، الا بضباط وجنود يمتلكون الروح التعرضية العالية والتصميم والارادة على تحقيق النصر، إن افضل وصف لتأثير نزعة الروح التعرضية لدى القادة هو ما قاله خالد بن الوليد لأحد الجنود في معركة اليرموك عندما قال: (ما أكثر الروم وما أقل العرب) فقال له بل قل (ما أكثر العرب وما أقل الروم، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان).

من اكبر الأخطاء ان نتمسك بالتعرض اذا كانت الظروف المحيطة لا تسمح بذلك، ومثال ذلك - وضع القوات العربية في الحربين الأولى والثانية ضد اسرائيل، وكذلك الحرب العراقية الايرانية من الجانب العراقي، ولكن يجب ان لا نهمل الجانب المعنوي والاستعدادي للتعرض، فالروح التعرضية يجب عدم فقدانها والا ستخلق حالة من اليأس والفشل لدى الجنود من الصعب استعادتها، وأما الاستعداد فيتم تدريجياً مع تهيئة الظروف اللازمة للتعرض الشامل. إذن لا يمكن اسقاط الدفاع كمرحلة قتالية، اذ ان كثيراً من المعارك لم تكسب الا بعد عمليات دفاعية ناجحة، مثل (معركة ستالينغراد).<sup>(١)</sup>

يجب ان لا يكون التعرض بقصد التعرض فقط، كما فعل العرب في حرب ٦٧ بل يجب خلق الظروف الملائمة للتعرض، فالمثنى بن حارثة الشيباني رفض خوض اي معركة ضد الفرس حتى تنهيا له الظروف التعبوية لذلك، وكذلك فعل القائد الانجليزي مونتغمري إذ رفض خوض معركة العلمين ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية قبل تهيئة الظروف الملائمة لقواته ومنها التدريب، خلق الروح التعرضية، حشد القطعات، وتحسين الأمور الادارية للجيش.

وفي الدفاع الطويل الأمد يُخلق لدى القطعات حالة من الأرهاق النفسي، وانخفاض المعنويات خصوصاً اذا كان الدفاع مستكناً لدى أحد الاطراف، اولى الطرفين، لذلك فإن الروح التعرضية يجب ان تتأصل في ادارة العمليات الدفاعية، ويجب ان يكون الدفاع تعرضياً فعلاً نشطاً في مراحل الثلاث التخطيط، التحضير والادارة، ويمكن تحقيق ذلك بوسائل عديدة منها، الدوريات، الغارات، الاستطلاع بالقوة، الهجمات المعاكسة،<sup>(١)</sup> الهجمات التخريبية<sup>(٢)</sup> الضربات المقابلة،<sup>(٣)</sup> نيران الازعاج البرية والجوية والبحرية.

- (١) مدينة روسية احتلها الألمان في الحرب العالمية الثانية ودافعت ببسالة وقد حدثت بها هذه المعركة وكسبها الروس في النهاية.
- (٢) الهجوم المعاكس : (الهجوم المقابل: Counter attack) هجوم يشن على العدو بقوة الاحتياط بعد خرقه للمواقع الدفاعية.
- (٣) الهجوم التخريبي : (الضربة الاجهاضية) (Spoiling attack)، هجوم يشن على العدو وهو في مناطق التجمع او التشكيل لتخريب هجومه المنتظر.
- (٣) الضربة المقابلة : Counter stroke هجوم يشن على العدو وهو في حالة حركة في مواقعنا الدفاعية، القصد منه شل هجوم العدو.

كان الجنرال (ماكس فون بريتويز) يقود جيشاً المانياً في معركة دفاعية متحركة ضد جيشين روسيين، فقام الجنرال (ماكس) بمهاجمة احد الجيشين الروسيين، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً وطلب من القيادة الألمانية ان ينسحب من المنطقة الدفاعية، لأن القوات الألمانية مهددة بالفناء، عندها قامت القيادة الألمانية بعزل هذا الجنرال وتعيين الجنرال (بول فون هندنبرغ) بدلاً منه. أعد هندنبرغ ورئيس اركانها الجنرال (ايريخ فون لودندورف) ومدير العمليات المقدم (ماكس هوفمان) خطة جيدة أوقع فيها احد الجيشين الروسيين بكمين، إذ سحب القطعات الموجودة امام هذا الجيش وحشدتها امام الجيش الآخر، وبعد خمسة أيام قام بهجوم جانبي استطاع فيه ان يدمر ذلك الجيش، اذ خسر الروس (١٢٥ ألف) مقاتل وما يزيد عن ٥٠٠ مدفع في معركة سميت (كاتنبرغ) وكان هذا بفضل الروح التعرضية لهذا القائد وهيئة ركنه وتقبلهم المخاطر المحسوبة.

من الممكن اعتبار العمل التعرضي حالة ذهنية يجب ادامتها على المستوى التعبوي والسوقي، ففي المستوى التعبوي اوردنا الأمور التي يمكن بواسطتها ادامة الروح التعرضية للمقاتلين، واما على المستوى السوقي فيتم ذلك بوسائل الاعلام للدولة، إذ لا فائدة من جيش لديه روح تعرضية يدافع عن أمة معنوياتها ساقطة مهزومة من داخلها. ان التأثير النفسي على الروح التعرضية عامل بالغ الأهمية لكل الأمة ويجب ان ينظر اليه من زوايا متعددة.

## مقياس التعرض

من الضروري لأي جيش إدخال مفهوم الروح التعرضية في عقيدته التعبوية، ولكن هذا قد يصطدم بعوائق كثيرة، يجب التغلب عليها ومعالجتها قبل ترجمة الروح التعرضية الى لغة يستفيد منها القائمون بتحليل المعارك وتطوير اساليب المعركة.

من السهل مقارنة قوات الطرفين من حيث القوة البشرية، الدروع، المدفعية، والهندسة وغيرها، ولكن يصعب ايجاد مقياس مشابه لبيان تأثير مفاهيم مجردة، مثل الشجاعة، والمفاجأة، والخدعة والمعنوية، وهذه عوامل مهمة جداً تزيد او تنقص من القوة القتالية للأطراف المتحاربة.

من المسلم به انه لا يوجد مقياس لهذه العوامل الآتفة الذكر، قبل ادخالها في مخططات سير العمليات القتالية وأساليب اتخاذ وتحليل القرارات، وعند مناقشتها نعترف بأهميتها وتتركها جانباً، ثم نعود لمناقشة أرقام جامدة للدبابات، وجنود المشاة والمدافع. لقد ساعدت لعبات الحرب على تقييم وتحليل خطط الجيوش لما لها من فوائد كثيرة في تقييم كفاءة مختلف عناصر وتنظمات الجيش، ومعداته وأساليبه التعبوية، اذ اصبحت ذات تقنية عالية يمكن

الحكم بواسطتها على نتيجة الاشتباكات،<sup>(١)</sup> بالاضافات الى المقارنات العديدة المار ذكرها، إن هذا التقييم النوعي لا زال في بدايته، إذ ان لعبة الحرب لا تسمح بمهاجمة قوة معادية متفوقة في العدد والعدة وعلى افتراض ان لدينا روح تعرضية عالية، او معنويات ممتازة او اسلوب بارع في القتال. فان القائد الأقل تفوقاً في العدد والعدة لا يستطيع ان يحقق النجاح. حتى لو كانت لديه وسائل المفاجأة والشجاعة، والجرأة والتعرض، رغم ان الكثير من المعارك تم كسبها بهذه الوسائل ومنها اليرموك، بدر، القادسية، وترلو، ماراثون واربيل وغيرها. يجب عدم اعتبار هذا النقص في القائد او الجنود الذين يقودهم، بل هو في الواقع قصور كامن في أسلوب الفحص والتحليل الذي نستعمله لادارة لعبة الحرب، والذي نأمل ان يتطور لمعالجة الوسائل الحيوية اعلاه.

(ان المتردد يجد مائة عذر لتجنب التعرض، أما المتهور فله مئة سبب وسبب لاتخاذ التعرض، وبين الحالتين يكمن الحل. ينطوي العمل التعرضي على استخدام فعلي للقوات، وهذا غير ممكن دائماً في المستوى السياسي. ان التعرض يجد مجالاً واسعاً لاستخدام الطاقات والدوافع والفعاليات مما يجعلها أكثر حيوية. وفي هذا المنظور نخلص إلى القول بوجود الاحتفاظ بهذا المبدأ في قائمة المبادئ دون تغيير)<sup>(٢)</sup>

### التعرض والتفوق العددي :

يقول الجنرال توماس مستونويل جاكسون: (لا تستسلم الى مخاوفك أبداً لأن العدو اكثر منك قلقاً، ان التفوق العددي مفيد ولكنه غير حيوي لنجاح العمل التعرضي، إن مجرد قيامك بالهجوم يجعل عدوك يعتقد بأنه أقوى منك).

هذا الكلام قد يكون مقنعاً، ولكن نظرية المقارنة معروفة للجميع وهو أن المهاجم يجب ان يتفوق على المدافع بنسبة ٣:١ حتى يضمن أقل نسبة من النجاح، هل هذا يعني ان التفوق ضروري حتى تميل إلى التعرض؟ وعكس ذلك هل يجب ان نتبنى الدفاع؟ أم هناك أسباب اخرى كأن لا توصم الدولة بالعدوان؟ أم أن هناك نزعات سياسية أخرى مؤثرة مثل سياسة حلف الاطلسي السابقة (الانتقام الشامل) ومن ثم السياسة اللاحقة (الردع المتدرج) التي دفعتها الى تبني الدفاع والسير في طريق إعدادة، وإدارة أكبر مجهود عسكري دفاعي عرفه التاريخ مقابل حلف وارسو المتفوق عدداً وعدة؟ ام ان هناك نزعات سياسية اخرى تدفع الدولة الى التعرض، رغم بعض نقص القوة العددية، كما تفعل اسرائيل بالأمة العربية؟ فجيشها جيش الدفاع والحقيقة هو جيش الهجوم والاحتلال، والسياسة المعلنة سياسة دفاعية والحقيقة هي

(١) لكل لعبة حرب قوانين إرشادية خاصة بها مبنية على حقائق وافتراضات معتمدة على معارك سابقة حدثت بنفس المنوال.

(٢) مبادئ الحرب في العصر الحديث - العقيد الركن حازم عبد الرزاق شهاب.

سياسة تعرضية، إذ يكفي انه لا يوجد حدود معروفة لدولة اسرائيل، وفي كل حرب تحتل جزءاً جديداً من أراضي الأمة العربية، وهي اقل عدداً وعدة من جيوش الدول العربية، ورغم هذا تحقق التفوق والنجاح في المكان الذي جرى عليه التعرض؟ لهذا يجب اخذ العبرة من الامثلة الموجودة، والحقائق المتيسرة، فحتى نبي روجاً تعرضية في جيش ما، لا يكفي التأكيد على أهميته في العقيدة العسكرية بل يجب إحداث تغييرات جذرية في التنظيم والتدريب والتسلح، وأن لا يجري تقليد السياسة التدريبية للدول الأخرى تقليداً أعمى كأن نقول اذا أردنا ان نهجم فيجب ان نعرف كيف يدافع العدو؟ ان قد لا يكون هناك ارتباط بينهما، فمثال ذلك في الحرب الهندية - الباكستانية عام ١٩٦٥ تعرض الهنود في قاطع، وتعرض الباكستانيون في قاطع آخر. وكلاهما حقق النجاح، وقد تجري معركة مصادمة بين قوتين دون ان يكونا في وضعية دفاعية، وهذا ما تؤكد عليه العقيدة العسكرية الروسية، بأن اكثر المعارك احتمالاً في ساحة المعركة هي التي يمكن ان تنشأ نتيجة للتصادم بين قوتين مهاجمتين.

### التعرض وزمام المبادرة

ترتبط المبادرة ارتباطاً وثيقاً بالتعرض لدرجة ان الكثيرين يخلطون بينها، وبما اننا عرفنا التعرض، فالمبادرة هي: (مجموعة الأعمال، والاجراءات السوقية، والتعبوية الواجب القيام بها بشكل فعال ومستمر تجاه العدو، والتي تؤدي بشكل مباشر الى فقدانه حرية العمل واريابه وشمل إرادته وتغيير خطته بشكل مستمر)، (اما الاحتفاظ بالمبادرة فهي القدرة على الاستمرار بهذه الأعمال للتأثير على العدو وجعله دائماً في حالة الاربك التي لا تمكنه من تحقيق اي تفوق او انتزاع زمام المبادرة).<sup>(١)</sup> من خلال التعريفين السابقين، نجد انه يصعب الفصل بين التعرض والمبادرة، ان لا يمكن المحافظة على المبادرة الا بأعمال تعرضية فعالة مبنية على أسس وحقائق ثابتة معتمدة على معرفة العدو ونواياه وتسلحه وتجهيزه وخطته التعرضية، حتى يمكن معرفة نقاط ضعف العدو ومفاجأته، او تحقيق التفوق عليه للحصول على زمام المبادرة وادامتها فيما بعد.

هل يمكن الحصول على زمام المبادرة من خلال العمليات الدفاعية؟ والجواب نعم، يمكن ذلك، اذا جرى تدمير قوات العدو بدفاع ناجح وهنا على المدافع ان ينتقل الى دور التعرض. يقول احد القادة واصفاً الدفاع المتحرك (السيار) (إن الدفاع ترس والهجوم سيف، والقائد الناجح هو الذي يمسك الاثنين معاً، أما الدفاع النشط (الفعال)<sup>(٢)</sup>، فهو يحقق المرونة في ساحة المعركة ويعطي القائد حرية أكبر من العمل وصلاحيه اتخاذ القرارات بشأن كيفية ادارة العمليات في

(١) المجلة العسكرية العراقية - العدد الرابع - سنة ٦٢ - مقال المبادرة روح النصر للعميد الركن ناطق بهجت نامق.

(٢) نوع من انواع الدفاع تتبناه المؤسسة العسكرية الامريكية وهو اكثر فعالية ونشاطاً من انواع الدفاع الأخرى ولزيد من المعلومات راجع الكراسة الامريكية FM 100-5.

منطقة المسؤولية، وقد قلَّ هذا النوع من الدفاع من الفروق الضمنية بين العمليات التعرضية والعمليات الدفاعية في مستوى الفرقة، وأصبح التأكيد على ضرورة مهاجمة العدو في كل فرصة سانحة هو العامل المشترك بين النوعين. يمكن تقسيم المبادأة الى نوعين هما: (١) المبادأة السوقية (٢) والمبادأة التعبوية. تشمل المبادأة السوقية: سبق العدو بالأعمال الواجب القيام بها منذ السلم لتهيئة مستلزمات مسرح العمليات من المعدات والتجهيزات، والقوى البشرية التي من شأنها الحصول على التفوق على العدو في زمن الحرب، وأهم متطلباتها إعداد القوة المسلحة للحرب، إعداد الدولة للحرب، التعبئة النفسية، اعداد مسرح العمليات، الخطط الادارية، ادامة طرق المواصلات والمعلومات

المبادأة التعبوية: تعني قيام القادة على مختلف المستويات باعداد خطط العمليات، والقيام بالأعمال التي من شأنها ارباك العدو وفرض الارادة عليه، واجباره للخضوع، والقيام بأعمال في غير صالحه، ولا يتم ذلك إلا بالقيام بالأعمال التعرضية، والفعاليات المستمرة في ساحة المعركة، وأهم متطلباتها الاستطلاع، الأمن، المباغتة، التجريد، الابداع الذاتي، الفعل السريع وإدامة الزخم. تعتبر جمهورية الصين الشعبية واسرائيل (المبادأة) مبدأ رئيسي من مبادئ الحرب، بالإضافة الى مبدأ العمل التعرضي لما لهذا العامل من أهمية حاسمة في مجرى الحرب، ولسياسة هاتين الدولتين تجاه جارتهما من الدول الأخرى رغم الفارق الكبير بين حجميهما، اما الدول الأخرى فتعتبر المبادأة عاملاً ملازماً ثابتاً للتعرض ومن الصعب الفصل بينهما كما هو في مبدأي الحشد والاقتصاد بالجهد.

### مبدأ التعرض في صدر الاسلام

التعرض هو تصميم فكري واستعداد جسدي للقتال، ويمكن تحقيقه بفرض موقف في غير صالح العدو.

هل من الممكن ان يصل المسلمون إلى ما وصلوا اليه لو لم يتمتعوا بروح تعرضية عالية ساعدتهم في فتح بلاد الشام وبلاد فارس في عقود قليلة من الزمن. قد تختلف العوامل التي ساعدت على ايجاد الروح التعرضية للمسلمين في صدر الاسلام، عن العوامل الموجودة في عصرنا الحاضر، ولكن المبدأ واحد. كانت الشهادة هي الهدف الأسمى للمقاتل، وهي جزء مهم من العقيدة القتالية اذ يكفي هذا العامل فقط للصمود في ميدان المعركة، اما الاستعداد للقتال من الناحية المادية، فكان واضحاً في القرآن الكريم (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والأحاديث النبوية (ألا ان القوة الرمي) و (أرموا واركبوا وان ترموا أحب الي من ان تركبوا، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا). ولناخذ أمثلة من معارك المسلمين المشهورة عن هذا المبدأ، ففي معركة بدر خرجوا لهدف اقتصادي، وقد فرضت عليهم المعركة، وخاضوها باستعداد نفسي جزئي ولكنهم نجحوا في المعركة رغم تفوق العدو بنسبة ١:٣.



أما في معركة تبوك، فكان التعرض واضحاً، إذ حشد المسلمون كل قوتهم ضد عدو متفوق عليهم بنسبة عالية، ولكن روحهم التعرضية العالية ساعدتهم على التقدم بمسافة ٧٠٠ كم لمهاجمة العدو الذي ترك ارض المعركة خوفاً من المواجهة.

وفي حروب الردة، كان الموقف في غير صالح المسلمين للتعرض لأن القوة المرتدة اكبر بكثير من قوة المسلمين، إضافة الى انها تعمل على جبهات متعددة، ولكن الخليفة أبا بكر وقف في المسلمين وقال (والله لو منعوني عقلاً كانوا يدفعونه زمن الرسول لقاتلتهم عليه)، ولم تكن هذه حدود التعرض فقط فقد ارسل جيش اسامة بثلاثة آلاف مقاتل ليغير على الروم كان هو بحاجة الى كل جندي منهم في هذا الطرف العصيب. أما في معركة اليرموك، فقد فرض الروم المعركة على المسلمين أيضاً، رغم أن فتوحات الشام هي اعمال تعرضية، وقد حاول القائد الرومي: ان يطاول المسلمين بالتخلي عن أهدافهم بمقابل، فرفض المسلمون ذلك، لأن شروطهم واضحة، وعندما بدأت المعركة، وكان الموقف متأرجحاً في اليوم الثالث، أرسل القائد الرومي يطلب الهدنة، وكان جواب المسلمين (نحن في عجلة من هذا الأمر)، لأنهم لا يقبلون بأنصاف الحلول، فروحهم التعرضية تدعوهم للوصول الى النصر النهائي والحاسم.

والقادسية، كانت عملاً تعرضياً بحتاً ضد الفرس، فقد حشد المسلمون كل طاقاتهم، حتى انه جمع لسعد في القادسية جيش لم يجتمع للمسلمين من قبل، وقد حاول الفرس بشتى الوسائل اغراء المسلمين بالمال، والأرض، والمك حتى لا يخوضوا المعركة لأنه شتان بين الروحين، الروح الاسلامية العالية التي تطلب الشهادة لاعلاء كلمة الله والاسلام، والروح الفارسية المترددة التي تدافع عن ملك فارس. اذا اسقطنا حساب الدفاع والهجوم على افتراض انها معركة مصادمة كانت قوة الفرس متفوقة بنسبة ١:٣ والنتيجة كانت لغير صالحهم، وقد رأينا خلال المعركة ان فارساً واحداً من المسلمين يصول ويجول مثل القعقاع، وابو محجن وعاصم، ولا يوقفه جيش فكيف يمكن حساب ذلك بالمقاييس الرقمية. إذا درسنا بإمعان كل معارك المسلمين في صدر الاسلام، نجد ان التفوق العددي لصالح العدو دائماً<sup>(١)</sup> وكان النصر فيها للمسلمين ما عدا معركتي أحد والجسر.<sup>(٢)</sup> واعتقادي أن أحد الاسباب الرئيسية فيها هو الروح التعرضية العالية التي تمتع بها المسلمون قادة وجنوداً.

(١) ما عدا معركة بدر التي قاتلت فيها الملائكة الى جانب المسلمين.

(٢) ناقشنا أسباب هزيمة المسلمين في هاتين المعركتين.

- ١ - المعنويات. هي الروحية التي تحت الرجال أفراداً أو جماعات لمواجهة المخاطر عن طيب خاطر. إن حالة المعنوية: هي المجموع الكلي لما تسهم به جملة عوامل تتعلق بنواحي عديدة للفرد والمجتمع الذي تنتمي اليه بنية القطعات، ان المعنويات هي الروحية التي تحمل ميدان المعركة والتي بدونها سوف لن يقاتل أي رجل في عالم اليوم الذي يتجه أكثر وأكثر نحو الانفرادية. (١)
- ٢ - المعنويات. هي الحالة الذهنية، والعاطفية، مثل حالة الحماس والثقة، والولاء للشخص أو الجماعة فيما يخص الأداء أو المهام الوشيكة الوقوع، وهي شعور الجماعة واحساسها بالهدف العام المشترك فيما يخص روح العمل الجماعية، مستوى الخير والرفاهية للفرد على الصعيد النفسي علماً بأن هذه العوامل تستند الى شعور بالهدف المشترك وإلى ثقة بالمستقبل. (٢)
- ٣ - المعنويات تشمل مهارة القائد، خبرة وشجاعة الجند، وروحهم الوطنية. (٣)
- ٤ - المعنويات هي المضاعف المشترك في القوة العسكرية لطاقة المعركة. (٤)

### أهمية المعنويات

تعتبر المعنويات المبدأ العاشر من مبادئ الحرب، رغم عدم ورودها بهذا التسلسل في هذا البحث، وقد اعتمدت كمبدأ لدى الكثير من الدول مع بعض التحوير اللفظي أو المعنوي مثل إدامة المعنويات لدى المملكة المتحدة والعراق والهند، الروحية لدى جمهورية الصين الشعبية، الروح المعنوية لدى اسرائيل، والايمان والمعنويات لدى الباكستان، أما بعض الدول فلم تعتمد المعنويات كمبدأ مثل الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا.

يعتمد نجاح العمليات العسكرية على جملة عناصر منها المعنويات. ان المعنويات : هي انعكاس للأفكار الوطنية ومستوى الايمان بعقيدة الأمة وأهدافها، انها تعكس أيضاً العقيدة العسكرية للقوات المسلحة ودورها الأساسي ومدى الثقة المتبادلة بين القيادة والفرد.

ان الشعب الذي يسير نحو الحرب بدافع ومحرك ذاتي أساسه الأيمان الراسخ بشرعية الأهداف، ومشاركة القيادة العسكرية والسياسية في تحمل اعباء ذلك، يستطيع ان يتحمل اعباء ونتائج الحرب مهما كان مداها طويلاً وابعائها ثقيلة.

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث - حازم عبد الرزاق.

(٢) ملتري ريفو عدد آذار ٨٣ - عن قاموس ويبستر.

(٣) كارل فون كلاوزو فيتز.

(٤) كراسة قوة المعركة - الجيش الاسترالي.

تعكس المعنويات أيضاً، مدى التماسك الاجتماعي بين الجيش والشعب، إذ أن آمال الجندي العريقة هي نفسها آمال المواطن، ومثال ذلك اندفاع الشعب الباكستاني في الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥ أمام الشعب، أما في حرب عام ١٩٧١ فكان الاندفاع أقل، وسيكون أقل من ذلك في ظل الظروف الراهنة، وسبب ذلك هو الثقة المتبادلة والتماسك الذي كان يربطهما عام ٦٥ والذي بدأ يتراجع عكسياً في السنوات الأخيرة.

يمكن الحصول على معنويات عالية في المستوى الوطني إذا أمكن اقناع الشعب والجيش بأن الحرب التي يخوضونها حرباً عادلة وهي حيوية لوجود الأمة. يجب أن تعبأ القوات المسلحة في السلم والحرب، ويجب أن يعتنى بها في مستوى معيشة متكافئ مع الشعب التي تشكل أحد عناصره، كما يجب الاعتناء بعائلات الجنود في حياتهم ومماتهم، لأن الجندي الذي يضحى بروحه في سبيل وطنه، وأمته، ينبغي أن يعيش حراً كريماً وكذلك عائلته من بعده.

في المستوى العسكري يمكن خلق روح معنوية عالية بأساليب عديدة أهمها غرس الايمان الواعي<sup>(١)</sup> لدى الفرد، أما العوامل الأخرى فهي:

- ١ - القيادة الجيدة.
- ٢ - الانتصارات الأولى في المعارك.
- ٣ - التدريب المشترك في كافة المستويات.
- ٤ - الكفاءة العالية للفرد والوحدة.
- ٥ - الثقة العالية بالنفس والسلاح والقيادة.

ليس من السهل في المستوى الميداني التأثير على المعنويات في فترة قصيرة من قبل القادة، وسبب ذلك أن معظم الجيوش تحتفظ الآن بجيش نظامي صغير، وعندما تبدأ الحرب، يشكل الاحتياط الغالبية العظمى للجيش، وهؤلاء يعتمد مستوى معنوياتهم على مستوى معنويات الشعب ككل، أضف الى ذلك، فإن التأثير على المعنويات يحتاج إلى خطة طويلة الأمد على كافة المستويات، وهذه الظروف لا تتيسر لقائد بشكل منفرد وإنما يجب أن يجري تبني هذه السياسة على مستوى الجيش ككل.

**معنويات الفرد**

تتأثر معنويات الفرد بالطريقة التي يتصور بها هذا الفرد دوره ضمن المجموعة التي يعمل معها، حيث تصفي القيم والعقيدة الروحية والخبرات والآمال على هذا الشخص صفة الذاتية من خلال عملية النشأة الاجتماعية المعقدة التي تتشكل بمرور الزمن، وبشكل ملحوظ خلال العقدين الأوليين من عمر الانسان. عندما ينتقل الفرد من حياته المدنية الى الحياة العسكرية، فإن يجلب معه قيماً وتقاليد وخبرات اكتسبها من خلال عائلته والمجتمع الذي تربى فيه، خاصة الاشخاص المؤثرين في ذلك المجتمع كالشيوخ والوجهاء والمعلمين ورجال الدين.

(١) الايمان الروحي عامل رئيسي وهو الذي كان يدفع المسلمين للموت وسناتي على تفصيل ذلك في وقت لاحق.

من البدهي ان يعاد تكييف الفرد المستجد، وتغيير بعض المفاهيم لديه بالتدريب الحثيث والمتواصل، وسوف يجري توجيه قيمه واهدافه وآماله في قنوات جديدة تختلف إلى حد كبير عن سابقتها، فهذه القيم تشمل تحمل الصعاب، والضبط والربط العسكري، الكفاءة العسكرية، اللياقة البدنية العالية، والعمل الجماعي، وإن مخالفة هذه القيم يعتبر انحرافاً عن الخط العسكري ويستوجب العقاب.

## معنويات الوحدة

يؤدي التدريب الأساسي دوراً مهماً في التأثير العام على معنويات الوحدة من خلال الفرد، إذ ان الفرد الموجه والمدرب تدريباً صحيحاً سيصبح عضواً فاعلاً في عمل جماعي والعكس صحيح.

حتى نستطيع ان نميز معنويات وحدة فرعية من معنويات وحدة فرعية أخرى، علينا ان نضع فصيلاً من الجنود أمام فصيل منافس آخر، ونلاحظ دور كل جندي واهتماماته والجهود المضنية لدى كل واحد منهم للوصول بوحدته الى منصة الفوز، والشيء المؤكد ان الوحدة التي معنوياتها عالية هي التي ستفوز.

إن معنويات الفرد والوحدة، هي العناصر المهمة في تدريب الفرد المتقدم ولكنها تتخذ أهمية أكبر عند التحاق الجندي بوحدته، ونرى كيف سيتم استقباله وتكييفه وفق ظروف ملائمة، واندماجه في وحدته الجديدة. إن كل ذلك سيؤثر بشكل عام على تكييف الجندي للمحيط الجديد، وفي هذه المرحلة فإن تحفيز الجندي والاهتمام به ورعايته سيجعل منه عضواً فعالاً ضمن المجموعة. اما عند إهمال الجندي وعدم الاكتراث بوجوده أو تكليفه بواجبات ومهام ثقيلة عليه، فإنه سيصاب بالاحباط مما يهبط من معنوياته بشكل كبير.

ليس هناك مقياس ضغط لمعرفة كفاءة وحدة ما، ولكن هناك دلائل واضحة تشير إلى ارتفاعها او انخفاضها، ومنها كفاءة تلك الوحدة، الثقة المتبادلة بين الرأس والمرؤوس، والضبط والربط العسكري الذي يتمتع به أفراد تلك الوحدة.

## معنويات القوات المسلحة

سبق وان بينا بأن المعنويات حالة ذهنية وعاطفية للفرد، وهذه يصعب قياسها بالنسبة لجيش بأكمله، وإنما تبقى أفكار عامة يعرف بها ذلك الجيش، إذ لا يمكن اعتبار ان معنويات الجيش مرتفعة لمجرد ان يصفها رئيس الأركان او المفتش العام انها كذلك، ولا أنها متدنية أو تحت الصفر كما يصفها بعض الأفراد والضباط الساخطين.

إن معنويات الجيش هي كالبنا، إذا كان أساسه متيناً كان البناء قوياً، ويقاوم ضغوطات

الطبيعة، وكذلك الجيش فإن كانت معنوياته عالية، يستطيع تنفيذ جميع مهامه، رغم جميع الصعاب التي قد تعترضه، وأما إذا كان الأساس ضعيفاً ومهزوزاً كان البناء واهناً آيلاً للسقوط في أول زخة مطر، وكذلك معنويات الجيش ستكون متردية وتندثر بالسوء في أول معركة قد يخوضها الجيش.

قد يتساءل البعض، ما هي أسس معنويات الجيش حتى يكون البناء متيناً قوياً؟ والجواب، ان القادة والجنود والوحدات هم الأعمدة الأساسية لبناء الجيش، وعلينا بناؤهم بناء صحيحاً لنكون مطمئنين لمستقبل هذا الجيش.

## دور القادة نحو المعنويات

عند دراستنا للتاريخ العسكري نجد بأن المعنويات، وهي من مهام القادة بشكل مباشر، وأن الذي يخلق الوحدة الكفؤة والفعالة هو القائد الجيد. لقد أدرك (يوليوس قيصر) ذلك، وكما أشار (لاين مونتروس الأمريكي) (إذا كان الاسكندر المقدوني هو الفاتح الأعظم في العصور القديمة، وهانيبال هو المخطط الحربي والتعبوي الأكثر براعة وقدرة، فإن قيصر يستحق الاعتراف به كأفضل قائد للرجال، ان كفاءته تعتمد على العلاقة الحميمة المتبادلة بين القائد وجنده.

اذن ما هي طبيعة العلاقة بين قيصر ورجاله؟ او القائد الجيد ورجاله؟ انها روابط يزيد مداها عن رئيس يصدر أوامر ومروؤوس ينفذها، انها روابط قوية متينة، تدعو الجندي لأن ينفذ اوامر قائده برغبة وتصميم وإطاعة دون مناقشتها لثقتة بحكمة وخبرة ورعاية قائده. اذن فإن للقائد دوراً في رفع معنويات جنوده، وتحقيق النصر. يقول الجنرال «مارشال»<sup>(١)</sup>:- (ليس من الكفاية القتال لتحقيق النصر، لأن الارادة والعزيمة هي التي تحسم الأمر، وأن المعنويات هي التي تحرز النصر في النهاية)، وقد جلب الجنرال «باتون»<sup>(٢)</sup> في قوله :- (يمكن خوض المعارك والحروب بواسطة الأسلحة ولكن الانتصار بها يتم بواسطة الرجال، وأن عزيمة الرجال وقائدهم هي التي تحقق النصر).

## مبدأ المعنويات في صدر الاسلام

رغم أنه يصعب معرفة مستوى المعنويات التقريبي وقت السلم، الا انه من السهل معرفة مستواها وقت الحرب، إذ يمكن وصف معنويات الفرد من قدرته القتالية وصموده أمام العدو، وقد تميّز الفرد المسلم بهذا في صدر الاسلام. فهل كانت عوامل إدامة المعنويات في ذلك العصر هي نفسها العوامل التي ندرسها لجنودنا هذه الأيام ومنها التدريب الجيد، زرع الثقة بين

(١) جنرال امريكي حصل على أعلى رتبة عسكرية امريكية من فئة خمس نجوم.

(٢) الجنرال ياتون، جنرال امريكي خاض الحرب العالمية الثانية.

القائد وجنده، والمحافظة على رفاهية وصحة الجنود، والاهتمام بالمشاكل الداخلية والخارجية للجنود وغيرها من العوامل؛ نعم، كانت هذه العوامل موجودة بشكل نسبي وحسب المواقف والظروف، أما العامل الأهم فلم نتطرق له لأنه يعتبر من العوامل الثانوية في العصر الحديث، الا وهو العامل الروحي، لقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواقف ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم مقابل الجنة، ولهذا السبب كنا نجد المسلمين يطلبون الموت والشهادة فتوهب لهم الحياة. وقف الرسول في غزوة بدر مخاطباً المسلمين بقوله: (من قاتل في هذا اليوم مقبلاً غير مدبر فقتل ضمننت له الجنة) وكان يقف بجانبه احد المسلمين بيده بعض من التمرات يأكلها فقال: (بخ بخ) واندفع يقاتل غير مبالي بالنتيجة واستشهد بعد قليل من اندفاعه فقال الرسول لأصحابه: (لقد ضمن صاحبنا الجنة).

هذه هي الروحية العالية والمعنوية الرفيعة التي تمتع بها المسلمون في صدر الاسلام، والشواهد كثيرة يضيق بنا المجال لذكرها او ذكر بعضها ولكننا نركز القول بأن العامل الرئيسي في هذه المعنوية العالية هو الصفة الرابعة بين المسلم وربه (روحه مقابل الجنة)، ولكننا لا نستطيع ان نسقط العوامل الأخرى المؤثرة على المعنويات، فالخليفة ابو بكر قال في وصاياه عندما وجه قادة الجيوش لقتال المرتدين (اقتصدوا بالمسلمين، وارفقوا بهم في السير والمنزل وتفقدوهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، واستوصوا بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول).

أما وصية ابي بكر لعمر بن العاص عندما وجهه لفتح فلسطين فيقول فيها: (كن والداً لمن معك، وارفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف، واعلم يا عمرو ان معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم واعرف حقهم، ولا تتناول عليهم بسطانك، وكن كأحدكم، وشاورهم فيما تريد من أمرك).

وكذلك وصيته الى يزيد بن أبي سفيان: (اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك، واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور).

لقد كانت وصايا الخليفة عمر كثيرة ونأخذ مقتطفات فقط من رسالته إلى سعد عندما ولّاه جيش العراق حيث يقول: (ترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم سيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون الى عدو مقيم حامي النفس والكرام، واقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون راحة لهم يحيون بها أنفسهم، ويرمون اسلحتهم وامتعتهم).

ونلاحظ المعنويات العالية في خطبة الإمام علي بن ابي طالب حيث يقول: (ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ان اكرم الموت القتل، والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف اهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله).

لقد كانت معارك المسلمين في صدر الاسلام مثلاً حياً للمعنويات العالية، التي يمكن ان

يضرب بها المثل، وهنا بعض الأمثلة لهذه المعارك:

١ - غزوة بدر: أول معركة يخوضها المسلمون بشكل رسمي امام اعدائهم، والأعداء هم الآباء والابناء والأشقاء، انهم عشيرة واحدة ولكن العقيدة غلبت على القرابة، والمعنوية والتصميم تغلبت على التفوق في العدد والعدّة، فكان النصر بجانب المسلمين.

٢ - فتح مكة: كانت مكة بالنسبة للمسلمين (المهاجرين) اكثر من بلد مقدس، فهي مسقط رأسهم الذي تركوه فراراً بدينهم وتركوا فيها أموالهم وعائلاتهم وأقاربهم، لذلك لم تكن معنويات المسلمين في وقت من الأوقات اعلى منها في فتح مكة، وهذه المعنويات كانت وليدة الحشد الكبير لقوات المسلمين، العدّة الحربية، أهمية الهدف بالنسبة للمسلمين، بالمقابل كانت معنويات عدوهم ضعيفة مترددة حتى انهم لم يجتمعوا على رأي، أهو القتال ام الاستسلام؟ وفتحت مكة من قبل المسلمين دون قتال للفارق الكبير بين معنويات المهاجرين والمدافعين.

٣ - معركة تبوك: حشد المسلمون ثلاثين ألف مقاتل وهو جيش كبير قياساً بدولة المسلمين الناشئة، وقد حشد الروم اكبر من هذا العدد على حدود الجزيرة العربية، وسار المسلمون من المدينة ولديهم تصميم على القتال رغم قساوة ظروف الطبيعة، وعندما وصلوا تبوك لم يجدوا قوات معادية يحاربونها، لقد انسحب العدو وآثر تقبل الهزيمة المعنوية على ان لا يُهزم عسكرياً وحقق المسلمون نصراً معنوياً هائلاً، وقد ارتفعت معنوياتهم لمجرد ان سمعوا بانسحاب العدو، وهذا جرأهم على ان يبدأوا بفتح بلاد الشام في وقت لاحق.

٤ - معركة البويب: كانت معنويات المسلمين قبل خوض هذه المعركة متوسطة او دون الوسط لأن الجيش الإسلامي كان من عنصرين، عنصر خاض معركة الجسر ولحقت به الهزيمة، وعنصر جديد لم يخض المعركة ولكنه يتهب لقاء الفرس، اما معنويات الفرس فكانت عالية جداً لدرجة انهم اجتازوا النهر تجاه المسلمين دون مراعاة عامل الأرض، وعندما بدأت المعركة كان صمود المسلمين رائعاً. وحقّقوا نصراً ساحقاً رغم ان نسبة القوى بين الطرفين لم تزيد عن ١:١٠ وهذه من الأمور التي يصعب تصديقها في الحروب الحديثة.

٥ - معركة القادسية: اول القائد سعد هذا العامل اهمية بالغة واهتماماً خاصاً، فوقف وخطب بالجند ورفع من معنوياتهم، كما ارسل وراء الخطباء وطلب منهم ان يثيروا حماس المقاتلين،<sup>(١)</sup> كل يوم قبل بدء القتال. كان لوصول تعزيزات الشام بقيادة القعقاع، وهاشم بن عتبة، وغارات الفدائيين المسلمين على فيلة الفرس، والقادة العظام أمثال القعقاع وزهرة وعاصم اثر عظيم في رفع المعنويات.

(١) ورد قسم من هذه الخطب في معركة القادسية.

## المرونة تعريف

المرونة: هي القدرة على الحركة والتنقل بسرعة (التحشد والمناورة) لمواجهة مختلف المواقف، وهذه المرونة تعني مرونة الفكر العسكري على مستوى التنظيم والاستخدام وقابلية الحركة، فالمرونة تعني تطبيق الخطط الموضوعة بحيث يمكن تحويل تلك الخطط حسب الحاجة لمواجهة كل موقف طارئ في مستوى السوق، اما على المستوى التعبوي فيمكن تحقيق المرونة بالاتصالات الجيدة، والضبط الجيد، وأعمال الركن الدقيقة مع وجود مرونة في تفكير القادة على مختلف مستوياتهم وفي تطوير الخطط وتنفيذها.<sup>(١)</sup>

يجب عدم الخلط بين المرونة التي هي خاصية من خواص القوة، والمناورة التي هي أسلوب من أساليبها للوصول الى الغاية المنشودة.

## تسمية المبدأ

اتفقت معظم الدول التي تتبنى عقيدة عسكرية واضحة، وكذلك المنظرون العسكريون الذين لديهم خط عسكري واضح، أمثال كلاوزوفيتز، وليدل هارت بأن المرونة هي مبدأ رئيسي من مبادئ الحرب، ولكنهم اختلفوا في التسمية، رغم أن المفهوم العام متقارب. اتفقت المملكة المتحدة والهند والعراق على تسمية المرونة اما بالباكستان فقد اسمتها «قابلية الحركة»، وفرنسا «حرية العمل»، واسرائيل «حرية الحركة والمناورة» وأما فوللر، ليدل هارت، غودريان، ماوتسي تونغ وكلاوزوفيتز فأسموها الحركة (الحركية).

## عناصر المرونة

- ١ - التدريب الجيد
- ٢ - التنظيم الجيد
- ٣ - الوسائل اللازمة للتنقل السريع
- ٤ - الضبط الجيد
- ٥ - القيادة المرنة وعمل الركن الدقيق
- ٦ - تدابير إدارية جيدة.

(١) كراسة محاضرات السوق لكلية الأركان العراقية.



## أهمية المرونة

يجب ان تكون كافة الخطط العسكرية سوقية، تعبوية ام ادارية مرنة بالقدر الكافي، لأن المعارك نادراً ما تحدث كما هو مخطط لها، لا تعني المرونة رد الفعل المباشر لكل حركة معادية او خطة جديدة، وإنما هي القدرة على تنبؤ المستقبل واتخاذ التدابير المسبقة قبل وقوع هذا الحدث.

يمكن الحصول على المرونة في المستويات العليا، فأعطاء مجال واسع من حرية العمل، أما في المستويات الدنيا فتكمن المرونة في الحشد السريع والحركة السريعة ضمن إطار الخطة الموضوعية والواجبات المحددة، وكلما تطور الموقف تصدر أوامر جديدة،<sup>(١)</sup> لمواجهة المواقف المتبدلة تتطلب المرونة تدريباً راقياً، وقابلية حركة عالية للقوات، واتصالات سريعة وكفوءة، واحتياجات كافية، واسناد إداري جيد يلبي متطلبات التغيير السريع في الخطة. تمكن المرونة القائد من تغيير وضعه السوقى او التعبوى بإعادة التجحفل السريع.

(يشير المفكرون السوفييت الى ان السرعة في العمل، والمهارة في المناورة وقابلية الحركة هي احدى الشروط الأساسية للنجاح)<sup>(٢)</sup>، وأن القوات التي تنفذ الأوامر بسرعة، وتتجمع وتتحرك بسرعة، وتنتقل من الراحة الى العمل بسرعة، وتقفز للأمام، وتتخذ تشكيلة القتال، وتندفع في هجومها، وتستخدم نيرانها، وتطاردها بسرعة - ان هذه القوات عليها ان تكون واثقة من النصر دائماً، لأن السرعة وقابلية الحركة والايقاع السريع في القتال تسمح بكسب الوقت، وتخلق اوضاعاً لم يكن العدو يتوقعها، ويصعب عليه مقابلتها، وتؤمن زمام المبادرة وتمنع العدو من اتخاذ اجراءات لايقاف الهجوم.

ان تطبيق مبدأ المرونة، والعناصر التي تتألف منها (المناورة) (قابلية الحركة، والسرعة والتعاون) ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببداية القائد وتفكيره وسرعة إدراكه وقراره، لذا لا بد من تشجيع الابداع الذاتي لدى الضباط من جميع الرتب، وتشجيع القرارات والاحكام التي يصدرونها، لقد بذلت اسرائيل جهوداً مضمّنية لتقليل الفارق الكبير في موازنة القوى بينها وبين جاراتها، وقد اعتمدت وسائل عديدة، منها الاعتماد على هذا المبدأ بشكل اساسي، وقد انعكس هذا على استراتيجيتها وأساليبها التعبوية، وتنظيم قطعاتها وأفكار قادتها، فقد رفضت فكرة الحرب الثابتة واعتمدت على الحسم السريع للمعارك بفضل مرونة تنظيم مقطعاتها وقابلية حركتها العالية.

(١) تسمى (أوامر مجزأة) من قبل الجيش الامريكى والجيش الأردني وجيوش اخرى تتبع نفس المذهب العسكري.

(٢) اهم احداث العالم المعاصرة - ج ١ عقيد ركن سيف الدين عبد القادر.

تعتبر المرونة من أهم صفات جندي المشاة، ان القيام بالمانورة كالأحاطة، والتطويق، او التسلسل ما هي الا نتيجة طبيعية لمرونة المشاة، فهو القادر على امتطاء اي نوع من وسائل النقل البرية، والجوية، والبحرية وهو القادر ايضا على القتال في جميع الظروف المناخية، أما الدروع فالمرونة خاصة من خواصها، وهذه الخاصة متأتية من قابلية حركتها العالية، ووسائل المواصلات المتوفرة، والسريعة في الحشد والانتشار، وتحقيق الصدمة للعدو بالظهور في أماكن غير متوقعة. أما المدفعية فتحصل على مرونتها من امكانياتها الكبيرة في المناورة بالقطعات، او المناورة بالنيران، وكذلك الصنوف الأخرى لها درجة معينة من المرونة تتناسب والعوامل المتوفرة في ذلك الصنف او السلاح.

## انواع المرونة

### ١ - المرونة التعبوية.

هي المقدرة على الحركة والانتقال عندما تكون القطعات بتماس مباشر مع العدو، يمكن الحصول على هذه المرونة باستخدام وحدات مدرعة وآلية لديها مقدرة على الحركة السريعة ضمن ميدان المعركة، ولكن هذا لا يلغي وجود جندي المشاة، لأنه الوحيد القادر على الدفاع ومسك الأرض، ومعالجة الأهداف التي تعترض الوحدات المدرعة والآلية، التي شهدت تطوراً ملموساً خلال العقدين الاخيرين، ناهيك عن الذيل الاداري الكبير الذي تعاني منه الوحدات المدرعة.

### ٢ - المرونة السوقية.

هي القدرة على تحريك ونقل القطعات بالموارد من مكان لآخر، عندما لا تكون تحت تأثير النيران المصوبة والمرصودة. تتوقف المرونة السوقية على المرونة الادارية المتعلقة بوسائل النقل. وطرقه المختلفة، لأن اختلال التوازن بين هذه الوسائل ومتطلبات الوحدات من مواد تموين القتال، والتجهيز، والادامة، يهدد المناورة السوقية ويؤدي الى التباطؤ، ويقلل من سرعة المعركة، ويحدّد من قوتها، كما ان الذيل الاداري عند تعرضه للخطر الجوي يشل المناورة بأكملها، ولذا فإن الحصول على موقف جوي ملائم احد المتطلبات الأساسية للمرونة السوقية.

ان الحركات السوقية الألمانية ضد فرنسا وبلجيكا وهولندا في الحرب العالمية الثانية، تعتبر دلائل للمرونة السوقية، وكذلك جميع الحركات التي قام بها رومل والحلفاء في شمال افريقيا، كما ان حركة الفرقة المدرعة التاسعة العراقية، وتقدمها نحو الأحواز عن طريق الشيب، سهل حركات الفرقة الخامسة الآلية التي كانت تقترب اقتراباً مباشراً، وأرغم القوات الايرانية على الانسحاب خوفاً من التطويق بسبب المناورة السوقية التي قامت بها الفرقة التاسعة.

يمكن تحقيق التفوق السوقي بالمرونة السوقية، والتي تسبب اضطراب تشكيلات العدو

وتجبره على اجراء تبديل مفاجيء في جبهته، وتجزئة قوات العدو، وتهدد المقتربات التي يستطيع  
منها التراجع الى قواعد الخلفية وتهدد خطوط تميمينه.

## المرونة والموقف الجوي

يمكن القول بان تأمين كافة متطلبات المرونة من معدات، وأفراد، وقادة، واتصالات،  
تصبح غير فعّالة في حالة حصول العدو على التفوق الجوي المطلق، ان التشكيلات المدرعة  
والآلية، هي اكثر انواع التشكيلات مرونة، الا ان هذه تحتاج الى كميات كبيرة من موارد  
التموين، وهذه لا يمكن تأمينها الا بمنظومة ادارية لديها قابلية حركة عالية، وبالتالي فإن  
حصول العدو على التفوق الجوي، سيؤدي الى شل هذه المنظومة عن العمل، وبالتالي التأثير  
المباشر على القطعات المقاتلة.

عقب معركة العلمين أشار رومل ان سبب فشله في تلك المعركة هو فقدان الموقف الجوي في  
شمال أفريقيا، فقد كتب عن ذلك يقول: (ان الرجال الشجعان لا يمكنهم القتال بدون أسلحة)،  
والأسلحة لا تعمل بدون ذخيرة، والذخيرة لا يمكن احضارها الا بالنقلات، والنقلات تحتاج الى  
وقود، ولكن هل يمكن القيام بكل هذا بدون موقف جوي ملائم؟.

## اكتساب المرونة بالتدريب

قد تكون المرونة خاصية متأصلة في القوة مثل خواص المعدات مثلاً، فالدبابة تتميز  
بخاصية المرونة، والرشاش متميز بسرعة الرمي، وهكذا ولكن هناك خواص يمكن اكتسابها  
بالتدريب، وهذه ترتبط بالضباط والأفراد، الذين يستخدمون المعدات. هناك قول مأثور «المدافع  
مهمة ولكن الرجال الذين هم وراؤها أهم».

ينبغي وضع التدريب من الأسبقيات المهمة والمُلحّة، ويجب ان نرتقي بضباطنا وأفرادنا  
لمستوى المعدات المتطورة في هذه الأيام. إن الاعتماد على القوة النارية، والجمود التعبوي، سواء  
في الدفاع ام في الهجوم، يجب تغييره بحيث تعتمد العمليات التعبوية على السرعة والمفاجأة،  
وقابلية الحركة، وقوة الصدمة. يقول الجنرال (غودريان): (إن محرك الدبابة سلاح لا يقل  
اهمية عن مدفعها) مشيراً إلى أهمية قابلية الحركة في الميدان.

(كتب (صن تزو) قبل خمسة وعشرين قرناً بأن السرعة هي جوهر الحرب، ويجب  
الاستفادة من عدم استعداد العدو والتنقل بطريق غير متوقعة وضربه في المكان الذي لا  
يتوقعه)، وقال الجنرال (باتون) الشيء نفسه وهي: (ان الصدمة النفسية لما هو غير متوقع،  
وحشد قوة القتال، بحيث يكون بإمكانها الحاق اكبر تدمير ممكن بالعدو غير المتهيء، هو مفتاح  
النجاح في المعركة وهذا لا يتأتى الا بالمرونة، والمرونة لا يمكن اكتسابها للضباط والجنود الا

بالتدريب المكثف في مواقف متباينة وصعبة بحيث يترك للقادة والجنود حرية التفكير والابداء الذاتي، وإعطاء القرارات البسيطة في وقت وظرف لا يسمح لهم بالاتصال بقادتهم الأعلى).

يجب ان يساهم قادة الميدان في تطوير المرونة، كمبدأ وخاصة بما هو عملي، يجب ان يجري التركيز على التدريب التعبوي، بحيث يتمكن القادة من استخدام الأرض بشكل جيد، وينبغي ان يتمتع القادة بقدرات تعبوية ممتازة، وقد لاحظ (فوللر) بعد الحرب العالمية الثانية بان قادة الجيوش الحديثة يحتاجون الى تدريب خاص، فقال (كلما زادت مكنة الأسلحة التي نقاتل بها يجب ان تكون العقلية التي تسيطر على هذه الأسلحة اقل آلية، ان القادة الناجحين لأية حرب قادمة يجب ان يأتوا الى ميدان القتال وهم مهنيون شخصياً، ويقودون جنوداً مقتدرين بدنياً، وواقفين من انفسهم، وجرى تدريبهم بشكل واقعي، وباختصار فانهم يجب ان يتصفوا بالمرونة الذهنية ولديهم معلومات تعبوية مرسخة بحيث يستطيعون معالجة المواقف الصعبة بحكمة وإتقان).

وباختصار فإن التدريب نفسه يجب ان يكون مرناً، وهذا التدريب يمكن ان يحصل عليه الضابط من خلال الدورات العسكرية في مدارس القوات المسلحة، او في كلية القيادة والأركان، او في التدريب العملي من خلال عمله كضابط ميدان، ويمكن ان يشمل هذا التدريب مجالات واسعة من أساليب التنقل والرصد، فن استخدام الأرض، اساليب القيادة والسيطرة للعمليات الآلية، وضع الخطط المرنة، التحشد السريع، تحويل العمليات السريعة الجارية، عمليات الالتفاف والتطويق، سرعة رد الفعل واستغلال الفرص السانحة والتجفّل السريع اثناء الحركة.

إن المرونة في تشكيل ما، لا تتحقق من قبل القادة انفسهم، قد يقدم القادة الأفكار وقوة الدفع المطلوبة، الا ان الاستعداد الذهني يجب ان ينقل الى المرؤوسين والجنود، والا فإن المرونة في التشكيل تبقى محددة، وغير قادرة على تحقيق نتائج كاملة وسريعة، خاصة في التشكيلات الآلية وفي عمليات سيارة، وينبغي اعطاء القادة المرؤوسين في الأمام صلاحية العمل الفوري ضمن الخطوط العريضة الموضوعية، وعلى القادة ان يقاوموا الرغبة في السيطرة المركزية على وحداتهم كما ان لا يتركوا الأمور سائبة، وعليهم ادامة التوازن الدقيق بين السيطرة المركزية الصارمة واطلاق الحرية الكاملة للمرؤوسين للعمل، لأن في السيطرة المركزية القائد بين التفاصيل فيصبح كمن يرى كل شجرة في الغابة، ولكنه لا يرى الغاية نفسها وبذلك يحدّد من مرونته، ومرونة مرؤوسيه في العمل، اما الحرية المطلقة للمرؤوسين ففيها مجازفة خطيرة قد تؤدي بالتشكيل الى الهلاك والتدمير بسبب خطأ احد القادة الصغار.

إن القيادات وهيئات الركن التي لم تؤهل لاتخاذ القرارات بشكل مستقل، وتنتظر ابط التعليمات والأوامر من قياداتها الأعلى، وهي غير مؤهلة لمواكبة الظروف والمواقف المتغيرة، ولم

تتدرب على الاستقلال الذاتي في إصدار القرارات، لن تستطيع تأدية واجباتها والتزاماتها ومجارة الحرب الحديثة التي تتصف بحرب المرونة.

## علاقة التنظيم بالمرونة

من الضروري ان يؤمن اي تنظيم المرونة في العمل وتنفيذ المهام الموكولة به، وقد اعتبرت المرونة، والمناورة، والسرعة عوامل مؤثرة في التنظيم، ولهذا فإن جميع الجيوش تميل الآن الى تشكيل وحدات سريعة خفيفة الحركة، تعتمد على عاملين ذاتيين هما (١) القوة النارية (٢) وقابلية الحركة، مقابل التقليل من عدد الأسلحة والقوة البشرية، وقد انشأت كثير من الجيوش تشكيلات ذات قابلية حركية عالية، وتتصف بالمرونة التعبوية والسوقية. ومثال ذلك الفرقة الفرنسية المتحركة السريعة، وقوات التدخل السريع الأمريكية وغيرها.

لقد أدركت اسرائيل علاقة التنظيم بالمرونة، ولهذا فإن جيشها منظم على أساس ان كل وحدة تشكيل قادرة على التحرك بسرعة. من مكان لآخر، وتنفيذ الواجبات الجديدة في وقت قصير.

## المرونة في صدر الاسلام

أشرت في المقدمة بان الجيوش في العصر الحديث تنظر الى هذا المبدأ من زوايا مختلفة، ولذلك اختلفت التسمية من دولة الى اخرى. ومن هذه التسميات (قابلية الحركة) والتي قد تكون أحد عناصر المرونة الرئيسية وترتبط بقابلية المعدات بشكل عام. لم يكن هذا المبدأ معروفاً في صدر الاسلام، واذا أشير اليه من قبل القادة المسلمین، فذلك مردّه الى تجربة وخبرة ميدانية خاضوها ضمن الوقت القصير في الفتوحات الاسلامية، لأن المسلمین لم تكن لهم تجربة حربية منظمة قبل الاسلام، ولم يكونوا اصحاب ثقافة وعلوم ليطلعوا على أخبار الأمم السابقة من النواحي العسكرية، وعند مناقشتنا لهذا المبدأ في صدر الاسلام، فإننا نناقش قابلية الحركة لأنها هي التي كانت بارزه في تلك الأيام، فقد ورد في القرآن الكريم نص صريح في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)<sup>(١)</sup> والخيل هي قابلية الحركة بعينها في ذلك العصر، ويقابلها الدبابات، والطائرات، والناقلات، في عصرنا الحاضر، ولقد وصف الله الخيل وصفاً دقيقاً وملفتاً للانتباه في سورة العاديات، وكأنه يوحي لهذه الأمة ان قابلية الحركة مبدأ رئيسي، ويجب التمسك به، وللأسف فنحن قد أضعنا كما أضعنا المبادئ الأخرى، يقول الله تعالى (والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً، فأثرن به نقعاً، فوسطن به جمعاً)<sup>(٢)</sup>،

(١) سورة الانفال - من الآية ٦٠.

(٢) سورة العاديات - الآيات ٥-١.

ولقد أشار الرسول ﷺ القائد إلى أهمية هذا المبدأ بمدح الخيل (الخيال معقود في ناصيتها الخير الى يوم القيامة). افتقد المسلمون قابلية الحركة بشكل عام حتى فتح مكة، بسبب امكانياتهم المحدودة، وقد تفوق المشركون في هذه المعارك، ولم يستطيعوا استغلال قابلية حركتهم إلا في معركة أحد، حيث حقق بها خالد بن الوليد عامل المفاجأة، اهتم الخلفاء والقادة المسلمون بمبدأ قابلية الحركة، فاهتموا بالخيال واعتنوا بها وبتربيتها، وتدريبها، وقد كان في زمن الخليفة عمر مشرف خاص لهذه الخيل يسمى (بسلمان الخيل)<sup>(١)</sup> وقد ساهم هذا المبدأ في انتصار المسلمين في معارك اليرموك والقادسية والبيوب، وساهم في هزيمة المسلمين، عندما فقدوه في معركة الجسر ولم يستطيعوا استغلال قابلية حركتهم.

## الشؤون الادارية

### تعريفات

- ١ - هي كافة التدابير التي يجب تخصيصها لخدمة المعركة، بحيث تترك للقائد حرية العمل في إدارة معاركة، وإدارة الحرب بصورة عامة، بحيث لا يؤدي اي إخلال في ادارتها (الشؤون الادارية) على نتيجة المعارك والحروب.<sup>(١)</sup>
- ٢ - علم تخطيط وتنفيذ وتنقل وإدامة القوات، وتعني الشؤون الادارية بمفهومها الأوسع تلك النواحي من الحركات العسكرية التي تعالج تصميم وتطوير المواد وامتلاكها، وخبزها ونقلها وتوزيعها، وادامتها واخلائها والتصرف بها، إسكان وتنقل وإخلاء الأشخاص ومعالجتهم طبياً، امتلاك أو تأسيس التسهيلات الادارية وادامتها وتشغيلها والتصرف بها، وحيازة أو تأمين الخدمات.<sup>(٢)</sup>
- ٣ - الأمور الادارية، هي ادارة وتنفيذ جميع القضايا العسكرية غير المشمولة بالتعبية او السنوق، وبصورة رئيسية تلك التي تعنى بالشؤون الادارية وإدارة الأشخاص، والادارة الداخلية للوحدات.<sup>(٣)</sup>

## أهمية الشؤون الادارية

تعتبر الشؤون الادارية من أهم مبادئ الحرب وتلعب دوراً مهماً في نتائج المعارك، والأمثلة التي احتواها تاريخ الحرب، أبرزت دور الشؤون الادارية كعامل حاسم بالنسبة للكثير

(١) سلمان بن ربيعة الباهلي.

(٢) محاضرات السوق - كلية الأركان العراقية.

(٣) محاضرات الشؤون الادارية - كلية الأركان العراقية.

(٣) المرجع السابق. هذا التعريف اوسع من التعريف السابق ويشمله بجميع تفاصيله ويسمى في بعض الجيوش كالجيوش الاردني الادارة ADMINISTRATION.

من المعارك، وأن هزيمة المحور في شمال افريقيا كان أحد اسبابه الرئيسية نقص الشؤون الادارية مما اضطر رومل للقول: (ان الشرط الأساسي للجيش لكي يتمكن من الوقوف بوجه إجهاد المعركة هو ادخار كافي للأسلحة، والوقود، والذخيرة، إذ في الحقيقة يقرر المسؤولون عن التموين مصير المعركة والخوض فيها قبل النار، فلن يستطيع اشجع الجنود من القيام بأي عمل بدون مدافع، والمدافع نفسها لا تفيد شيئاً بدون عتاد، ولا فائدة من المدافع والعتاد في الحرب السيارة ما لم تسير العجلات بوقود كافي لسحبها، ويجب ان تكون الادامة في الكمية والكيفية مقارباً لما يتيسر للعدو). ان نجاح خالد بن الوليد في اجتياز صحراء الشام متجهاً نحو اليرموك كان بسبب دقة التدابير الادارية في ذلك العصر.

ان التقدم الفني والسرعة العالية، والتدمير الهائل، الذي تتميز به المعركة الحديثة، وما رافقه من قضايا ادارية معقدة ذات التأثير الكبير على المعنويات، جعل من الشؤون الادارية عاملاً حيوياً في كسب المعركة او خسارتها، وإن القاعدة القديمة التي تقول: (الجيش تزحف على بطونها) لا زالت صالحة، بل اصبحت اكثر حساسية لأنه ليس الجيوش فقط هي التي تزحف، وإنما الدبابات والطائرات والمدافع وأسلحة الدمار الشامل.

كانت الحرب العالمية الثانية هي السبب الرئيسي في إضافة بعض الدول لهذا المبدأ المهم في مبادئها، فقد برزت أهميته بشكل فعّال، وقد اسمته بعض الدول، بمبدأ (الادارة) او (الأمر الادارية) أو (الامداد)، ولم تعترف به الولايات المتحدة كمبدأ إذ يتساءل الكثير من المفكرين العسكريين عن السبب في عدم اعتباره ضمن العقيدة الأمريكية، ان نجاح اية خطة عمليات مهما كانت جيدة التخطيط، والتنفيذ يعتمد بشكل كبير على خطة ادارية كفؤة. إن القصد من الشؤون الادارية هي إعطاء القائد اقصى حرية عمل، والمرونة اللازمة للتحويل الى الخطط البديلة والطوارئ. يتطلب هذا المبدأ اقتصاداً بالجهد، إذ ان التقدير الزائد عن الحاجة، يعتبر تبذيراً بالموارد الادارية، وان الادارة الجيدة تشمل استخداماً اقتصادياً للموارد المتيسرة، اصبحت هذا المبدأ اكثر اهمية في البلدان النامية لضيق مصادرها الادارية. ان تزايد حجم ونطاق الحرب، والكمية الكبيرة المتنوعة من المعدات التي تحتاجها القطعات الحربية تعتمد على اهمية الاسناد الاداري في الحرب.

## مبادئ الشؤون الادارية

الحرب بحد ذاتها علم وفن، والادارة أحد أقسام الحرب، وتلعب دوراً مهماً في الجانب العلمي منها، كما اصبحت الادارة علماً مستقلاً له فروعها واصوله ومبادئه، وحتى نتمكن من تأمين الغاية من الشؤون الادارية، فإنه من الضروري تأمين الأسس والمبادئ التالية:

١ - سبق النظر، قبل وضع خطط الحركات فإنه يجب ان تتم الاستعدادات للأمور الادارية بوقت مبكر، لكونها تستغرق وقتاً أطول. على القادة وهيئاته ان يكن توقع الاحتياجات المحتملة من الرجال والمواد ويجب ان تكون الغاية هي التأكد من ان الخطط التعبوية لن

تحدد او تتأخر بسبب نقص في الأمور الادارية، وعلى هيئات الركن ان تفكر مسبقاً، وتتوقع المشاكل الادارية المتوقع ظهورها، ووضع خطط المعالجة سلفاً، ومثال ذلك: قد تتشابك خطوط المواصلات بسبب إغلاق الطرق، أو سوء الأحوال الجوية، وفي هذه الحالة يجب تهيئة التكديس المناسب في الأمكنة الملائمة، حتى يتم إعادة السيل الاعتيادي للمواصلات.

٢ - الاقتصاد، يجب ان يتم استخدام المتوفر من الرجال والمواد بأقصى كفاءة، وذلك لقلّة المصادر الادارية، والحاجة الماسة لها، من قبل عناصر أخرى. يجب مقاومة اي ميل للتقدير الزائد لأن فيه تمييزاً للمواد في جهة معينة، خاصة فيما يتعلق باستهلاكها وخبزها ونقلها، وقد يسبب بالتالي ضياعها، أو فقدانها واستيلاء العدو عليها، بينما تكون هناك وحدات بأمس الحاجة لها، ولا تستطيع الحصول عليها بينما هي مكدسة في وحدة، او قاطع آخر ولا يحتاجها أحد.

يجب تقليل القياسات الثابتة كلما أمكن بعد الدراسة الميدانية المستفيضة، وبفترات منتظمة، وإزاحة المواد غير الضرورية للحرب، وسيشمل الاقتصاد جميع أجزاء المنظومة الادارية، بالتقليل من الحاجة الى الاسناد الاداري، فعلى الوحدات والتشكيلات مقاومة الرغبة في التكديس لمجرد الشعور بالراحة والاطمئنان، اذ ان في التكديس الزائد إرهاقاً وبذل جهد دون مبرر من ناحية الامداد والتصليح والصيانة ومصادر النقل.

٣ - المرونة، تعني المرونة في مجال الشؤون الادارية، القدرة على التناسب مع الخطط التعبوية، والتي من المحتّم ان تخضع للتغيرات في ظروف الحرب النووية الجرثومية الكيماوية، مما يهدد خطوط المواصلات بالانقطاع، لذا يجب اتخاذ بعض التدابير التالية: أ - ان يكون التنظيم الاداري جميعه مرناً حتى يستطيع مجاراة التذبذب المستمر في مواد تموين القتال.

ب- المرونة في استخدام وسائل النقل المختلفة.

ج - الانتشار في ظروف الحرب النووية الجرثومية الكيماوية.

د - التوازن بين الانتشار والسيطرة المركزية.

٤ - البساطة، ان الأمور الادارية معقدة ومتشعبة، ومع ذلك فان تطبيقها يعتمد الى حد كبير على معالجة المشاكل اليومية بنظرة صحيحة وبفطنة مقرونة بسبق النظر. ان الخطة الادارية الجيدة هي تلك الخطة البسيطة التي يسهل تكييفها لمواجهة اعمال العدو. كلما كانت الخطط بسيطة كلما كان فهمها اسهل، وتكيفها مع التغيرات اسرع، ويكون لها حظاً من النجاح اكثر من الخطط المعقدة، ان استخدام الأوامر والتعليمات الثابتة بحيث تغطي الأمور (الروتينية) في الادارة ستسهّل اعمال التخطيط الاداري.

٥ - التعاون، رغم ان فروع الشؤون الادارية كثيرة، ولكل فرع او شعبه مهمته الخاصة الواجب عليها تنفيذها، الا ان الفروع الادارية يجب ان تعمل كفريق واحد، وتوجه



جهودها نحو نفس الهدف، وهو تحقيق كفاءة المجموع ككل. من الضروري وجود التعاون الوثيق بين مختلف أقسام هيئة الركن، وبين هيئة الركن والخدمات، وهناك حاجة الى الكثير من الأخذ والعطاء لضمان تسخير كل شيء لخدمة الصالح العام.

### الشؤون الادارية في صدر الاسلام

لم يكن هذا المبدأ معترفاً به من قبل الكثير من الدول بما فيهم بريطانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ولهذا فلا غرابة من ان لا يتعرف المسلمون على هذا المبدأ او يعطوه ما يستحقه من الاهتمام، وذلك لاعتبارات وعوامل كانت سائدة في ذلك العصر ومنها:

- ١ - ان معظم الجيوش كانت من المشاة الذي سلاحه السيف والترس أو الرمح، واذا كان من الخيالة، فيحتاج الى الخيل، وازافة الى ذلك الامور الادارية السهل تأمينها ولا تحتاج الى نقلية وصيانة ومعدات كثيرة، بل كل ما في الأمر تأمين الطعام للجنود والخيول وتوفير الأسلحة المشار اليها.
  - ٢ - لم تكن الحرب متطورة بالشكل الذي نراه اليوم، فلم يكن هناك مثلاً أسلحة اسناد كالمدفعية، والطائرات، والصواريخ، او سلاح هندسة لزرعة الألغام، وتخریب الطريق، او شبكة اتصالات تحتاج الى اطنان من خطوط الهاتف، وهكذا فان التصنيع الحربي كان محدوداً على أسلحة ذلك العصر، والمعدات المستخدمة كانت محدودة، ولا تحتاج الى ادامة مستمرة، فالمقاتل قد يخوض عشرات المعارك بسيف واحد.
  - ٣ - امكانيات المسلمين الادارية محدودة ولهذا لم يكونوا بحاجة الى تطبيق مبادئ الادارة من اقتصاد، ومرونة وبساطة وغيرها وقد خاضوا معركتين متتاليتين كان من الممكن ان يتقرر فيهما مصير الدولة الاسلامية بامكانيات واسلحة محدودة.
  - ٤ - اعتماد الدولة الاسلامية في بداية تأسيسها على مقدرة الفرد المسلم الادارية، فهو المسؤول عن إعداد نفسه للحرب، وإذا لم يستطع كان يستحث اصحاب الهمم وذوو الجود من اصحاب رؤوس الأموال امثال سيدنا عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم لتسليح وإمداد وإطعام المسلمين خلال تلك الغزوة او المعركة.
  - ٥ - قصر مدة المعارك حيث ان اطول معركة طرحناها في هذا البحث استمرت ستة ايام غدا عن الوقت المستغرق في التقدم، وهذا يقلل من الحاجة الى المصادر الادارية المطلوبة، بينما ما تزال الحرب العراقية الايرانية مثلاً مستمرة منذ (ست سنوات).
  - ٦ - مقدرة المقاتل المسلم على تحمل ظروف المعركة السيئة، من جوع وعطش، فقد ساروا في غزوات كثيرة وهم لا يحملون الا التمر والماء، كما ان وسائل النقل التي استخدموها كانت تحمل نفس الصفات مثل الجمال، والخيول، لأن ظروف الصحراء تتطلب تحمل مشقة العيش.
- لا تعني هذه المقدمة الطويلة ان المسلمين اغفلوا جوانب الشؤون الادارية بأكملها، بل

ظهرت جوانب كثيرة خلال الفتوحات تستحق ان نتطرق لها، وعلى سبيل المثال فإن القرآن الكريم قد تطرق الى موضوع الادارة في جوانب متعددة، منها طلب الاعداد الكافي من القوة والخيال في وقت السلم، كما امر المسلمين بان يقتصدوا في امورهم الادارية، وان لا يسرفوا كثيراً، كما ان الرسول ﷺ امر بالاقتصاد بالنفقة (الاقتصاد في النفقة نصف العيش) للمحافظة على المصادر الادارية. لم يكن لدى المسلمين في معركة بدر وأحد اي شيء من المصادر الادارية، حتى الدروع استعاروها من يهود المدينة في غزوة احد، وكذلك استعاروا معدات حفر الخندق من اليهود ايضاً، لأنهم كانوا اصحاب حرفة ولم يكن لديهم ما يحمون به انفسهم من شدة البرد في غزوة الخندق، اما في فتح مكة وغزوة تبوك، فقد اصبح لديهم بعض المصادر الادارية، والمعدات اللازمة للقتال من دروع وزرد، وسيوف، ورماح، وخيل، اما مواد التموين ووسائل نقلها فكانت شحيحة جداً، ففي غزوة تبوك كاد العطش يقضي عليهم لقلّة الماء، كما ان الطعام كان شبه مفقود لدرجة ان حبة التمر كانوا يبلونها بالماء ويمصها اكثر من شخص واحد.

كان وضع المسلمين افضل بكثير في فتوحاتهم خارج الجزيرة العربية في الشام والعراق، والسبب في ذلك، ان طبيعة البلاد المفتوحة كانت بلاد خير وورزق، ومواد الاعاشة متوفرة سواء للجنود، او لوسائل النقل، كما ان المسلمين استولوا على كميات كبيرة من الأسلحة، والمعدات الحربية، ومواد التموين، والذهب والفضة وغيرها، وهذا ساعدهم على استمرار الفتوحات وتأمين الاسناد الاداري الملائم، ولقد رأينا قبل معركة القادسية كيف ارسل القائد سعد الدوريات والمفازن، الى المناطق المجاورة لجمع مواد الاعاشة للجنود والخيال، لأنه توقع ان المعركة قد تطول اكثر من ذلك.

## التعاون (توحيد القيادة)

### تعريفات

- ١ - تأسيس سلطة قيادية منفردة تتكفل بتنسيق الجهود وتوحيدها واستخدامها بشكل حاسم في المعركة.
- ٢ - بدون التعاون المؤثر لا يمكن لمكونات اية قوة، او امة ان تستغل كامل تدابير قواها، فاذا اراد الجميع ان يكون تعاونهم مؤثراً وجب عليهم معرفة قابلية وتحديدات بعضهم البعض وتطبيق معرفتهم بتقديم وطلب المساعدة.<sup>(١)</sup>

### أهمية هذا المبدأ

ان التعاون مطلب مهم في ادارة الحرب، اذ عليه يعتمد امكانية استغلال جميع عناصر

(١) نظام خدمة الميدان البريطانية.

المجهود الحربي، خاصة بعد ان اصبح مفهوم الأمة في الحرب معمولاً به لدى معظم الدول. يضمن هذا المبدأ تركيز كافة الجهود على الهدف العام، وإن تحقيقه ليس سهلاً، إن ينبغي التغلب على الخصوصيات والمصالح الجزئية للوصول الى الصالح العام.

يجب التفريق بين التعاون على المستويات الثلاث، السوق الشامل، السوق العسكري والتعبية، فعلى نطاق السوق الشامل للأمة، يظهر هذا المبدأ واضحاً في تعاون كافة مكونات هذا السوق في تحقيق القصد الذي حددته القيادة السياسية في حربها، والتي هي التطبيق العملي لتحقيق طموحاتها وأمانها القومية والوطنية.

على نطاق السوق العسكري، فتضمن التعاون الدقيق في التخطيط وانتخاب الأهداف، وفي تنفيذ هذه الخطط، ويدخل في هذا المجال تعاون القوات العسكرية الثلاث فيما بينها من جهة، ومع القوات الحليفة والصديقة من جهة أخرى، وذلك بتأمين مقر واحد مشترك وقائد واحد على مستوى مسرح العمليات العسكرية كالقيادة الحليفة في أوروبا التي انتهت الحرب العالمية الثانية لصالحها بالرغم من اختلاف اللغة، والعقيدة، والتنظيم، وقد كانت الاختلافات واضحة في بداية تأسيس هذه القيادة، فواجه الجنرال ايزنهاور مشاكل عديدة حيث كان لكل قوة اهداف ومشاكل خاصة، استطاع ايزنهاور بصبره وحنكته ان يتغلب عليها ويصهرها في بوتقة واحدة.

يمكن تحقيق مبدأ التعاون على مستوى التعبية، بين الصفوف والخدمات، وبين القوات المقاتلة، وبين من يقوم بإسنادهم.

لقد زادت أهمية التعاون بعد زيادة الاهتمام بالعمليات المشتركة للقوات البرية والبحرية والجوية، وتتراوح هذه العمليات بين عمليات تعبوية، وعمليات على مستوى السوق، وتتطلب إنشاء مركز عمليات مشترك.

يتم التعاون في المجال العسكري بواسطة تأسيس منظومة قيادة تشمل هيئة ركن مشتركة. هناك اعتقاد خاطيء بأن وضع قوة بأمره قوة أخرى قد يجلب الاحتكاك والمشاكل، وقد وضعت الدول التي تحمل اهدافاً مشتركة مثل حلف الاطلسي، وحلف الناتو، قواعد وأسس لهذا اللاحق والتعاون اثناء العمليات.

في المنظر التعبوي توجد بديهية تنص على ان استخدام القوات العسكرية في اقصى طاقاتها القتالية، لا يتم الا بتوحيد الجهد وتوحيد القيادة. ان توحيد الجهد يتطلب عمل كافة عناصر القوة بانسجام تام نحو الهدف المشترك، ويترتب على ذلك تنسيق وتطوير استغلال القوى الأقصى مما يتوفر من القطعات).<sup>(١)</sup>

(١) مبادئ الحرب في العصر الحديث - حازم عبد الرزاق شهاب.

كانت اهداف الحروب قديماً محدودة، والأوامر سهلة والحوادث يمكن توقعها بصورة تقريبية، مما كان يسهل توحيد القيادة وفرض التعاون، اما في الحرب المعاصرة السياره حيث تصبح المواقف مائعة، مما يتطلب إعطاء التوجيهات فقط وترك الحرية للمرؤوسين للعناية بالتفاصيل، نجد هنا ان الخطط تكون مركزية على كافة المستويات وتترك حرية التنفيذ ضمن مجال هذه الخطط، وهذا يترك مجال التعاون بحرية اكبر للمرؤوسين.

تركز العقيدة الامريكية على هذا المبدأ باسم - وحدة القيادة - التي تعني حسب مفهومهم وحدة الغرض والتعاون بين كافة عناصر القيادة، وقد اختلفت بعض الدول في تسمية هذا المبدأ فالروس يسمونه (توحيد الجهود المشتركة) والصينيون يسمونه (وحدة الاتجاه). مهما اختلفت التسمية فان المفهوم واحد الا وهو وحدة القيادة في عصر تتوافر فيه ثلاث قوى برية وبحرية وجوية في معظم الجيوش.

قد يكون لكلمة (التعاون) معنى غير ملائم لتوحيد الجهود على كافة المستويات، وإنما يتطلب التنسيق فقط وإجراء التعاون الضروري عندما يتطلب الموقف ذلك، ولكن ظروف الحرب الحديثة من حساسية، وضغوطات غير متوقعة، يتطلب توحيد الجهود واستغلالها بأقصى طاقة ممكنة، وهذا لا يمكن تحقيقه الا بتأسيس سلطة منفردة تستمد افكارها ونشاطاتها من هيئة ركن مشتركة، لذا اعتقد بأنه يجب ان يكون هناك ميلاً لتسمية هذا المبدأ (توحيد القيادة)، لأنه يحقق الأمور اعلاه ويوحد جهود المعركة المطلوبة.

### توحيد القيادة في صدر الاسلام

كان هذا المبدأ بارزاً في ذلك العصر، إذ تطلبت ظروف العمليات ذلك، فلم يكن من الممكن وجود اكثر من قيادة واحدة، لأنه لم يكن هناك قوات برية وبحرية وجوية، كما ان مجال المعركة كان محدوداً سواء من ناحية الحيز المكاني او السقف الزمني.

لقد وجدنا ان جميع الغزوات التي قادها الرسول ﷺ بنفسه، كان هو السلطة القيادية التي تتصرف بامور المعركة، وهذا لم يمنعه من مشورة اصحابه والنزول على رأي احدهم او رأيهم اذا كان فيه مصلحة المسلمين، (وفي الفتوحات الاسلامية كان القائد يعين بالاسم ويوجه التوجيه اللازم، فكانت الرسائل التي تشبه التوجيهات والوصايا هذه الأيام تتبع القائد حسب تطور مراحل المعركة)<sup>(١)</sup> وقد لاحظنا في معركة القادسية ان الخليفة ارسل ثمانية رسائل قبل بدء المعركة لأنه كان يرى ان المعركة تحتاج الى سيطرة مركزية من قبله شخصياً. اما قبل معركة اليرموك فقد كان للمسلمين اربعة جيوش مستقلة في بلاد الشام، ولكل جيش وجهته في الفتوحات، وعندما تطلب الموقف وجود قيادة موحدة، عين الخليفة ابا بكر خالد بن الوليد وهو بالعراق ليقود جيوش الشام بأكملها.

(١) انظر وصايا الخلفاء في هذا البحث.

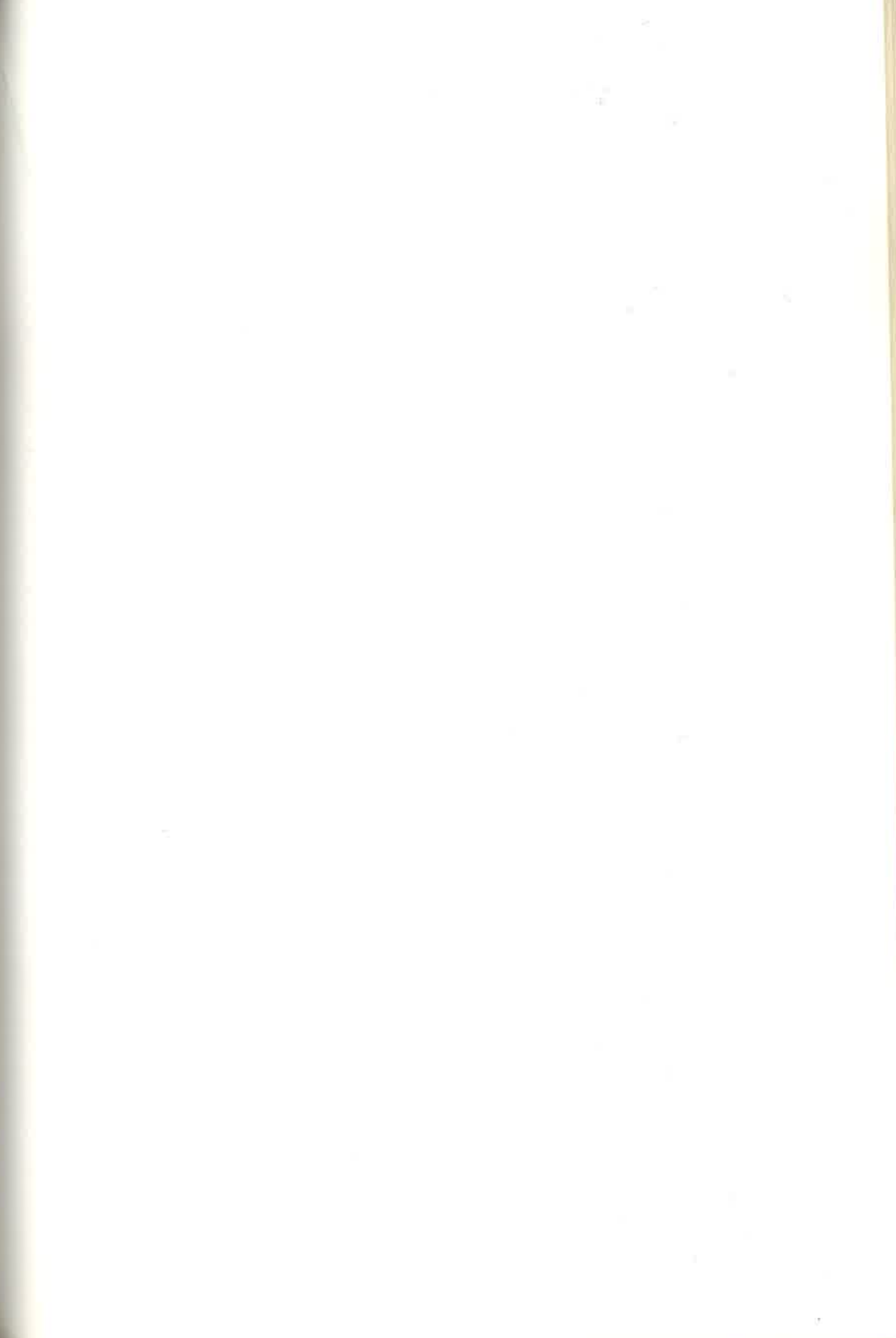
الباب السادس

# الغزوات والمعارك المشهورة وتطبيقاتها التعبوية

الفصل الاول

فتح الجزيرة العربية

- ١ - غزوة بدر الكبرى
- ٢ - غزوة أحد
- ٣ - غزوة الخندق
- ٤ - فتح مكة
- ٥ - غزوة تبوك



الباب السادس

## الغزوات والمعارك المشهورة وتطبيقاتها التعبوية

الفصل الاول

فتح الجزيرة العربية

- ١ - غزوة بدر الكبرى
- ٢ - غزوة أحد
- ٣ - غزوة الخندق
- ٤ - فتح مكة
- ٥ - غزوة تبوك

## غزوة بدر الكبرى

مقدمة :

قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون<sup>(١)</sup>).

بدر سوق من أسواق العرب المشهورة وتشتهر بآبار المياه المتوفرة بها وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى أول من حفر بئراً بها ويدعى بدر بن قريش بن مخلد بن النضير بن غفار<sup>(٢)</sup>.

تقع بدر جنوب غرب المدينة المنورة والمسافة بينهما مائة وستون ميلاً على طريق القوافل القديمة وكذلك تقع شمال مكة وتبعد عنها مئتين وخمسين ميلاً على طريق قوافل قريش. أما المسافة الحالية بين المدينة وبدر فهي مائة وثلاثة وخمسون كيلو متراً وبينها وبين مكة ثلاثمائة وثلاثة وأربعون كيلو متراً.

اكتسبت بدر أهمية خاصة في التاريخ الاسلامي لحدوث أول معركة بين الحق والباطل فيها وانتصر الحق انتصاراً حاسماً أما موقع بدر فلم يعط أية أهمية تاريخية او حضارية فلا يزال هذا الموقع دارساً حتى الآن وكأنه شهادة تاريخية لتلك المعركة المشهورة، اذ تحس وأنت تزور ذلك المكان بإحساس غريب يمثل عظمة المسلمين الذين خاضوا تلك المعركة وحضورهم في ذاكرتك وكأن المعركة قد حدثت بالأمس إذ لم يتغير من معالمها إلا القليل.

الموقف العام :

بعد أن هاجر الرسول وأصحابه من مكة الى المدينة حدثت عدة صراعات مسلحة بين قوات المسلمين من جهة وقوات المشركين واليهود من جهة أخرى وكان آخرها سرية عبد الله بن جحش التي أرسلها الرسول لاستطلاع قافلة للمشركين على طريق مكة - الطائف إلا أن هذه السرية هاجمت القافلة وقتلت أحد عناصرها وهو عمرو بن الحضرمي وأسرت بعضاً منهم، فتأثر الرسول لذلك لوقوع القتل في شهر رجب أحد الأشهر الحُرْم، وقد استغلت قريش ذلك للتشهير بالمسلمين إلى أن نزول قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكُفْر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل...<sup>(٢)</sup>).

أيقن مشركو مكة بعد نشاطات الدعوة الاسلامية الجديدة مدى الخطورة التي تهدد شريان تجارتهم الحيوية بين الشام ومكة والتي أصبحت تحت رحمة المسلمين، ومعنى ذلك

(١) سورة آل عمران - آية ١٢٣.

(٢) عمدة الاخبار ص ٢٢٨ - عن غزوة بدر الكبرى لمحمد أحمد باشميل.

(١) سورة البقرة - من الآية ٢١٧.



تردي موقف قريش الاقتصادي وانتشار نفوذ المسلمين مهما يؤثر على الموقف السياسي لقريش وتهديد زعمائها للقبائل العربية ولذا بدأت قريش تعد العدة للقضاء على المسلمين وأخذت تنتظر الفرصة المواتية لذلك.

وردت معلومات للرسول عن قيام قافلة تجارية كبيرة لقريش برحلة الى بلاد الشام تحت قيادة ابي سفيان زعيم قريش وحين عادت القافلة نَدب الرسول بعضاً من أصحابه لاعتراض القافلة وأخذها كغنيمة سهلة لقلة عدة المقاتلين في القافلة (وتوَدُونَ أن غير ذات الشوكة تكون لكم<sup>(٢)</sup>). ولكن ابا سفيان استطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل لقريش (فأجبروا تجارتكم<sup>(٣)</sup>) وقد نفرت قريش بزعامه ابي جهل ومعه ٩٥٠ رجلاً لقتال المسلمين.

علمت قريش وهي في طريقها إلى بدر بنجاة القافلة إلا أن ابا جهل أصر إلا أن يرد ماء بدر وينحر الجزر ويطعم الطعام ويشرب الخمر حتى تسمع به العرب وتهابه القبائل، أما المسلمون فقد خرجوا طلباً للقافلة ولم تكن لهم نية أو استعداد لقتال قريش وقد أرسل الزبير بن العوام بدورية استطلاعية إلى ماء بدر ليستطلع القافلة وهناك القى القبض على أسير من قريش وهو غلام لبني الحجاج أسود<sup>(٤)</sup> وأخبرهم الخبر عن نية قريش وعددهم ومكانهم. وقد استنتج الرسول بعض المعلومات من حديث الأسير عن عدد الجزر التي كانوا يذبحونها يومياً.

### موقف المسلمين :

خرج الرسول بجيشه من المدينة في الثالث من رمضان من السنة الثانية للهجرة بعد أن قطع الأجراس من أعناق الابل حفاظاً على السرية وخوفاً من اليهود الذين كانوا يتجسسون على المسلمين وينقلون معلومات تحركاتهم إلى قريش وقد كان هدف المسلمين الذين كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلاً<sup>(١)</sup> قافلة قريش التي استطاعت أن تنجو بدهاء ابي سفيان.

تحرك المسلمون بعد أن دفعوا دورية استطلاعية امامهم وأما باقي الرتل فكان يتألف من سرية المهاجرين بقيادة علي بن ابي طالب وسرية الانصار بقيادة سعد بن عبادة<sup>(٢)</sup> وقد عين الرسول، الزبير بن العوام للميمنة والمقداد بن عمرو الكندي قائداً للميسرة أما الراية فسُلِّمَت إلى مصعب بن عمير.

سلك رتل القوة الاسلامية طريق القوافل بين المدينة وبدر وقد وزعت الإبل البالغ عددها سبعون على القوة، وقد انطلق الرتل مسرعاً للحيلولة دون تملص قافلة قريش فلما وصل الرتل

(٢) سورة الانفال - الآية ٧.

(٣) تاريخ الطبري ص ٤٢٢ - ١٢٨٦/١.

(٤) نفس المرجع السابق.

(١) كان عدد المهاجرين سبعة وسبعين رجلاً وعدد الانصار مائتين وست وثلاثون رجلاً.

(٢) الأغانبي ١٧٥/٤.

وادي ذِفْرانَ وردتهم معلومات بأن قريشاً قد خرجت لانقاذ القافلة، فعقد الرسول مجلساً عسكرياً للتشاور خاصة وأن الهدف قد تغيّر وعلى غرارهِ فستتغير المهمة المكلفة بها القوة وقد كان الرأي أن يمضوا للقتال اذا أرادت قريشاً ذلك، بعد أن اطمأن الرسول القائد الى متانة وتماسك قواته وارتفاع روحهم المعنوية كما اصبح لديه معلومات جيدة من دورية الاستطلاع عن قوة عدوّه، عندها أمر باستمرار التقدم نحو بدر سالكين باتجاه الأَصافر - الدبّه - الحنّان - بدر<sup>(٢)</sup> وقد أشار عليه الحباب بن المنذر أن ينزل أدنى ماء من بدر بعد أن يعوّر ياقبي آبار بدر حتى لا يستفيد منها العدو.

### موقف المشركين :

تحرك جيش المشركين على عَجَلٍ من مكة سالكاً وادي عسفان - قديد - المُجحفة - الأَبواء ثم بدر وبينما كان هذا الجيش يتحرك باتجاه الشمال لتخليص القافلة، كان أبو سفيان بطريقه الى مكة بعد أن ضمن النجاة.

وصلت قوات قريش بقيادة ابي جهل بدرأً ونزلت في ثنايا التلال الغربية لإعادة التنظيم والتهيؤ للقتال.

### قوات الطرفين :

اختلفت الروايات في تقدير عدد المسلمين والمشركين وأقرب الروايات واكثرها تأكيداً بأن عدد المسلمين قد بلغ ٣١٣ رجلاً ومعهم سبعون بعيراً وفرسان فقط. أما قوة المشركين فقد بلغت ٩٥٠ رجلاً اكثرهم من قريش ومعهم ٢٠٠ فرس<sup>(١)</sup> وحوالي ٣٥٠ من الإبل لركوب وحمل الأمتعة والمؤن.

### طبيعة أرض المعركة :

تتصف الأرض المحيطة بمنطقة بدر بالوعورة كما تكثر بها الكثبان الرملية وليس بها أي مناطق زراعية لعدم وجود المياه الجارية ما عدا الآبار المحدودة في المنطقة والتي أشهرها بئر بدر<sup>(٢)</sup>.

تتألف الجهة الغربية من سهل ساحلي يضيق عرضاً ويتسع طولاً وتقع وراءه سلسلة من الجبال الجرداء ذات القمم العالية ووراءها هضبة نجد الفسيحة، لذلك كانت قوافل قريش تتجه شمالاً إلى سوريا على طول المدق الممتد من السهل الساحلي ماراً بين المدينة وساحل البحر

(٢) الطبري ١/١٣٠٢.

(١) ذكر ابن هشام ١٠٠ فرس فقط وهذا كان له تأثير كبير على القوة الاسلامية لتوفر ميزة الحركة لدى المشركين إذ كانت نسبة القوى كبيرة في مجال الخيالة ١٠٠ : ١ أو ٥٠ : ١ على الاقل.

(٢) المخطوط رقم ١٢ - طبيعة أرض المعركة.

الأحمر وهي فجوة لا يزيد عرضها أكثر من ثمانين ميلاً ومن هنا كان المسلمون في موقف يستطيعون فيه التحكم بشريان الحياة التجاري بين مكة وبلاد الشام. تتصف الجهة الجنوبية بليونة أرضها وتعرضها للوحد عندما تهطل الأمطار في حين ان طبيعة المنطقة الشمالية صلبة تسهل الحركة عليها.

### سير العمليات القتالية (٣) :

في صبيحة السابع عشر من رمضان الموافق يوم الجمعة من السنة الثانية للهجرة اصطفت القوتان للقتال وقد حاول نفر من قريش أن يردوا الماء ليستقوا فقتلوا جميعهم ما عدا حكيم بن حزام فقد نجا<sup>(١)</sup>. بدأت المعركة عندما برز ثلاثة من قريش وهم شيبه بن ربيعة وأخوه عتبة وابنه الوليد يطلبون المبارزة فبرز لهم رجال من الأنصار فردهم الرسول بطلب من قريش وأمر المهاجرين بالخروج للمبارزة فبارز عبدة بن الحارث عتبة وبارز حمزة بن عبد المطلب شيبه وبارز علي بن ابي طالب الوليد وقد استطاع حمزة وعلي أن يقتلا عدويهما أما عبده وعتبة فقد تجارحا فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه وانقذا عبدة.

بعد هذا الموقف قام المشركون بهجوم بدأه برشق السهام وقد بادلهم المسلمون ذلك مركزين في سهامهم على قادة المشركين. حاول المشركون أن يزحزحوا المسلمون من مواقعهم بعدة هجمات متلاحقة وكلها باءت بالفشل حيث استخدم المسلمون في هذه المعركة الصفوف المتراصة وهي تعبئة جديدة على المسلمين وعلى قريش أيضاً. عندما خبت حدة هجمات المشركين أمر قواته بالهجوم المعاكس الذي بدأ بعنف وتصميم على الفوز ولم يمض وقت طويل حتى اختلت صفوف قريش بسبب نبال المسلمين الكثيفة التي كانت ترمي من مواقع ثابتة بالخلف ومن زخم اندفاع المسلمين وتماسكهم وقد دبّ الذعر والفوضى في قوات المشركين فانسحبوا دون تنظيم تاركين وراءهم قتلاهم وجرحاهم ومعاداتهم طالبين النجاة لأنفسهم.

أمر الرسول بمطاردة فلول المشركين حتى لا يفكروا بالعودة الى القتال وبدأ المسلمون بمطاردة قريش التي فرت منهزمة في مساء ذلك اليوم بعد أن قُتل الكثير من ساداتها بما فيهم زعيمهم أبو جهل وقد جمع المسلمون الغنائم والأسلاب والأسرى وقد قُتل من المشركين في تلك المعركة ٤٩ رجلاً واحتصل المسلمون على ٧٠ أسيراً وكانت خسائر المسلمين ١٤ شهيداً بينهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. جمع المسلمون قتلى قريش ورموهم بالقلب<sup>(١)</sup> ومكثوا ثلاثة أيام في بدر عادوا بعدها معززين منتصرين بإرادة الله بعد أن أمدهم بالملائكة مردفين ولا ننسى بأن التصميم وقوة الارادة والايمن العميق لدى المسلمين كان لها الدور الفاعل في المعركة.

(٢) المخطط رقم ١٣ - سير العمليات القتالية.

(١) أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

(١) البئر.

١ - التخطيط للمعركة .. يولي العلم العسكري الحديث أهمية خاصة للتخطيط الجيد قبل المعركة

والقائد المحنك هو الذي يستخدم الظروف والعوامل جميعها لصالحه ويضعها في حسابه عند التخطيط، وعلى القائد أن يدرس عوامل القوة والضعف لدى عدوه وكان النبي أسبق القادة في هذا المضمار، ففي هذه المعركة استنتج ما يلي :

أ - تفوق قوات المشركين بالعدد والعُدَّة ولهذا لم يبدأ الهجوم لأن المهاجم يحتاج الى قوة إضافية لتحقيق التفوق حتى يستطيع تدمير المدافع أو احتلال مواقعه الدفاعية.

ب - عرض جبهة العدو أطول من جبهة المسلمين ولهذا أمر الرسول بحماية الجوانب وحراستها بالرماة خوفاً من عمليات التطويق والالتفاف.

ج - كانت الشمس في مواجهة قوات العدو حيث قام المسلمون باحتلال الجزء الشرقي والشمالي الشرقي من بدر والشمس في ظهورهم بينما احتل المشركون الجزء الغربي وهذا سهل مهمة رماة المسلمين في التصويب الجيد وكذلك مهمة المقاتلين الآخرين<sup>(٢)</sup>.

د - اضطر المشركون أن يخوضوا الكئيبان الرملية للوصول الى المسلمين في موقعهم عند آبار بدر وهذا قد أثر على قدرتهم القتالية فوصلوا مُنهكين خاصة وأن معظمهم من المشاة، بينما كانت قوة المسلمين في قدرة قتالية عالية بسبب طبيعة الأرض الصلبة التي يقاتلون عليها وحركتهم المحدودة لأنهم تبناوا الدفاع.

هـ - استولى المسلمون على المنطقة التي يوجد فيها الماء وغَوَّروا الآبار التي ستكون في منطقة المشركين حيث تبناوا الفكرة التي طرحها الحَبَّاب بن المنذر عندما سأل الرسول (أهو منزل أنزله الله أم الحرب والخديعة، فقال له ليس بهذا المكان وبين الأفكار الواردة اعلاه). نحن نعلم بأن الماء من الأمور الادارية المهمة في الحرب الحديثة ولا يمكن الاستغناء عنها من قبل أي مقاتل، فكيف نرى أهمية الماء في الحروب القديمة خاصة وأن التزويد عليها صعب للغاية، والماء في حرب الصحراء تعتبر العامل رقم واحد للجندي، وهذا ما شاهدناه من قبل قوات المشركين حيث أخذ منهم العطش كل مأخذ حتى أن البعض منهم ضحى بنفسه للوصول الى حوض المسلمين للشرب منه.

٢ - القيادة الحكيمة : كانت غزوة بدر أول معركة منظمة يخوضها المسلمون ضد المشركين، ومن هم هؤلاء المشركون، أليسوا بالأهل، فمنهم الأب والأخ والعم .. الخ أضف الى ذلك ان الهدف الاساسي من الخروج لم يكن للقتال، وقد تغير الهدف بعد أن تملَّصت القافلة

(٢) الشمس لها تاثير كبير في الحرب الحديثة فحرب رمضان ١٩٧٢ كان أحد عوامل نجاحها ان الشمس كانت في عيون المدافعين الاسرائيليين على جبهة قناة السويس.

وخرجت قريش لقتال المسلمين لهذه الأسباب وغيرها وقف الرسول القائد يفكر ملياً هل يخوض المعركة بقرار صارم أم يستشير أصحابه، واستشارهم بماذا يعمل وهل يقاتل المشركين أم يعود أدراجه الى المدينة طالما أن الهدف الاساسي لم يتحقق، وكان الجواب واضحاً (والله لو سرت بنا الى برك الغماد<sup>(١)</sup> لجالدنا<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>. وقد تأكد أن يأخذ الجواب من الفريقين الأنصار والمهاجرين. بعد أن أمن موافقة جماعته على القتال رغم ترددهم الداخلي وهذا لم يستطع معرفته الرسول إنما نزل من السماء (وتوَدُونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكَّةِ تَكُونَ لَكُمْ<sup>(٤)</sup>) ولكن الرسول القائد أراد أن يؤمن أسباب النصر وهل تكون أسباب النصر إلا بالقوة والعدو متفوق بالعدة والعدد، فلا حل أمام الرسول إلا أن يرفع رأسه الى السماء وهو يدعوربه وما زال يستغيث حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذه ابو بكر بيده وقال (حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك) حتى نزل قوله تعالى (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ<sup>(١)</sup>) وقد ضمن الرسول النصر وخرج الى أصحابه يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) لا شك بأن هذه القيادة الحكيمة التي تضمن أسباب النصر المادية (الاستعداد للقتال) والمعنوية (الدعم المعنوي والروح المعنوية العالية للمقاتلين).

٣ - المعنويات : مبدأ من مبادئ الحرب وقد أخذها الرسول بعين الاعتبار فأراد ان يختبر معنوياتهم فسألهم واستشارهم فوجد أن معنوياتهم عالية جداً رغم الوجل الذي كان يخالط قلوبهم من مقابلة قريش بهذا العدد القليل، وكان دور الرسول أن يرسخ المعنويات العالية بأسباب مادية ومعنوية، فاخترت الارض الجيدة وأمن الماء وغور مياه العدو باستشارة أصحابه ونظم الصفوف القتالية ورتب الرماة وأمرهم بالثبات في مواقعهم وتغطية الأجنحة وهذه أمور مادية تعبوية تساعد على احراز النصر، أما الاسباب المعنوية فهي دعاؤه الى ربه واستغاثته وجاءه البشير أن ابشروا بالنصر وهذه رفعت معنويات المسلمين عالياً وأصبح لدى معظمهم يقين بأن النصر أصبح مؤكداً، أضف الى ذلك بأن الله قد غشى على المسلمين النعاس أمنة منه ليزيد في اطمئنانهم بمصير المعركة المقبل. أما في الطرف الآخر فقد كانت كل الامور المثبطة للعزيمة فالاختلاف كان واضحاً وقسم كبير منهم قاتل خوفاً من أن يقال له جبان وقسم انسحب فعلاً من المعركة والماء غير متوفر، والارض غير صالحة وغيرها من الامور المثبطة للمعنويات.

(١) برك الغماد - مدينة بالحيشة.

(٢) لَجَالِدْنَا - أي لضربنا بسيفونا.

(٣) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج.

(٤) الانفال - الآية ٧ - المقصود هنا القافلة.

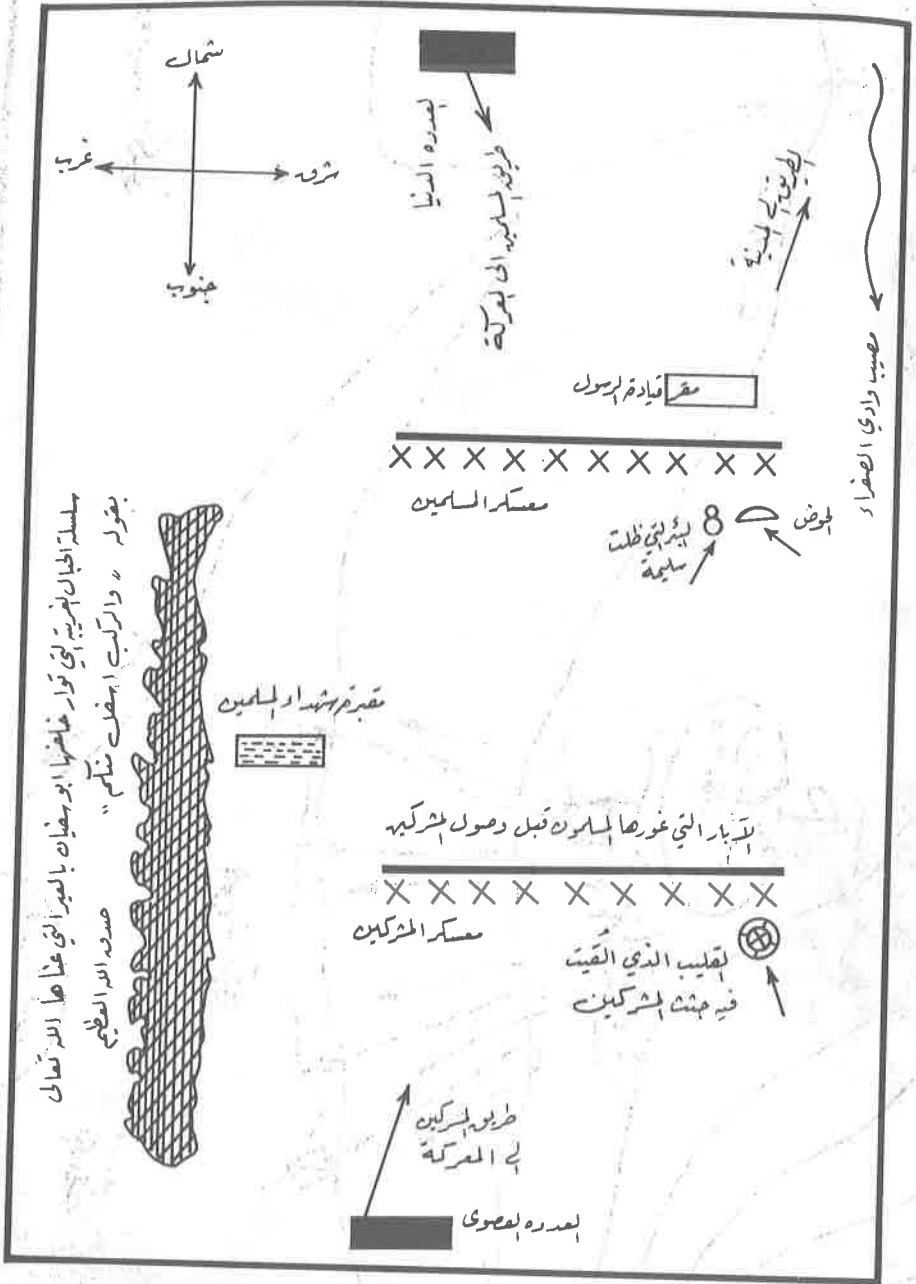
(١) سورة الانفال - من الآية ٩.

٤ - الشورى : سبق وان تطرقنا للمواقف التي استشار الرسول فيها أصحابه، وهذا شيء بديهي، لأن المشركين أيضاً تشاوروا في أمر القتال ولكنهم لم يتفقوا لأن افكارهم وآراءهم مختلفة حتى أن بعضهم أحب أن يُقتل الآخرون في هذه المعركة بسبب الحقد والضعف الذي تربى في النفوس، أما المسلمون فقد كان الاتفاق واضحاً على الآراء وحتى لو كان هذا الرأي رأي فرد بسيط مثل الحباب بن المنذر، والمهم أنه رأي جيد وسديد.

٥ - الاستطلاع : سنرى بأن المسلمين أعطوا هذا الموضوع حقه لأن المعلومات في الحرب هي التي يعول عليها في التخطيط الجيد، وقد رأينا بأن المسلمين قد حصلوا على المعلومات عن القافلة وعدد حراسها وطريقها ومن ثم عرفوا بأن القافلة قد استطاعت ان تنجو ومن بعد ذلك ارسل الرسول دورية استطلاعية الى ماء بدر فجلبوا اسيرين ان الرعاية حصل منهما المسلمون على معلومات قيّمة عن قوة العدو ونواياه.

٦ - الأمن : مبدأ آخر من مبادئ الحرب حافظ عليه المسلمون في هذه المعركة فقد قطعوا أجراس الابل حتى لا تجلب الصوت عليهم ويعلم بهم العدو من خلال الجواسيس، كما أن الرسول نظم قوته الى سريتين واعطى لكل سرية راية وعين لها قائداً ووضع حماية للجوانب والمؤخرة وأرسل دوريات استطلاعية حتى لا يقع في كمائن العدو. أما المعركة فقد نظمها بطريقة يؤمن بها أمن قواته.

٧ - التعرض : أحد مبادئ الحرب وقد تبناه المسلمون في هذه المعركة رغم أن هدفهم الأولي كان القافلة ولكنه أيضاً يعتبر نوعاً من التعرض لأنها غارة على هدف اقتصادي وعندما تغير الهدف، كان بإمكان المسلمين العودة الى المدينة لأن قريشاً كان في نيتهما التعرض وقد خرجت على عجل دون أن تنظم نفسها بعكس المسلمين الذين انتظموا لتنفيذ واجب محدد وقد انتفي هذا الواجب، الا انهم قرروا أن يقابلوا التعرض بالتعرض وهم على استعداد له فحققوا هدفهم الجديد وهو كسر شوكة قريش امام العرب.



المخطط رقم ١٢

طبيعة أرض المعركة في بدر



المخطط رقم ١٣  
سيرة العمليات القتالية في بدر



## غزوة أحد

الموقف العام :

استطاع المسلمون في معركة بدر كسر شوكة المشركين وأن يسيطروا على الطرق التجارية المؤدية الى الشام والعراق ولم يبق أمام قريش إلا الطريق الى الحبشة والتجارة معها ليست ذات نفع كثير وبذلك حلت بتجارة قريش واقتصادها نكبة كبيرة وقريش تعتمد في حياتها على التجارة اعتماداً كلياً.

أخذت قريش بعد بدر تستعد عسكرياً للثأر لهزيمتها واستعادة هيبتها بين القبائل واستمرار سيطرتها على القوافل التجارية التي أصبحت مهددة من قبل المسلمين وبالمقابل فقد حقق المسلمون نصراً عسكرياً واقتصادياً ساحقاً في بدر واستطاعوا أن يوهنوا قريشاً باستيلائهم على الغنائم في بدر وافتداء الأسرى والسيطرة على بعض قوافل قريش العابرة وبذلك قويت شوكة المسلمين في المدينة خاصة بعد طرد بني القنيقاع آخر يهود المدينة وكذلك خارج المدينة إذ أخذت الكثير من القبائل تتمنى عقد حلف مع المسلمين.

موقف المسلمين :

أرسل العباس عم الرسول رسالة من مكة مع أحد الرجال ينذر بها المسلمون عن موعد غزو قريش لهم وعدد قواتهم وقد قرأ سعد بن الربيع الرسالة على الرسول واستكتمه الخبر<sup>(١)</sup>. أخذ الرسول يفكر في الخطة التي يمكن بها أن يلاقي قوات المشركين الغازية ويهزمهم خلال هذه الفترة أرسل دوريات استطلاعية لجلب المعلومات عن قريش والمكان الذي وصلتته، وقد جمع الرسول أصحابه في مسجد قباء واستشارهم في أمر الغزاة، وكان الرأي السائد للمسلمين أن يخرجوا لقريش رغم أن رأي الرسول وقلته من أصحابه هو المكوث في المدينة والدفاع عنها لأن الدفاع في نظرهم أقوى من الهجوم إضافة إلى أن المدينة تؤمن بعض الحماية للمسلمين وأما الرأي السائد فكان مبنياً على أن المكوث داخل المدينة يعتبر جبناً من المسلمين ولا تزال آثار بدر والانتصار الحاسم عالقاً في أذهان هؤلاء.

نزل رسول الله على رأي القائلين بالخروج، وبعد صلاة الجمعة الرابع عشر من شهر شوال السنة الثالثة للهجرة استعد الرسول للقتال واستنفر أصحابه كذلك وخرج للقاء المشركين الذين كانوا قد وصلوا ضواحي المدينة وعسكر الرسول بجيشه الى مكان يسمى الشبخين، يقول الواقدي (فلما نهض الرسول من الشبخين زحف المشركون على تعبئة حتى انتهوا الى موضع ابن عامر اليوم<sup>(١)</sup>) ومن هذا نستنتج بأن الرسول خرج من المدينة باتجاه

(١) ورد في العبقرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج ص ١٤٩ بأن الذي قرأ الكتاب هو أبي بن كعب ولكن الرسول ابلغ سعد بن الربيع بخبر الكتاب.

(١) المغازي بتحقيق د. مارسون جونز ص ٢١٩ ج ١ - الشبخين موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرّة الى جبل أحد.

الشمال الشرقي ومن ثم اتجه شمالاً الى المكان المذكور<sup>(٢)</sup> وقد شاهد الرسول جماعة من اليهود قد خرجوا للقتال معهم فأمر بعودتهم أو أن يُسلموا فعادوا أدراجهم الى المدينة وكذلك فعل المنافق عبدالله بن أبي ومعه ثلاثمائة من أصحابه وكادت أن ترجع قبيلتان من المسلمين أيضاً لحداثة إسلامهم وعودة عبدالله بن أبي وأصحابه، (وإن همت طائفتان منكم أن تفسلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون<sup>(٣)</sup>). وقد كانت هاتان الطائفتان كما ورد في سيرة ابن هشام قبيلة بنو سلمة بن جشم من الخزرج وقبيلة بنو حارثة بن النبت من الأوس وهما جناحاً للمسلمين، ولو عادت هاتان القبيلتان لكان التأثير كبيراً على معنويات المسلمين وقدرتهم القتالية، وضع الرسول خطته للقتال على النحو التالي:

١ - نظم الجيش بتشكيلة متراسة وبجبهة عرضها ١٠٠٠ يارد تقريباً وأسند جناحه الأيمن على جبل أحد وجناحه الأيسر على جبل عينين الذي يبلغ طوله حوالي ٥٠٠ قدم وارتفاعه بحدود ٤٠ قدم.

٢ - عين الرسول ٥٠ من الرماة بقيادة عبدالله بن جبير وامرهم بالتمركز على جبل عينين لحماية الجناح الأيسر للمسلمين وأمرهم بالأبغادروا المكان إلا بأمر، وكانت أوامر الرسول واضحة (انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك، لا نؤتي من قبلك<sup>(١)</sup>).

٣ - نظم الرسول أصحابه في صفوف كما فعل في معركة بدر ووضع الرجال الأشداء في الصف الأول وأسند ظهره الى تل الشيخين، وقرر أن يخوض معركة دفاعية لحرمان المشركين من عنصر المرونة المتفوق لديهم وهو امتلاكهم حوالي ٢٠٠ فارس، بعكس المسلمين الذين لم يكن لديهم إلا فارسان فقط وباقي القوة من المشاة الراجلين.

٤ - أمر الرسول لعدم البدء بالقتال إلا بأمر منه وأخذ يحث أصحابه على القتال ويشجعهم على الاستشهاد.

### موقف المشركين :

جمع المشركون قواتهم في الاسبوع الثاني من شهر آذار سنة ٦٢٥ ميلادية وتحركوا نحو المدينة وهدفهم القضاء على المسلمين في المدينة. وصلت طلائع قريش الى موقع قريب من المدينة يدعى (الصمغة) فأطلقت فيه إبلها للرعي وتابعت مسيرها حتى وصلت العقيق<sup>(٢)</sup>.

(٢) قمت بزيارة شخصية الى المكان المذكور والدلائل المتيسرة تشير الى أن المسلمين عسكروا في المكان المذكور رغم عدم وجود هذا الاسم على المخططات الحالية ولكن الشيخين عبارة عن تل صغير يقع بين ربوة عينين وجبل أحد. أما المخططات التي تصور المعركة على جبل أحد نفسه فهذا غير صحيح لأن جبل أحد لا يصلح لحركة المشاة ولا الفرسان وتسلفه صعب للغاية وكذلك الالتفاف حوله.

(٣) سورة آل عمران - آية ١٢٢.

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦، المغازي للواقدي ص ١٧٥.

(٢) العقيق وادي يقع شمال غرب المدينة ويؤدي الى جبل أحد.

نظم أبو سفيان جيشه للقتال على النحو التالي :

- ١ - عين الفرسان على الجناحين، الأيمن بقيادة خالد بن الوليد والأيسر بقيادة عكرمة بن أبي جهل وعين عمرو بن العاص قائداً لجميع الخيالة.
- ٢ - وضع المشاة في القلب ونظمها بأسلوب الصفوف ووضعت المعسكر الرئيسي خلف القوات على مسافة ميل واحد.
- ٣ - وضع ١٠٠ حامل قوس أمام الصف الأمامي للمشاة للاشتباك الأولي.
- ٤ - كان يحمل راية المشركين طلحة بن أبي طلحة.

### طبيعة أرض المعركة<sup>(١)</sup> :

تعد المنطقة التي وقعت بها معركة أحد بصفة عامة منطقة متموجة يتخللها بعض الوديان أهمها وادي العقيق وأبرز معالمها جبل أحد ويقع شمال المدينة بمسافة أربعة أميال من مسجد الرسول الحالي، وجبل أحد كبير يرتفع حوالي ١٠٠٠ قدم عن السهول المحيطة ويبلغ حوالي ٦ كم وهو صعب المسالك والحركة للمشاة والفرسان، كما يصعب الالتفاف حوله بالامكانيات العسكرية المتيسرة في صدر الاسلام، المنطقة الواقعة شمال شرق المدينة منطقة صخرية بركانية صعبة المسالك وبها حرّة واقم<sup>(٢)</sup> ويقع جبل سيلع شمال غرب المدينة وللغرب منه حرّة الوبرة.

### قوات الطرفين :

عندما حشد المسلمون قواتهم في أحد كان عددهم حوالي ألف مقاتل ولكن بعد انسحاب عبدالله بن أبي واصحابه أصبح عددهم سبعمائة مقاتل منهم مائة دارع فقط ومعهم فرسان<sup>(٣)</sup> أما المشركون فكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها منهم مائة من بني ثقيف بقيادة زعيم قريش أبو سفيان وكان من بينهم سبعمائة دارع ومائتي فارس ومعهم ثلاثة آلاف بعير وقد جلب الكثير منهم النساء معهم لتشجيعهم وحثهم على القتال وعلى رأسهم قائداهم أبو سفيان إذ كان يحمل معه زوجته هند بنت عتبة.

(١) المخطط رقم ١٤ - طبيعة أرض المعركة في أحد.

(٢) الحرّة هي حجارة بركانية صخرية سوداء وتقع المدينة بين حرتين كبيرتين هما حرّة واقم في الشرق وحرّة الوبرة في الغرب.

(٣) ورد في تاريخ الطبري ص ٥٠٨ ، ١/١٣٩٤ و ١/١٣٩٥ أن الرسول اعطى الراية لمصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجيش وسلم الزبير خيلاً وقال له كن بإزاء خالد حتى أؤذن لك وأمر بخيل أخرى فكانوا بجانب آخر وقال لا تبرحوا حتى أؤذن لكم وهذا يؤكد بعض الروايات التي تقول أنه كان لدى المسلمين ٥٠ فارساً.

## سير العمليات القتالية (٤) (٥) :

في صباح يوم السبت الثاني والعشرين من شهر آذار عام ٦٢٥ ميلادية الموافق الخامس عشر من شهر شوال للسنة الثالثة للهجرة تقابل الطرفان واصطفا للقتال ونشبت المعركة بعد أن طلب أحد المشركين وهو طلحة بن عثمان حامل لواء المشركين<sup>(١)</sup> المبارزة فبرز له علي بن ابي طالب وأجهز عليه ثم قامت مفرزة من المشركين بالهجوم بقيادة ابي عامر الأوسي والذي حاول بالتعاون مع قوات عكرمة الالتفاف حول ميمنة المسلمين ففشلت المحاولة لارتكاز جناح المسلمين الأيمن على جبل أحد.

اندفعت مشاة المشركين الى القتال واشتبكت مع المسلمين وقد ثبت المسلمون في مواقعهم بعد أن خسروا بعض الشهداء ومنهم حمزة بن عبد المطلب وقد بدأت قوات المشركين بالتراجع تحت ضغط مشاة المسلمين ووابل من السهام من جماعة الاسناد بقيادة عبدالله بن جبير. وقد اغتتم المسلمون هذه الفرصة فقاموا باستثمار الفوز والاندفاع خلف المشركين حتى وصلوا معسكر نساء المشركين وعادوا بعدها لجمع الغنائم على أساس أن المعركة انتهت كما حصل في معركة بدر.

عندما رأى الرماة هذا الموقف ظنوا بأن المعركة انتهت أيضاً فنزلوا يجمعون الغنائم رغم أوامر عبدالله بن جبير وأوامر الرسول ولم يبق مع عبدالله إلا بضعة رجال فقط.

كان خالد بن الوليد يراقب ببصيرته الثاقبة أرض المعركة ولاحظ نزول الرماة عن الجبل فانتهاز الفرصة وقام بالالتفاف من شمال تل عينين وهاجم جبل الرماة من الخلف واستطاع القضاء على الباقيين بعد أن استشهد معظمهم بما فيهم قائدهم عبدالله وجرح الباقون وكان عددهم عشرة وفر اثنان فقط هما جُعال بن سراقه وابو بردة بن نيار<sup>(٢)</sup>.

لم يفتن المسلمون لهذه المفاجأة وصاح خالد يعلن لقريش أنه التف وراء المسلمين فعادت قريش المهزومة ونظمت صفوفها وعاودت القتال من جديد واصبح المسلمون مطوقين أضف الى ذلك أنهم لم يكونوا منظمين للقتال بسبب تفرقهم لجمع الغنائم.

(٤) المخطوط رقم ١٥ - معركة أحد.

(٥) المخطوط رقم ١٦ - تفصيلات معركة أحد.

(١) سبق وأن ذكرنا بأنه طلحة بن ابي طلحة كما ورد في بعض المراجع ولكن ورد في تاريخ الطبري أنه طلحة بن عثمان ويعتقد أنه الشخص نفسه لأنه لا يوجد تعارض.

(٢) الحركات العسكرية للرسول الاعظم لسيف الدين آل يحيى عن المغازي للواقدي

حَقَّق خالد مفاجأة تعبوية ضد قوات المسلمين فانسحب الكثير فإرأى بروحه على إثر هذا الموقف ولم يبق مع الرسول إلا نفر قليل من جماعته يقاتلون وهم في حالة تراجع بسبب ضغط قوات قريش وبتجاه الشمال الشرقي ليحمي ظهورهم جبل أحد لأن الجنوب والجنوب الشرقي كان محتلاً من قبل قوات خالد. استمر ضغط قوات المشركين والرسول يتراجع وقد بدأ بعض المسلمين يعودون الى القتال عندما رأوا صمود المسلمين في مواقعهم حتى وصل الرسول الى شعيب في جبل أحد واعتلى المنطقة الصخرية حتى لا يسمح للفرسان بالوصول اليه.

حاولت قوات المشركين جاهدة القضاء على المسلمين وقد يئسوا من ذلك بعد أن انهكهم التعب ورأوا حاكمية الموقع الذي احتله المسلمون<sup>(١)</sup> فبدأوا يتراجعون بعد أن جمعوا غنائم المسلمين وتركوا ميدان المعركة باتجاه حمراء الأسد<sup>(٢)</sup> وقد دفع الرسول دورية خلفهم لمعرفة نواياهم والمكان الجديد الذي سيعسكرون به، وفي اليوم الثاني تحرك الرسول القائد ومعه ٣٠٠ مقاتل لمتابعة قريش حتى لا تحدثهم أنفسهم بالعودة الى القتال خاصة وأن المسلمين كانوا مثخنين بالجراح من جراء الهزيمة القاسية التي تلقوها في هذه المعركة بسبب خطأ قوة الرماة. قررت قريش أن تعود أدراجها الى مكة مختارة عدم الاستمرار بالقتال ومكتفية بالفوز الذي حققته.

كانت معركة أحد المعركة الرئيسية الثانية بين المسلمين والمشركين وكان حصيلتها ٧٠ شهيداً من المسلمين و ٢٢ قتيلاً من المشركين وكان لها تأثيراً معنوياً على المسلمين إلا أن الله تعالى ضمد جراحهم بقوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين<sup>(٣)</sup>).

### الدروس والمبادئ المستفادة :

١ - الاستخبارات : يعتبر في نظر بعض الدول أحد مبادئ الحرب ويعتبره الآخرون أحد ركائز تأمين النصر في المعركة وقد أولاه المسلمون أهمية خاصة لأن استخبارات المعركة لا تؤمنك بالمعلومات عن عدوك فقط وانما تعطيك الفرصة لتحقيق أمن قطعاتك وتمنع عنك مفاجأة العدو وقد تم اتخاذ الاجراءات التالية :

أ - حصل المسلمون على معلومات مهمة للغاية عن نوايا وقوة ووقت حركة المشركين من رسالة العباس بن عبد المطلب رغم أن المذكور لم يكن مسلماً أو عميلاً للمسلمين لجلب المعلومات بل كان متعاطفاً لسببين أولاهما المعاملة الحسنة التي لقيها على يد المسلمين في معركة بدر عندما وقع أسيراً بيد المسلمين وثانيهما أنه عم الرسول ويحبه محبة خاصة رغم اختلاف العقيدة.

(١) من الأسباب التي أدت الى وقف القتال وعورة الطريق الى المضيق الذي وصله المسلمون، أما القوة الرئيسية للمشركين بقيادة خالد فقد كانت تطارد مشاة المسلمين (القوة الرئيسية) التي انهزمت باتجاه وتلال المدينة وقسم من قوات قريش كان مشغولاً بالسلب والنهب.

(٢) يقع هذا المكان قرب بئر علي الحالي على الطريق الرئيسي، الى مكة وعلى بعد ١٠ أميال من المدينة.

(٣) سورة آل عمران - آية ١٣٩.

ب - أرسل المسلمون دوريات استطلاعية قبل المعركة إلى خارج المدينة ليرقبوا زمان  
ومكان وصول القوات المعادية.

ج - وضع المسلمون دوريات ثابتة على منافذ المدينة لمنع المشركين من مفاجأتهم  
والحصول على معلومات عن قوات المسلمين.

د - بعد انتهاء المعركة وانسحاب القوات الغازية لحق الرسول بهم ومعه ثلاثمائة مقاتل  
كان هدفهم الأساسي استخباري لمعرفة نواياهم وتحديد اتجاهات عملهم المقبلة  
والهدف الآخر كان لردعهم عن التفكير بمعاودة الكرة والهجوم على المدينة، خاصة  
وان وضع المسلمين الذين بقوا في المدينة لا يحسدون عليه من الناحية القتالية والمعنوية.

٢ - مخالفة أوامر القتال : خالف رماة المسلمين أوامر الرسول وهو القائد العام لقوات  
المسلمين وكذلك أوامر قائدهم المباشر عبدالله بن جبير فتركوا مواقعهم المهمة لتنفيذ عمل  
ثانوي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين لأن الغنائم بالأصل ليست ملكاً للشخص  
الذي يجمعها وإنما تجمع وتقسّم حسب ما ورد في القرآن الكريم، وقد اغتتم العدو هذه  
الفرصة السانحة وكرّر على مواقع الرماة وأصبح خلف قوات المسلمين وكان النتيجة  
العكسية للمعركة الناجحة. لا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نقول أن جميع المسلمين الذين  
أخذوا يجمعون الغنائم قد أخطأوا أيضاً لأنه لم يتحقق الفصل الكامل في المعركة ودليل  
ذلك أن خالد بن الوليد قد نفذ عملية الالتفاف في وقت قصير دلالة على أن قواته لازالت  
منظمةً وجاهزة للقتال وأن القوات التي تهللت هي قوات المشاة فقط. علينا أن نتذكر  
دائماً أن أوامر القتال يجب أن تطاع من قبل الجميع ومخالفة الأوامر قد تؤدي الى كارثة  
وتحول النصر الى هزيمة، وكان الرسول كان يعلم بالكارثة التي ستحل عندما قال للرماة  
(لا نُؤْتَيْنَ من قبلكم).

٣ - استثمار الفوز والمطاردة : يجب ان يتوج الهجوم الناجح باستثمار فوز ومطاردة العدو  
للقضاء عليه نهائياً حتى لا يستطيع من إعادة تنظيم قواته والقتال مرة أخرى وقد وقع  
المسلمون في خطأ حينما لم ينفذوا ذلك وانشغلوا بجمع الغنائم مما اعطى العدو الفرصة  
أن يعيد تنظيم قواته ويقا تل من جديد.

٤ - الابداع العسكري : ابرزت هذه المعركة حنكة خالد بن الوليد العسكرية وابداعه الذاتي  
واستغلاله للمواقف فرغم تفوق قوات المشركين وانهزامهم بعد الهجوم الأولي فقد بقي  
صامداً بقوة الخيالة يرقب أرض المعركة ومع أول فرصة سانحة استغلها واتخذ قراراً  
سريعاً لمهاجمة مؤخرة المسلمين التي أصبحت واهنة ونلاحظ من سير الحوادث أن خالداً  
ركّز في هجومه على المنهزمين وهم الكثرة حتى لا يفكروا بالعودة للقتال اما الذين صمدوا  
مع الرسول فترك أمرهم للمشاة وهذا إبداع آخر فلو تحوّل إلى المجموعة الصامدة لعاد  
معظم الناس للقتال وقد تتغير المعركة في اتجاه معكوس، وبالحسابات العسكرية نقول إنه

أحرز تفوقاً كبيراً جداً لصالح المشركين في المرحلة الثانية من المعركة ولكن عندما أُشيع أن الرسول القائد قد قُتل خَفَّت حدة القتال لأن هذا هو الهدف الاساسي لقريش قد تحقق وهذا أعطى أيضاً الفرصة للمسلمين للانسحاب إلى مضيق أحد وتحسين مواقعهم الطبيعية وقد فانت الفرصة السانحة للمشركين الآن للقضاء على الرسول ولولا ذلك لَقُضِيَ على الرسول وأصحابه من الناحية العسكرية فقط أما من الناحية الدينية فاعتقادنا ثابت وایماننا عمیق لأن الله سبحانه وتعالى قد عَصَم الرسول من الناس.

٥ - الردع : لقد كان خروج الرسول بثلاثمائة مقاتل خلف قوات قريش ذات أثر نفسي كبير عليهم، إذ كان من المتوقع أن تعود قريش أدراجها لقتال المسلمين وهم يعلمون أن وضعية المسلمين النفسية والعسكرية أصبحت مهلهلة ولذلك فإن أبا سفيان عندما علم من أحد المشركين بمتابعة قواته بقوات كبيرة من المسلمين أرسل إلى المسلمين بأنه سيعود إلى المدينة للقضاء على باقي المسلمين وكان ذلك من باب الخدعة ولكنه قَفَلَ راجعاً بسرعة إلى مكة خوفاً من فقدان النصر الذي حققه في أحد ولهذا فإنه رغم هزيمة المسلمين في المعركة فقد كان لتحركهم خلف العدو بمثابة عامل ردع قوي أثر عليهم وعلى القبائل المجاورة للمدينة حتى لا تفكر بأن شوكة المسلمين قد ضَعُفَتْ لأن مبدأ العرب كان في ذلك العصر أن القوي يأكل الضعيف ولو أحسوا ضعف المسلمين لتهددت مصالح المسلمين وتهدد وجودهم، وبما يتعلق بالردع فإن الرسول يقول (لقد نُصِرْتُ بالعرب مسيرة شهر).

٦ - المفاجأة : أحد مبادئ الحرب الرئيسية وقد استغل المشركون هذا المبدأ استغلالاً تاماً وحققوا مفاجأة تعبوية بضرب المسلمين في زمان ومكان غير متوقعين وإن ظهر قوات خالد خلف المسلمين أذهلت الجميع بحيث لم يستطيعوا أن ينظموا صفوفهم ويعودوا للقتال فتفرقوا يطلبون النجاة، لم يستغل المشركون هذه المفاجأة التي تحققت لهم بفضل خطأ المسلمين وإلا لحققوا هدفهم العام من المعركة وهو القضاء على قوات المسلمين قضاءً تاماً.

٧ - الحشد : من سياق المعركة نستنتج أن المشركين قد جمعوا كل ما يملكون من مقاتلين ولم يتخلف عن المعركة إلا عاجز عنها أو متخاذل وكذلك المسلمون فقد خرجوا للمعركة عن بكرة أبيهم ولم يتخلف إلا امرأة أو صبي أو شيخ لا يقدر على القتال وأما جماعة عبدالله بن أبي الذين تراجعوا عن المعركة فهم منافقون ووجودهم بين المسلمين سيضرهم ضرراً كبيراً فهم كالطابور الخامس.

٨ - الهدف : لم يحقق الغزاة هدفهم وهو القضاء على المسلمين وقد حاولو جهدهم بكل الوسائل لتنفيذه ولكنهم عجزوا أما المسلمون فقد نجحوا نجاحاً جزئياً في تحقيق هدفهم وهو الدفاع عن انفسهم وعقيدتهم وكان ذلك رغم خسارة المعركة وخسارة سبعين شهيداً منهم.

٩ - القيادة : إن المواقف التي ظهر بها الرسول في هذه المعركة تثبت أنه مثال القائد الذي يُحتدى به فقد نفذ كل الاجراءات العسكرية التي يجب أن تتم من حشد واستطلاع وحركة واختيار للموقع وقد ساعده في ذلك مشورة اصحابه ذوي الخبرة العسكرية لأننا لا نستطيع القول أن الرسول يشبه رومل أو مونتغمري أو حتى خالد بن الوليد من الوجة العسكرية فهو النبي القائد الذي صمد في ميدان القتال صموداً رائعاً وأصيب اصابات بالغة في وجهه الشريف ورغم هذا لم ينثني عن عزمه ولم يلن ومن ثم داوى جراح اصحابه على عجل وخرج بمن استطاع الخروج خلف المشركين حتى لا يشعروا بضعف المسلمين.

أما القائد أبو سفيان فهو بالمثل كان قائداً ناجحاً استطاع أن يسيطر على المعركة وأن يضعف قوات المسلمين ويحرز نصراً ثميناً كان هو بحاجة له في هذا الموقف ولو هُزمت قريش في هذه المعركة لعجل ذلك في القضاء عليها حيث أطالت هذه المعركة عُمر المشركين خمس سنوات أخرى حتى تحقق الفتح المبين.

١٠ - التمثيل بالقتلى : تثير الحرب عادة الحقد والكراهية بالنفوس وأما التمثيل فيزيدها شدة وكراهية وقد قامت نساء المشركين وكذلك بعض رجالهم بالتمثيل بشهداء المسلمين لأنهم سيطروا على ميدان المعركة وبالأخص بجثة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الذي كان أحب الناس الى رسول الله وقد بكاه بكاءً حاراً عندما استشهد وعندما مُثِّل به حتى أنه لم ينس تلك الحادثة ففي فتح مكة عَبَّ على هند بنت عتبة تمثيلها بعمه حمزة وإخراجه كَبْدَهُ. أما المسلمون ففي تاريخهم الحربي الطويل لم يمثّلوا ولم يخربوا وهذه من مبادئ الاسلام السمحة.

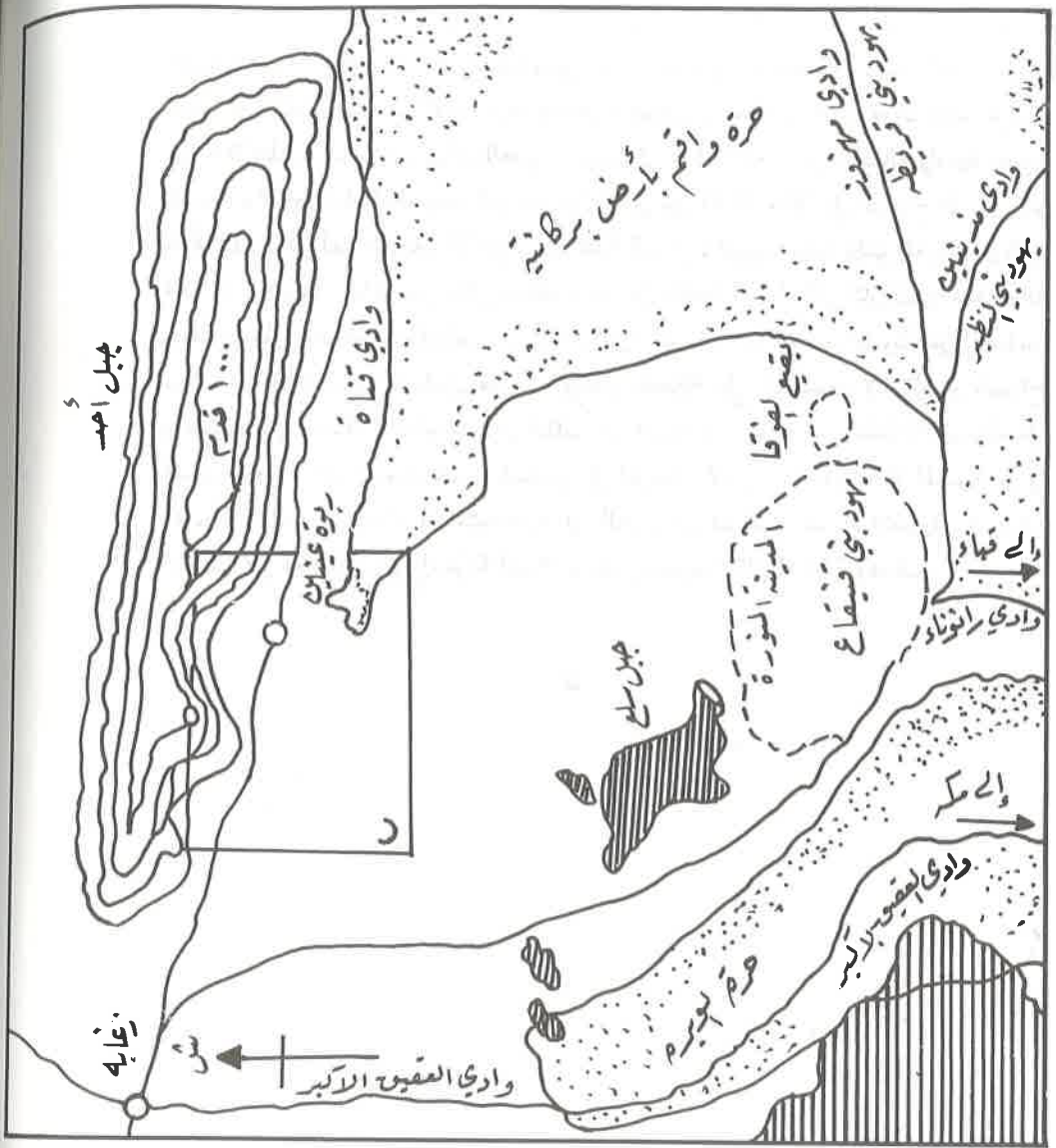
١١ - الحرب النفسية : لها أثر كبير على الجيش خاصة إذا أُذيع بأن القائد قد قُتِل كما فعلت قريش في معركة أحد عندما اذاعت أن الرسول قد قُتِل فقد أصاب الذهول جميع المسلمين وترك قسم كبير منهم السلاح وهرب تاركاً المعركة، ولذلك فالتخطيط لهذه الحرب أصبح من الأمور المهمة والذي يتخذ عادة طابع الأمد الطويل. لقد صرَّح بعض زعماء الصهاينة عقب حرب ٦٧ أن نجاح اسرائيل في هذه الحرب كان سببه ٩٥ بالمئة من الحرب النفسية وه ٥ بالمئة فقط من جراء العمليات القتالية.

١٢ - التنظيم للقتال (الانفتاح) : أبدى الكثير من النقاد والكتبة العسكريين رأيهم بأن العرب بما فيهم المسلمون لم يعرفوا تعبئة الحرب وانما كانت غزواتهم تعتمد على الكر والفر وهذا قد يكون صحيحاً الى حد بعيد<sup>(١)</sup> ولكن بالنظر إلى معركة أحد وملاحظة انفتاح

(١) يصير العميد الركن سيف الدين آل يحيى في كتابه الحركات العسكرية للرسول الاعظم - الجزء الثاني - بأن الحرب هي كر وفر حتى في أحد وتبريره ان المسلمين كروا ففر المشركون في المرحلة الاولى وكُر المشركون ففر المسلمون في المرحلة الثانية.



القوتين الاسلامية والمشرقة تجد أن قوة المسلمين اتخذت ترتيبها في القتال على أساس الثبات وتغطية الجناحين، الايمن يرتكز على جبل أحد والأيسر على جبل عينين ويغطيه بالرماية فرقة من الرماة بقيادة عبدالله بن جبير وعندما بدأت المعركة وحصل الخطأ الذي نوهنا له انكشف الجناح الأيسر وأصبح من الصعب تغطيته أو تثبيت قوات المشركين في هذا الاتجاه خاصة وأن قوات العدو المنفتحة في هذا الاتجاه من الخيالة ولديها عنصر الحركة والمناورة، لذلك لم يجد الرسول أمامه من حل إلا الارتكاز على الجناح الايمن وهو فعلاً الذي أمن لهم الحماية الكافية ولولا هذا الجناح المنيع طبيعياً لآلت المعركة إلى شيء آخر الله اعلم به. أما قريش فكان معظم قوتها من المشاة أيضاً ولكن كان لديها قوة خيالة جيدة بالمقارنة مع قوات المسلمين، ولهذا ارتكز المشركون على عنصر المرونة على الاجنحة بدلاً من الثبات لدى المسلمين فقامت بوضع الخيالة على الجناحين لاستثمار النجاح والمناورة على الجناحين واعتمدت في القلب على المشاة ومعهم بعض النبالة للاشتباك على المدى البعيد. لقد نجحت خطة المسلمين في المرحلة الأولى ونجحت خطة المشركين في المرحلة الثانية. من هذه المناقشة نجد أن الكر والفر لم يُتبع بمعناه المعروف في هذه المعركة لأن اختيار أرض المعركة أصلاً من قبل الطرفين كان له غاية وهدف.



المخاطبة رقم ١٤  
 طبيعة أرض المعركة في أحد



## غزوة الخندق

الموقف العام :

بعد معركة أحد لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي، بل تتابعت عملياتهم العسكرية طوال السنتين اللتين تلتا هذه المعركة فقاموا بسبع عمليات ناجحة تجمع بين دوريات الاستطلاع والدوريات المقاتلة والإغارة والكمين وكان الهدف منها إيقاع الرعب في قلوب المشركين حتى لا يفكروا بغزو المدينة قبل أن يستكمل المسلمون استعداداتهم لخوض معركة كبيرة. استعاد المسلمون خلال هذه الفترة سمعتهم وأصبح سلطانهم مهيباً في المدينة وخارجها.

أما اليهود شركاء المسلمين في المدينة وأشباهم من المنافقين كعبد الله بن أبي واتباعه فقد كانوا مشغولين بالمكر والدسائس وحيك المؤامرات ضد المسلمين ونقل المعلومات إلى أعدائهم خاصة بني النضير الذين تم إجلأؤهم عن المدينة فقد بذلوا كل جهدهم في إقناع المشركين بحرب المسلمين وأوهمهم بأن المسلمين لقمة سائغة<sup>(١)</sup> وأن يهود المدينة ينتظرونهم ليمكروا بالمسلمين وأنهم نقضوا الحلف الذي بينهم وبين محمد.

أستطاع يهود بني النضير أن يحشدوا أكبر قوة معادية للمسلمين من قريش وغطفان ويهود بني النضير ويهود بني قريظة فيما بعد وكان تفوقهم ساحقاً على قوات المسلمين.

موقف المسلمين :

في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة علم الرسول بموقف الأحزاب<sup>(٢)</sup> ومسيرتهم للهجوم على المدينة فجمع أصحابه واستشارهم بما سيفعل وكان الرأي لسلمان الفارسي الذي قال للرسول (يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا)<sup>(٣)</sup> فاستحسن الرسول وأصحابه الفكرة وأمر بحفر خندق حول المدينة كخط دفاعي ولم يكن هذا الأسلوب معروفاً لدى العرب من قبل. قَسَمَ الرسول الخندق بين أصحابه وبدأوا بالحفر وكان العمل يستمر طيلة النهار ثم يأوي المسلمون ليلاً إلى بيوتهم لأخذ قسط من الراحة وكان الرسول القائد يشرف بنفسه على الحفر ويشترك الرجال في ذلك وقد عمل بعض المنافقين في حفر الخندق وعندما اشتد العمل والحر بدأ يتسللون دون إذن أما المسلمون فلم يبارحوا العمل إلا بأذن من النبي (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)<sup>(٤)</sup>.

(١) الذين خرجوا لتأليب العرب على المسلمين هم سلام بن ابي الحقيق وكنانه بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وجميعهم من يهود بني النضير وكان معهم من بني وائل هُوْدَة بن قيس وأبو عمار.

(٢) الاحزاب وهم القبائل الذين خرجوا لحرب المسلمين وسُمُوا بالاحزاب لأنهم تحزَّبوا واجتمعوا ضد المسلمين.

(٣) تاريخ الطبري ص ٥٦٦ ، ١ / ١٤٦٥ .

(٤) سورة النور - آية ٦٢ .

استخدم المسلمون أدوات الحفر المتيسرة في ذلك العصر مثل المساحي<sup>(٢)</sup> والكرازين<sup>(٣)</sup> والمكاتل<sup>(٤)</sup> وانجزوا حفر الخندق في وقت قياسي قدره ستة أيام رغم ظروف الطقس والجوع الذي أصاب المسلمين لأن العام كان عام مجاعة<sup>(٥)</sup>.

بعد أن انجز المسلمون حفر الخندق عسكروا بجانب جبل سلع<sup>(٦)</sup> وجعلوه خلف ظهورهم وجمعوا النساء والأطفال في بيوت قوية البنيان في منطقة أمينة داخل المدينة وهجروا البيوت الواهنة. كان هدف المسلمين العام الدفاع عن دينهم وأعراضهم ومدينتهم بكل ما يملكون من قوة<sup>(٨)</sup>.

### موقف الأحزاب :

استطاع يهود بني النضير أن يحرّضوا قريشاً والقبائل الأخرى من غطفان وبني سلم وأسد وأشجع على قتال المسلمين وتحركوا جميعهم في شهر شوال للسنة الخامسة للهجرة باتجاه المدينة تجمعت قوة الأحزاب حول المدينة في المواقع التالية:

١ - قريش في مجمع الأسيال من رُومَه وهو مكان بين الجُرف وزغامه<sup>(٧)</sup>.

٢ - غطفان وقبائل نجد في موقع بدّنب نقمي قريباً من جبل أُحد.

٣ - بنو قريظة في حصونهم بضواحي المدينة<sup>(١)</sup>. كان هدف المشركين القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم وذرائعهم.

(٢) المساحي : جمع مسحاة وهي التي يُسحى بها الطين أي يُجرف.

(٣) الكرازين : جمع كرزون وكرزين وهي الفؤوس.

(٤) المكاتل : جمع مكتل وهو المقطف الذي يحمل به التراب.

(٥) خط الرسول الخندق بيديه الشريفتين وقسمه كل ٤٠ ذراع لعشرة رجال وقد اختلفوا في أمر سلمان فقال المهاجرون

سلمان منا وكذلك الانصار فقال الرسول (سلمان منا آل البيت).

(٦) المخطرقم ١٧ - موقع الخندق.

(٧) العيقرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج.

(٨) قُسم الجيش الى مجموعتين مجموعة المهاجرين بقيادة زيد بن حارثة ومجموعة الانصار بقيادة سعد بن عبادَة وعين

مجموعتين صغيرتين للدفاع عن المدينة من الداخل وسلم إمارة المدينة الى عبدالله ابن ام مكتوم.

(١) كان بين المسلمين ويهود بني قريظة معاهدة وقد استطاع حبي بن أخطب النضري من إقناع صاحب عَقْد بني قريظة وعهدهم كعب بن أسد القرظي أن يخل بعهدهم مع المسلمين وعندما علم الرسول بذلك أرسل سعد بن معاذ بن النعمان بن أمية القيس من بني الأشهل وهو سيّد الأوس وسعد بن عبادَة بن دُلَيْم من بني ساعدة وهو سيّد الخزرج وعبدالله بن رُوَاحَة وخَوَات بن جبير الى بني قريظة ليستطلع الخبر وعادوا بالخبر اليقين وهو نقض بني قريظة للعهد وبهذا النقض ضاقت الدنيا على المسلمين فالأعداء من امامهم ومن خلفهم ناهيك عن الجهد والتعب والجوع حيث نزل قوله تعالى في سورة الأحزاب (اذ جاءوك من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابْتُلِي المؤمنون وزُلزلوا زلزلاً شديداً.

## طبيعة أرض المعركة (٢) :

تتميز منطقة المدينة بالمساحات الواسعة من الصخور البركانية والجبال المتفاوتة الارتفاع ولعل أهمها جبل أحد وجبل سلع أما الحرات فمعظمها شمال المدينة ومنها حرة المدينة وحرة واقم وحرة الوبرة، تتخلل المنطقة عدد من الأودية أهمها وادي العقيق الذي يقع شمال المدينة، أما الطرق المؤدية إلى المدينة فأهمها الطريق التجاري وطريق الحج بين المدينة ومكة وهناك دروب كثيرة تؤدي إلى داخل المدينة أما المنطقة الواقعة شمال غرب المدينة والتي تقع بين حرة المدينة وجبل سلع فهي المنطقة الوحيدة المكشوفة والتي حُفر بها الخندق أما الجهات الأخرى فهي صعبة المسالك لأنها محاطة بالساتين والعوارض المحيطة.

أما الخندق فقد امتد من الشيخين وهو المكان الذي عسكر به المسلمون يوم أحد إلى تل خباب ومن هناك إلى جبل بني عبيد وكانت هذه التلال ضمن المنطقة المحمية بواسطة الخندق ومن جهة الغرب فكان يتجه جنوباً لتغطية الجناح الأيسر للمسلمين غربي التلين المعروفين بإسم جبل بني عبيد ويسيطر جبل سلع على الخندق من الداخل حيث يبلغ ارتفاعه ٤٠٠ قدم وطوله حوالي ميل<sup>(١)</sup> أما طول الخندق فلم يتفق الرواة على رقم معين ويمكن الاستنتاج من عدد المسلمين وهو ثلاثة آلاف ومقدار حفر الشخص الواحد وهو أربعة أذرع فيكون طول الخندق التقريبي ثمانية كيلومترات وهو رقم مبالغ به ولكنه ممكن التنفيذ أما عرضه فلم يذكر بالتحديد إلا أنه بعرض كافي يمنع الفرسان من اجتيازه، رغم أنهم اجتازوه من مناطق ضيقة<sup>(٢)</sup>.

## قوات الطرفين :

بلغ عدد قوات المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل<sup>(٣)</sup> أما قوات المشركين فكانت تتألف من قريش وعدد مقاتليها أربعة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة<sup>(٤)</sup> وغطفان بقيادة عيينة بن حصن بن حذيفة وبنو سليم في سبعمئة مقاتل يقودهم سفيان بن عبد شمس، وبنو أسد بقيادة طلحة بن خويلد الأسدي، وبنو مرة بقيادة الحارث بن عوف، وأشجع بقيادة مسعر بن رُخَيْلَة وغيرهم من العرب<sup>(٥)</sup>. ذكرت بعض المصادر أن مجموع قوات المشركين بلغت عشرة آلاف مقاتل عدا بني قريظة الذين انضموا إلى الأحزاب أيضاً<sup>(٦)</sup>.

(٢) المخطط رقم ١٨ - طبيعة أرض المعركة في الخندق.

(١) ورد في تاريخ الطبري أن الخندق يمتد من أجم الشيخين طرف بني حارثة (والأجم هو الحصن) حتى بلغ المزار (والمزار حسب قول ياقوت هو موضع بالمدينة حيث حفر الخندق رسول الله).

(٢) تاريخ الطبري ١/١٤٧١ ص ٥٧٠.

(٣) قتل أبوه وهو يحمل لواء المشركين في أحد.

(٤) العبقورية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج، أما الطبري فلم يذكر بنو أسد وبنو سليم ص ٥٦٦ ، ١/١٤٦٥.

(٥) تاريخ الطبري ص ٥٧٠ ، ١/١٤٧٠.

اصبح موقف المسلمين حرجاً بعد انضمام بني قريظة إلى الأحزاب فقد كان بإمكان اليهود التسلل داخل المدينة والتعرض للنساء والأطفال لأنهم يعرفون الطرق والمسالك المؤدية الى داخل المدينة لأنهم من سكانها وهذا سيؤثر بشكل كبير على معنويات المسلمين الذين يقاتلون في ساحة المعركة فيصبحون غير مطمئنين على مصير عائلاتهم وأموالهم.

أرسل اليهود رجلاً منهم لاستطلاع موقف المسلمين داخل المدينة ومعرفة أماكن النساء والأطفال وقد قتل هذا الجاسوس على يد امرأة مسلمة هي صفية بنت عبد المطلب عمه الرسول وعندما لم يعد هذا اليهودي الى قومه ظن اليهود أن مؤخرة المسلمين محمية فلم يُرسلوا غيره، وقبعوا في حصونهم ولم يخرجوا منها.

استمر الحصار بضعاً وعشرين يوماً والمشركون لا يعرفون ماذا يمكن أن يفعلوا بهذا الخندق<sup>(٧)</sup> الذي لم يسمعوا عنه أو يعرفوه في الماضي ولم يكن بين الطرفين حرب إلا الرمي بالنبل والحصار<sup>(٨)</sup> وقد اشتد البلاء على المسلمين فبعث الرسول بطلب عيينه بن حصن والحرث بن عوف وهما قائداً غطفان وفاوضهما على ثلث ثمار المدينة واتفقا على ذلك وبعدها بعث وراء سعد بن معاذ وسعد بن عباد واستشارهما في ذلك فأشاروا على الرسول بعدم عقد هذا الاتفاق فضّنه الرسول حسب مشورتهم.

استطاع عمرو بن عبد ودّ العامري ومعه نفر من المشركين أن يجتازوا الخندق من منطقة ضيقة باتجاه جبل سيلع وخرج عليهم علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين واشتبكوا فقتل من المشركين ثلاثة رجال<sup>(٩)</sup> وفر الباقين من الثغرة التي دخلوا منها كما قامت مفرزة أخرى من المشركين بالهجوم على المسلمين باتجاه بيت الرسول فاشتبك معهم المسلمون حتى الليل واضطرت المفرزة للانسحاب وقد كان القصد من هجمات جس النبض هذه معرفة نقاط الضعف في الخندق والمواضع الدفاعية التي يمكن اقتحام الخيل منها. هذا وقد أصيب من المسلمين بسهم في يده سعد بن معاذ سيد الأوس رماه به رجل يقال له ابن العرقه.

أتى نعيم بن مسعود الغطفاني إلى رسول الله وقال له إنني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمُرني بما شئت فقال له الرسول (انت فينا رجل واحد فخذلنا إن استطعت

(٦) المخطرقم ١٩ - سير العمليات القتالية في الخندق.

(٧) ذكر في غزوة الأحزاب لحمد احمد باشميل أن طول الخندق بلغ خمسة آلاف ذراع وأن عمقه لم يكن اقل من سبعة أذرع وكذلك عرضه ليس اقل من تسعة أذرع واستغرق حفره شهراً كاملاً (على قول ابن القيم في الهدي النبوي).

(٨) تاريخ الطبري ١/١٤٧٣ ص ٥٧٢ عن ابن هشام.

(٩) ورد في تاريخ الطبري ص ٥٧٤، ١/١٤٧٦ ان الثلاثة الذين قتلوا هم عمرو بن ودّ العامري ومنبّه بن عثمان من بني عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة من بني مخزوم.

فإن الحرب خُدعة<sup>(١)</sup>. واستطاع نعيم بن مسعود بدهائه أن يوقع الخلاف بين يهود بني قريظة من جهة والاحزاب من جهة اخرى فخفف الله عن المسلمين هذه المصيبة العظيمة والخطر المحقق. استمر نشاط الأحزاب حول الخندق محاولين عبوره بأية طريقة وكانت دورياتهم الخيالة تعمل طوال الليل جاهدة في عبور هذا المانع الذي أعاقها وفي الليالي الاخيرة اشتد نشاطهم أكثر حتى أن زعيمهم أبو سفيان قاد مجموعة من الفرسان وأخذ يتحسس المضائق التي يمكن الدخول منها والسبب في ذلك أن العرب لم يتعودوا على عمليات القتال الطويل الأمد والحصار فبدأ الضجر والملل يدب في نفوس المشركين ونقصت المؤونة وشحَّ الماء واشتد البرد وفي الطرف الآخر كان المسلمين أكثر ضجراً وفي وضع أكثر شدة جوعاً وإرهاقاً لنفس الأسباب أعلاه.

وفي ليلة عاصفة هوجاء (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها)<sup>(٢)</sup> جمع أبو سفيان رجاله من قريش وأخبرهم خبر بني قريظة وانحيازهم الى المسلمين وشرح لهم الشدة والكرب والجوع والبرد الشديد الذي يواجهونه وعدم إمكانية تحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله ثم طلب منهم أن يرتحلوا وقال (إني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم<sup>(١)</sup>). وتتابعت قريش خلف أبو سفيان قافلة الى مكة وهي في هرج ومرج<sup>(٢)</sup> وسمعت غطفان أصوات قريش وعندما علمت برحيل قريش دون علمها ارتحلت هي الأخرى منتهية أطول فترة حصار عرفها المسلمون في صدر الإسلام وأصعب ظروف مروا به لغاية ذلك الوقت وكان ذلك بقدرة الله تعالى ونعمة منه (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله عزيزاً قوياً<sup>(٣)</sup>). ولم تنته المعركة عند هذا الحد فقد جاء حساب الغادرين من بني قريظة وقرَّرَ الرسول أن يحاسبهم حساباً عسيراً جزاء نقضهم العهد في ظرف كان من أخرج الظروف حيث زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ومن شدة العجلة قال الرسول (لا نصلي العصر إلا في بني قريظة) وقد استسلموا لحكم سعد بن معاذ في هذه

(١) مع إن قصة نعيم بن مسعود معروفة ولكن سأحدث عنها بايجاز فقد ذهب الى بني قريظة واقنعهم بأن يأخذوا رهائن من الاحزاب على ان يكونوا من اشرافهم حتى لا تقع بني قريظة بيد المسلمين اذا انسحب الاحزاب الى بلادهم، ثم ذهب الى قريش وغطفان وقال لهم ان يهود بني قريظة قد نقضوا العهد معكم وسيطلبون منكم رهائن من اشرافكم ليضربوا اعناقهم ومن ثم سيقاتلونكم مع المسلمين، وقال لهم اذا طلب منكم اليهود الرهائن فانني اصدقكم القول ولا تعطوهم الرهائن، وقال لهم اكنموا علي، ومن قدرة الله ان أرسل ابو سفيان، إلى بني قريظة يطلب منهم مناجزة المسلمين لأنه هلك منهم الخف والحافر وطال الحصار، فقالت اليهود اننا غدأ السبت ولا نقاتل في هذا اليوم ونريد كذلك رهائن من اشرافكم حتى إذا اشتد عليكم القتال نخاف أن تغفلوا الى بلادكم وتتركونا والمسلمين، عندها أيقن الاحزاب ان كلام نعيم بن مسعود كان صحيحاً فأبى الأحزاب اعطاء رهائن لليهود وحذَّل الله بينهم.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٩.

(١) غزوة الاحزاب لمحمد احمد باشمیل ص ٢٦٦.

(٢) أرسل الرسول حذيفة بن اليمان الى معسكر قريش ليستطلع الخبر وجاءه بالمعلومات الكاملة عن خطبة ابي سفيان وارتحال قريش.

(٣) سورة الأحزاب - آية ٢٥.



الغزوة. كانت خسائر المسلمون في هذه المعركة ستة شهداء<sup>(٤)</sup>. أما خسائر المشركين فكانت ثلاثة قتلى ورد ذكر اسمائهم في هذا المرجع.

## الدروس المستفادة :

١ - الهدف : لم يختلف هدف المشركين في هذه المعركة عن سابقتها فهو القضاء على الدين الإسلامي قضاءً تاماً فلا مجال لوجودهم بوجود هذا الدين وقد تدخلت عناصر جديدة في هذه المعركة ومنهم يهود بنو النضير الذين يحملون حقداً دفيناً ضد المسلمين بسبب تهجيرهم من المدينة والعداء الديني الواضح حيث وقف اليهود حاجزاً لمنع انتشار الإسلام وقد حرّض اليهود قبائل غطفان ودفعوا لهم الأموال والثمار مقابل ذلك ومنوهم بأعطيات بعد المعركة وأخيراً أقنعوا يهود بني قريظة أن يتقضوا عهدهم مع المسلمين على أساس أن هذه الحملة ستكون نهاية محمد وأتباعه وإلا لما نقض يهود بني النضير عهدهم لأنهم يعرفون أن مصيرهم في حالة الفشل سيكون أسوأ من حال بني النضير، أما هدف المسلمين فكان واضحاً وضوحاً تاماً فلم يكونوا تعرضيين ولم يتعرضوا وكان هدفهم الأسمى الدفاع عن وجودهم المادي والمعنوي، لاحظنا من خلال تسلسل الأحداث أن المسلمين حققوا هدفهم لأنهم هيئوا الأسباب لذلك بينما فشل الأحزاب كما فشلوا في السابق.

٢ - وحدة القيادة : كان للأحزاب قيادة مُعلنة وهو زعيمهم أبو سفيان ولكن لاحظنا أن هذه القيادة كانت مفككةً ينبت فيها بذور الشك والريبة فقد تم اقناع بني قريظة مثلاً للانضمام إلى راية الأحزاب ولكن نجد أن هؤلاء لم تكن لديهم قناعة بما يجري رغم الحاح حيي بن أخطب النضري الذي هو من أبناء جنسهم ودينهم ولذلك نجد أن الخطة الخداعية التي قام بها نعيم بن مسعود انطلت عليهم بسهولة وفككت أوصالهم فهل القيادة الواحدة الصارمة تنحلّ بهذه السهولة، وفي الطرف الآخر قريش التي ارتحلت في أحلك الظروف دون أن يُعلم زعيمها وزعيم الحملة كلها حلفاءه من بني غطفان وعندما استطلعوا الخبر عرفوا أن قريشاً قد ارتحلت تبعوهم، فأين هي وحدة القيادة بين هؤلاء، ولنفترض جدلاً أن المسلمين كانت لديهم القدرة والنوايا التعرضية عندما علموا برحيل قريش، ألم يكن باستطاعتهم أن يغيروا على بني غطفان تلك الليلة ويهزمهم شرّ هزيمة.

(٤) الحركات العسكرية للرسول الاعظم - أما غزوة الأحزاب لمحمد احمد باشميلي فيقول أن خسائر المسلمين ثمانية وجميعهم من الأنصار وهم سعد بن معاذ (توفي متأثراً بجراحه) ، أس بن أوس بن عتيك، عبدالله بن سهل، الطفيل بن النعمان، ثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وهؤلاء حسب رواية ابن اسحاق وهناك شهيدان ورد ذكرهما في السيرة الحلبية استشهدا اثناء اعمال الاستطلاع وهما سليط وسفيان بن عوف.

كانت وحدة القيادة بارزة لدى المسلمين رغم ان المسلمين أيضاً هم قبائل من أوس وخزرج ومهاجرين وغيرهم، ولكن نجد أن الرسول كان مركزياً الى أقصى الحدود في قيادته فالمجال لا يتسع للأخطاء لأن كل خطأ يمكن أن يكون قاتلاً، لهذا وجدنا الرسول يأمر ويتحرك ويحرس ويحفر ويراقب ويرهق نفسه في كل عمل زيادة عن أي مقاتل بإمرته.

٣ - المفاجأة : ورد في كثير من المراجع أن الخندق لم يكن مفاجأة لقريش ودليلهم في ذلك أن عدة الحفر استقرضت من يهود بني قريظة وهؤلاء يضمرون الحقد للمسلمين رغم وجود العهد بينهم ومن ثم بعد نقض العهد كان من المؤكد أن ينقلوا هذه المعلومات إلى قريش وحلفائها، ويعتبر هؤلاء أن وجود الخندق كان أمراً واقعاً لم تستطع الأحزاب تغييره رغم معرفتهم به.

أما المؤرخون الآخرون فيعتبرون وجود الخندق أكبر مفاجأة للأحزاب آخذين قولهم من أفواهم (والله إن هذه لمكيدة لم تعرف بها العرب من قبل) والحقيقة التي يجب توضيحها أن بني قريظة لو أخبروا قريشاً بالخبر وهم في مكة أو في طريقهم إلى المدينة لن يعطي أية فائدة للأحزاب لأن الخندق كان جاهزاً عندما وصل الأحزاب أطراف المدينة وإلا لاستغلوا عدم استكمال استحضارات الخندق ونفذوا هجوماً سريعاً لإفشال خطة المسلمين، والشيء الآخر ان الأحزاب لو علموا بوجود الخندق لم يكن لديهم تصوّر عما سيفعله بهم وهل سيمنعهم من الهجوم أم لا وما هو تأثير ذلك ولو كانوا يعرفون لما تجشموا عناء السفر والارتحال في هذه الأيام الباردة العصبية ويتوقعون هذا الفشل الذريع رغم أنه أضيف الى قوتهم قوة بني قريظة من داخل المدينة، وأخيراً فاعتقادنا أن الخندق كان أكبر مفاجأة أذهل الأحزاب ولولاه لتغيرت صورة المعركة فهو في مكان حاكم ومانع وأطراف المدينة الأخرى كانت معرضة ولكن المشركين لم يستطيعوا استغلالها لأنها لا تؤمن لهم الهجوم الناجح. ان العلم بالشئ لا يعني فقدان مفاجئته وإنما نتائجه قد تحمل المفاجأة القوية، فالعرب كانوا يعرفون أن لدى القوات الاسرائيلية صواريخ تاو ضد الدبابات ولديهم بعض المعلومات عن خصائصها الفنية ولكنها كانت مفاجأة فنية بنتائجها إذ دمرت معظم دبابات القوات العربية بهذه الصواريخ الشديدة الفعالية.

٤ - الخداع والحرب النفسية : حاول المنافقون بث سموم إشاعاتهم لتحطيم معنويات المسلمين وتثبيط همهم وخوفاً على أنفسهم لأنهم اعتقدوا أن هذه المعركة ستكون نهاية المسلمين ولهذا لم يتردد الكثير منهم في إبداء رأيه صراحة والآخرون عملوا في الخفاء، فمثلاً قال مُعْتَب بن قُشَيْر (يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته<sup>(١)</sup>).

(١) الحركات العسكرية للرسول الاعظم ج ٢ ص ٢٢٨.

والبعض الآخر أخذ يطلب العذر لنفسه لحماية بيته لأن بيته عوره وما هي بعورة كما ورد ذكرها في القرآن الكريم انما هو نفاق وخور وإشاعة ضد المسلمين لهزيمتهم من الداخل، ولا ننكر بأن المسلمين اهتزوا وتأثروا بذلك لأن الله تعالى ذكر ذلك في مُحْكَم كتابه (ان جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الخناجر وتظنون بالله الظنوننا هنالك ابْتُلِي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً<sup>(١)</sup>). عندما أرسل الرسول من يتجسس على بني قريظة عندما وصله خبر نقضهم للعهد عادت المجموعة واخبرته الخبر بالرموز حتى لا تتأثر معنويات المسلمين فقالوا له (عضل والقارة<sup>(٢)</sup>) وقد علم المسلمون بذلك فيما بعد فاشتد الكرب عليهم وعظم البلاء. أما الخداع فقد كان واضحاً في هذه الغزوة ان استطاع نعيم بن مسعود أن يمزق الحلف المعقود بين الأحزاب بالخدعة مما أدى إلى فشل الحملة بأكملها.

٥ - الطقس : يعتبر الطقس أحد العوامل الرئيسية المؤثرة عند تحليل منطقة العمليات في الحرب الحديثة لما له من تأثير على خصائص واستخدام الأسلحة والمعدات والجيش اما قديماً فلم يكن للطقس هذا التأثير الواضح لسببين اولاهما أنه نادراً ما كانت تشن الحروب في طقس غير مناسب للطرفين وثانيهما كان التأثير على البشر فقط فلم يكن للطقس أي تأثير على استخدام المعدات أو الأسلحة ولذلك نجد أن عامل الطقس كان تأثيره متساوي على الطرفين في هذه الغزوة اللهم إلا أن بعض البيوت القريبة من الخندق كانت تؤمن لقوات المسلمين بعض الحماية من شدة البرد ليلاً خاصة لأولئك الذين ليس عليهم واجب الحراسة الليلية، أما المشركون فكانوا مكشوفين في العراء وتأثير الطقس مباشر عليهم خاصة أن فترة الحصار طالت ووصلت ما يقارب الشهر. يقول السيد سيف الدين آل يحيى في كتابه الحركات العسكرية للرسول الأعظم الجزء الثاني صفحة ٢٢٢ بأن الطقس لم يكن شتاء وانما كان الشهر نيسان والمناخ في المدينة يجعل من لياليها في غاية البرودة وأنا لا أعتقد ذلك لأن ظروف الطقس في هذا الموسم من السنة محتمل جداً كتجربة شخصية عشتها ولكن أعتقد أن الطقس كان أقرب الى فصل الشتاء من ذلك لذكر تأثيره الكبير على الأحزاب في مصادر عديدة وآخرها خطبة ابو سفيان في قومه (ولقينا من هذه الرياح ما تَرَوْنَ<sup>(١)</sup>)، أما البخاري فقد روى عن أنس (أن رسول الله خرج الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة .. الخ الحديث)<sup>(٢)</sup>. فاذا كان الليل بارداً فكيف يكون النهار بارداً في شهر نيسان. وهناك قصة أخرى حيث كان

(١) سورة الاحزاب - الآيات ١٠، ١١.

(٢) أي ان يهود بني قريظة نقضوا العهد مثل قبيلتي عضل والقارة عندما غدروا بخبيب بن عدي وأصحابه.

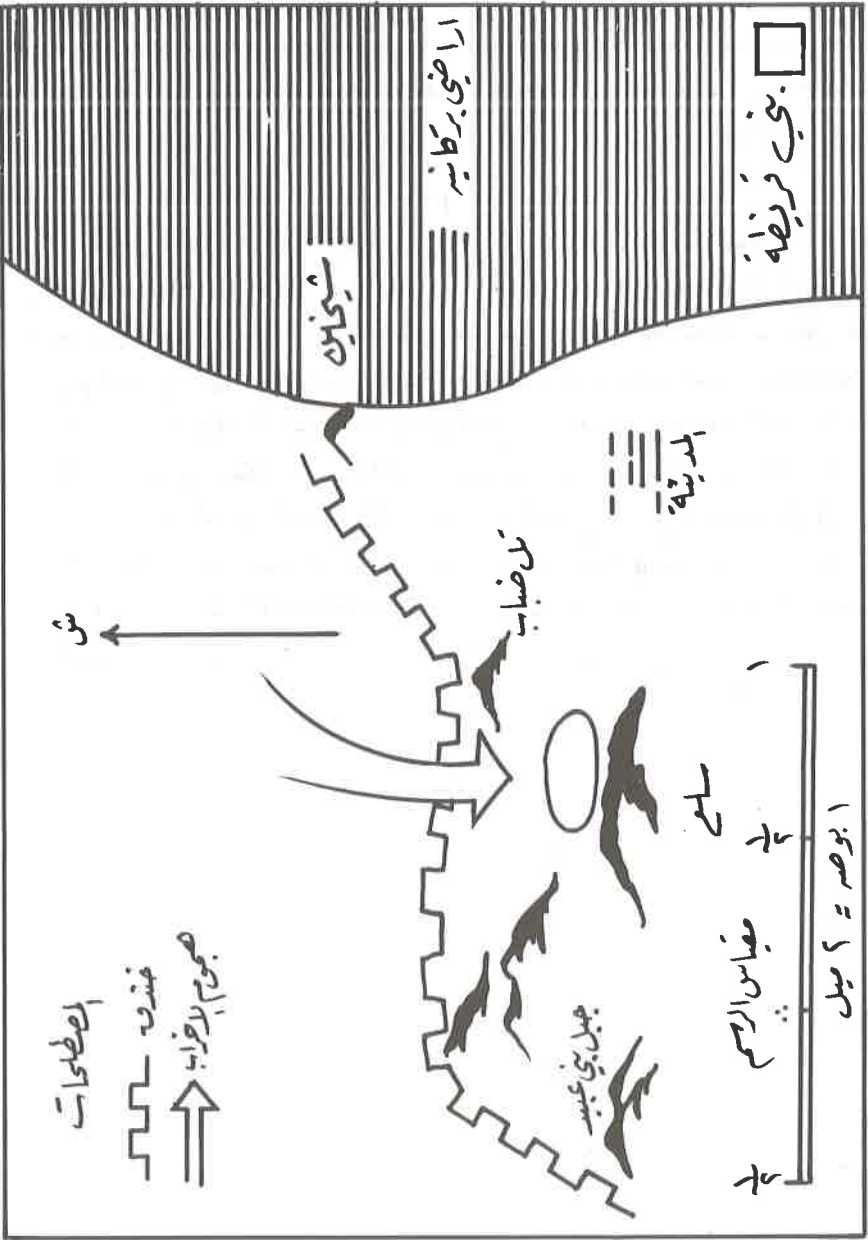
(١) تاريخ الطبري ١/١٤٨٤ ص ٥٨٠.

(٢) غزوة الاحزاب لمحمد احمد باشميل ص ٢٢٢.

الرسول يرباط في ثلثة من الخندق خوفاً من أن يؤتى المسلمون منها وقد أخذته شدة البرد فجاء الى خيمته ليدفأ بها بعض الوقت ثم يعود إلى الثلثة وهكذا حتى جاءه سعد بن ابي وقاص والرسول لا يحتمل الحراسة في البرد الشديد فأخذ منه الحراسة حتى الصباح.

٦ - الانفتاح والتعبية : انفتحت قوات الأحزاب على طول محاولة ايجاد نقطة ضعيفة للدخول منها وهذا أضعف قواتهم بانتشارها على هذه الجبهة العريضة والأجدر أن يحشدوا تجاه النقاط الضعيفة الممكن اختراقها ولم نجد أية محاولة من قبل المشركين لردم الخندق أو جزء منه للعبور من خلاله كما أنهم لم يستغلوا جنود المشاة للعبور لأنهم أصلح من الخيالة والخندق مانع رئيسي ضد الفرسان أما ضد المشاة فهو مانع جزئي وكان بإمكانهم استغلال المشاة المتفوقين بها على المسلمين أضف الى ذلك أنهم لم يستفيدوا من الجانب الضعيف للمسلمين باتجاه حلفائهم بني قريظة فالطريق من هناك سالكة ولكن ليس حسب الأسلوب المعروف لديهم وهو الكربل بطريقة التسلل رغم ان المسلمين قد اتخذوا الاحتياطات الكافية ولكن سيكون موقفهم حرجاً لو أتبعوا هذا الاسلوب في القتال<sup>(٢)</sup>

(٢) المخطط رسم ٢٠ - انفتاح قوات الاحزاب حول المدينة.



المخطط رقم ١٧  
موقع الخندق









## فتح مكة

الموقف العام :

بعد غزوة بني قريظة قام المسلمون بعدة عمليات عسكرية محدودة ضد القبائل التي غدرت بالمسلمين في الخندق وضد القراصنة الذين يتعرضون للإسلام والمسلمين وكان القصد العام من هذه العمليات إرهاب قريش وحلفائها والقبائل العربية الأخرى وردعها من أن تفكر بغزو قاعدة الاسلام في المدينة.

وفي ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة قرّر الرسول أن يعتمر فخرج برجاله صوب مكة ولكن قريشاً صدته عن ذلك وكادت الحرب أن تضع أوزارها لولا حكمة الله وجرت المحادثات بين الطرفين التي انتهت بصلح الحديبية مما أعطى المسلمين فرصة مدتها عشر سنوات لدعم قواتهم المسلحة وترسيخ بنیان الدولة الاسلامية وإرسال مزيد من السفراء للدعوة الى الدين الجديد وخلال هذه الفترة خاض المسلمون معركتين مهمتين، الأولى غزوة خيبر ضد اليهود لتصفية آخر قواعدهم في الجزيرة العربية والثانية معركة مؤتة ضد الروم في جنوب الأردن.

انتشر الاسلام في الجزيرة العربية بسرعة وأصبح المسلمون قوة كبيرة ليس لها مثيل في الجزيرة العربية ولم يبق أمامهم إلا فتح مكة، لولا صلح الحديبية الذي حرص الرسول على الوفاء به.

نقض المشركون صلح الحديبية عندما قام بنو بكر حلفاء قريش بتحريض من سادات قريش بهجوم مفاجيء على بني خزاعة فأوقعوا بهم خسائر كبيرة في الأموال والرجال<sup>(١)</sup>. اعتبر المسلمون هذا الهجوم نقضاً للمعاهدة المبرمة مع قريش فقرروا الهجوم على مكة وفتحها بالقوة.

موقف المسلمين :

أمر الرسول بالنفير والاستعداد للحرب واصدر أوامره إلى القبائل خارج المدينة بالاستعداد لذلك أيضاً ولكنه لم يخبر أحداً بنواياه الحقيقية ولا باتجاه الحركة أو العدو المقبل وأرسل قوة تضليل بقيادة أبي قتادة الانصاري إلى بطن إضم للزيادة في التستر والخداع عن النوايا الحقيقية.

تحرك الجيش الاسلامي في العاشر من رمضان من السنة الثامنة للهجرة الموافق اليوم الأول من كانون ثاني سنة ٦٣٠ ميلادية<sup>(١)</sup> وقد أخبر الرسول أصحابه بالمسير الى مكة قبل

(١) أمدت قريشاً بني بكر بالسلاح وبعض الرجال أمثال عكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية وحويطب ابن عبد العري وشيبه بن عثمان وسهيل بن عمرو وقد قُتل من خزاعة ٢٣ رجلاً.

(١) محمد نبي ورجل دولة، مونتغمري واط ص ٢٠٤.

موعد الحركة بقليل ورغم الكتمان الشديد إلا أن حاطب بن أبي بلتعة حاول افشاء هذا الكتمان فعلم الرسول بالخبر وأحبط هذه المحاولة<sup>(٢)</sup> وصل جيش المسلمين مساءً (مر الظهران)<sup>(٣)</sup> وعسكروا هناك وأمر الرسول أن يوقد كل مقاتل ناراً حتى ترى قريش ضخامة الجيش فيؤثر ذلك على معنوياتها وعندما رأت قريش عشرة آلاف نار توقد في ضواحي مكة أخذها الفرع فأرسلت زعيمها أبا سفيان ومعه بديل بن حرب وحكيم بن حزام تستطلع الخبر بعد أن عميت عنهم الأخبار، وفي الطريق التقى ابو سفيان بالعباس بن عبد المطلب الذي أخذه إلى مقر قيادة الرسول فأسلم بعد أن رأى قوة ورهبة الجيش الاسلامي وعاد إلى قومه يخبرهم بوصول جيش المسلمين بقوة لا طاقة لهم بمواجهتها.

كان الهدف الأسمى للرسول أن يدخل مكة دون قتال ليحقن دماء المسلمين ومن له نية بدخول الاسلام من قريش وكذلك الحفاظ على البيت الحرام طاهراً شريفاً من الدماء والقتل لأنه أول بيت وضع على الأرض لعبادة الله، لذلك رأى الرسول أنه يجب الحفاظ على قدسية هذا المكان وهيبته فاستخدم كل الاساليب لتحقيق ذلك، فجمع جيشاً ضخماً لبث الرعب واحباط معنويات المشركين على القتال ولم يعطهم الفرصة للتحضير فباغتهم على حين غرة، واضرم النيران حول مكة ليشعرهم بأنهم محاصرون ولا مجال للفرار وأخيراً القي القبض على قائد المشركين واستسلم وأسلم بعد مشاهدته لكتائب المسلمين القوية المسلحة وخاصة الكتيبة الخضراء (كتيبة الرسول) التي كان لا يرى منها إلا عيون الرجال من كثرة الزرد والحديد مما ولد القناعة لديه بعدم قدرة قريش على مقابلة هذا الجيش فعاد يعلن لهم هذا النبأ حتى اتهموه بالجبن والخور بما فيهم زوجته هند.

وضع الرسول القائد خطته لفتح مكة وكما يلي :

- ١ - قوات الميسرة بقيادة الزبير بن العوام وتدخل مكة من الشمال.
- ٢ - قوات الانصار بقيادة سعد بن عبادة وتدخل مكة من الغرب.
- ٣ - قوات المهاجرين بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح وتدخل مكة من الشمال الغربي من اتجاه جبل الهند، ومع هذه القوة الرسول القائد.
- ٤ - قوات الميمنة بقيادة خالد بن الوليد وتدخل مكة من الجنوب.
- ٥ - تلتقي جميع القوات بعد انتهاء الواجب عند جبل هند.
- ٦ - يُمنع القتال إلا للدفاع عن النفس فقط أو عند الاضطرار لذلك.

(٢) حاطب بن ابي بلتعة أحد المسلمين الذين شهدوا بدران أرسل رسالة مع امرأة تسمى سارة الى المشركين في مكة يخبرهم بمسير الرسول بجيش عظيم لفتح مكة وذلك عن حسن نية فأرسل الرسول وراء هذه المرأة علي بن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود فأحضرها منها الكتاب ونزل فيه قول الله تعالى في سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلحقون الهمم بالبردة).

(٣) مر الظهران وادي صغير الجزء السفلي منه يسمى وادي فاطمة وهو يجتاز حالياً الخط السريع جدة - مكة على بعد حوالي ٢٠ ميلاً من مكة ويحاذي مكة من الشمال على بعد ٤ أميال.

قدّر زعماء قريش ماذا يعني هجوم بني بكر على بني خزاعة وما هو تأثيره على صلح الحديبية المعقود بينهم وبين المسلمين لمدة عشر سنين فأرسلوا قائدهم أبا سفيان لتثبيت العهد القائم واعتبار حادثة خزاعة عرضية وعدم أخذها بالحسبان ولكن أبا سفيان فشل في اقناع الرسول<sup>(١)</sup> أو أي من المسلمين ليكلم الرسول في الصلح وإطالة أمدّه فعاد أدراجه الى مكة يجر أذيال الخيبة ويعلن لقريش أن المعركة الحاسمة قد اقتربت.

بدأت قريش بتجهيز قواتها للمعركة وكما انذرت حلفاءها من بني بكر بنوايا المسلمين علماً بأن قريشاً لم تكن تعرف الزمان والمكان الذي سيهاجم به المسلمون، وقد فوجئت تماماً عندما رأت النار تشتعل في جوانب مكة واغلاق الطرق المؤدية الى مداخلها فأرسلت أبا سفيان وجماعته لاستطلاع الخبر فوقعوا أسرى في يد المسلمين. لم تتخذ قريش قراراً حاسماً بالقتال لهول المفاجأة وحجم القوات الكبيرة المحاصرة لمدينتهم فتردد الكثير منهم في حمل السلاح وآثروا الاختباء في بيوتهم بينما أصر المتطرفون أمثال عكرمة بن أبي جهل على القتال ومنع المسلمين من تحقيق هدفهم وهو دخول مكة بدون قتال.

#### طبيعة منطقة العمليات<sup>(١)</sup> :

تقع مكة المكرمة في منطقة منخفضة نسبياً ويتخللها بعض الشعاب والأودية باتجاه الشرق والغرب، تحيط بها التلال والجبال من جميع الجهات تقريباً كجبل هند، جبل أبي سلمى وجبل عرفات وهي تسيطر سيطرة كاملة على المدينة. تعتبر مكة مركزاً للقوافل التجارية لذا تتخللها الطرق التجارية المؤدية الى اليمن وإلى جدة والمدينة المنورة لانخفاض مدينة مكة عن المنطقة المحيطة فإن درجة الحرارة فيها ترتفع نسبياً قياساً بالتلال والجبال المحيطة التي يتراوح ارتفاع بعضها ألف قدم وصخورها سوداء بركانية صعبة المسالك إلا من خلال اربعة محاور رئيسية تؤدي الى مداخل المدينة وتقع من جهة الشمال الغربي والجنوب الغربي والجنوب والشمال الشرقي.

#### قوات الطرفين :

١ - قوات المسلمين عشرة آلاف مقاتل منهم أربعة آلاف مقاتل من الانصار ومعهم ٥٠٠ فرس والمهاجرون سبعمائة مقاتل معهم ٣٠٠ فرس<sup>(٢)</sup> وباقي القوة من القبائل العربية المسلمة.

(١) توجه أبو سفيان الى بيت ابنته ام حبيبه زوجة الرسول التي رفضت ان تجلسه على فراش النبي.

(١) المخطط رقم ٢١ - طبيعة منطقة العمليات في فتح مكة.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٠.

٢ - قوات المشركين تألفت من قريش وبني بكر ولم تذكر المراجع التاريخية كم كان عددهم والسبب أن هذه القوة لم تجتمع في ميدان المعركة حتى يتم إحصاؤها فقد بقيت داخل مكة وبمجموعات متفرقة، إضافة الى ذلك ان الكثير من مقاتلي قريش كانوا يحملون السلاح ولزموا بيوتهم ولم تُعرف نواياهم هل سيقاتلون أم سيستلمون للأمر الواقع.

### سير العمليات القتالية<sup>(١)</sup> :

دخلت قوات المسلمين مكة المكرمة حسب الخطة المرسومة ومن جهاتها الأربع ومن خلال خطة عمليات المسلمين ومن طبيعة الأرض نستنتج ما يلي :

١ - بالنظر لسرعة حركة الخيالة وقدرتها القتالية العالية فقد كلفت بواجب فتح مكة من الجنوب بقيادة خالد بن الوليد لبعدها عن المحور وصعوبته.

٢ - يرتبط المحور الشمالي الذي سار عليه الزبير بن العوام والمحور الشمالي الغربي الذي سار عليه رتل أبي عبيدة بطريق عرضاني هو طريق كدي (كدا) مما سهّل عمليات التعاون بين هذين المحورين.

٣ - ان الهجوم على مكة من أربعة محاور يشنت جهد المتطرفين من قوات قريش وبذلك تضعف مقاومتهم.

٤ - في حال فشل أي قوة على أي محور فالفرصة مواتية أمام القطعات الأخرى بالدخول وبذلك يتحقق الهدف من الحملة وهو فتح مكة.

٥ - تجزئة قوات المسلمين الى اربعة أرتال يسهل دخولها ويمنع الفوضى والاكتماظ ويحقق مبدأ الأمن ويمنع مفاجأتها من قبل المشركين.

٦ - منع المشركين من الفرار الى خارج مكة ومحاولة القتال ثانية.

٧ - تحقق مبدأ المركزية في التخطيط واللامركزية في التنفيذ.

دخلت أرتال المسلمين مكة المكرمة دون أدنى مقاومة ما عدا رتل خالد بن الوليد على المحور الجنوبي فقد اصطدم بقوة من قريش وحلفائها من بني بكر في منطقة الخدمة<sup>(٢)</sup> فعندما وصلت قوات خالد بن الوليد أمطروهم بوابل من النبال وقد أغار عليهم خالد بخيله واستطاع أن يهزمهم ويفرقهم.

استسلمت المدينة المقدسة للمسلمين وتم فتح مكة حسب الخطة الموضوعة وتجمعت قوات المسلمين في منطقة جبل هند بعد أن تمت السيطرة على المدينة بكاملها ثم قام الرسول

(١) المخطط رقم ٢٢ - سير العمليات القتالية في فتح مكة.

(٢) الخدمة : جبل بأسفل مكة راجع التفاصيل في معجم البلدان ٢ / ٤٧٠.

بتنظيم شؤون المدينة الادارية والاجتماعية وأرسل السرايا الى أطراف المدينة للدعوة الى الإسلام وتحطيم الأصنام. كانت خسائر المسلمين في هذه الغزوة شهيدان فقط أما خسائر المشركين فكانت ثلاثة عشر قتيلاً وبعض الجرحى.

### المبادئ والدروس المستفادة :

١ - الهدف : كان هدف الرسول في فتح مكة أن يدخلها مسلماً لا حرباً وقد حقق هذا الهدف بعد أن مهد له كل السبل فقد جمع جيشاً كبيراً لا طاقة لقريش به، وعتّم الأخبار حتى يضمن عدم استعداد العدو وأشعل النيران حول مكة لتثيبتهم ومعنويات الأعداء واجبارهم على الاستسلام وأوقع الرعب في قائد العدو فأسلم ودخل مكة من كل اتجاه متيسر حتى يرغم كل من بنيته الفرار أو القتال على الرضوخ للأمر الواقع ولهذا فقد استطاع الرسول أن يدخل بجيشه المدينة الآمنة المقدسة كما خطط لها ما عدا حادثة بسيطة وقعت مع رتل خالد بن الوليد. أما المشركون فلم يكن لهم هدف واضح وكان معظمهم متردداً أيقاتل أم يستسلم وقد أصابهم الذهول وخلال فترة التردد هذه والذهول سقطت المدينة بيد المسلمين.

٢ - المفاجأة : ارتبط هذا المبدأ بمبدأ الهدف لأن كل المبادئ تخدم الهدف أو الغاية أو القصد وقد لاحظنا من خلال سير الحوادث أن المسلمين قد حققوا مفاجأة بالزمان والمكان وحتى السلاح، فحتى وقت اشعال النيران حول مكة لم يعرف المشركون من الذي يغزوهم حتى أن البعض منهم ساوره الشك بأنها قبيلة خزاعة وبعضهم قال بأن خزاعة ليس لها هذا العدد من الجيش، واستطاع الرسول أن يخفي المعلومات عن المعركة المقبلة لأقرب المقربين له ولم يعلن ذلك إلا قبل وقت الحركة بقليل وقد أوردنا أن أحد المسلمين حاول أن يبلغ قريشاً بذلك ولكن الرسول نزل عليه الوحي وأبلغه بالرسالة فأرسل من حضرها من المرأة التي حملتها الى مكة، وعندما أحاط الرسول بمكة فاجأ قائد المشركين أبا سفيان بهذا الجيش الضخم مما اضطره أن يسلم وعندما تقدمت الجيوش الى داخل مكة فوجئوا أنهم محاصرون من كل جانب وأن لا مناص ولا ملاذ الا الاستسلام حتى الهزيمة والفرار لم تكن ممكنة.

٣ - التعرض : رغم أنه لم يحدث قتال يذكر في هذا الفتح العظيم الا ان المسلمين كانوا مستعدين استعداداً كاملاً لخوض المعركة وتدمير أي قوة تقف في مواجهتهم، ولكن تحقق النصر دون قتال وهذه تعتبر قمة التعرض بإجبار العدو على الاستسلام دون قتال والقائد الناجح هو الذي يفرض إرادته على خصمه بأقل ما يمكن من الخسائر والتكاليف كما فعل الرسول في فتح مكة.

٤ - القيادة : كانت معالم قيادة الرسول واضحة في هذه الغزوة إذ كانت أوامره واضحة

ودقيقة وكان يشرف بنفسه على تنفيذ الأوامر فعندما رأى خالد بن الوليد يقاتل المشركين رغم أوامره طلب خالد إليه وأنبه على ذلك وكان يمكن ان يعاقبه لولا إظهار خالد المبررات الكافية لذلك، أما المشركون فقيادتهم كانت مهلهلة فأبوسفيان أسلم قبل دخول المسلمين مكة وعندما عاد أبوسفيان إلى قومه وأبلغهم بحجم قواته أخذوا يعيبنه وأولهم زوجته هند التي أخذت تقول عنه (اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قُبِّحت من طليعة قوم<sup>(١)</sup>)، أما المتعمدون فهم رجال لا تزال تنبض منهم نعرة الجاهلية ولم يكن لهم قيادة تذكر بل كان المنفذ فيهم هو عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية.

٥ - الأمن : يرتبط هذا المبدأ بالمفاجأة فاذا تحققت المفاجأة تحقق مبدأ الأمن بشكل روتيني اذا تم استغلال المفاجأة بشكل كامل وقد حقق المسلمون هذا المبدأ بإخفاء نواياهم عن العدو وحشد الجيوش الكبيرة القادرة على تدمير قوات العدو والتفوق عليها كما أن خطة القتال التي وضعها الرسول لدخول مكة حققت أمن القطعات ولذلك وجدنا أن المسلمين قد استولوا على مدينة كبيرة وبها جيش كبير بخسائر لا تذكر ولو كان العكس لخسر المسلمون الكثير لأن العرب لم يتعودوا أصلاً على قتال المدن.

٦ - إدامة المعنويات : كانت مكة بالنسبة للمسلمين بشكل عام البلد المقدس كما هي بالنسبة للمشركين أيضاً فقد كانوا يحجون إليها، أما مكة بالنسبة للمهاجرين فكانت أكثر من بلد مقدس فهي وطنهم ومسقط رأسهم تركوها ليقبوا أعزاء ويرفعوا راية الاسلام وتركوا فيها أموالهم وعائلاتهم، فكيف تتصور معنويات هؤلاء وهم عائدون إليها فاتحين والمسلمون الذين كان لديهم بعد نظر كانوا يعرفون بأن فتح مكة كانت بدايته صلح الحديبية فمثلاً نجد ابا بكر يقول (ما كان فتح في الاسلام اعظم من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربِّه والعباد يعجلون والله تبارك وتعالى لا يعجل) وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (انكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية) لذلك نجد ان الكثير من المسلمين كان لديهم هذه البصيرة وهم يتهللون فرحاً لهذا اليوم العظيم وكان رأيهم الغالب أنه لن يقع قتال كبير في مثل هذا اليوم وقد مهَّد له الرسول كل تهديد فكانت معنويات المسلمين أعلى ما يمكن أن تصل إليه، أما معنويات المشركين فكانت مهلهلة أصلاً للتردد الذي أصاب نفوسهم وقد زيد هبوط معنوياتهم بحشد هذا الجيش الكبير وإيقاد النيران الهائلة حول مكة ليلة الفتح ولذا فقد أُسْقِط في ايدي وقلوب المشركين القدرة على القتال.

٧ - الحشد : حشد المسلمون كل ما يستطيعون من قوة لأن الهدف الأساسي كان هو الردع وتثبيط الهمم والمعنويات حتى لا تملك القدرة على رد الفعل، وأن تحشد عشرة

(١) الحميت الدسم الأحمس : هذا الزق المنتفخ، الحميت هو زق السمن والدسم : الكثير الورك، الاحمس : الشديد اللحم (الحركات العسكرية للرسول الاعظم ج، ص ٤٢٩).

آلاف مقاتل ليس بالأمر السهل في ذلك الزمان وأن تقابلهم بقوة بنفس الحجم ليس أمر سهلاً فقد عجزت قريش عن تعبئة قواتها رغم أنها اندرت حلفاءها بذلك. وماذا يمكن لقريش أن تحشد ففي غزوة الأحزاب كانت هي المتعرضة وكان المشركون عددهم كبيراً إضافة إلى اليهود ولم تستطع أن تحشد أكثر من عشرة آلاف مقاتل وأما في فتح مكة فقد تغير الحال فأسلم عدد كبير، والمترددون والخائفون عددهم كبير أيضاً ولذلك لم تستطع قريش أن تؤمن هذا المبدأ وأمنه المسلمون وحققوا به وبالعوامل الأخرى النصر السهل.

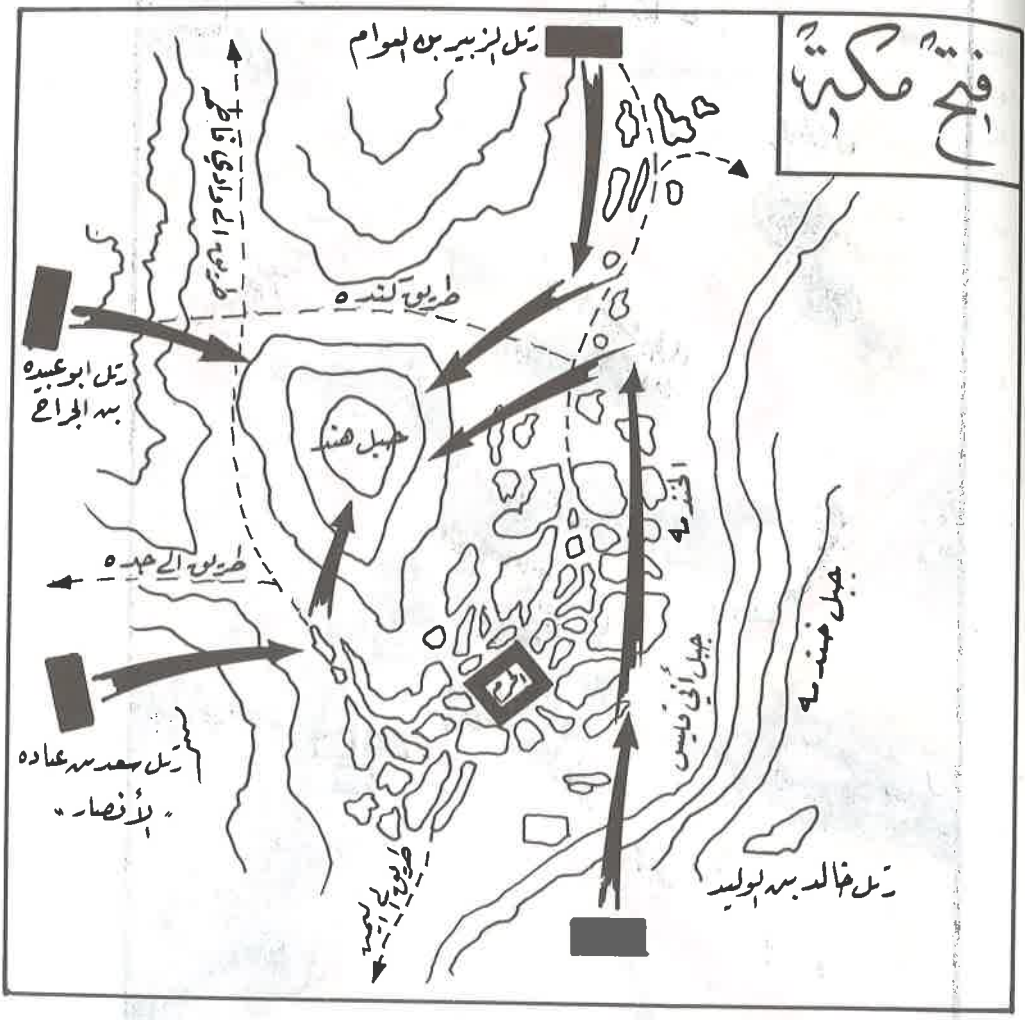
٨ - الاستخبارات : حصل المسلمون على استخبارات جيدة من قوات قريش ونواياها بواسطة حلفائهم من خزاعة ومن قبل بعض العيون والدوريات التي أرسلها المسلمون في الطريق إلى مكة، لم تستطع قريش أن تحصل على أية معلومات عن نوايا المسلمين رغم أن أبا سفيان حضر بنفسه إلى المدينة المنورة وقد فوجئت قريش بحجم قوات المسلمين غير المتوقعة ومستواها التدريبي والمعنوي. لا شك بأن الوحي قد نزل على الرسول مراراً خلال التحضير لفتح مكة واحتصل الرسول على بعض المعلومات المهمة من السماء ومنها رسالة حاطب بن أبي بلتعة ومجيء أبو سفيان للاستشفاع لدى الرسول لإدانة الهدنة وأمور أخرى غيبية لا نعلمها. لا نستطيع أن ننكر بأن قريشاً كانت غبية لدرجة أنهم لم يتوقعوا هجوم المسلمين، بل توقعوه لأن أبا سفيان عندما عاد إلى مكة أخبرهم بما حصل معه ولكنه لم يخبرهم هل هناك استعدادات لدى المسلمين، ومتى سيتم ذلك، وكيف وما هو حجم القوة التي يحضرونها وبالطبع هذه هي المعلومات المهمة التي أرادت قريش ولم تستطع الحصول عليها.

٩ - الشؤون الإدارية : أحد مبادئ الحرب المهمة التي ينبغي الاهتمام بها، وبالنسبة للمسلمين فقد كان وضعهم الإداري في هذه الغزوة أفضل بكثير من غزواتهم السابقة فقد توفرت لهم المؤن والخيول والجمال حتى التسلح كان متميزاً، فكتيبة الرسول (الكتيبة الخضراء) كانت تثير الرعب من كثرة الحديد والزراد.

١٠ - هدف سوقي : رغم أن هذا المصطلح يبدو غريباً أن يستخدم في هذا المجال ولكن لا يوجد مصطلح آخر نطلقه على مكة ما عدا أن نقول أنها كانت مفتاح الجزيرة العربية ومفتاح الإسلام فبفتح مكة اكتمل الإسلام (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وبعد فتح مكة انتشر الإسلام سريعاً وأخذ المسلمون ينظرون إلى الآفاق البعيدة خارج الجزيرة حيث يقول الله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً)<sup>(١)</sup> لذلك نرى بأن مكة كان محور الارتكاز ومنها انطلق الإسلام أول مرة بطيئاً مطارداً في كل مكان ومنها انتشر الإسلام كالبرق والرعد القاصف داخل الجزيرة وخارجها.

(١) سورة النصر.

# فتح مكة



المخاطبة رقم ٢١  
طبيعة منطقة العمليات في فتح مكة





المخطوط رقم ٢٢  
 سيرة العمليّات الفئاليّة في فتح مكة

## غزوة تبوك

### الموقف العام :

انتشر الإسلام في جزيرة العرب حتى حدود الشام والعراق وكبرت مسؤوليات الدولة القيادية من الناحية العسكرية والاقتصادية والاجتماعية وقام الرسول بتوطيد أركان الدولة وتثبيت قواعدها وبعد أن أطمأن إلى ذلك أخذ يفكر في نشر الدعوة الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية في بلاد فارس وبلاد الشام وقد أعطى أولوية أولى إلى بلاد الشام لأن قوات الروم تم حشدتها على الحدود الشمالية لجزيرة العرب<sup>(١)</sup> قاصدين تهديد دولة الإسلام التي بدأ خطرها يتزايد بتنامي قوتها العسكرية وانتشار الإسلام بين نصارى العرب المتواجدين على حدود الجزيرة.

كانت أحوال الامبراطورية الرومانية في بلاد الشام مضطربة رغم انتصارهم على الفرس قبل عقد من الزمان فقط، إذ بانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وظهور دولة عربية قوية وجدت القبائل العربية متنفساً لها ووجدت التمرد سبيلاً إلى التخلص من الحكم الروماني القاسي. أقلق هذا الوضع الامبراطورية الرومانية فأخذ هرقل الروم يحشد قطعاته على الحدود الجنوبية لبلاد الشام استعداداً لمهاجمة المسلمين. حصل الرومان على معلومات جيدة عن وضع المسلمين العسكري والمادي والمعنوي عن طريق تجار المدينة والأنباط الذين خدموا جيوش الروم بصفة جواسيس<sup>(٢)</sup>.

### موقف المسلمين :

استنفر الرسول قواته في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة وكان الوقت صيفاً شديد الحرارة، ولم يكتف الرسول نواياه في هذه الغزوة حتى يتحمل كل مسلم قراره بنفسه لظروف الطقس السيئة فقد كان الصيف شديد الحرارة، وبعد المسافة وهذا سيحشّم المسلمين عناء التعب والمشقة خلال هذه الغزوة التي تزيد مسافتها عن ٧٠٠ كم، والامكانيات المادية المحدودة جداً للدولة الإسلامية حيث لم يكن لدى الدولة امكانية تجهيز المقاتلين وكان على كل مقاتل ان يجهز نفسه أو يجهزه موسر وقد سمي هذا الجيش بجيش العُسرة<sup>(١)</sup>.

(١) ذكر سيف الدين آل يحيى في كتابه الحركات العسكرية للرسول الاعظم ج ٢ ص ٤٩٥ بأن الروم لم تحشد قواتها وإنما هي دعاية كاذبة نقلها الأنباط إلى المسلمين خلال اعمالهم التجارية.

(٢) يقول الواقدي (كانت الساقطه وهم الأنباط يقدمون المدينة بالذُرْمَك (دقيق الحواري) والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام فإنما كانت أخبار الشام عند المسلمين لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط. فقدت قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جمعاً كثيراً بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعامله وزحفوا وقدموا مقدّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بجمص .. ولم يكن ذلك إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه، أي انهم نقلوا خبراً كاذباً.

(١) جاء تجهيز الجيش في سنة مجده وحر شديد، عُسر من المال والزيادة حتى ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمضئها هذا ويشرب عليها ثم يمضئها ذاك ويشرب عليها، يقول الله تعالى في الآية ١١٧ من سورة التوبة (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة).

احتشدت قوات المسلمين خارج المدينة المنورة وبدأت استعداداتها بالحركة وقد عين الرسول عبدالله بن أم مكتوم أميراً على المدينة ولم يتخلف عن الحركة إلا ثلاثة نفر من المسلمين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وسمح الرسول للبعض بالتخلف لعدم قدرتهم على توفير السلاح ووسيلة النقل، أما المنافقون بزعامه عبدالله بن أبيّ فحاولوا تثبيط الهمم وزعزعة الروح المعنوية للمسلمين حتى لا يخرجوا للقتال ولكنهم فشلوا في ذلك وقد خرج المنافقون مع المسلمين حتى دُباب<sup>(٢)</sup> ثم تخلف المنافقون وعادوا للمدينة.

## موقف الروم :

حشد الروم قواتهم النظامية مع بعض قبائل العرب من لَحْمٍ وِجْدَمٍ وعاملة وغسان المتواجدة ضمن المنطقة وقاموا بتوزيع الأموال على الجيش والسكان المحليين المقيمين في المنطقة لرفع معنوياتهم وكسبهم الى جانبهم في قتال المسلمين بعد استكمال الاستعدادات للتحشد أرسل هرقل دوريات استطلاعية الى البلقاء لستر التحشد الذي تمّ بعد ذلك في تبوك كإجراء خداعي.

## قوات الطرفين :

- ١ - المسلمون : عددهم ثلاثون ألفاً منهم عشرة آلاف فارس وقد كان لعثمان بن عفان الدور الأكبر في تجهيز الجيش بالسلاح والمؤن والنقلية.
- ٢ - الروم : قوات نظامية كبيرة لم يميّز أي من الكتب التاريخية حجمها بالاضافة الى القبائل العربية المتعاونة.

## سير العمليات القتالية<sup>(١)</sup> :

تحرك جيش المسلمين في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة<sup>(٢)</sup> وعندما وصل المسلمون منازل ثمود<sup>(٣)</sup> عطشوا عطشاً شديداً وقد خففَ اللهُ عنهم ذلك بنزول المطر بعد أن دعا الرسول ربّه دعاء المستغيث لأن الجيش كاد أن يهلك. استمر الجيش في مسيره بالتنقل حتى وصل تبوك<sup>(٤)</sup> وكانت معظم حركات المسلمين تتم ليلاً للتخلص من درجات الحرارة العالية،

(٢) الحركات العسكرية الرسول الاعظم ج ٢ ص ٤٩٨ (يقول الواقدي واقبل عبدالله بن أبي بعسكره فضربه على ثنية الوداع بحذاء دُباب (من جبال المدينة بضواحيها الشمالية) مع حلفائه من اليهود والمنافقين فكان يقال ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين واقام ما اقام رسول الله فلما سار المسلمون تخلف ابن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين).

(١) المخطط رقم ٢٢ - سير العمليات القتالية في تبوك.  
(٢) (ورد في كتاب الحركات العسكرية للرسول الأعظم نقلاً عن مصادر أخرى ان الحركة كانت في شهر تشرين اول عام ٦٣٠ ميلادية وكان هذا الشهر حاراً على غير عادته) من المشكوك فيه ان يكون هذا الشهر حاراً للدرجة التي وردت في سير حركة المسلمين الى تبوك ويعتقد ان يكون الوقت أكبر.

(٣) منطقة بين تبوك والمدينة تهب فيها العواصف الرملية بشدة وتعرف الآن بمدائن صالح وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة الشعراء الآيات ٤١، ٤٢ (كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم اخوهم صالح الاتقون).

(٤) تبوك : مدينة بالغرب من حدود الشام (الحدود الفاصلة بين الاردن والسعودية حالياً).

وعندما وصل المسلمون أطراف تبوك أرسلوا دورياتهم الاستطلاعية لجلب المعلومات عن قوات الروم وخوفاً من الوقوع في كمائن الروم وقد تبين لهم أن قوات الروم قد انسحبت شمالاً قبل وصول قوات المسلمين.

بعد أن حشد الروم قواتهم على الحدود واحتصلوا على المعلومات الكافية عن جيش المسلمين وعددهم قرروا الانسحاب الى الداخل متوخين عدم الدخول في معركة مواجهة مع المسلمين ولم يُعرف سبب انسحابهم، أهولجر المسلمين إلى مواقع لا تناسبهم أم لاطالة خطوط مواصالاتهم أم هو خوفاً من معركة المواجهة لأنهم عرفوا قوة المسلمين وشدة بأسهم في معركة مؤتة وكان عددهم يومها عشر الجيش الحالي.

تمركز جيش المسلمين في تبوك انتظاراً لعودة جيش الروم حيث لم يأمر الرسول بمتابعة العدو كما أن المتابعة من الناحية العسكرية قد تكون معركة خاسرة للمسلمين في مثل هذه الظروف. ثم ارسال المفارز والدوريات الى القبائل العربية التي ما زالت على شركها بغرض إخضاع هذه القبائل ونشر الاسلام بين أفرادها وكان من هذه المفارز :

١ - دورية إلى أَيْلَه : وجّه الرسول إلى حاكمها يوحنا بن رؤبه رسالة يطلب فيها منه أن يخضع لشروط المسلمين أو أن يغزوه بالجيش، وقد حضر يوحنا بنفسه الى الرسول ودفع الجزية وعقدت معاهدة صلح بين الطرفين على أن تدفع الجزية للمسلمين كل عام بمقدار ثلاثمائة دينار.

٢ - سرية الى دومه الجندل بقيادة خالد بن الوليد وكان عددها مقاتليها أربعمائة وعشرين وقد فاجأ خالد زعيمها الاكيدر وأخاه حسّان في الصيد فأسرَ الأول وقتل الثاني وتوجّه الى دومة الجندل التي فتحت أبوابها تحت التهديد بقتل الاكيدر وفتحت المدينة ابوابها ودخلها المسلمون وقد غنموا منها الفي بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة درع وقد عقد صلح بين المسلمين وأهالي الاكيدر على أن يدفعوا الجزية.

٣ - دورية تم ارسالها الى الجرباء وأذرح<sup>(٢)</sup> وقد وافق أهلها على دفع الجزية.

٤ - أقام المسلمون عشرين يوماً في منطقة تبوك يرسلون الدوريات ويعقدون المعاهدات وصكوك الصلح وبعد تحقيق هدفهم عادوا إلى المدينة المنورة دون قتال مواجهة مع الروم.

(١) أَيْلَه : يعتقد بأنها العقبة حالياً وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر في جنوب الأردن.

(٢) الجرباء وأذرح : قريتان من قرى الشوبك في جنوب الأردن وتقعان بين الشوبك ومعان.

## المبادئ والدروس المستفادة :

١ - التعرض : بغض النظر عن أن الروم قد حشدوا قواتهم على حدود الجزيرة العربية لغزو المسلمين أم حشدوها كأسلوب للردع إلا أن المسلمين عندما حشدوا كل قوتهم وتحركوا الى تبوك لمواجهة الروم كانت نتيجة التعرض لأن الرسول كان يؤمن بأنه (ما غزِي قوم في عقد دارهم إلا ذُلُّوا). نجد معادل هذه الروح التعرضية لدى المسلمين، روح الخذلان لدى الروم فانسحبوا قبل ان تصل هذه القوة وقد يكون ذلك خوفاً من خوض معركة فاشلة، كما ان المسلمين لم يستكنوا في تبوك فأرسلوا الدوريات والمغارز وأخضعوا المنطقة لصالحهم وأجبروا مَنْ لم يدخل الإسلام على توقيع عهد صلح ودفن الجزية.

٢ - الحشد : رغم أن مبدأ الحشد يتضمن حشد قوة متفوقة لتحقيق هدف حاسم إلا أننا لم نستطع أن نعرف هل المسلمون حشدوا قوة متفوقة أم لا؟ ولكن رغم عدم وجود إحصاء رسمي لعدد جيش الروم إلا أن اعتقادنا بأن جيشهم كان أضعاف عدد جيش المسلمين ففي معركة مؤتة حشدوا مائة الف مقابل ثلاثة آلاف للمسلمين أي بنسبة ٣٣ إلى ١ وهذه نسبة غريبة نادراً ما تصل في معركة ولهذا نعتقد أن الروم كان بإمكانهم حشد ربع مليون جندي على الأقل. لقد حشد المسلمون كل طاقاتهم البشرية والمادية والمعنوية فالثلاثين ألفاً هم كل المسلمين والعشرة آلاف فرس هي كل ما يملكون وكذلك الجمال والمؤن ونستطيع أن نقول أن المسلمين طبقوا في هذه المعركة مبدأ الأمة في الحرب<sup>(١)</sup> وما هي مقدرات الأمة الاسلامية وما هي موارد الدولة في ذلك الوقت، لقد كانت محدودة للغاية ولهذا اعتمد في تجهيز الجيش على الأمة وهم المسلمون القادرون على تجهيز الجيش فقد تبرع عثمان بن عفان بألف دينار وثلاثمائة بغير وتبرع ابو بكر الصديق كل ما يملك من مال وعمر بن الخطاب بنصف ماله وغيرهم من المسلمين، عدا أن الكثير ممن تجهز للحرب ولديه المقدرة جهز نفسه بنفسه، هذا هو مبدأ الحشد والأمة في الحرب معاً طبقه المسلمون دون ان يعرفوا أن هذه مبادئ وأسس وسوف يتحدث بها ليدل هارت أو فوللر أو غيرهم في القرن العشرين.

٣ - زمام المبادرة : زمام المبادرة أو المبادرة تعني الحالة التي يكون عليها أحد الفريقين المتحاربين بحيث يرغم الفريق الآخر على الانقياد له وإجباره على توفيق حركاته مع حركات الفريق الآخر وبذلك يعرقل تنفيذ خطته وبالتالي أفضالها<sup>(١)</sup>. ان حركة الجيش

(١) الأمة في الحرب تعني أن كل مقدرات الأمة تخضع لمسيرة الحرب وهناك مصطلحات أخرى مستعملة: الحرب العامة : وهي الصراع غير المحدود بين القوى الكبرى.

السوق القومي الشامل : استخدام كافة موارد الأمة في أكثر الطرق تأثيراً باتجاه تحقيق الغاية القومية. سوق الجيش الأكبر : جميع التدابير التي تتخذها الأمة في زمن السلم والحرب لتأمين أسباب النصر.

(١) المدخل في السوق والجغرافيا العسكرية منشورات - م ت ع - وزارة الدفاع العراقية.

الاسلامي بهذه القوة الكبيرة الى حدود بلاد الشام سواء لمواجهة الجيش الرومي أو اخضاع أطراف الجزيرة العربية لمصلحة المسلمين فإن الجيش الرومي اضطر للإانسحاب الى الداخل وبذلك فشلت خطته، أما خطة الجيش الاسلامي فقد تم تنفيذها بدقة، بل زيادة عما هو مخطط لها لأن انسحاب الروم أعطى المسلمين حرية أفضل في العمل وسيطرة أكبر لأن الممالك التي كانت تفكر في المقاومة والاستنجاد بالجيش الرومي أُسْقِطَ في يدها واضطرت لتوقيع صلح مشروط مع المسلمين، ولهذا فإن المسلمين كانت بيدهم زمام المبادرة وحرية التصرف بالمعركة بينما فقدتها الجيش الرومي بمجرد انسحابه.

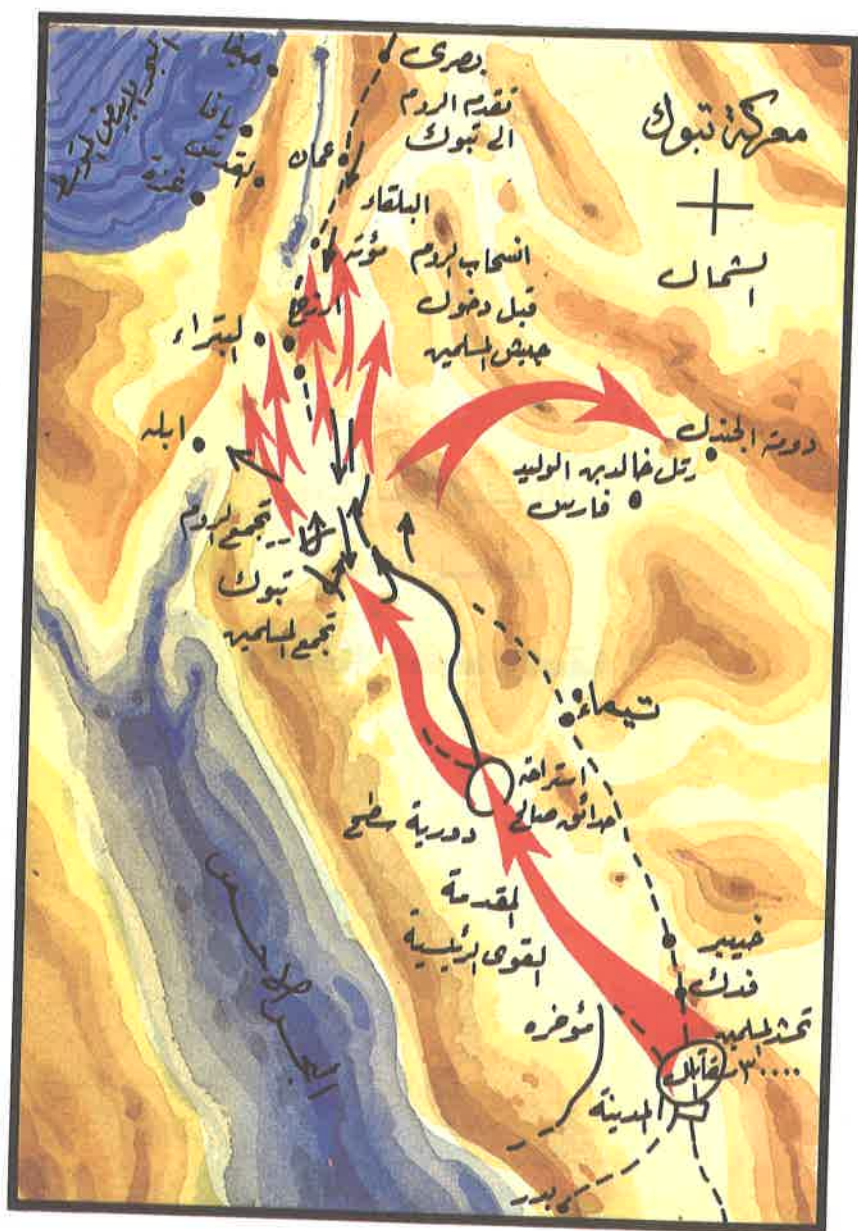
٤ - المعنويات : إن قدرة المسلمين على تحمل السفر من مكة الى تبوك بمسافة لا تقل عن ٧٠٠ كم وفي ظرف من أسوأ الظروف الجوية والمعيشية وحتى النقلية لأن قسماً كبيراً منهم كان يتناوب مع صاحبه الركوب لعدم توفر النقلية الفردية المستقلة، يعتبر قمة المعنويات<sup>(٢)</sup> كما ان مقدرة المسلمين على تحمل هذه الظروف القاسية وتنفيذهم للواجب وهم على اتم الاستعداد القتالي من الأمور الضبطية العالية التي تقود الى رفع المعنويات. كان من نتائج المعركة ارتفاع معنويات المسلمين وهبوط معنويات الروم فقد دخلت قبائل كثيرة في الاسلام لشعورها بهيبة المسلمين وقدرتهم على التصدي لقوات الروم وكانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ايذاناً بالبداية بفتح بلاد الشام. لم يلمس المسلمون آثار غزوة تبوك بشكل مباشر لأنهم لم يصطدموا بالروم، ولكن نتائج هذه الغزوة جاءت متأخرة فقد بدأت القبائل العربية الموجودة في اطراف الجزيرة العربية بإرسال وفودها الى الرسول معلنة دخولها في الاسلام أو إطالة عقد معاهدة أو حلف حتى سمي العام العاشر لهجرة (العام الثاني لغزوة تبوك) بعام الوفود، واستطاع الرسول أن يوطد أركان الدولة الاسلامية بعد غزوة تبوك. كان لغزوة تبوك أثر كبير ومعنوي في نفوس المسلمين ففي وقت لاحق أمر الرسول بتجهيز سرية أسامة بن زيد لغزو بلاد الشام ولم تنفذ لوفاة الرسول، وبعد وفاة الرسول حدثت الردة ورغم حراجه وضع الدولة الاسلامية وحاجتها للجيش فإن أبا بكر أنفذ هذه السرية التي أغارت على حدود الروم وحقق القصد الأساسي إضافة الى أن بعض القبائل العربية التي ارتدت عن الاسلام رجعت له دون قتال لشعورها بقوة المسلمين الكبيرة التي تستطيع أن تعمل على جبهتين، جبهة المرتدين وجبهة الروم.

(٢) مجموعة من العسكريين في واسطة نقل عسكرية مريحة والماء والغذاء متوفر للغاية وكان التضمر عالياً من طول المسافة وشدة الحر .. الخ.

٥ - المسير الليلي : كانت معظم تحركات المسلمين إلى تبوك ليلاً ولم يكن لديهم خريطة ولا بوصلة (حك) ولا دليل اتجاه وإنما كانوا يهتدون بمواقع النجوم وبالدلاء ذوي الخبرة ولذلك لم يفقدوا اتجاههم ومن الضروري أن نتصور حركة جيش قوامه ثلاثون ألفاً لا يملك أية واسطة اتصالات بمسافة ٧٠٠ كم دون أن يفقدوا جندياً واحداً أو يفقدوا الاتجاه، إن هذا المسير له أهمية بالغة وتدريب وضبط واعي يصعب تطبيقه من قبل الكثير من الجيوش الحديثة، إن مسير جيش الرسول في هذه الغزوة يحثنا أن نعتمد الليل في مسيرنا وقتالنا وحركاتنا العسكرية ليس من أجل تجنب القيظ فقط بل لتأمين عاملي الأمن والمفاجأة.

٦ - التخلف عن النفير : ينبغي وضع قوانين صارمة ضد المتخلفين عن النفير (التعبئة العامة) لأن عدم المحاسبة أو التهاون فيها يؤدي الى زعزعة المعنويات وفتح المجال لضعاف النفوس أن يتخلفوا دون عذر. تعتمد الدول حديثاً قوانين صارمة ضد المتخلفين عن الدعوة للاحتياط أو خدمة العلم ولكن لن نجد حكماً أشد مما نفذ في الثلاثة الذين تخلفوا عن المسلمين في غزوة تبوك<sup>(١)</sup> رغم عدم انطباق الحكم عليهم في عصرنا الحاضر.

(١) سورة البقره - آية ١١٨ (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ان الله هو التواب الرحيم) والثلاثة هم كعب بن مالك ومرازه بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي وقد تخلفوا دون عذر فاعتزلهم المسلمون خمسين ليلة حتى زوجاتهم أمرهن الرسول باعتزالهم، وقد نزل العفو عنهم فيما بعد في القرآن الكريم.



المخطط رقم ٢٣  
سيرة العمليات في تبوك



الباب السادس  
الفصل الثاني  
**فتح بلاد الشام**

## معركة اليرموك

### الموقف العام

استتب الأمر للمسلمين داخل حدود جزيرة العرب بعد فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا، وهكذا بات على المسلمين ان يعملوا كل جهدهم لنشر الدين الجديد خارج حدود الجزيرة حيث كانت امبراطوريتا الروم والفرس في الشام والعراق تتربصان الدوائر بالاسلام والمسلمين. التقى المسلمون بالروم ثلاث مرات في المرة الأولى انتصر الروم في معركة مؤتة بسبب تفوقهم بالعدد والعُدَّة، وفي المرة الثانية انسحب الروم دون قتال في غزوة تبوك، وفي المرة الثالثة أغار عليهم اسامة بن زيد خلال قتال المرتدين ونجح في غارته بعد أن قتل وأسر وغنم من الروم الكثير من اموالهم.

استقر رأي الخليفة ابو بكر الصديق في العام الثاني عشر للهجرة بعد ان استطاع ان يعيد الجزيرة كلها الى حظيرة الاسلام، ان يواجه الروم في قاعدتهم بالشام وشكل لهذا الغرض المجموعات التالية: (١)

- ١ - المجموعة الأولى بقيادة يزيد بن ابي سفيان وعددهم الفا مقاتل ووجهتهم قيسارية في شمال فلسطين. (٢)
- ٢ - المجموعة الثانية يقودها شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ويتحرك على طريق تبوك.
- ٣ - المجموعة الثالثة يقودها عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ويتحرك على طريق يزيد وربيعة وشرحبيل. (٣)
- ٤ - المجموعة الرابعة يقودها ابو عبيده غامر بن الجراح ووجهته حمص وشمال سوريا ويتحرك خلف قوات شرحبيل ايضاً.

أصدر ابو بكر الصديق تعليمات واضحة لكل قائد اوصاهم بها بالرفق بالمسلمين والشدة على العدو وان يستنزفوا جيوش الروم مع تجنب الدخول في معركة حاسمة وعند الضرورة توضع خطة مفصلة بالتنسيق التام بين المجموعات.

لم يكن هرقل الروم بغافل عما يجري على الساحة الاسلامية لذلك امر بحشد جيوشه في

(١) المخطط رقم ٢٤ - فتح بلاد الشام.

(٢) يقول الجنرال ١. اكرم في كتابه سيف الله خالد بن الوليد ص ٣٤٤ ان وجهتهم دمشق كما ان الواقيدي يقول ص ٨ ان ابا

بكر عقد الفأ ليزيد والفأ لربيعة بن عامر وضمه الى يزيد والطبري كذلك يقول ان وجهة يزيد دمشق.

(٣) فتوح الشام للواقدي ص ١٥.

فلسطين والشام لمواجهة هذا الحشد<sup>(١)</sup> وكتب الى قادته (اجتمعوا لهم وأنزلوا بالروم منزلاً واسع المطرد ضيق المهرب) وذلك حتى يضمن قطع خط رجعة المسلمين بعد استدراجهم الى موقع يسهل عليه الدخول اليهم ومن اجل ذلك حشد الروم قواتهم بين نهر الأردن وبحيرة طبرية ووادي اليرموك الذي يحقق لهم حماية مؤخرة جيشهم والاتصال المباشر مع قواعدهم الادارية في الشمال عززت قوة الروم في قيسارية حتى وصلت اربعين الفاً لتثبيت جيش يزيد ومنعه من الانضمام لباقي الجيوش الاسلامية اما باقي الجيوش الرومية فقد عين ماهان قائداً عاماً لها وخطط لها كما يلي:<sup>(٢)</sup>

- ١ - يتقدم جيش قناطير على الطريق الساحلي الى بيروت ومن ثم يقترب من دمشق من جهة الغرب ليقطع جيش ابي عبيده.
- ٢ - يتحرك جبلة بن الايهم من حلب الى حمص لتثبيت المسلمين من الأمام ليصطدم اولاً بالمسيحيين العرب من لخم وجذم وغسان وعامله بالمسلمين العرب.
- ٣ - يقترب ديرجان بجيشه من غرب دمشق على الطريق بين الساحل وحلب لضرب المسلمين من الجناح.
- ٤ - يتقدم جريجوري بجيشه من الشمال الشرقي لضرب جناح المسلمين الأيمن.
- ٥ - أما ماهان فقد تحرك بالاحتياط خلف جبلة.<sup>(٣)</sup>

أدرك عمرو بن العاص خطة الروم بتقطيع اوصال الجيش الاسلامي فأشار على أبي عبيدة ان ينسحب المسلمون الى جابيه ويتخلوا عن الأرض المفتوحة لأن جابية تمثل مفترق الطرق بين سوريا - الأردن - وفلسطين حتى يصبح الافلات من مصيدة الروم ممكناً. تراجعت الجيوش الاسلامية الى منطقة الحشد وارسل ابو عبيدة رسالة الى الخليفة ابا بكر يبلغه بالقرار المتخذ وانهم على ابواب معركة فاصلة مع الروم عند اليرموك وطلبوا منه التصديق على ذلك

(١) قال الواقدي في فتوح الشام ص ١٧ (كانت الساقطة (الانباط) تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش، وما يكون في الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وابو بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام ابي بكر لعمر بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين وايليا، قال فساروا بالخبر الى الملك هرقل).

(٢) المخطوط رقم ٢٥ - خطة تعرض الروم قبل اليرموك.

(٣) وردت اسماء قادة الروم في فتوح الشام للواقدي صفحة ١٦٢ وهم ماهان ملك الأرمن القائد العام، قناطير ملك الروسية ومعه مائة الف من الصقالبة، جرجير ملك عمورية وملوريه ومعه مائة الف من الروم والفردانه، الديرجان صاحب القسطنطينية ومعه مائة الف من المغليط والافرنج والقلن، وقورين ولم يذكر عدد جيشه، وجبلة بن الايهم ومعه ستون الفاً من نصارى العرب.

وتعزيزهم بقوات أخرى، فأقرهم الخليفة على الخطة وكتب رسالة الى القائد خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> في العراق ان يسير بجيشه الى الشام ويتولى قيادة الجيش الاسلامي هناك. سار خالد بطريق خطر<sup>(٢)</sup> والتقى بجيوش المسلمين في بصرى بجيش قوامه اربعة آلاف مقاتل.<sup>(٣)</sup>

في منتصف شهر تموز عام ٦٣٦م أحدثت العناصر الامامية من جيش الروم تماساً مع طلائع المسلمين بين دمشق وجابيه<sup>(٤)</sup> وتبين للمسلمين بان منطقة الحشد كانت غير ملائمة فتحرك خالد بالمسلمين الى سهل اليرموك بحيث اصبح نهر اليرموك على جناحهم الأيسر وبلدة أزرع خلفهم وكانت مؤخرة الجيش مفتوحة تسهّل التزويد والتعزيزات وواجهتهم الامامية واسعة تناسب قتال الخيالة.

حدثت عدة اشتباكات محدودة بين الطرفين وكذلك عدد من المبارزات بقصد إدامة الموقف بينما كان الطرفان يواصلان التعزيز والحشد والاستعداد للقتال. اظهر الطرفان رغبة في المفاوضات خوفاً من المعركة الفاصلة وقد جرت المفاوضات لعدة ايام ولكنها باءت بالفشل لأن شروط المسلمين معروفة وهي الاسلام او الجزية او القتال والتي رفضتها الروم بشدة فاصبحت المعركة وشيكة ووضع الطرفان خططهما النهائية وجرى تنظيم وترتيب القوات للقتال وصدرت الأوامر النهائية.<sup>(١)</sup>

موقف المسلمين

اكتسب خالد بن الوليد خبرة حربية جيدة خلال قتاله الفرس في العراق والروم في الشام وقد اعاد تنظيم جيشه،<sup>(٢)</sup> الى فرق وكل فرقة تحتوي على ١٠-٢٠ كردوس، فكانت فرقة القلب

(١) في أواخر شهر ايار عام ٦٣٤م ارسل ابو بكر الصديق رسالة الى خالد يطلب منه التوجه الى الشام لنجدة الجيوش الاسلامية لأن الروم قد جمعوا لهم وقد تحرك خالد بن الوليد الى الشام في اواخر حزيران من نفس العام بعد ان عين المثنى بن حارثة الشيباني قائداً على العراق وكان امام خالد طريقان الأول يعرفه خالد وهو الذي يقود الى دونه الجندل وهي طريق القوافل الى الشام وهو وفير بالمياه والثاني يمتد على طول نهر الفرات عانه هيت ويقود الى شمال شرق بلاد الشام وهذا الطريق محمي بالحاميات الرومية وعلى خالد تطهيرها قبل الوصول الى الشام من الملاحظ ان كلا الطريقين يحتاجان الى وقت طويل ولا تؤمن غاية الخليفة وهي السرعة في نجدة قوات المسلمين، لذا سأل خالد من يدلّه على طريق جديد يؤمن له السرعة فدلّه رافع بن عميره على طريق خطر لصعوبته وقلة الماء المتوفرة به وسار خالد مجازفاً بقواته ونجح في الوصول بوقت قياسي ونجدة المسلمين في الوقت المناسب ولا يزال الباحثون العسكريون عاجزين عن تفسير السرعة التي استطاع بها خالد ان يجتاز الصحراء في وقت قصير، كان عدد قوات خالد اربعة آلاف انظر الواقدي ص ١٦٥.

(٢) المخطوط رقم ٢٦ - مسير خالد من العراق الى الشام.

(٣) انظر الطبري ٢١٠٨/٤/١ و ٢١٠٩/٤/١ و ٢١١٢/٤/١ و ٢١١٤/٤/١ حيث اورد اختلافاً في الطريق وحجم القوات وتاريخ السفر.

(٤) دمشق سقطت بيد المسلمين في شهر ايلول عام ٦٣٥ م:

(١) المخطوط رقم ٢٧ - مواقع الفريقين في سهل اليرموك.

(٢) فتوح الشام للواقدي ص ٩٧ - ان خالد بن الوليد قد عزل من القيادة اثناء فتح دمشق وقبل معركة اليرموك وقد عزلّه الخليفة الجديد عمر بن الخطاب وقد حمل الكتاب الى خالد بن الوليد عامر بن ابي وقاص وكان فيه عزل خالد وتوليّه ابي عبيدة عامر بن الجراح وذلك ٣ شعبان سنة ١٢ هجرية.

١٨ كزوساً بقيادة ابو عبيدة عامر بن الجراح وفرقة اليمنة من ١٠ كراديس بقيادة عمرو بن العاص يعاونه شرحبيل بن حسنة وفرقة الميسرة من ١٠ كراديس بقيادة يزيد بن ابي سفيان، المفارز الامامية بقيادة سعيد بن زيد ووضعت كتيبة فرسان احتياط بامرة القائد العام خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup> انفتح الجيش الاسلامي على واجهة طولها أحد عشر ميلاً يرتكز جناحه الأيسر على نهر اليرموك وعلى بعد ميل واحد ويقع على جناحه الأيمن طريق جابية وازرع. تم تعيين قاضي للجيش وهو ابو الدرداء وقاريء للقرآن وهو المقداد ووضعت النساء والأطفال خلف القوات لرفع الروح المعنوية والمداواة وإسعاف الجرحى.

### موقف الروم

نظم ماهان القائد الرومي<sup>(٤)</sup> جيشه في صفوف فكان العرب النصارى في الأمام بقيادة جبلة بن الأيهم وخلفهم الصف الأول بقيادة جريجوري وتحتوي على اربعة كراديس وفي الصف الثاني ثلاثة كراديس بقيادة ماهان نفسه وفي الصف الثالث ثلاثة كراديس بقيادة ديرجان كان الجناح الايمن للقوات الرومية يرتكز على وادي اليرموك ومؤخرتهم ترتكز على وادي الرقاد، اما الجناح الايسر فكان مكشوفاً مثل جناح المسلمين الايمن استخدم القائد الروماني جريجوري السلاسل لربط اقدام جيشه لضمان عدم اختراق فرسان المسلمين لصفوفهم. كان عرض جبهة الروم مساوي لجبهة المسلمين اما العمق فكان اكبر لزيادة حجم القوات.

### طبيعة ارض المعركة

يتألف ميدان المعركة من سهل اليرموك المنبسط والمحاط بالأودية العميقة من الجنوب والغرب والتي يصعب اجتيازها من قبل المشاة والفرسان حيث تنحدر بزواوية تزيد عن ستين درجة، تنحدر الأرض من الشمال الى الجنوب بشكل خفيف ويوجد بها بعض الطيات الأرضية. يجري نهر اليرموك على الطرف الجنوبي لهذا السهل ويصب في نهر الأردن وهو ضيق المجرى ذو ضفاف شديدة الانحدار ويلتقي مع وادي الرقاد بالقرب من الواقوصة<sup>(١)</sup> ترتفع ضفاف

(٢) الواقدي ص ١٩٢ - قسمت الخيل الى أربع مجموعات، المجموعة الاولى بقيادة قيس بن هبيرة المرادي، المجموعة الثانية بقيادة ميسرة بين مسروق العبيسي والمجموعة الثالثة بقيادة عامر بن الطفيل والمجموعة الرابعة بأمرة خالد بن الوليد.

(٤) ذكر شكري فيصل في حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ص ٢٤ ان قائد الروم هوثيودورس اخ هرقل (عن فيليب والطبري).

(١) الناقوصة كما اوردها الواقدي لأن بها نقص عدد الروم ويوجد بالقرب منها تلة خالد في وسط النهر والتي وقف عليها خالد بعد انتهاء معركة اليرموك.

النهر حوالي ١٠٠ قدم. توجد في سهل اليرموك تلة سامين ذات موقع جيد وتسيطر على المعركة وقد احتلها المسلمون وسُمّوها تلة الجماعة.  
قوات الطرفين

بلغت قوات المسلمين ثلاثين ألفاً حسب رواية الواقدي وعدد فرسان الروم فبالغ به يزيد على سبعمائة ألف منهم ستون ألفاً من العرب. أما الطبري<sup>(٢)</sup> فيذكر أن عدد جيش المسلمين كان أربعة وعشرين ألفاً وعدد الجيش الرومي مائة ألف وهذا رقم يمكن أن يكون معقولاً لأن طبيعة الأرض لا تتسع للعدد الذي ذكره الواقدي.

### سير العمليات القتالية

#### ١ - عمليات اليوم الأول:

ابتدأ هذا اليوم بهدوء دام أكثر من ساعة والجيشان يقفان بمواجهة بعضهما البعض وفجأة برز قائد رومي يطلب المبارزة فنزل اليه خالد بن الوليد وقد عاد القائد الرومي مع خالد الى معسكر المسلمين وقد اسلم ثم استمرت المبارزة حتى منتصف النهار وكانت الخسائر في صفوف الروم فقرّر ماهان أن يتعرض بعشرة صفوف على جناح المسلمين الأيمن وقد تراجعت الميمنة وانكشف القلب بحيث بانّت هزيمة المسلمين قاب قوسين أو أدنى بعد حدوث هذه الثغرة، حاول الروم استغلالها ولكن خالداً أمر عكرمة والقعقاع أن يعزّزوا الميمنة من القلب فتوقف زخم الهجوم الرومي وكانت الشمس قد اشرفت على الغروب فترجع الجيشان الى مواقعهم الأصلية، ولم تحدث عمليات خلال الليل ما عدا اشتباكات خفيفة حين عادت دوريات الروم لجمع القتلى، كانت خسائر الروم في هذا اليوم يسيرة أما المسلمون فقد خسروا عشرة رجال<sup>(١)</sup> وتوقف القتال سبعة أيام أخرى.<sup>(٢)</sup>

#### ٢ - عمليات اليوم الثاني:<sup>(٣)</sup>

مع فجر هذا اليوم تقدم الجيش الرومي بهجوم واسع وقد فوجيء المسلمون بهذا الهجوم<sup>(٤)</sup> لولا إخراج بعض عناصر المسلمين في المقدمة خلال الليل حيث تمكنت من تأخير

(٢) الطبري ١/٤/٢٠٩١، ١/٥/٢٣٤٧. (١) الواقدي ص ١٩٧. (٢) نفس المرجع ص ٢٠٠.

(٣) المخطط رقم ٢٨ - عمليات اليوم الثاني في اليرموك.

(٤) الواقدي ص ٢٠٣ أن ابا عبيدة قد اعاد ترتيب القوات الى الميمنة وميسرة وقلب وجناحين وقدم اصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها ابيض واخضر واسود وباقي القبائل راياتهم مختلفة وجعل المهاجرين والانصار في القلب وجعل عسكره ثلاثة صفوف فصف فيه النبلة من اهل اليمن. وصف فيه اصحاب الخيل المسلمون اقدمهم غياث بن حرملة العامري والثاني مسلمة بن سيف اليربوعي والثالث القعقاع بن عمرو التميمي ووقف المسلمون تحت راياتهم وابو عبيدة تحت رايته التي عقدها له ابو بكر يوم مسيرة الى الشام وهي راية رسول الله الصفراء التي سار بها الى خيبر ومع خالد راية العقاب وهي سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الايمن يزيد بن ابي سفيان وعلى الجناح الايسر قيس بن هبيرة.

الهجوم الرومي بعض الشيء، ومع شروق الشمس التحم الجيشان وكانت خطة الروم تثبيت القلب والهجوم على الأجنحة فهاجم جيش قناطير الميمنة بقوة واستطاعت ميمنة المسلمين ان تصدهم مرتين متتاليتين وقد اخلوا مواقعهم في المرة الثالثة فأمر قائد الميمنة عمرو بن العاص كتيبة الخيالة ان تقوم بالهجوم المعاكس وقد استطاعت ايقاف الهجوم لفترة قصيرة الا ان زخم الهجوم الرومي قد استمر فتراجعت الميمنة بأسلوب غير منظم حتى عاد بعض الرجال الى معسكر النساء فواجهنهم بالعصي وأعمدة الخيام فاضطروا للعودة الى القتال وهنا بدأ عمرو بن العاص هجومه المعاكس الثاني.

أما الموقف على الميسرة فكان اقل خطورة حيث امكن صد الهجوم الأول ولكنهم استطاعوا ان يخترقوا في الهجوم الثاني قوات يزيد فاستخدم يزيد قوة الفرسان بهجوم معاكس ولكنه فشل وتراجعت القوات بغير انتظام باتجاه المعسكر حيث كانت تنتظرهم النساء وعلى رأسهم خولة بنت الأزور وهند بنت عتبة فاضطروا للعودة الى القتال مع منتصف نهار هذا اليوم اشتد القتال على الأجنحة وخالد يراقب دون ان يتدخل ويرفض ان يُجرَّ الى المعركة الرئيسية قبل أوانها وما ان تراجعت الأجنحة حتى يقرر خالد استخدام قوته الاحتياطية فيتحرك على الميمنة اولاً ويهاجم جيش قناطير بينما كان الجناح الأيسر يقوم بالهجوم المعاكس الثاني واستطاع خالد ان يدفع بالعدو الى الخلف ويتحوّل الى الجناح الأيسر ويهاجم في هذا الاتجاه بعد ان فصل جزءاً من الخيالة بقيادة ضرار بن الأزور لمهاجمة قلب العدو للتضليل فقط. انسحبت ميمنة الروم تحت ضغط الهجوم واستعدت الأجنحة مواقعها. استطاع ضرار ان يتغلغل في جيش ديرجان ويقتل القائد ديرجان في هذا اليوم.

مع الغروب قطعت الجيوش التماس وانسحبت الى مواقعها الأصلية رغم موقف المسلمين السيء في هذا اليوم الا انهم استطاعوا استعادة مواقعهم وقتل احد قادة الروم وقد عُين بدلا منه القائد (قرين).<sup>(١)</sup>

رجحت كفة القتال في هذا اليوم للروم. رغم خسائرهم الكثيرة وخسارة احد قادتهم ولكن هذا لم يؤثر فيهم بسبب تفوقهم العددي الهائل على المسلمين، اما موقف المسلمين فلم يكن يبشر بالخير فقد تراجعت الميمنة والميسرة حتى وصلوا معسكر النساء واستطاعت بعض عناصر

(١) أورد الواقدي ص ٢٠٤ ان الروم قد ربطوا ميمنتهم بالسلاسل بحيث ان كل عشرة في سلسلة واحدة وقد حفروا حفراً في الأرض وكان عددهم ثلاثون ألفاً، ولم يذكر عن تراجع ميسرة المسلمين، اما الميمنة فتراجعت الى معسكر النساء حيث لقينهم بالحجارة واعمدت الخيام وهن يحملن اولادهن واستطاع خالد ان يستعيد الموقف بهجوم الفرسان باربعة آلاف فارس ولم يستطع زحزحة الروم لانهم كانوا مربوطين بالسلاسل ومن ثم قام خالد ومعه ضرار بالهجوم على الجناح الأيسر للروم وهم يصيحون بشعار المسلمين يوم اليرموك (يا محمد يا منصور امك امك) حتى وصل الى موضع ديرجان قائد الميسرة وقد لُقِّ رأسه في ثوب، ديباج حتى لا يرى القتال فقتله ضرار بن الأزور، اما ميمنة الروم فقد اختلف القائد جرجير ومعاونه قناطر وغضب قناطر فحمل على المسلمين حملة قوية ارجعت جناحهم الى الايسر حتى معسكر النساء ثم استطاع المسلمون ان يستعيدوا الموقف على هذا الجناح بعد قتال عنيف وخسائر كبيرة.

الروم ان تصل معسكر النساء أيضا حتى ان احد النساء تعلقت باحد علوج الروم وقتلته،<sup>(١)</sup> كانت أكثر خسائر المسلمين في هذا اليوم من قبيلة الأزدي.<sup>(٢)</sup>

### عمليات اليوم الثالث<sup>(٣)</sup>

لم يقيم جيش جريجوري بأية حركة هذا اليوم بسبب خسائر اليوم السابق وقام جيش قرين بهجوم محدود على واجهة القلب لتثبيت احتياط المسلمين وعلى واجهة شرحبيل قام قناطير بالهجوم بشدة وقد تمكن جيش شرحبيل وعمرو بن العاص من صد الهجوم الأول وفي الهجوم الثاني تمكن قناطير من احداث عدة اختراقات عدا الجزء الأيسر الذي صمد. تراجعت قوات المسلمين في هذا الجناح وحاول عمرو بن العاص القيام بهجوم معاكس ولكنه فشل في طرد الروم من المواقع التي وصلوا اليها ولكنه استطاع ايقافهم. قام احتياط المسلمين بهجوم معاكس وقامت كتيبة من الميمنة بالالتفاف على الجناح الأيسر بجيش قناطير وقد أبدى الجيش الرومي صموداً وصلابة ووقع مئات الشهداء بين المسلمين، ومع الغسق تم دفع الروم الى الخلف واستعيد الموقف مرة أخرى. كانت كفة الفريقين متعادلة هذا اليوم وقد خسر الروم اكثر من المسلمين الا ان جراح المسلمين كانت كثيرة بسبب رمي النشاب. يعتبر هذا اليوم افضل للمسلمين من سابقه فقد استطاعوا ان يقفوا بوجه الروم وارتفعت معنوياتهم وصار لديهم أمل كبير بهزيمة الروم وفي الجانب الآخر جمع ماهان قاداته ووبّخهم على موقفهم في هذا اليوم وحثّهم على القتال الشديد في اليوم التالي.<sup>(٤)</sup>

### عمليات اليوم الرابع<sup>(١)</sup>

بدأ هذا اليوم بجو من التوتر فقد ايقن الروم ان هذا هو اليوم الحاسم فصمموا بذل قصارى جهدهم لشطر جيش المسلمين واقتنع المسلمون بان المعركة وصلت مرحلتها الدقيقة

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧.

(٢) رغم ان القوات الاسلامية كانت منظمة بأسلوب الكراديس والصفوف الا ان النظام القبلي كان معمولاً به حيث ان الكردوس الأول من القبيلة كذا والكردوس الثاني من القبيلة كذا ولكل قبيلة رايتها وشعارها الخاص (انظر الواقي ص ٢١١).

(٣) المخطوط رقم ٢٩ - عمليات اليوم الثالث في اليرموك.

(٤) المرجع السابق ص ٢١٢ - (انهزمت في هذا اليوم فرسان المسلمين ثلاث مرات، كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد).

(١) المخطوط رقم ٣٠ - عمليات اليوم الرابع في اليرموك.



وان عمليات هذا اليوم ستبين الدليل النهائي للنجاح او الفشل. (٢)

قرر القائد الروماني التركيز على الجناح الأيمن وتثبيت الجناح الأيسر والقلب فدفع جيش قناطير وجيش العبيد والأرمن باتجاه ميمنة المسلمين وقد تمكنت قوات عمرو بن العاص من صد الهجوم الا ان قوات شرحبيل تراجعت الى الخلف وحدثت ثغرة في الميمنة وعندها تدخل خالد فأمر القلب ان يبدأوا بالهجوم وكذلك فعل جيش يزيد على الميسرة لتفويت الفرصة على العدو.

ما ان اطمأن خالد على الميسرة والقلب حتى قرر ان يقرب الأرمن الذين احدثوا الثغرة فجزأ الاحتياط الى مجموعتين بقيادة قيس بن هبيرة والمجموعة الثانية بقيادته وامر بالهجوم من ثلاثة اتجاهات، هو ومن معه من اليمين وشرحبيل من الأمام وقيس من جهة اليسار. استطاعت القوة ان تجبر الأرمن على التراجع بعد تكيدهم خسائر كبيرة وعندها خف الضغط على قوات عمرو بن العاص وان يدفع بالعبيد ايضاً الى الخلف.

اما الموقف على الميسرة فكان مماثلاً بنفس الشدة والخطورة وقد استخدم الروم النبال بفعالية حتى قيل عنها انها كانت تتساقط كالمطر وتحجب اشعة الشمس وقد اصيب في هذا اليوم ٧٠٠ مسلم وقد فقدوا عيونهم وقد سمي هذا اليوم بيوم (العيون المفقودة) واعتبر هذا اليوم اسوأ يوم على المسلمين.

تراجعت قوات المسلمين على الميسرة لتفادي ضربات النبال والخروج من مداها المؤثر، وقد استغل ماهان هذا الموقف فهجم بشدة مما أدى الى تراجع ميسرة المسلمين ما عدا كتيبة عكرمة بن ابي جهل التي استتبست وقد تجاوزتها القوات الرومية من كلا الجناحين.

(٢) الواقدي ص ٢١٢ - ٢٢٠. (عاد ابو عبيدة ترتيب قواته هذا اليوم ووزع الرماة على الجناحين وامرهم بعدم مغادرة الموقع الا بأمره. ابتدا القتال مع شروق الشمس وقد استطاع الروم ان يحدثوا ثغرة في واجهة عمرو بن العاص على الميمنة حتى وصل الروم الى معسكر النساء وكذلك حمل جرجير الأرمني ومعه ثلاثون الفاً من الأرمن فتراجعت قوات شرحبيل ايضاً ما عدا هو وقلة من قومه صمدوا ضد الهجوم الأرمني وقد استطاع خالد بن الوليد وقيس بن هبيرة بقوات الخيالة ان يردا الروم على اعقابهم بعد ان رجح أكثر المسلمين الى القتال عندما شاهدوا الروم يحيطون بالنساء وهي تقاتل وتدافع عن نفسها دفاع الأسود. تراجعت القوات الرومية وبدأت جولة من المبارزة قتل فيها عدد من قادة الروم منهم (مريوس) ملك اللان وقد قتله شرحبيل بن حسنة بمساعدة ضرار بن الأزور، كما قتل قناطير ملك الروسية وقد قتله خالد بن الوليد وقد غضب ماهان لمقتله فأمر رماة الروم ان ترمي في وقت واحد فكان النشاب يقع في معسكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح في الناس وأعور من المسلمين سبعمائة فسمي ذلك اليوم (بيوم التعوير) وكان ممن اصيب المقيرة بن شعيب، وأبوسفيان بن حرب وغيرهم وقد تراجع المسلمون من جراء هذه النبال فاغتنمها ماهان فرصة وقام بهجوم شديد اوصل المسلمين الى معسكر النساء وقد دافع المسلمون دفاعاً مستميتاً واستعادوا توازنهم مع الغروب حيث انفصل الطرفان عن القتال.

اشتركت النسوة بالقتال هذا اليوم حيث استطاعت القوات الرومية ان تصل معسكر النساء. وفي آخر النهار كانت جميع القوات في اشتباك حاسم ومع غروب الشمس تراجعت القوات الى مواقعها الأصلية. كان هذا اليوم مفزعاً وخطيراً على القوات الاسلامية اذ اوشك الروم ان يبلغوا النصر وقد تكبد الطرفان خسائر كبيرة وكانت خسائر المسلمين من الشهداء والجرحى اكثر تأثيراً. لم يحدث اية عمليات قتالية خلال الليل ان كان الطرفان مرهقين من قتال اليوم السابق.

### عمليات اليوم الخامس

اصطف الجيشان في صبيحة هذا اليوم في مواقعهما وقد كان عدد جرحى المسلمين كبيراً بحيث وضع لكل جريح مقاتل سليم يساعده في الوقوف. لم تظهر أي رغبة لدى الطرفان في القتال، وبعد فترة ظهر مبعوث القائد الرومي يحمل رسالة يطلب فيها الهدنة لبضعة ايام وقد رفض المسلمون هذا الاقتراح وقال خالد ابن الوليد للمبعوث (اننا في عجلة من امرنا لانهاء هذا العمل). أيقن المسلمون بانه لم يبق لدى الروم اية امكانية للتعرض وبدأوا بالتحضير للهجوم المعاكس حيث جمعت الخيالة في قوة واحدة بحيث اصبح مجموعها ثمانية آلاف فارس. لم يحدث في هذا اليوم اية عمليات قتالية بل كانت استعدادات من قبل الطرفين للمعركة الفاصلة.<sup>(١)</sup>

### عمليات اليوم السادس<sup>(٢)</sup>

في صبيحة هذا اليوم برز جرجير<sup>(٣)</sup> يطلب مبارزة قائد المسلمين فنزل اليه ابو عبيدة<sup>(٤)</sup> واستطاع ابو عبيدة ان يقتله، ثم نزل قائداً آخر للمبارزة واسمه جرجيس وقتله ضرار بن الأزور ثم نزل ماهان للمبارزة ونزل له غلام من الأوس فاستشهد الأوسي ونزل له مالك النخعي فتبارزا وضرب مالكا على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينيه<sup>(٥)</sup> ولكنه استمر بالقتال رغم الضربة واضطر ماهان للهرب أمام مالك وعندها امر ابو عبيدة ان يبدأ المسلمون بالتعرض.

(١) لم يتطرق الواقدي لهذا اليوم ولم يأت على ذكره، بل ذكر ان الروم ارسلوا مبعوثاً للمفاوضات وعقد هدنة ولكن المسلمين رفضوها، وذكر كذلك بانه في الليلة الاخيرة للقتال استطاع رجل حمصي يدعى ابو جعيد ان يتآمر على الروم لانهم غدروا به وبعائلته اثناء مسيرهم لليرموك فأراد ان ينتقم منهم فجرّمهم الى مخاضة الناقوصة ليلا لمطاردة المسلمين الذين هربوا امامهم خديعة فسقط منهم عدد كثير في المخاضة.

(٢) المخطط رقم ٣١ - عمليات اليوم السادس في اليرموك.

(٣) احد قادة جيوش الروم.

(٤) اصبح قائداً للمسلمين بعد عزل خالد (سيف الله خالد - للجنرال أ. اكرم).

(٥) ومن ذلك اليوم كانوا يسمونه الاشتهر النخعي.

التحمت الميمنة والقلب مع الروم ودفع خالد كتيبة خيالة الى ميسرة الروم لتهديد جناحهم الأيسر ودفع باقي الخيالة باتجاه العبيد الذين يشكلون جزءاً من ميسرة العدو فتقهقرت ميسرة العدو الى الخلف كما استطاعت الخيالة ان تثبت احتياط العدو من الفرسان وبذلك تم فصل الفرسان عن المشاة. حاول ماهان التعرض بخيالته لاستعادة السيطرة على الموقف من جهة اليسار الا ان هذا التعرض فشل فتراجعت قوة الهجوم المعادية ومعها جزء من قوات الميسرة باتجاه الشمال، حاول عمرو بن العاص دحر الأرمن الى الخلف حتى ينهي القتال على الميسرة فلم ينجح لشجاعة الأرمن وصمودهم.

استطاعت قوة الخيالة ان تخرج فرسان العدو من المعركة والتفت على الأرمن من الخلف وارتبكت قوة الأرمن فتراجعت الى الخلف<sup>(١)</sup> باتجاه الجنوب الغربي وهو الاتجاه الوحيد المفتوح أمامهم. استطاعت قوات المسلمين في القلب وعلى الميمنة من تثبيت جيش الروم فلم يتدخلوا في معركة الجناح الأيسر.

بدأ الجيش الروماني بالتراجع غير المنظم اذ كانت اجنحتهم ومؤخرتهم مكشوفة بعد التفاف خيالة المسلمين فبدأوا بالانسحاب نحو الغرب والجنوب الغربي دون متابعة المسلمين لهم. كانت رغبة الروم ان ينسحبوا باتجاه الشمال ولكن الطريق كانت شبه مغلقة بسبب خيالة المسلمين لذا اضطروا للانسحاب باتجاه وادي الرقاد وبدأوا بعبوره غرباً.

لم يغفل خالد بن الوليد عن استغلال الفرص لتدمير الجيش الرومي فدفع ضرار بن الأزور ومعه قوة من الخيالة غرب وادي الرقاد<sup>(٢)</sup> وعندما شاهد الروم هذه القوة ايقنوا انهم مطوقون ولا مجال للمناورة لذا تحولوا الى الخلف للدفاع عن انفسهم وبدأوا بالضغط من كل الاتجاهات وتحولت المعركة الى مذبة حقيقية، اذ ان جيش السلاسل بدأ يتساقط قسم منهم تحت ارجل المقاتلين من الطرفين والقسم الآخر بدأ يتساقط فوق النتوءات الصخرية لنهر اليرموك، وقد سقط اغلبية المحاصرين قتلى إما في نهر اليرموك أو وادي الرقاد وتحت الأرجل أو بيد المسلمين وألقي القبض على الباقي اسرى بيد المسلمين، استطاعت قوة كبيرة من الروم ان تتلمص من المعركة باتجاه الشمال وبقيادة ماهان وقد تبعهم خالد بن الوليد بقوة الخيالة وأخذ يطاردهم فقتل العديد منهم ومن بينهم ماهان القائد الرومي على يد (عاصم بن خوال)<sup>(١)</sup> انتهت هذه المعركة الفاصلة في التاريخ بين المسلمين والروم ووقف الامبراطور الرومي هرقل يقول (وداعاً يا سوريا وداعاً لا لقاء بعده)<sup>(٢)</sup> خسر المسلمون في هذه المعركة اربعة آلاف شهيد

(١) المخطط رقم ٢٢ - تابع عمليات اليوم السادس في اليرموك.

(٢) المخطط رقم ٢٢ - تابع عمليات اليوم السادس في اليرموك.

(١) الواقدي ص ٢٢٧.

(٢) عليك يا سورية السلام ونعم البلد هذا للعدو - البلاذري ١٢٧. وفي الطبري ١/٥/٣٣٩٦ عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده.

وعدداً كبيراً من الجرحى، اما خسائر الروم فبلغت حسب تقديرات الواقدي ١٢٠ ألفاً اما ابن اسحق فقدّرهم ٧٠ ألفاً وأيدّه بذلك الأزوري.

## المبادئ والدروس المستفادة

١ - الهدف.

كان هدف المسلمين العام تدمير القوة الرومية ونشر الاسلام في ربوع بلاد الشام بينما كان هدف الروم التخلص من المسلمين بأية طريقة، اما بتدميرهم او إعطائهم مبلغاً من المال او السماح لهم بالعيش كباقي السكان العرب وحاولوا ان يحققوا هدفهم هذا بأية طريقة حتى في المراحل الأخيرة من المعركة ولكنهم فشلوا أما المسلمون فلم يحددوا عن الهدف العام فرغم خسائرهم الكبيرة في اليوم الخامس قدّم الروم عرضاً للهدنة ولكن المسلمين رفضوه بشدة لأن الهدف لم يتحقق بعد ولذلك واصلوا القتال حتى حققوا الهدف.

٢ - التعرض.

قد يظهر للقاريء ان معركة اليرموك قد فرضت على المسلمين وأنهم كانوا في دور الدفاع ولكن المتعمّن يرى بان المسلمين قد خرجوا من بلادهم الى بلاد الشام لفتحها وطرد الروم منها وهذا بحد ذاته يعتبر عملاً تعرضياً ومن خلال مجريات المعركة نجد ان المسلمين قد امسكوا بزمام المبادرة وحاولوا الحفاظ عليها ولو فقدوها لانتهت المعركة في غير صالحهم، حشد الروم اضعاف حجم قوات المسلمين ولكنهم كانوا متردّدين يحاولون التخلص من المعركة بأية طريقة.

٣ - وحدة القيادة

قبل اليرموك كان المسلمون اربعة جيوش لكل جيش قائد منفصل وعندما تجمعوا في سهل اليرموك كانوا خمسة جيوش بحضور جيش خالد من العراق وقد أدرك الخليفة ابو بكر ذلك فعين خالداً قائداً عاماً وهو بالعراق لأن قصد الخليفة قد اختلف الآن فعندما ارسل الجيوش الى بلاد الشام اعطاهم الحرية اللامركزية ولو كانوا تحت إمرة قائد واحد لما حققوا الفتوحات التي توصلوا اليها قبل اليرموك، اما عندما اجتمع الروم قاصداً ضرب المسلمين وهم جيوش متفرقة تراجعوا عن كل المكاسب التي حصلوا عليها والآن هم امام معركة فاصلة ويلزمهم قيادة موحدة لأن التفرق قد يضرّ بهم ويؤدي الى تدمير جميع قوات المسلمين.

٤ - الحشد

تحقق هذا المبدأ في اليرموك من قبل الطرفين ففي الجانب الاسلامي تجمعت جميع القوات الاسلامية في الجابية ولم يتوان الخليفة عن تعزيز هذه القوة بكل ما لديه فقد كانت الأمور في العراق تسير سيراً حسناً واستولى المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على أجزاء كبيرة

من العراق الجنوبي ولكن الخليفة أوقف القتال في هذا الاتجاه ودفع بخالد بن الوليد الى بلاد الشام من اجل تأمين مبدأ الحشد فقط، وفي الجانب الرومي حشد الروم كل ما يملكون من قوة فكانت اقل التقديرات ضعف قوات المسلمين بينما قدرها بعض الرواة باضعاف اضعاف المسلمين وذلك من اجل تأمين الحشد المتفوق.

#### ٥ - المفاجأة

كان انتقال خالد من العراق الى الشام عبر الصحراء القاحلة قليلة الماء مفاجأة سوقية للروم رغم ان القوة التي كان يقودها قليلة العدد ولكنها حققت الكثير قياساً بحجمها، اما في معركة اليرموك فقد كان التفاف كتيبة ضرار بن الأزور خلف العدو على الضفة الأخرى من وادي الرقاد مفاجأة تعبوية.

حاول الروم مفاجأة القوة الاسلامية اثناء تحركهم الى سهل اليرموك بالالتفاف حول اجنحة المسلمين ولكن عمرو بن العاص (ارطوبون العرب) استطاع ان يتفهم الموقف بفكره الثاقب وأشار بسحب الجيوش الاسلامية الى الجابية.

#### ٦ - استثمار الفوز والمطاردة

لقد كان انتصار المسلمين في اليرموك حاسماً ومنهكاً للطرفين ولو كان الجيش المنتصر غير الجيش الاسلامي لاكتفى بما حققه بهذه المعركة اذ ان المسلمين كانوا مثخنين بالجراح وخسروا ما يزيد عن ١٥٪ من قوتهم، ولكن الاندفاع الاسلامي وبعد نظر ابي عبيده وباقي القادة جعلهم يفكرون بمطاردة الجيش الرومي حتى يقضوا عليه قضاءً تاماً ويمنعوه من التحضير مرة اخرى للقتال وبالفعل طاردوا الروم فسقطت المدن بيد المسلمين تبعاً حتى وصلوا انطاكية شمالاً وهي حصن الروم المنيع الذي سقط بأيديهم ايضاً.

#### ٧ - التنظيم.

نظم خالد بن الوليد جيشه بشكل كراديس ووضع لكل مجموعة كراديس قيادة مستقلة وهذا الأسلوب كان متبعاً لدى الروم والفرس في ذلك الوقت، اما النظام القبلي فقد كان موجوداً في هذه المعركة حيث ان القبيلة بأجمعها كانت توضع في كردوس واحد او مجموعة كراديس ولها رايته لأن الاعتزاز بالقبيلة كان هو الأهم، شكلت بعض الكراديس من اخلاط العرب وخاصة من اليمن وشكلت لها قيادة وأعطى لقائدها راية.

ظهرت تعيينات ووظائف جديدة في هذه المعركة مثل قاضي الجيش<sup>(١)</sup> والقاص<sup>(٢)</sup> والقاري<sup>(٣)</sup> وعامل الأقباض<sup>(٤)</sup> وقد اقتضتها ظروف المعركة الفاصلة وحجم القطعات.<sup>(٥)</sup>

٩ - العقيدة الدينية

تغلغلت العقيدة الاسلامية في النفوس فبذل المسلمون ارواحهم رخيصة في سبيل دينهم وإعلاء كلمة الله ولولا تمسكهم بعقيدتهم وصبرهم على القتال لهزموا اشد هزيمة حيث ان الروم كانوا اكثر عدداً وعدة حتى ان احد المسلمين عندما رأى هذا الحشد الهائل قال (ما اكثر الروم وما اقل العرب) وسمعه القائد خالد بن الوليد فعنفه لأن هذه الكلمة تهبط المعنويات وقال له بل قل (ما اقل الروم وما اكثر العرب لأن الجنود تكثر بالنصر وتقل بالخذلان) ولدلالة تغلغل العقيدة نسوق مثلاً في اليرموك فهذا ابو سفيان في غزوة حنين عندما تراجعوا في التماس الأولي مع هوازن وثقيف قال (لن يرد رأسهم الا البحر) اي ان هزيمتهم واقعة لا محالة لأنه كان ضعيف الاسلام وقتها ولكن غزوة حنين انتهت لصالح المسلمين، اما في اليرموك فكان ابو سفيان في الصفوف الأولى مع المقاتلين رغم انه كان طاعناً في السن ونراه يوصي ابنه يزيد حاثاً إياه على الاستشهاد وكذلك زوجته هند والأمثلة كثيرة في هذه المعركة.

١٠ - القيادة

كانت قيادة خالد للمسلمين قيادة حكيمة حازمة وخالد معروف لدى العرب والروم والفرس وكان الجميع يهابونه ليس بشجاعته فقط وإنما لحكمته وتخطيطه الجيد وحنكته الحربية، حتى بعد عزله عن القيادة خلال المعركة نجد ان ابا عبيدة كما ابرزت جميع الزوايات تد ترك القيادة الحربية لخالد لقناعته المطلقة بقدرة خالد المتفوقة في هذا المجال.

(١) قاضي الجيش عين ابو الدرداء الانصاري وهو عويمر بن عامر من الخزرج وكان فقيهاً عالماً حكيماً، جعله عمر بن الخطاب والياً على قضاء الشام ومات بدمشق في خلافة عمر - يمكن الرجوع الى الاستيعاب ١٦٤٦/٤، واسد الغابة ١٥٩/٤، وطبقات ابن سعد ٣٩١/٧.

(٢) القاص (الخطيب). كان يقص على الجيش اخبار المسلمين السابقة فيثير بهم النخوة وقد كان ابو سفيان بن حرب بن أمية من قريش، آلت اليه الزعامة في الجاهلية واسلم يوم فتح مكة وحسن اسلامه وفقئت عينه في اليرموك ومات في خلافة عثمان سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع وهو ابن ٨٨ عاماً.

(٣) القاري. كان يقرأ سورة الجهاد (الانفال) وهو مبدأ اخذوه عن الرسول في معركة بدر وقد عين المقداد بن الاسود الكندي، كان موضع ثقة الرسول شهد اليرموك وفتح مصر مع عمرو بن العاص ومات ودفن بالمدينة وهو ابن ٧٠ سنة.

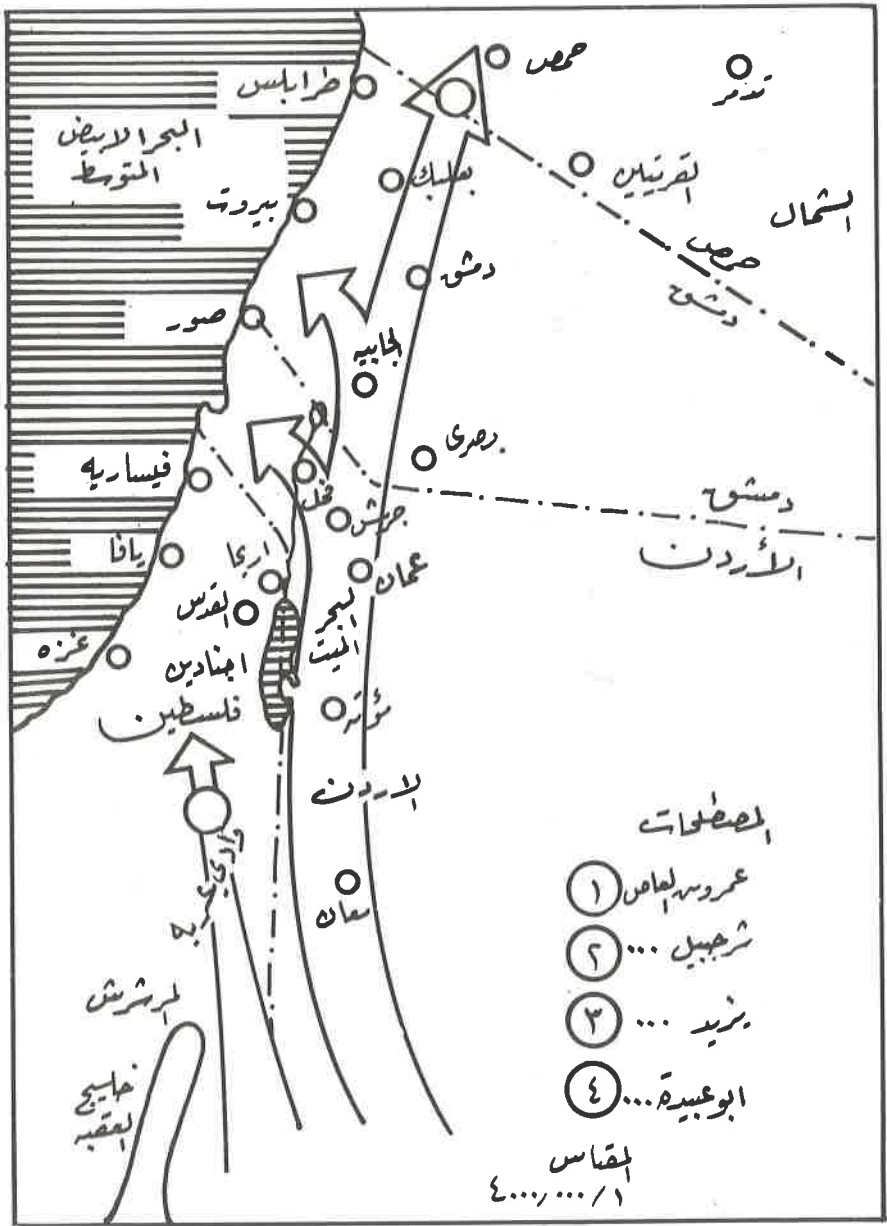
(٤) عامل الاقباض. وهو عبدالله بن مسعود الهذلي، اسلم وهو غلام هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد مع الرسول كل غزواته وكان اعلم الصحابة بالقرآن، كان على بيت المال في عهد عمر وعثمان وعزله عثمان وتوفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع.

(٥) عند دراستنا لنظم الأركان الحديثة نجد ان ما يقابل التسميات اعلاه ما يلي:

قاضي الجيش : المستشار الحقوقي.

القاص القاري : التوجيه السياسي / التوجيه المعنوي / المرشد الديني

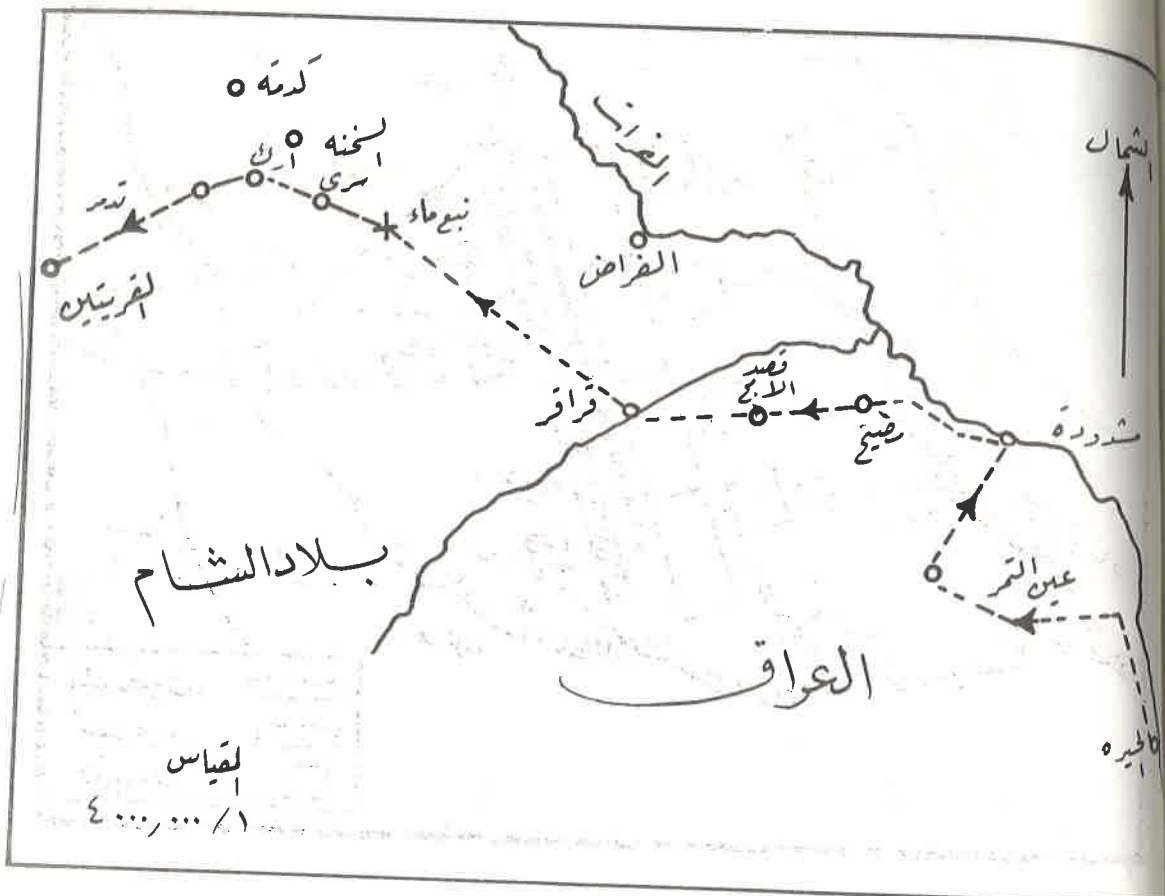
عامل الاقباض : الركن المالي.



المخطط رقم ٢٤  
فتح بلاد الشام

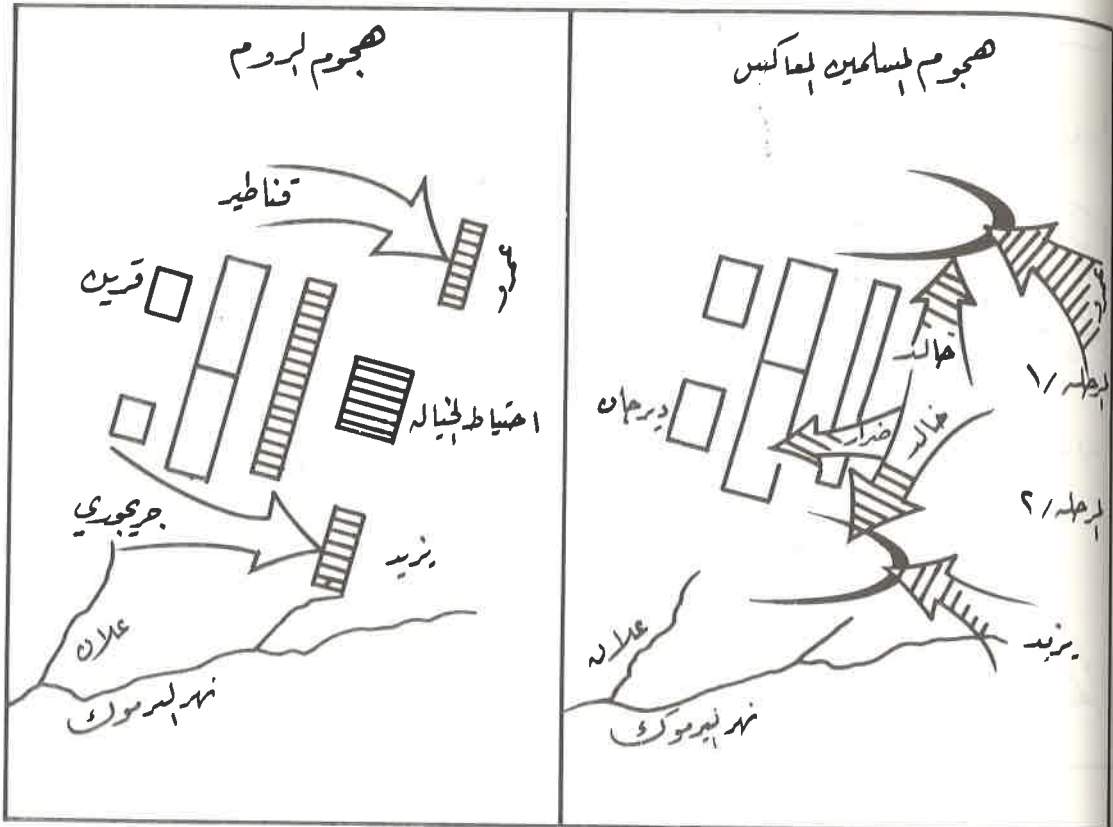






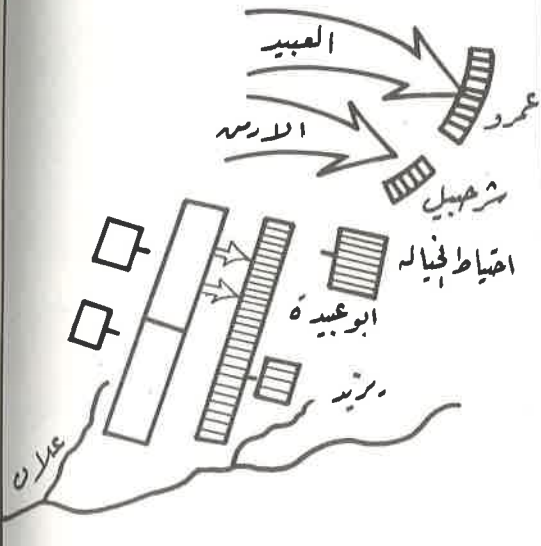
المخاطرة رقم ٢٦  
 مسيرة خالد من العراق إلى الشام



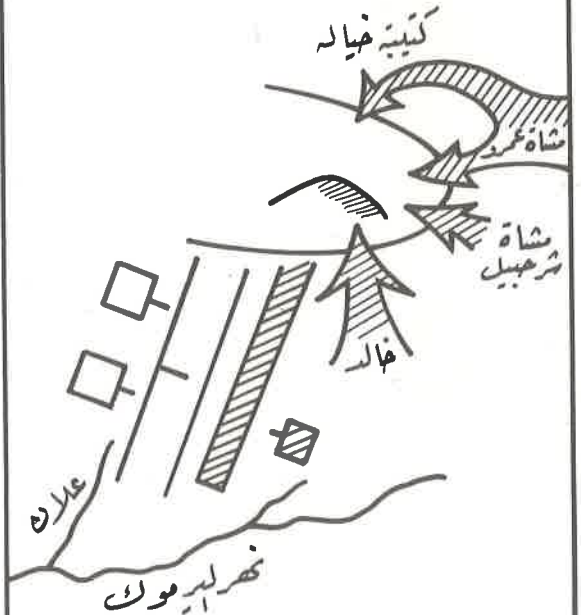


المخطط رقم ٢٨  
 عمليات اليوم الثاني في اليرموك

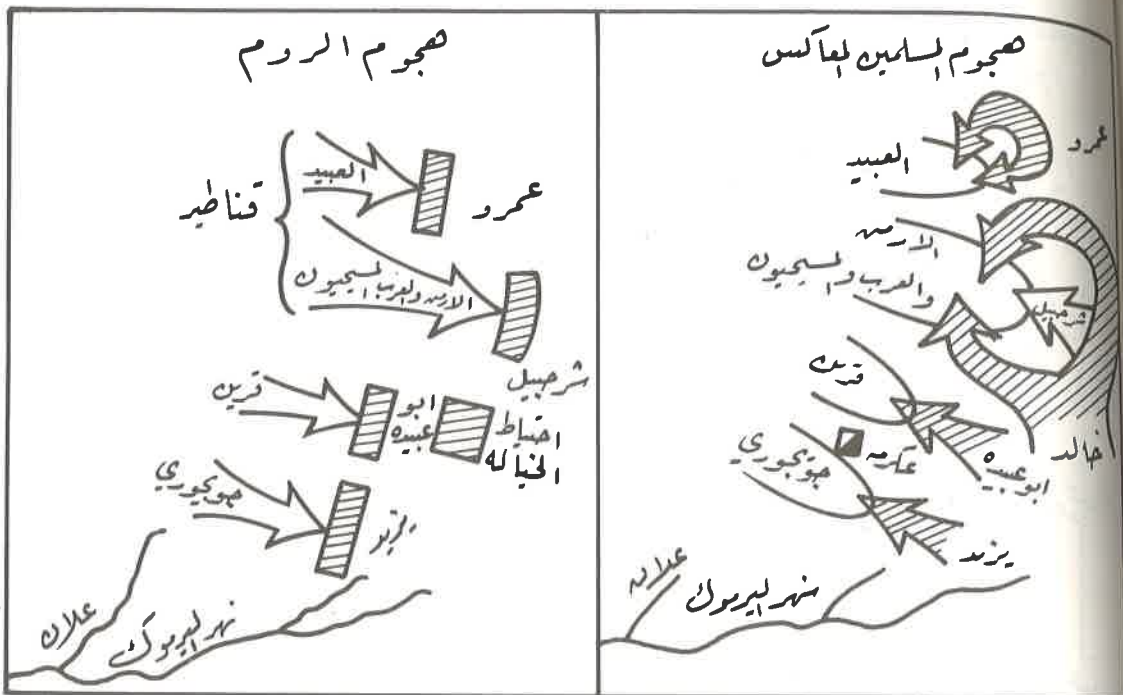
صهجوم الروم



صهجوم لسايمين لعاكس

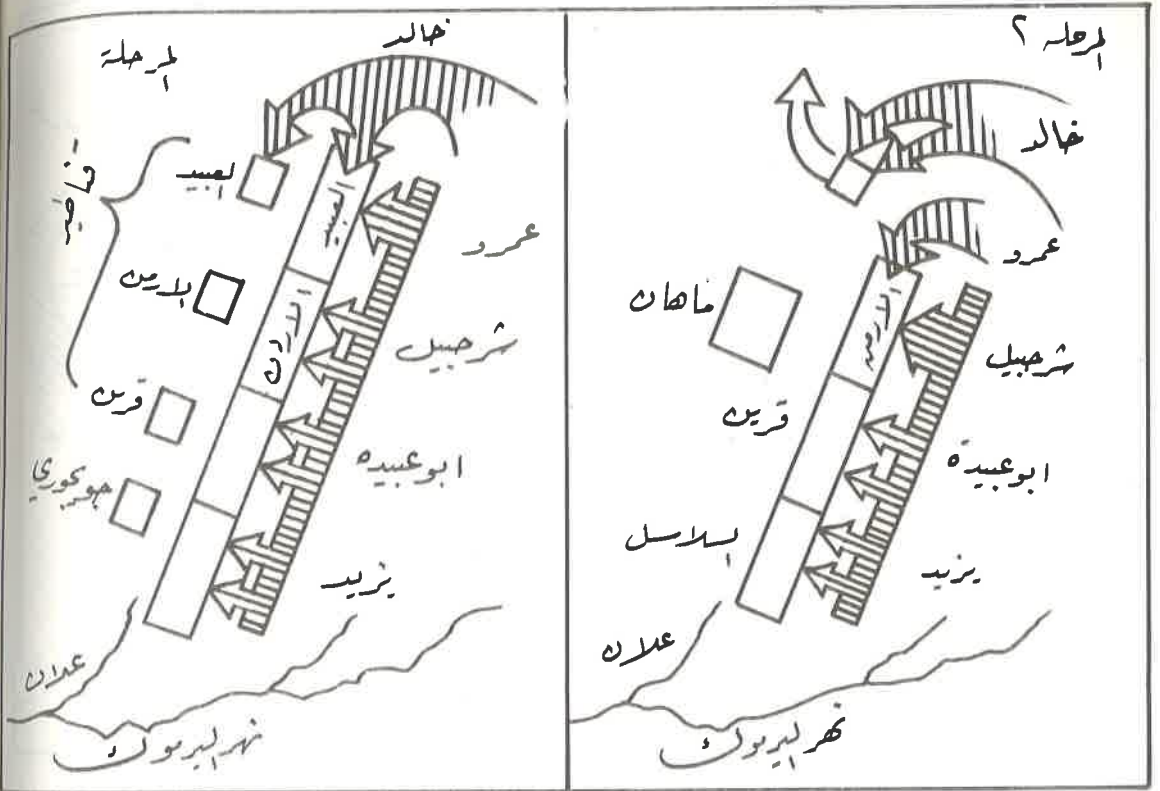


المخطط رقم ٢٩  
عمليات اليوم الثالث في اليرموك



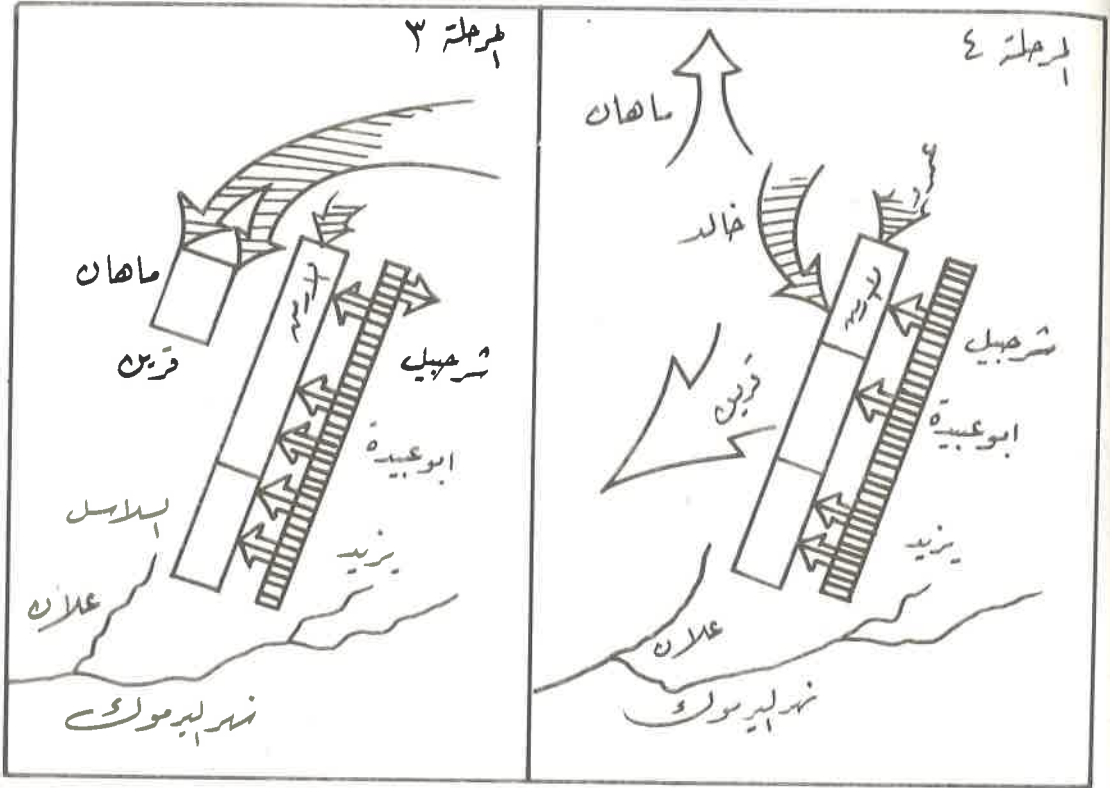
## المخطط رقم ٣٠

### عمليات اليوم الرابع في اليرموك



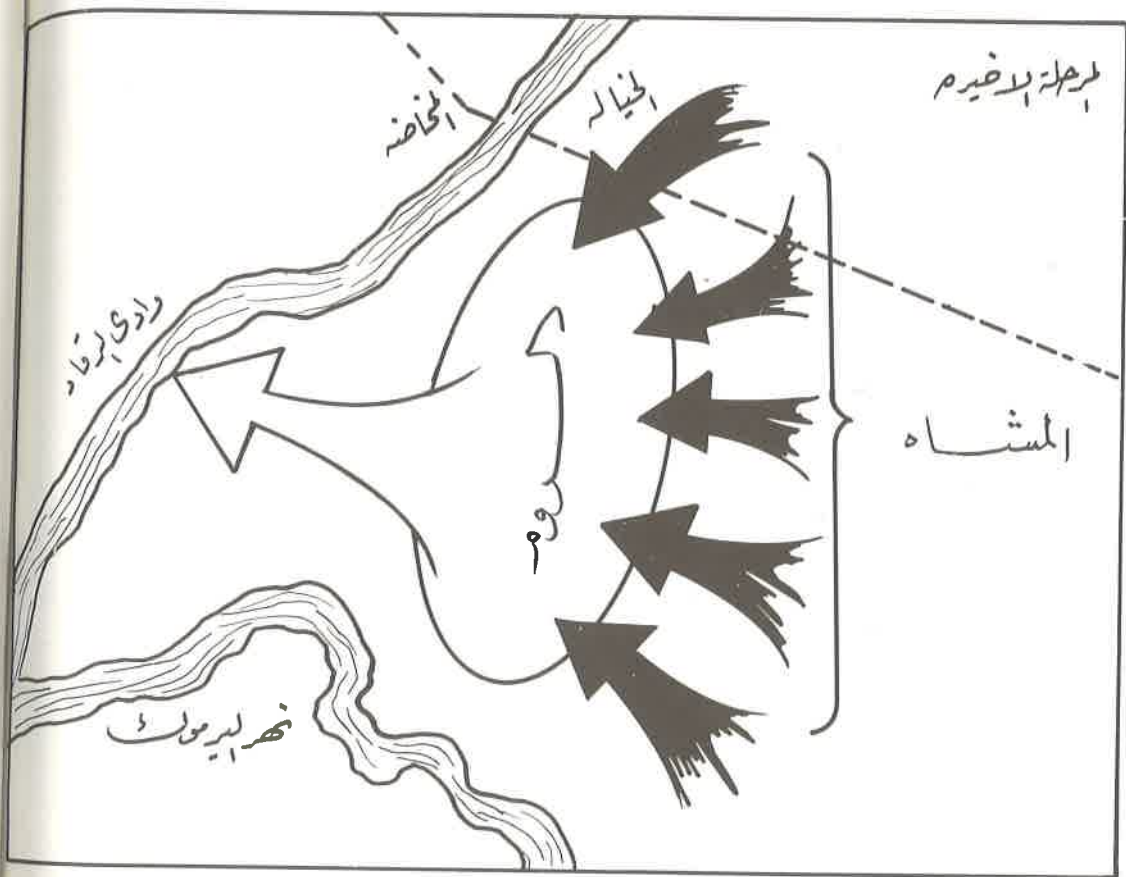
## المخاطر رقم ٣١

عمليات اليوم السادس في اليرموك



## المخطط رقم ٣٢

تابع عمليات اليوم السادس في اليموك



المخاطبة رقم ٣٣  
 تابع عمليات اليوم السادس في اليرموك



الباب السادس

الفصل الثالث

## فتوح العراق

١ - معركة البويب

٢ - معركة القادسية

## معركة البويب

### تعريفات

- ١ - البويب نهر كان بالعراق موضع الكوفة او مما يلي الكوفة اليوم يأخذ من الفرات وقد جرت الوقعة المسماة باسمه بين المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وبين الفرس بقيادة مهران الهمداني والذي أثار هذه الوقعة هو هزيمة المسلمين في معركة الجسر على الفرات قبلها ان طمع الفرس بعدها في اخراج المسلمين من كل العراق بينما رغب المسلمون في الثأر للشهداء الذين قضوا فيها وهم نخبة جيشهم وكانت في رمضان سنة ١٣ هـ الموافق سنة ٦٣٤ م بعد وفاة الخليفة ابي بكر بأشهر قليلة<sup>(١)</sup>.
- ٢ - البويب نهر بالعراق في موضوع الكوفة عند دار الرزق يأخذ من الفرات كانت عنده واقعة بين المسلمين والفرس في أيام ابي بكر وكان مجراه الى دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق أيام المدود ولبزيدوا به الجوف تحصيناً وقد كانوا قد فعلوا ذلك حتى كانت السفن البحرية ترفأ اليه.
- ٣ - كان البويب مغيضاً للفرات ايام المدود، ازمان فارس، يصب فيه الجوف.
- ٤ - معركة البويب تسمى معركة النخيلة ايضاً والبويب كان مغيضاً<sup>(٤)</sup> للفرات يخرج منه قبيل موضع الكوفة فيصب ايام الفيضان في الجوف<sup>(٥)</sup> ونحسبه كانه لحماية اراضي المطاط التي كانت من املاك كسرى من الفيضان.<sup>(٦)</sup>

### الموقف العام

احدثت معركة الجسر<sup>(١)</sup> في جنوب غرب العراق التي خسرها المسلمون هزة عنيفة فقد اضاعت جميع المكاسب التي حققها خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني في قاطع العراق وجعلت الفرس في موضع القوة واصبح المسلمون في موقف الضعف.

(١) الموسوعة العسكرية ص ٢٢٢.

(٢) الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة - عبد الحميد حسين.

(٣) الطبري ١/٤/١٩٨٧، ١/٤/٢١٩٩.

(٤) مغيضاً: قناة تصريف.

(٥) معجم البلدان ٢/٣١٠ - والطبري.

(٦) الطريق الى المدائن ص ٤٢٦ - أحمد عادل كمال.

(١) كان يطلق عليها المروحة ايضاً، القس، قس الناطف والقرقس وقد حدثت بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣ هـ الموافق ٢٢ تشرين اول ٦٣٤ م.

تراجعت القوات الاسلامية بغير نظام بعد معركة الجسر بعد ان خسروا اربعة آلاف شهيد وعاد الفان منهم الى الجزيرة العربية وبقي ثلاثة آلاف مقاتل فقط قادهم المثنى بعد استشهاد القائد الأصلي ابو عبيد الثقفي والمعين من قبل الخليفة عمر.

ارسل المثنى رسالة الى الخليفة تخبره الخبر بما حدث وان الفتح اصبح مستحيلاً الا بإرسال تعزيزات جديدة، كما ان الفرس متهيئون للانقضاض على ما تبقى من القوة الاسلامية ولذا فهو مضطر للتخلي عن الأراضي المفتوحة وحشد قواته في (مرج السباخ) وراء نهر الفرات.

أرسل الخليفة رسالة الى المثنى يوافقها فيها على الخطة ويعدده بالتعزيزات وارسل في القبائل يستحثهم لقتال الفرس وقد استطاع الخليفة ان يحشد حوالي خمسة آلاف مقاتل<sup>(٢)</sup> من قبائل بجيلة<sup>(٣)</sup> بقيادة جرير بن عبدالله، حنظلة من تميم بقيادة شيبث بن ربعي، عمرو من تميم بقيادة ربعي بن عامر، الرباب بقيادة هلال بن علفه التميمي، وكنانه بقيادة غالب بن عبدالله اللثي، الأزد بقيادة عرفجة بن هرثمة، بني ضبة بقيادة عصمة بن عبدالله الضبي، بني جشم بقيادة ابن المثنى الجشمي، عبد القيس من بني بكر بن وائل بقيادة قرط بن جماح، طيء بقيادة عدي بن حاتم الطائي وخثعم بقيادة عبدالله بن ذي السهمين<sup>(٤)</sup> أما في الجانب الفارسي فقد كانت معركة الجسر اول انتصار للفرس وقد فرحوا بهذا النصر فرحاً عظيماً واكتفوا به مؤقتاً ولم يطاردوا المسلمين الذين تراجعوا، الى الصحراء قاعدتهم الأمنية، ولكن عندما سمع رستم قائد الجيش الفارسي بتحشد القوات الاسلامية دخل على بوران ملكة الفرس واستأذنها في تسيير جيش لقتال المسلمين فوافقت وارسلت جيشاً معظمه من الفرسان بقيادة (مهران الهمداني) وطلبت منه التماس بسرعة مع القوات الاسلامية.

## موقف المسلمين

في شهر رمضان لسنة ١٣ هـ الموافق تشرين الثاني ٦٣٤ ميلادية بدأت التعزيزات التي ارسلها الخليفة عمر بالوصول واخذ يستعد للمعركة القادمة وبينما هو بمرج السباخ<sup>(١)</sup> وصلته اخبار حركة الجيش الفارسي متحركة الى الحيرة وكان بها بشير بن الخصاصة. تحرك المثنى

(٢) اربعة آلاف حسب قول احمد عادل كمال في الطريق الى المدائن ص ٤٢٦.

(٣) وافق الخليفة على إعطاء بجيلة ولبن اجتمع معهم ربع خمس الغنائم تحببياً لهم بقتال الفرس واسترضاء لهم لانهم كانوا حديثي العهد بالاسلام ولم يرغبوا بالقتال ضد الفرس بل احبوا القتال في الشام ضد الروم. (انظر الطبري ٢١٨٢/٤/١).

(٤) الطبري ج ٤ ص ٧٥، البلاذري ٢٥٢، الكامل ج ٢ ص ٢٩٩

(١) بين القادسية وخفان وتقع جنوب غرب الرحبة في خارطة العراق الحديثة.

على الفور بمن معه من القوات ودخل فرات بادقلى ومن ثم الى البويب وكتب الى قادته المرؤوسين ان يوافوه هناك وحدد لهم محاور التقدم<sup>(٢)</sup> وقد اصبحت البويب منطقة حشد لقوات المسلمين على الجانب الغربي من نهر الفرات.

نظّم المثني قواته بعد ان وصلت جميعها في موضع يقال له شوميا على شاطئ البويب الشرقي وقد جعل على الطلائع النسير بن ديسم العجلي وعلى الفرسان<sup>(٣)</sup> اخاه المعنى بن حارثة وعلى المشاة<sup>(٤)</sup> اخاه مسعود بن حارثة وعلى الأجنحة بشير بن الخصاصية وبسر بن ابي رهم والاحتياط<sup>(٥)</sup> بقيادة مذعور بن عدي وامرهم بالانفطار لأن الوقت كان شهر رمضان حتى يتقوا في القتال ضد الفرس.

### موقف الفرس

تحركت القوات الفارسية بقيادة مهران الهمذاني<sup>(٦)</sup> لمحاذاة نهر الفرات ونزلت مكاناً يدعى بسوسيا على الجانب الشرقي لنهر الفرات مقابل البويب ونظّم مهران قواته بحيث جعل على يمينته ابن ازابه (مرزبان الحيرة) وعلى يسارته مردانشاه وقاد هو القلب وجعل على الخيل شهر بازار وارسل الى المثني اما ان تعبروا الينا او نعبد اليكم فقال له المثني بل اعبروا الينا حتى لا يكرر الخطأ الذي وقع به ابو عبيد الثقفي في معركة الجسر. عبر الفرس نهر الفرات من نفس موضعهم فنزل بجذاء المسلمين على شاطئ البويب في رقعة تسمى شوميا<sup>(١)</sup> ووضع جيشه في ثلاثة صفوف ومع كل صف فيل وامامه المشاة<sup>(٢)</sup>.

### قوات الطرفين

١ - قوات المسلمين، بلغت قوات المسلمين في هذه المعركة ثمانية آلاف مقاتل منهم ثلاثة آلاف من بني شيبان وخمسة آلاف من القبائل الأخرى منهم القان من بجيله وسبعمائة من كنانة والأزد والباقي من القبائل الأخرى التي عزز بها الخليفة قوات العراق وجميعهم

(٢) المخطوط رقم ٢٤ - محاور التقدم ومنطقة الحشد في البويب.

(٣) الفرسان : المجرده.

(٤) المشاة : الرجل.

(٥) الاحتياط : الردء.

(٦) كان أبوه والياً على اليمن من قبل فارس وكان عليماً باللغة العربية وعادات العرب.

(١) منطقة تسمى الملطاط مما يلي دير الأعرور (الملطاط على شاطئ البويب) وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط - انظر معجم البلدان.

(٢) الفتح الاسلامي - عبد الحميد حسين.

تحت قيادة المثنى بن حارثة الشيباني. (٣)

٢ - القوات الفارسية: لم تذكر المراجع التاريخية عدد قوات الفرس ما عدا اللواء الركن شاكر محمود رامز في كتابه تحرير القادسية ص ٢٤٠ اذ ذكر ان عدد الفرس بلغ مائة وعشرين الف مقاتل ولم يذكر من اين حصل على هذا الرقم واطنه قدره تقديراً. (٤)

## طبيعة ارض المعركة

البويب ضاحية من ضواحي الكوفة ولم تكن الكوفة قد بنيت حتى هذا الوقت وكان البويب قناة تصريف لنهر الفرات يخزج منه قبل موضع الكوفة الحالي فيصب ايام الفيضان في الجوف ويعتقد ان هذه القناة وجدت لحماية اراضي الملطاط من الفيضان وهي اراضي تعود لكسرى. يعتقد بان البويب كان شبه جاف في هذا الوقت من السنة وهو الخريف وقد يمكن ان يحتوي على الماء ولكنه ليس مانع امام القوات. كانت الأرض خلف قوات المسلمين مفتوحة وتسمح بالحركة وارتكز جناحهم الأيسر على نهر الفرات وجناحهم الأيمن على البويب، اما الفرس فقد كانت اجنحتهم كاجنحة المسلمين واما المنطقة فتضيق كلما اتجهنا شمالاً ولا يوجد مجال للتراجع الا من خلال الجسر الذي عبروا عليه الى الضفة الغربية من نهر الفرات او من خلال البويب نفسه.

## سير العمليات القتالية (١)

نظّم المسلمون جيشهم بالنخيلة او البويب واصطفت القوات الفارسية مقابلهم ووقف المثنى يخطب في جيشه ويحفزهم على القتال، وقال لهم إني مكبرٌ ثلاثاً فاستعدوا وفي الرابعة ابدأوا الهجوم، غير ان الفرس عاجلهم بالهجوم مع اول تكبيرة وكانت الفيلة في الأمام وقد استطاع الفرس ان يندفعوا باتجاه المسلمين من جهة نهر بني سليم (٢) وقد اصطف المسلمون خلف النهر.

اشتبكت الصفوف الأمامية بشدة وقد احدث الفرس ثغرة في صفوف بني عجل فارسل المثنى رسولا اليهم يقول (لا تفضحوا المسلمين اليوم واعتدلوا) فثار بهم الحماس واندفعوا

(٣) المخطط رقم ٣٥ - ترتيب قطعات الطرفين في البويب.

(٤) سمي البعض هذه المعركة بمعركة الاعشار لان كل مسلم قتل عشرًا من الفارس اي ان الفرس خسروا ثمانين الف مقاتل ويعتقد ان المؤلف اعتمد هذا والله أعلم.

(١) المخطط رقم ٣٦ - سير العمليات القتالية في البويب.

(٢) نهر بني سليم غير موجود على الخريطة ولعله كان موجوداً زمن المؤرخ الطبري.

لاغلاق الثغرة، فلما طال القتال وكانت الأجنحة ثابتة للطرفين رأى المثنى ان المعركة لن تسير لصالح المسلمين لتفوقهم العددي لذا قام بهجوم قوي على قلب الفرس واستطاع ان يفتح فجوة في قلب الجيش الفارسي بعد ان استشهد عدد من قادة المسلمين ومنهم مسعود بن حارثة الشيباني وجريز بن عبدالله والمنذر بن حسان وغيرهم كما قتل قائد الفرسان الفارسي شهربراز وهو من دهاقين الفرس.

استمر القتال واصبحت الرؤية محدودة جداً لكثرة الغبار واستطاع المسلمون ان يخترقوا الجيش الفارسي ويقسموه الى قسمين فانفصلت الميسرة عن اليمين وبدأ المسلمون بعملية المروحة بالضغط على الأجنحة باتجاه الخارج مما رفع من معنويات اليمين وميسرة المسلمين وبدأوا بالضغط على الأجنحة وبعدها اخذت القوات الفارسية بالتراجع دون نظام باتجاه الجسر.

اسرع المثنى ومعه مجموعة من الرجال فقطع الجسر الذي سيعبر عليه الفرس وبذلك قطعوا خط الرجعة على الجيش الفارسي فتفرقوا يميناً ويساراً يبحثون عن مهرب ولحقت بهم خيالة المسلمين تطارد فلولهم حتى المساء ومن ثم الغد التالي حتى المساء حتى ابادوهم وما كانت من العرب والعجم موقعة كانت ابقى رمةً منها. يروي سيق<sup>(١)</sup> عن ابي روق قال (والله إنا كنا لنأتي البويب فترى موضع السكون وبني سليم عظاماً بيضاً تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم يعتبر بها، وحدثني بعض من شهدها انهم كانوا يحزرونها مائة ألف وما عُفي عليها حتى دفنها أدفان البيوت.<sup>(٢)</sup>)

أمر المثنى ان يعقد لقواته الجسر وطلب ان يطارد فلول الفرس وأمر ان يتبعوهم حتى السيب فتبعتهم خيل المسلمين من بجيلة حتى وصلوا ساباط. سُمِّي هذا اليوم بيوم الأعشار حيث احصى مائة مسلم بان كل واحد منهم قتل عشرة من الفرس كما قتل القائد الفارسي (مهران) وقد اختلفت الروايات فيمن قتله اهو جريز بن عبدالله البجلي او المنذر بن حسان الضبي او غلام تغلبي.<sup>(٣)</sup>

انتهت معركة الثأر ضد الفرس وخسروا فيها ما لا يقل عن ثمانين ألفاً حسب ما ورد في معظم الروايات ورغم ان هذا الرقم قد يكون مبالغاً فيه الا ان الرواية التي نقول ان كل مسلم قتل عشرة وعلى اعتبار ان عدد المسلمين ثمانية آلاف فيكون هذا قريباً الى الصحيح، اما خسائر المسلمين فلم تذكر.

(١) الطبري ٧٤/٤ (عن الطريق الى المدائن لأحمد عادل كمال).

(٢) ربما كان المعنى أنها دفنت تحت ما أقيم من بيوت.

(٣) يروي الطبري ٧٤/٤ ان جريز والمنذر اشتركا في قتله واختلفا في سلّبه، (أما فتوح البلدان ٦٢٠ ان الحصن بن معبد

بن زرارة بن عدس التميمي كان ممن قتله).

دخل المسلمون معركة البويب بمعنويات منخفضة إذ ان نصف الجيش كان ممن اشترك بمعركة الجسر التي هزتهم هزة معنوية كبيرة، كما ان قبيلة بجيلة تشكل ربع الجيش وكانت هذه القبيلة متفرقة في الجزيرة العربية بعد ان ارتدت عن الاسلام ولذلك فالدوافع لدى معظم الجيش موجودة لغسل عار قديم فالقوات التي اشتركت في الجسر يريدون ان يمحوا آثار الهزيمة والخليفة عمر برّر لهم الآية الكريمة (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله) فقال لمن فرّ من معركة الجسر (انكم انحزتم الى عمر) إذن لا يستطيعون ان يهزموا مرة اخرى فيما الشهادة او النصر حتى ان احد المسلمين الذين شهدوا الجسر كان يتقدم المسلمين تحفزاً للتأثر والاستشهاد فعنفه ووبّخه المثني وأعادته الى الصفوف. (١) أما قبيلة بجيلة فقد أرادت رد اعتبار الردة لأنها كانت وصمة عار حتى ان ابا بكر رفض اشراكهم في الجهاد واما عمر فاضطر الى ذلك لأنه بحاجة الى الجنود فطلب من جرير ان يجمع بجيلة لقتال الفرس، في الجانب الآخر كانت معنويات الفرس عالية إذ انتصروا في معركة الجسر واستهانوا بالمسلمين في البويب ودليل ذلك ان مهران عندما استشار المسلمين (أتعبروا اليانا ام نعبر إليكم) قال المسلمون اعبروا فلم يترددوا رغم المخاطرة في العبور. وهم الذين بدأوا الهجوم على المسلمين. انقلبت الموازين بعد بدء المعركة مباشرة حيث استمات المسلمون في الدفاع عن مواقعهم واستبسّلوا في طلب الاستشهاد فغلبت القلة على الكثرة بفضل التصميم والروح المعنوية التي بدأت ترتفع شيئاً فشيئاً ومعنويات الفرس التي بدأت تنخفض شيئاً فشيئاً حيث انهارت كلياً بعد قطع الجسر حتى ان قسماً كبيراً منهم رمى نفسه بالنهر فمات غرقاً. اعادت هذه المعركة الروح العالية التي بدأ بها المسلمون قتالهم ضد الفرس مع خالد بن الوليد وكان تأثير هذه المعركة سيئاً على الفرس لأن عددهم كان كبيراً جداً مقارنة بجيش المسلمين فأصابهم الاحباط وقرروا في المعركة التالية ان يخوضوا معركة فاصلة ضد المسلمين بكل قواهم وكانت معركة القادسية. لقد كانت خطبة المثني بعد المعركة مثلاً للروح المعنوية الخبيرة المتمرسمة بقتال الفرس حيث قال (قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا اشد علي من الف من العرب، ولمائة اليوم من العرب اشد علي من الف من العجم،

(١) كان المثني يمر بصفوف المسلمين وقد اصلافت كصفوف الصلاة فأبصر برجل يستوفز ويستنتل من الصف فقال: «ما بال هذا» قالوا: «هو ممن فرّ من الزحف يوم الجسر وهو يريد ان يستقتل» فقرعه المثني بالرمح وقال «إلزم موقفك فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل» قال: إني بذلك لجدير، ثم استقر ولزم الصف (يستوفز ويستنتل: يستعد ويتقدم).

ان الله اذهب مصدوقتهم، ووَهَن كيدهم فلا يروعنكم زهاء<sup>(١)</sup> ترونه ولا سواد<sup>(٢)</sup> ولا قسي<sup>(٣)</sup> فجُ ولا نبال طوال، فإنهم اذا اعجلوا عنها او فقدوها كالبهائم اينما وجهتموها اتجهت.

## ٢ - التعرض

لقد اشتملت خطط الطرفين على التعرض فكلاهما كان يريد تحقيق النصر فالمسلمون يرغبون بمحو آثار هزيمة قوية والفرس يريدون تعزيز نصر مؤزر وإنهاء حرب وليس معركة. لقد كان تفكير المسلمين البدء بالتعرض فقد اراد القائد ان يطلق الرصاصه الأولى وهي التكبير في صدر الاسلام وكانت ثلاثاً ويبدأ الهجوم بالرابعة ولكننا نجد ان التعرض الفارسي لم يمهل المسلمين إكمال التكبير فهاجموهم بعد التكبير الأولى، لذا نجد ان الروح التعرضية مفعمة لدى الطرفين والكل متحفز ومستعد للقتال، والكل رتب قواته لتحقيق النصر، لقد فشل التعرض الاسلامي على الجناح الأيمن بقيادة مسعود بن حارثة الشيباني واستشهد قائد المجموعة ولكن المثني لم يعزّز الفشل بل فتح جبهة جديدة في قلب الفرس وتوغل وفتح ثغرة وحقق النجاح ومن ثم عزّزه حتى استطاع ان يحقق النصر.

## ٣ - الشؤون الادارية

لم نجد لدى الطرفين اية مشكلة من حيث الامداد او الطعام او علف الحيوانات او الماء واعتقد ان السبب في ذلك هو وفرة المواد في المنطقة حيث انها خصيبة وأرض زراعية والماء متوفر بها بكثرة، اما المعسكرات الخلفية فلها اهمية خاصة وتحتاج الى حماية وتموين ايضاً وقد كان للمسلمين معسكراته احدهما بالقادسية وبها عائلات القادمين الجدد من المدينة والمعسكر الآخر بالحيرة لعائلات المسلمين القدماء في العراق، وقد اصاب المسلمون من تموين الفرس غنماً ودقيقاً وبقراً فبعثوا بها الى المعسكرات الخلفية بالحيرة والقادسية. وقد ارسل المسلمون هذا التموين الى المعسكرات مع قائد الطلائع (النسير) فلما اقتربوا من المعسكر ورأى النسوة الخيل مقبلة حسبها غارة فارسية فتصايحن وقمن لها بالحجارة والعمد وقد اقام النسير حامية للمعسكر لحماية النساء.<sup>(١)</sup>

## ٤ - استثمار الفوز

امر المثني بتعقيب القوات الفارسية التي تمكنت من عبور النهر فتعقبوهم حتى

(١) زهاء : منظر.

(٢) سواد : كثرة.

(٣) القوس الفجاء : التي بعد وترها عن كبدها.

(١) الطبري ٧٦/٤.



السيب<sup>(٢)</sup> وقد أخذ المثنى يستحثهم على ذلك<sup>(٣)</sup> وأمر بربط الجسر فاندفع المسلمون من مقاتلي معركة الجسر وبجيلة وقد بلغت القوات التي قامت بالمطاردة ستة آلاف فأصابوا من السبي البقر والغنم وقتلوا كثيراً من القوات الفارسية. نلاحظ ان المثنى حدّد مجال الاستثمار ضمن جوانب نهر الفرات ولم يسمح بالمطاردة العميقة التي قام بهما فيما بعد تجميع قواته بعد ان اعاد تنظيمها وتوازنها فوصل ساباط، وسبب ذلك انه لو سمح بالمطاردة العميقة لتفرّق الجيش الاسلامي الصغير العدد في بلاد السواد والعاقبة غير مأمونة فقد تكون القوات الفارسية قد جهزت جيشاً آخر لقتال المسلمين واما المسلمون فعددهم قليل ولا يسمح بهذه المطاردة العميقة الا اذا كانت القوة متوازنة، اما الاستثمار فهو مطلوب لإنهاء كل المقاومة التي يبديها العدو حتى لا يعيد تنظيم قواته ويقاوم مرة اخرى كما فعل المسلمون في معركة الجسر ان لو طارت القوات الفارسية قوات المسلمين لما أعادوا تنظيم أنفسهم بهذه السرعة وعادوا للقتال مرة اخرى.

٥ - درس مستفاد

كانت معركة الجسر درساً كبيراً للمسلمين خسروا بسببه الكثير فهل يقع المسلمون في نفس الخطأ ويعبروا الى العدو، وهل يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين. ليس من الخطأ ان نخسر الجيش معركة ولكن الخطأ ان لا يأخذ من الخسارة درساً وعبرة. لقد كانت ظروف وحركة البويب مشابهة تماماً لمعركة الجسر مع تغير النتائج، إذ استفاد المسلمون من دروس معركة الجسر ولم يستفد منها الفرس فوضعوا انفسهم في موضع صعب ضيق المهرب وكانت نتائج المعركة افضل بكثير لصالح المسلمين من معركة الجسر لصالح الفرس لقد خسر المسلمون في الجسر أربعة آلاف اي ما نسبته ٤٠٪ من قوة الجيش تقريباً وخسر الفرس في البويب كل القوة بأكملها تقريباً، لقد عاد المسلمون وقاتلوا الفرس في نفس العام بعد أن أعادوا تنظيم قواتهم، واستطاع المسلمون بعد معركة البويب ان يستولوا على السواد بأكملها بين دجلة والفرات رغم انهم لم يتجرأوا قبل هذه المعركة ان يجتازوا الفرات بالاضافة الى تواصي الخليفة بعدم فعل ذلك.

٦ - اختيار الأرض

حشد الفرس قواتهم شرق الفرات قبل وصول حشد المسلمين ولكن المثنى عندما وصل منطقة البويب اختار الأرض المناسبة للقتال فهو خير بأرض الصحراء وبسواد العراق ومن ملاحظتنا لأرض المعركة نجد ان القائد اختار ارضاً فيها اجنحة محمية حتى لا يؤتى من قبلها وأما مؤخرة الجيش فكانت مفتوحة تماماً حتى لا يسمح لجيشه ان يقع محصوراً بين ايدي

(٢) السيب: الكوره في خرائط العراق الحديث وهي من سواد الكوفة.

(٣) قال «أين المتبسل بالأمس واصحابه، انتدبوا في آثار القوم الى السيب وابلغوا من عدوكم ما تغيطونهم به، فهو خير لكم واعظم أجراً واستغفروا الله، ان الله غفور رحيم».

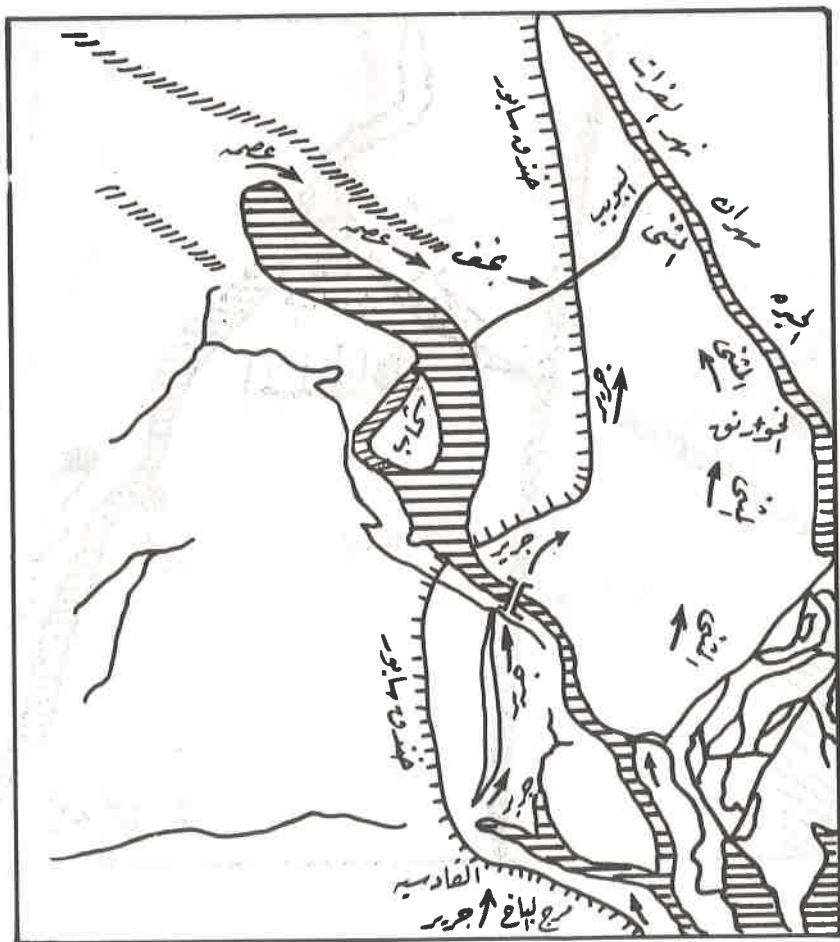
قوات العدو وحتى يلجأ الى الصحراء حصنه الحصين اذا اضطر الى ذلك، أما مواقع عدوه فقد لاحظناها عكس ذلك منطقة ضيقة محصورة لجيش كبير، مؤخرته معرضة ولا مجال للتراجع الا من خلال جسر واهن استطاع المسلمون ان يقطعوه ويحرموا العدو من الانسحاب من خلاله.

#### ٧ - القيادة المحنكة

يقود المثنى في هذه المعركة القوات الاسلامية في العراق للمرة الثالثة وقد شهد له جميع الرواة بصفات القيادة الحقّة ونحن معنيون بهذه المعركة فقط فقد كان المثنى جريحاً جرحاً بالغاً اصابه في معركة الجسر ولكننا نجده في مواقف عديدة مثال القائد الذي يحتذى به فنراه يتقدم الصفوف ويرتب الجيش ويحفزهم وكان أشدهم حماساً ويقول لهم «اني لأرجو ان لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم» والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء الا وهو يسرني لعامتكم». وعندما بدأت المعركة وتراجعت احدى قبائل بني عجل فاعوّج صف المسلمين فأرسل لهم «ان الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم» لقد كان يعالج الأمور النفسية لجيشه معالجة حكيمة وهو يفهم نفسية العربي ومقدار اعتزازه بشجاعته وكرامته وعندما أبلغوه باستشهاد أخيه مسعود والمعركة دائرة لم يجزع ولم يتأثر وقال «يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا» أما الشهيد فيقول وهو يصارع الموت «ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعي». وأخيراً نجد كيف يعالج المثنى جراحات المسلمين ممن شهدوا معركة الجسر فيطلب منهم ان يطاردوا قلول العدو، وكأن اليوم اشبه بالبارحة فيندفع هؤلاء بكل ثقة وحزم للقضاء على كل فارسي حضر المعركة.

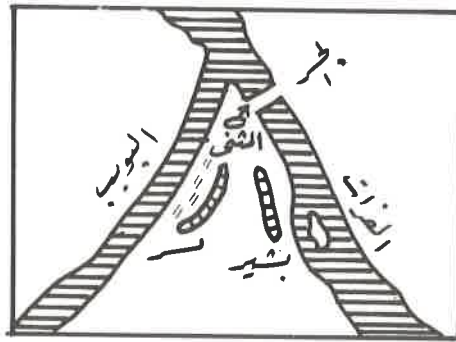
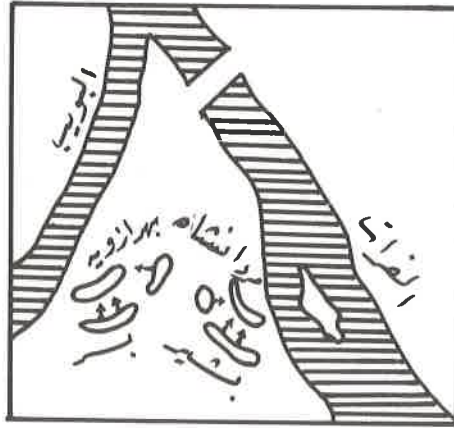
#### ٨ - القوات المحاصرة

استطاعت قوة من الفرس ان تعبر الجسر بعد هزيمتهم في المعركة وقد تنبّه المثنى الى ذلك فاندفع ومعه قوة من الفرسان فقطعوا الجسر ولم يجد الفرس ملاذاً الا القتال او عبور النهر وقد صمدت قوة فارسية واستبسلت في الدفاع عن نفسها وأبادت قوة إسلامية كان يقودها عرفجة بن هرثمة وبقيت هذه القوة تقاتل حتى ابديدت بأكملها وقد أدرك المثنى هذا الخطأ في وقت لاحق وقال للمسلمين «لقد عجزت عجزه وقى الله شرها بمسابقتي اياهم الى الجسر وقطعه حتى اخرجتهم فاني غير عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلّة ولا ينبغي احراج العدو الا من لا يقوى على امتناع» من المعروف ان القوات المعادية قد تستبسل للدفاع عن نفسها إذا لم تجد مخرجاً للانسحاب وهذا قد يؤخر تنفيذ المهمة ويزيد من الخسائر، اما اذا سمح للعدو ان ينهزم فقد يكون من الأسهل تدميره في دور استثمار الفوز او المطاردة، لذا فإن الحصار قد يكون كارثة للقوات المحاصرة.



خريطة رقم ٣٤  
محور التقدم ومنطقة الحشد في البويب





خريطة رقم ٢٦  
سیر العمليات القتالية في معركة البويب

## معركة القادسية

### الموقف العام

بعد معركة البويب انسحبت القوات الفارسية من السواد كله مما فتح المجال أمام المثنى ان يستثمر نجاحه المؤزر فدفن بقواته لفتح المناطق الواقعة بين دجلة والفرات وقد سقطت جميع المواقع دون مقاومة تذكر حتى وصلت قوات المثنى شرقاً الى سباط<sup>(١)</sup> وشمالاً الى تكريت وضاف نهر دجلة وغرباً الى صفين والجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات.

أزعجت هذه الحركات قادة الفرس الذين كانت الخلافات تعصف بهم خاصة بين الفيرزان ورستم وقد اتفقوا على البحث عن ملك من العائلة الساسانية لتوليته الحكم<sup>(٢)</sup> فوجدوا (يزدجرد) فسلموه الملك<sup>(٣)</sup>، وما أن استلم الحكم حتى ارسل القوات إلى انحاء العراق المختلفة لطرد العرب منها فأرسل ارتالاً إلى الأبله والحيرة والأنبار وطلب من السكان المحليين ان يثوروا ضد المسلمين.

أحس المثنى بالخطر الداهم خاصة وان قواته قليلة قياساً بالتحشدات الفارسية وثورة السكان وان انتشار قواته في مناطق واسعة سييسهل إبادتها وسيخسر الأرض والقوات والزمان ايضاً لأنه لن يستطيع تعويق القوات الفارسية بالقدر الكافي حتى تصله امدادات الخليفة من المدينة.

كتب المثنى الى الخيفة عمر بالوضع القائم وطلب منه تعزيزات قوية لأنه سيخوض معركة فاصلة وقرّر التخلي عن الأرض في سبيل المحافظة على القوات وبدأ بانسحاب اعاقه حتى وصل خلف الفرات في مكان يدعى ذي قار<sup>(٤)</sup>.

حيث جعلها المثنى قاعدة لعملياته ووضع الحاميات في الجبل<sup>(١)</sup> وشراف<sup>(٢)</sup> كقوات ساترة للجيش، ارسل الخليفة عمر كتاباً يؤيد فيها خطة المثنى<sup>(٣)</sup> وكان الخليفة قد أعلن النفير العام في

(١) من ضواحي المدائن - عاصمة الفرس.

(٢) كانت تحكم فارس في هذا الوقت بوران ابنة كسرى.

(٣) يزدجرد بن شهريار كسرى وأمه بادوزيا وقد غيبتة أمه في اضطخر عند أخواله خوفاً من القتل الذي انتشر في بلاط فارس في أواخر حكمهم، وقد كان عمره ٢١ سنة.

(٤) الكامل ج ٢ ص ٢٠٤، ذي قار ماء لبكر بن وائل يتوسط الكوفة وأوسط وحدثت بها معركة ذي قار المشهورة بين العرب والفرس وانتصر بها العرب على العجم، حيث قال عنها الرسول (اليوم انتصرت العرب من العجم).

(١) الجبل: مكان بالبادية على طريق جادة القادسية الى ذبالة تبعد ١٦ ميلاً عن القرعا.

(٢) شراف: تقع بين واقصة والقرعا - سيراف في مروج المذهب ص ٢٢٠.

(٣) رسالة عمر: (أما بعد فأخرجوا من بين النهري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة أحدًا ولا مضر ولا حلفائهم أحدًا من أهل النجدات ولا فارساً الا جليتموه، فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه، احملا العرب على الجسر إذ جد العجم قتلوا جدكم بجدكم) وأمرهم بالانتظار حتى يصلهم أمره.

الجزيرة العربية وبدأ الجند يتوافدون الى المدينة من كل صَوْب في الجزيرة العربية ووقف عمر فيهم خطيباً وطلب منهم تلبية الجهاد (فقالوا له سر، وسر بنا معك) (٤).

خرج الخليفة يقود الجند في الأول من شهر محرم في السنة الرابعة عشرة للهجرة ونزل بصرار (٥) وهناك اشار عليه المسلمون ان يؤمر أحداً غيره على الجيش لأن الأمة الاسلامية بحاجة له لقيادة الأمة وليس لقيادة جيش من جيوشها وقد استجاب الخليفة لأهل المشورة واتفق الرأي على تعيين سعد بن ابي وقاص قائداً لجيش العراق (٦) وقد سرَّحه عمر لحرب العراق وكان عدد جنده الذين سار بهم من المدينة اربعة آلاف وأوصاه الخليفة ان يتوقف في الطريق لاستقبال التعزيزات وقد اوصاه (٧) واستعرض الجند ثم تحرك سعد حسب التعليمات التي رسمها له الخليفة حتى وصل زرود (٨) وقد تحرك منها الى اشراف وقد وصلتته تعليمات جديدة من الخليفة حيث اجتمعت له التعزيزات ووصله خبر نعي المثنى بن حارثة الشيباني قائد جيش العراق الذي توفي متأثراً بجراحة وفي زرود استلم سعد كتاباً من الخليفة ينبهه فيها إلى جنوب العراق ويحذره منه (١) فأرسل سعد المغيرة بن شعبه في خمسمائة فارس الى العراق الجنوبي ليؤمن جناحه الأيمن.

عندما وصل سعد اشراف وجد جيش المثنى بانتظاره ومعهم وصية المثنى المشهورة (٢) الى

(٤) الطبري ج ٤ ٨٢.

(٥) صرار: ماء قرب المدينة المنورة.

(٦) هو سعد بن مالك بن وهيب بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يلتقي مع الرسول بالجد الخامس وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية القريشية من كبار صحابة رسول الله وكان يكنى (الأسد عادياً).

(٧) وصية الخليفة الى سعد (يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل، لا يمحو السوء بالسوء، فإن الله ليس بينه وبين أحد نَسَب الاطاعته، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي منذ بعثه الى ان فارقتنا فالزمه، فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، ان تركتها، ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين) - الطبري ج ٤ ص ٨٤. انظر مرجعنا هذا ص ٧٩.

(٨) مكان بين المدينة والكوفة ويبعد ٥٠ كم عن الكوفة، والزرود هو البلوع ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحجاج من الكوفة.

(١) (ابعث إلى مرج الهند (الابلة البصرة) رجلاً ترضاه يكون بحiale ويكون رداءك من شيء ان اتاك من التخوم).  
(٢) وصية المثنى (لا تقا تل الفرس في عقرد ارمهم وان تقا تلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم فأن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وأن يكن الأخرى فأووا الى فئة، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكزة عليهم).

قائد الجيش الجديد التي اورد فيها خلاصة تجارب حروبه ضد الفرس. بدأ المثني بتنظيم جيشه حسب تعليمات الخليفة فجعل لكل عشرة رجال عريفاً وسلّم الرايات لرجال مشهورين وقسّم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب ومشاة وخيالة وعين مسؤولاً للقضاء وقاصّ ومترجم يجيد اللغة الفارسية وكاتباً<sup>(٣)</sup> ثم توجّه الى منطقة الحشد وهي القادسية<sup>(٤)</sup> بعد ان جمع كل ما لديه من قوة بما فيهم قوة المغيرة بن شعبه.

لقد كان حشد القوة الفارسية اكبر مما تصوّره المسلمون فقد حشدوا مائة وعشرين الف مقاتل بقيادة رستم قائد الجيش الفارسي وقد تحركت هذه القوة الهائلة من المدائن الى القادسية وعلى مقدمتها ٤٠,٠٠٠ مقاتل وكوكبتها (الجسم الرئيسي) ٦٠,٠٠٠ مقاتل ومؤخرة بقوة ٢٠,٠٠٠ مقاتل وكان رستم قد أرسل الجواسيس والعيون أمامه لتجلب له المعلومات عن تقدم الجيش الاسلامي.

### موقف المسلمين

اجتمعت جميع القوات لسعد في شراف ومنها تحرك بالقوات على تعبئة الى القرعاء (٢٢ ميلاً) ومنها الى المغيثة (٤٧ ميلاً) ومن المغيثة الى القادسية (٣٦ ميلاً) وبين القادسية والمغيثة تقع عذيب الهجانات وجميعها بها ماء.

عندما وصل سعد القادسية<sup>(١)</sup> بث عيونه ليستطلع اخبار الجيش الفارسي كما ارسل المفازل للاغارة على المناطق المجاورة لارهابهم لأنهم ثاروا ونقضوا المعاهدة بينهم وبين المسلمين. نظم سعد جيشه اثناء المسير كما يلي:

- ١ - المقدمة: زهرة بن الحوية
- ٢ - الميمنة: عبدالله بن المعتم
- ٣ - الميسرة: شرحبيل بن الصمت
- ٤ - الطلائع: سواد بن مالك التميمي

(٣) ابن الاثير ٢/١٧٤، والطبري ج ٣ ص ٦.

(٤) جاء في كتاب الخليفة عمر الى سعد (إن القادسية باب فارس في الجاهلية وانها مجمع الأبواب وهي منزل رغب خصيب دونه قناطر وانهار ممتنعة وطلب اليه ان تكون معسكراته (مسالحه) وتفرقها على المياه بين الحجر والمدن.

(٥) المخطوط رقم ٣٧ - منطقة الحشد في القادسية.

(١) القادسية: مكان بين العذيب وعذيب الهجانات - انظر المخطوط رقم ٣٧ والحقيقة ان سعد نزل قديس (قادس) وارسل مفرزه بقيادة زهرة بن الحوية الى قنطرة العتيق (موضع القادسية اليوم) كما أرسل عيوناً الى الحيرة لأن الفرس ارسلوا اليها حاكماً بعد ثورة الاهالي على المسلمين بما فيهم العرب من سكان الحيرة وهم من المناذرة وملكهم (النعمان بن المنذر).



٥ - المؤخرة: عاصم بن عمرو التميمي

٦ - الخيل: سلمان بن ربيعة الباهلي

٧ - المشاة: حمال بن مالك الأسدي وقيل حماد

٨ - عين للقضاء عبد الله بن ربيعة الباهلي والكاتب زياد بن أبيه وبعث الخليفة عمر الاطباء<sup>(٣)</sup>.

أرسل سعد بناء على تعليمات الخليفة وفوداً الى كسرى لاجراء المفاوضات وكذلك وفوداً الى رستم بالشروط المعروفة وقد فشلت المفاوضات بين الطرفين واستعد الفريقان للقتال. خلال المفاوضات كانت الدوريات والمفارز نشطة في جمع المعلومات عن العدو وكذلك جمع المؤن لامداد الجيش وقد ارسل رستم قوات قوية فيما بعد لمنع هذه المفارز والدوريات من العمل.

كان سعد بن ابي وقاص مريضاً فأقعه ذلك عن مباشرة قيادة الجيش وعين خالد بن عرفطه مندوباً له تبليغ الأوامر ان كان يصدر الأوامر من شرفة قصره في قادس<sup>(٤)</sup> شغب بعض الناس على خالد فكتب لهم سعد كتاباً ينييه بذلك<sup>(٥)</sup> ووقف سعد خطيباً في المسلمين يحثهم ويحرضهم على القتال ثم ارسل خطباء الناس وذوي النجدة فيهم الى الجند ليشجعوهم على القتال.

## الموقف الفارسي

تحرك الجيش الفارسي من المدائن واجتمع في برس من ارض بابل<sup>(١)</sup> وتقع حالياً بين الحلة والكفل على مسافة ١٣ كم عن الحلة ومن ثم تقدم الجيش الى الحيرة ثم الى السيلمين حيث استقر الجيش يتهيأ للمعركة ولطاوله المسلمين للتقدم او الانسحاب وعندما فشل رستم في زحزحة الجيش الاسلامي<sup>(٢)</sup> تقدم بجيشه الى ظيرن اباد<sup>(٣)</sup> وكان مقر قيادة رستم في النجف<sup>(٤)</sup>

(٣) الطبري ج ٤ ص ٨٨.

(٥) اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطه وليس بمعنى ان اكون مكانه إلا وجعي الذي يعورني وما بي من الجنون، فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد، فاسمعوا له واطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأىي).

(٤) حصن عذيب حسب رواية مروج الذهب للمسعودي ص ٣٢٢.

(١) الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين ويسمى المكان النمرود حالياً - (القادسية لشاكر محمود رامز - الاجتماع كان في ساباط نقلاً عن الطبري ٩٨/٤ والكامل ج ٣١٢/٢ والبلاذري ٢٥٧).

(٢) كانت الأوامر واضحة لسعد ان يتحشد في القادسية ولا يتحرك منها إلا بأمر اضف الى ذلك ان منطقة حشد المسلمين مناسبة من حيث طبيعة الأرض.

(٣) حصن شمال شرق القادسية بينهما مسافة ميل واحد.

(٤) المقصود مشرفة النجف حيث ان مدينة النجف الحالية لم تكن موجودة.

وقد نظم الجيش الفارسي اثناء المسير على النحو التالي:

- ١ - القوة الامامية: بقيادة الجالينوس / بين النجف والمسيحين
- ٢ - الجسم الرئيسي: بقيادة رستم / في النجف.
- ٣ - اليمنة: بقيادة الفيرزان.
- ٤ - الميسرة: بقيادة مهران الرازي.
- ٥ - المؤخرة: بقيادة البرزان.
- ٦ - الخيل (المجرده): بقيادة كناري.
- ٧ - المشاة (الرجالة): زاد بن بهيش صاحب فرات سرّبا.

كان رستم هو القائد العام للجيش الفارسية ومهران قائّد الجيش المباشر<sup>(٥)</sup> وعيّن جالينوس على الجناح الايمن والفيرزان على الجناح الايسر واستطلع رستم منطقة المعركة بشكل جيد ونظم قواته بحيث وضع ١٨ فيلاً لاسناد القلب و ١٥ فيلاً لاسناد الأجنحة وكانت الفيلة ذات اهمية وتأثير مثل الدبابات في عصرنا الحاضر بل اشد من ذلك لأن وسائل التأثير عليها كانت قليلة ولا يمكن تدميرها الا بفرق انتحارية.

### طبيعة ارض المعركة. (١)

(القادسية باب فارس في الجاهلية وانها مجمع الأبواب وهي منزل رغب خصيب دونه قناطر وانهار ممتنعة)<sup>(٢)</sup>.

تقع القادسية بين الخندق والعتيق وأن ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين فأما احدهما فعلى شاطيء نهر يدعى الحوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وأن ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم)<sup>(٣)</sup>.

تقع القادسية بين العذيب شرقاً وعلى بعد اربعة اميال وعذيب الهجانات غرباً على بعد عشرة الى أحد عشر ميلاً في منطقة تلؤل أبو عبيد حالياً جنوب غرب الرحبة الحالية<sup>(٤)</sup> أما المسافة

(٥) مهران المذكور غير القائد الفارسي في معركة البويب حيث قتل في تلك المعركة.

(١) المخطط رقم ٣٨ - طبيعة ارض المعركة في القادسية.

(٢) رسالة الخليفة عمر الى سعد.

(٣) وصف سعد بن ابي وقاص للقادسية في رسالة الى الخليفة عمر.

(٤) الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين.

بين القادسية والحيرة فكانت ثمانية أميال وبينها وبين الكوفة ١٤ ميلاً. يحف بالقادسية من الشرق خور من الفرات يدعى ترعة الحوض ويحيط بها من الغرب خندق سابور وهو اذ ذاك غدير وكان يحمي ميمنة المسلمين مستنقع كبير.<sup>(٥)</sup>

من دراستنا لطبيعة الأرض نجد ان اختيار المسلمين للمنطقة كان ملائماً لأن الأجنحة كانت محمية ومنطقة الانفتاح واسعة لجميع القوات ومجال المناورة مفتوح بعكس ما تيسر للقوات الفارسية.

## قوات الطرفين

### ١ - قوات المسلمين.

اختلف الرواة في عدد قوات المسلمين ولكن تاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي كانا قريبين بتقدير القوة حيث ان حجم القوة حسب تقدير الطبري خمسة وثلاثون ألفاً وحجمها حسب تقدير المسعودي ثمانية وثلاثون ألفاً<sup>(١)</sup> أما تفصيلات القوة حسب القبائل فكانت كما يلي:<sup>(٢)</sup>

أ - القوة التي سارت مع سعد من المدينة: ٤٠٠٠.

ب - يمانيون ومنهم زبيد ويقودهم عمرو بن معدي كرب: ٢٠٠٠.

ج - نجديون من غطفان وسائر قيس: ٢٠٠٠.

د - قبائل تميم والرباب: ٧٠٠٠.

هـ - ربي: ١٠٠٠.

و - بجيله بقيادة جرير بن عبدالله: ٢٠٠٠.

ز - قضاة يقودهم عمرو بن وبره، وطيء يقودهم عدي بن حاتم: ٢٠٠٠.

ح - كنده يقودهم الاشعث بن قيس: ١٧٠٠.

ط - أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي: ٣٠٠٠.

ي - قوات المثني وهم من ربيعة ومضر وشيبان: ٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠.

ك - قوات الشام بقيادة هاشم بن عتبة (تعزيرات): ٦٠٠٠.

ل - مجموع القوات ما عدا التعزيرات: ٣٢٧٠٠ - ٣٤٧٠٠.

(٥) الطبري ج ٤ ص ٢٢٢٣.

(١) مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ص ٣٢٠ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٨٧ وص ١٠٢ عن القادسية للواء الركن شاذان محمود رامز.

اتفقت معظم الروايات على ان عدد قوات الفرس في القادسية بلغ مائة وعشرين الفاً ما عدا المسعودي فذكر ان عددهم كان ستون الفاً.

### سير العمليات القتالية

اصطف الجيشان للقتال<sup>(١)</sup> في شهر محرم من السنة الرابعة للهجرة<sup>(٢)</sup> وقد خطب سعد فيهم يدعوهم ويحسسهم للجهاد في سبيل الله كما خطب رؤساء القبائل وقادة الجند أمثال عاصم بن عمرو، وقيس بن هبيرة، والهديل الأسدي، وربيع بن البلاد السعدي، وربيعي بن عامر وغيرهم وبالمقابل وقف الفرس يدعون جنودهم لقتال المسلمين وقد ربطوا ثلاثين الف جندي بالسلاسل ليصمدوا امام هجوم المسلمين. جرت المعركة في اربعة ايام متتالية وهي:

#### ١ - اليوم الأول - يوم ارمات<sup>(٣)</sup>

كان هذا هو يوم الاثنين من شهر محرم لسنة ١٤ هـ (١٥ هـ) وكانت المفاوضات قد توقفت وكان الفرس قد امضوا ليلة الاثنين يطمرون ويسكرون النهر العتيق بالتراب والقصب والبرادع ليعبروا تجاه المسلمين ولم يكملوا عملية العبور الا بعد ظهر يوم الاثنين وكانت صفوف المسلمين مستعدة على طول حائط دير قديس والخندق وكانت ترتيبات الفرس، الخيالة والفيلة امام المشاة ونهر العتيق خلف الجيش اما ترتيبات المسلمين فكانت الخيالة بالامام والمشاة خلفهم والخندق خلف الجيش.

وبدأ القتال كالعادة بالمبارزة وقد فاز بها المسلمون وقُتِل عدد من الجنود الفرس أهمهم القائد هُرْمُز - عندما رأى الفرس ان المبارزة ليست في صالحهم بدأوا بالهجوم العام وكانت التركيز على جبهة قبيلة بجيلة حيث هاجمهم ثلاثة عشر فيلاً فاضطرت الخيل للهرب لفزعها وعدم تعودها رؤية مناظر الفيلة وانكشفت المشاة لفيلة الفرس وقد تهدد موقف المسلمين فأرسل القائد سعد الى بني اسد ليسندوا قبيلة بجيلة وكان زعيمهم طليحة بن خويلد الأسدي<sup>(١)</sup> ومعه

(١) المخطوط رقم ٣٩ - تهيؤ الجيشين للقتال في القادسية.

(٢) اختلف الرواة في تحديد السنة، ذكر الواقدي انها في سنة ستة عشر، ومحمد ابن اسحاق في سنة خمسة عشر والمسعودي في سنة اربعة عشر ولكل منهم دليله واثباته في ذلك.

(٣) انظر المخطوط رقم ٤٠ - القتال يوم ارمات. (الرمث هو الالتحام او الاشتباك وهي ايضاً اسم لنبات يخرج في البادية).

(١) خطب سعد عشيرته قائلاً (يا عشيرتاه لو علم سعد ان أحق باغاثه هؤلاء منكم استغاثهم، ابتدؤهم بالشدة وأقدموا إقدام اللبث الحزبة، فانما سميتم أسداً لتفعلوا فعله، شدوا ولا تصدوا وكروا ولا تفرقوا، شدوا عليهم بإسم الله.

حمال بن مالك وغالب بن عبد الله والربيل بن عمرو وباشروا بقتال الفيلة حتى اوقفوها عن بجيلة وكذلك فعلت قبيلة كنده وبجيلة - عندما رأى ذو الحاجب قائد ميمنة الفرس فعل القبائل العربية الثلاث امر بالهجوم على ميسرة المسلمين التي فيها القبائل الثلاث وكذلك بدأ الهجوم على الميمنة فتراجعت الخيل مرة اخرى واحتجمت عن القتال مما اضطر كثير من الفرسان ان يقاتلوا راجلين وقد اصبح موضع المسلمين حرجاً وسعد يراقب القتال من شرفة قصره فأمر قبيلة تميم ان تهاجم الفيلة<sup>(٢)</sup> فقام عاصم بن عمرو التميمي بانتداب مجموعة من الرماة ليرموا على الرجال الذين يركبون الفيلة وأمر جماعة اخرى ان تستدير الفيلة وتقطع أذناها وسيور الصناديق التي يركب بها الرجال على ظهور الفيلة ونجحت خطة عاصم وقد وقعت معظم الصناديق التي تحملها الفيلة فقتل المسلمون الرجال التي بها وأخذت الفيلة بالانسحاب لأنها اصبحت بدون قيادة، ونجح الهجوم المعاكس الاسلامي وعادت صفوف القوات الاسلامية الى مواضعها الأصلية بعد ان استمر القتال حتى الثلث الأول من الليل.

كان القتال في هذا اليوم ميالاً لصالح الفرس وهم الذين بادروا الهجوم واستطاعوا إجلاء الجناح الايسر ومن ثم باقي القوة عن مواضعها، اما بالنسبة للخسائر فقد كانت خسائر بني اسد حوالي خمسمائة شهيد اما باقي القبائل فكانت خسائرها اقل، اما خسائر الفرس فقد كانت كبيرة ايضاً.

## ٢ - اليوم الثاني - يوم أغواث<sup>(١)</sup>

بدأ هذا اليوم بهدنة غير معلنة حيث تم جمع الشهداء والقتلى والجرحى من الطرفين وقد دفن الفرس قتلاهم في أرض المعركة أما المسلمون فأرجعوا شهداءهم وجرحاهم الى العذيب حيث معسكر النساء وتم دفن الشهداء هناك. وصلت طليعة التعزيزات بقيادة القعقاع بن عمرو<sup>(٢)</sup> الذي قسّم جنده الى مفارز وكل ما طلعت مفرزة استبشر المسلمون وارتفعت معنوياتهم وبدأ القتال بالمبارزة وقد قتل من الفرس سبعة منهم ثلاثة من خيرة قادتهم<sup>(٣)</sup> واستشهد من

(٢) كانت منازل تميم قريبة من أرض فارس ولهم علمٌ بالفيلة.

(١) المخطط رقم ٤١ - القتال يوم أغواث. سمي هذا اليوم بيوم اغواث حيث وصل المسلمون غوث من الشام حيث اصدر الخليفة عمر اوامره بارسال الجند الذين كانوا في العراق مع خالد بن الوليد لنجدة المسلمين في القادسية فأرسل ابو عبيده ستة آلاف مقاتل بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص منهم خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعهم القعقاع بن عمرو وكان ذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد وصلوا في هذا اليوم فاستبشر المسلمون بالنصر.

(٢) من رجال المسلمين المعدودين، قال فيه أبو بكر (لا يهزم جيش فيه القعقاع).

(٣) قادة الفرس هم ذي الحاجب بهمن جاذويه (قائد الفرس في معركة الجسر) والفيرزان وقد قتلهم القعقاع والبنزوان قتله الحرث بن ظبيان من تميم اللات.

المسلمين رجلاً، عند منتصف النهار التحم الجيشان وكان القعقاع قد برقع عدداً من الابل وطاف بها على الخيل حتى تتعود منظرها فلا تخاف من فيلة الفرس وبنفس الوقت تخيف خيل الفرس.

استفاد القعقاع في هذا اليوم من إبلة المجللة فقد نفرت خيل الفرس من منظرها علماً بأن القعقاع وضع حماية لكل رأس من الابل عشرة من الفرسان حتى لا تصله القوات الفارسية. قاد القعقاع في هذا اليوم ثلاثين حملة ضد الفرس وصل في بعضها قريباً من مقر قيادة رستم واستطاع ان يقتل احد قادة الفرس وهو بزرجمهر الهمداني.

أمر رستم بالقيام بهجوم مقابل ضد المسلمين عندما رأى شدة هجومهم وخشي ان تؤدي هذه الهجمات الى خسارة المعركة فقامت قوة كبيرة من خيالة الفرس بالهجوم المعاكس على خيالة المسلمين مما اضطر المسلمين الى تخفيف شدة زخم الهجوم والتوقف وقد كان الليل قد انتصف مما اضطر الجيشين الى التراجع لمواضعهما الأصلية، كان لأبي محجن الثقفي<sup>(١)</sup> شجاعة فردية بارزة في هذا اليوم، أما نتائج قتال هذا اليوم فكانت خسائر المسلمين الفتي قتيل وجريح<sup>(٢)</sup> وخسائر الفرس كبيرة ولم تحصى، وقد وصلت من الخليفة في هذا اليوم هدايا للمبرزين في القتال تكريماً لهم.<sup>(٣)</sup>

### ٣ - اليوم الثالث - يوم عماس<sup>(٤)</sup>

انتهى اليوم الثاني ولم تصل باقي التعزيزات بقيادة هاشم بن عتبة حيث وصلت فقط الطليعة بقيادة القعقاع ومعه ألف مقاتل ولكن القعقاع استفاد من ظلام الليل فسحب قوته التي جاءت معه من الشام ودفعهم الى مسافة بعيدة عن منطقة المعركة وأمرهم بأن يعززوا المسلمين مائة مائة مع طلوع الفجر حتى يرفع من همم المسلمين ويثبط عزائم الفرس وقد كان المسلمون بحاجة لهذا بعد قتال يومين متتاليين<sup>(٥)</sup> جرى في صباح هذا اليوم اخلاء الشهداء ودفنهم وكذلك

(١) كان أبو محجن الثقفي محبوباً في قصر القادسية لشعره في الخمرة وعندما سمع الرجال يتناخون بأبائهم أخذ ينشد متحمساً للقتال فسمعت سلمى زوجة سعد ففكت قيده على ان يعود له بعد القتال فنزل يقاتل ركباً فرس سعد المسماة البلقاء وكان له فعلاً مشهوداً فاحترار المسلمون في أمره وبعد وقف القتال عاد الى قيده وقد اخبرت سلمى سعداً بالأمر فأمر بفك قيده وتسريحه للقتال (لمزيد من التفاصيل راجع مروج الذهب ص ٢٢٢).

(٢) ورد هذا الرقم في كتاب الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين، اما المسعودي في مروج الذهب فذكر الفين وخمسائة بين رثيث (جريح) وميت.

(٣) وصلت اربعة اسياف واربعة افراس وقد وزع سعد الاسياف على جمال بن مالك والربيل بن عمرو وطليحة بن خويلد الأسدي وكلهم من بني أسد وعاصم بن عمرو أما الأفراس فوزعها على القعقاع بن عمرو التميمي واليربوعيين وكلهم من تميم ورابع لم يعرف اسمه.

(٤) المخطط رقم ٤٢ - القتال يوم عماس (عماس تعني الحرب والشدة).

(٥) قيل أسد عاصم بن عمرو قام بنفس العمل كما فعل القعقاع وهذا غير مثبت تاريخياً.

الجرحي الى المنطقة الادارية في عذيب الهجانات حيث كانت النساء تداوي الجرحى، وكذلك فعل الفرس بقتلهم وجرحاهم.

ابتدأت المعركة هذا اليوم وكل طرف يريد حسم المعركة لصالحه وقد كانت فيلة الفرس جاهزة هذا اليوم حيث انها لم تستخدم في اليوم السابق بسبب وقوع الصناديق في يوم أرمات وقد أصلحها الفرس في اليوم الثاني وها هي اليوم تفعل فعلها كالأيوم الأول بل أشد تأثيراً على المسلمين.

وجّه الفرس فيلتهم الى قلب المسلمين وقد كانت محمية هذا اليوم بالمشاة وكان يقود الفيلة فيلان ضخمان احدهما أبيض والآخر أجرب واستطاعا ان يفتحا ثغرة في قلب الجيش الاسلامي وقد كان سعد يراقب الموقف فدعا المسلمين الذين أسلموا من فارس وسألهم في كيفية معالجتها<sup>(١)</sup> فأشاروا عليه بقطع مشاخرها وعيونها فأصدر سعد اوامره الى القعقاع وأخيه عاصم بمعالجة الفيل الأبيض وكذلك الى حمال والربيل بمعالجة الفيل الأجرب واستطاع هؤلاء ان يقتلا الفيل الأبيض ويصيبا عيني الفيل الأجرب الذي بدأ يتخبط بين صفوف الجيش الفارسي والاسلامي دون هدي وقد تبعته باقي الفيلة خارج ارض المعركة وبذلك تخلص المسلمون من عنصر مؤثر في المعركة وبدأوا بهجوم محدود ضد الفرس تسندهم الخيالة ووصل بعضهم الى العتيق الا ان الفرس قاتلوا بعناد ودافعوا عن مواقعهم واستمر القتال بين الطرفين حتى الهزيع الأخير من الليل، وكان لا يسمع الا غمغمة الرجال فسميت هذه الليلة ليلة الهرير<sup>(٢)</sup> وكانت من أشد ليالي القتال على الطرفين حتى كنت لا تسمع إلا صليل السيوف.<sup>(٣)</sup>

لاحظ سعد وجود مخاضة اسفل معسكر المسلمين وخشي ان يستغلها الفرس ويلتفوا على جناح القوة الاسلامية فأرسل طليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معدي كرب ليستطلعها وكان الظلام قد حل فذهبا ولم يجدا أحداً من الفرس، فرغب عمرو وطليحة ان يجتازا المخاضة واختلفا في الطريقة فاجتاز عمرو ولم يجد أحداً من الفرس فعاد الى موضع المخاضة اما طليحة فخرج من خلف الفرس وكبّر ثلاثاً فارتبك الفرس وظنوا انه قد أحيط بهم خاصة وان سعداً ارسل سرية اخرى بقيادة قيس بن المكشوح<sup>(٤)</sup> ومعه سبعين مقاتلاً خلف طليحة وعمرو وعندما لم يجدهما اجتازا المخاضة واشتبكا مع الفرس في الوقت الذي كان فيه طليحة يكبر خلف

(١) يقال ان الذين اشاروا على سَعْدِهم سلمان، وصخم، وإسلمة، ورافع وعشيق.

(٢) كانت القوات التي ارسلها القعقاع في الخلف تصل تباعاً فترتفع معنويات المسلمين كما اورد اللواء الركن شاكمحمد رامن ان قوة هاشم بن عتبة قد وصلت صباح يوم عماس، بينما يفهم من المسعودي في مروج الذهب ان قوة الشام قد وصلت جميعها صبيحة يوم اغواث.

(٣) كان صوت السيوف كأصوات القيون (الصفافير).

(٤) من مقاتلي الشام الذين حضروا مع هاشم بن عتبة.

الجيش الفارسي . استمر القتال طوال الليل ولم يتوقف حتى الصباح الباكر من اليوم الرابع وقد كان للقعقاع بطولات فردية نادرة ايضاً في هذا اليوم حتى ان سعد سمعه يرتجز الشعر في الصباح بعد هذا القتال الشديد وينادي بأعلى صوته (ان الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر).

#### ٤ - اليوم الرابع - يوم القادسية (١)

بدأ المسلمون هذا اليوم بهجوم صاعق على كل الجبهات والفرس يتبنون الخطة الدفاعية ليومهم الثاني وقد انكشف جناح الفرس وكانا بقيادة الهرمزان والنيرمران (٢) فتأخرا ومن ثم ثبتا، وانفرج قلب الفرس وبدأت القوات الاسلامية بالضغط على القلب الفارسي وكان القعقاع يقود هذه القوة، وقد هبت ريح عاصفة قوية فقطعت طيارة (٣) رستم عن سريره فهوت في نهر العتيق وقد مال الغبار الى الفرس فاستظل رستم ببغلة كانت تحمل مالاً لهم، وانتهى القعقاع وقوته الى سرير رستم فعثروا به ولم يجدوا رستم وقد رآه هلال بن علقمة فضربه فجزع ورمى رستم بنفسه في النهر فاقحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين ارجل البغال وصعد السرير ونادى بكلمته المشهورة (قتلت رستم ورب الكعبة) عندما سمع الفرس بهذا الخبر اختل نظامهم وارتبكت القيادة الفارسية وبدأت بالانسحاب نحو القنطرة التي بنوها اثناء العبور وقد تدافعت جموعهم حيث انهارت اطرافها فغرق قسم منهم في النهر، قام الجالينوس بسحب قواته من الجناح الأيمن الى القنطرة ليحمي انسحاب باقي القوات الفارسية عند عبورها نهر العتيق وبعد عبور القوات الفارسية خربوا القنطرة ليمنعوا المسلمين من مطاردتهم، أما القوات التي كانت مربوطة بالسلاسل وعددها ثلاثون ألفاً فقد حثوا على الركب وقرع بين أيديهم قناديل النشاب فقتل القوم جميعاً (١) انسحبت القوات الفارسية بدون نظام بعد ان فقدوا اكثر قادتهم ويقال انهم انسحبوا بمجموعات كبيرة في ثلاث اتجاهات (٢) وقد امر القائد سعد باستثمار الفوز بعد ان تم تطهير ارض المعركة فانتدب القعقاع بقوته لمطاردة الرتل الفارسي الأيمن حتى الخوار وانتدب زهرة بن الحوية (٣) لمطاردة الرتل الأوسط وكان يقودها الجالينوس وتلاقى الجانبان واستطاع

(١) المخطط رقم ٤٣ - قتال يوم القادسية في معركة القادسية.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ص ٢٢٧.

(٣) الطيارة : المرصد.

(١) مروج الذهب للمسعودي ص ٢٢٧.

(٢) الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين.

(٣) ذكر البلاذري انه خالد بن عرفطة، اما خالد بن عرفطة فقد ذكر عنه انه جمع الاسلاب من ارض المعركة.



ان يقتل زهرة بن الحوية الجالينوس بالمبارزة وتشتت القوة الفارسية ووصلت هذه القوة الاسلامية حتى السحليين والنجف. وانتدب شرحبيل لمطاردة الرتل الأيسر ووصل أيضاً الى الخوار.<sup>(٤)</sup>

انتهت معركة القادسية الفاصلة وكانت ايذاناً بزوال حكم بني ساسان وقد غنم المسلمون في هذه المعركة الكثير حتى بلغ نصيب الفارس ٦٠٠٠ درهم والراجل ٢٠٠٠ درهم ووقعت راية الفرس المشهورة<sup>(٥)</sup> بيد ضرار بن الخطاب.

لم أجد في أية رواية بيان خسائر الطرفين بدقة ولكن خسائر المسلمين ذكر انها بلغت ٥٠٠ شهيد من بني اسد في اليوم الأول ولم تذكر خسائر القبائل الأخرى وفي اليوم الثاني بلغت الخسائر في معظم الروايات من ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ شهيد، اما في اليومين الثالث والرابع<sup>(٦)</sup> فبلغ عدد الشهداء ٦٠٠٠ شهيد فيكون مجموع شهداء المسلمين ٨٥٠٠ - ٩٠٠٠ وذكر في بعض الروايات انها كانت ٧٥٠٠ شهيد، اما خسائر الجيش الفارسي فلم تحدد وقد قيل انه أبيد للفارس بضع وثلاثون كتيبة فاذا كان حجم الكتيبة الواحدة يتراوح بين ٥٠٠ - ١٠٠٠<sup>(١)</sup> فتكون خسائر الجيش الفارسي يزيد عن ١٥ الف قتيل على أسوأ تقدير ولكن ذكرت كثير من الروايات ان رجال السلاسل وعددهم ثلاثين الفا قد قتلوا جميعهم فيكون مجموع القتلى اكبر من ذلك وهذا تقدير معقول لأن المسلمين لم يواجهوا اية مقاومة حينما واصلوا تقدمهم الى المدائن، دلالة على ان قسماً كبيراً من الجيش قد ابيد والقسم الآخر تفرق في الحاميات الفارسية.

## المباديء والدروس المستفادة

### ١ - الحشد

أحد مباديء الحرب الرئيسية لم يغفل عنه الطرفان في الجانبين المادي والمعنوي، فالمسلمون اعلنوا النفير العام في الجزيرة العربية وفي العراق وبلاد الشام وقد تجمعت للمسلمين اكبر قوة لهم في صدر الاسلام ولم يجتمع لهم مثل هذا العدد في معركة اليرموك الفاصلة فقد بلغت القوة الاسلامية حوالي اربعين الف مقاتل من الجزيرة والعراق وبلاد الشام ومعظمهم لديه خبرة قتالية عالية خاصة جيش المثنى وجيش هاشم بن عتبة، اما الحشد المعنوي فقد كان الأهم فكم رجل يعد بألف رجل مثل القعقاع معنوياته عاليه ولا يبالي ببذل روحه رخيصة في

(٤) الخسارة: في الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين.

(٥) كانت مصنوعة من جلد النمر وتسمى درمش كابان وقد عوّض عنها ضراراً بثلاثين الف درهم.

(٦) لم يجمع الشهداء في اليوم الثالث بسبب استمرار القتال ليلاً نهاراً.

(١) ذكرنا في تنظيم الجيش الفارسي ان الكتيبة تساوي ١٠٠٠ مقاتل.

سبيل الله، وآلاف الرجال مربوطون بالسلاسل لا يساون رجلاً واحداً، معنوياتهم منهارة ومصيرهم الهلاك.

رَكَّز سعد على هذا الجانب المهم فوقف يخطب جنده لأن المسلمين كانوا يهابون قتال الفرس في الجاهلية لشدة بأسهم في القتال وقوة تسليحهم وكذلك فعل باقي القادة فَعَلَ سعد .

لقد كان الحشد الفارسي متناسباً مع حجم الدولة الفارسية فقد بلغ حشدهم ١٢٠,٠٠٠ مقاتل مدججين بأفضل الأسلحة في ذلك العصر وأكثرهم مدرب تدريباً جيداً فقد كانت الدولة الفارسية تحتفظ بجيش نظامي مدرب لأنها كانت في قراع دائم مع خصومها خصوصاً الامبراطورية الرومانية لقد كان من بين ال ١٢٠,٠٠٠ مقاتل خمسة عشر ألف شريف متبوع وكان يسند هذه القوة ثلاثة وثلاثون فيلاً وكل فيل عبارة عن حصن مدرع متحرك يجلس الرماة على ظهره يقاتلون بأمان واما الفيل فكان مثال الرعب لخييل المسلمين ولشاتهم، لم يهمل الفرس الحشد المعنوي أيضاً فقد خطبوا جنودهم وذكرهم بالعرب زمن الجاهلية وأنهم يدافعون الآن عن شرف الامبراطورية الفارسية.

## ٢ - المعنويات

لا نستطيع القول ان معنويات المسلمين كانت اعلى من معنويات الفرس قبل بدء القتال لأنه كما ذكرت بان المسلمين كانوا يكرهون لقاء الفرس ولهذا فإن الخليفة عمر أنفل قبيلة بجيلة ربيع خمس الغنائم تحبباً له بقتال الفرس بدلاً من الروم، اما اذا ناقشنا العوامل المعنوية المؤثرة فنجد ان المسلم كان يقاتل للحصول على احدى الحسنين اما الشهادة وإما النصر واضعاً نصب عينيه في كلتا الحالتين إعلاء كلمة الله وحيث ان المجال لا يتسع لشرح المناظرات التي دارت بين رسل المسلمين ويزدجرد امبراطور الفرس من جهة ورستم القائد الفارسي من جهة اخرى ولكن باختصار نقول ان المسلمين كانت معنوياتهم وانفتحت وكبرياؤهم الاسلامية كانت تأنف الذل والضيم وكانوا يحبون الموت على الحياة اما قادة المسلمين فلم يهملوا هذه الناحية فقد خطب سعد في الجند<sup>(١)</sup> وأرسل خطباء الناس وذوو النجدة ليشجعوهم على القتال فخطب عاصم بن عمرو التميمي<sup>(١)</sup> وخطب قيس بن هبيرة قومه<sup>(٢)</sup> وكذلك فعل الهذيل

(١) خطبة سعد: (ان الله هو الحق لا شريك له في الملك، قال جل ثناؤه (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) ان هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فانتم تطعمون منها، وتاكلون منها، وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم الى هذا اليوم بما نال من اصحاب الايام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وانتم وجوه العرب واعيانهم، وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة، جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب أحدكم ذلك إلى اجله، ان تغفلوا او تنهوا وتضعفوا تذهب ربكم وتبوقوا آخرتكم).

(١) خطبة عاصم بن عمرو: (يا معشر العرب انكم اعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان العجم وانما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكون احد احوط منكم على آخرتكم ولا تحدثوا اليوم امرأ تكونون به شيناً على العرب غداً).

(٢) خطبة قيس بن هبيرة: (أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له، وأبلاكم، يزيدكم، وانكروا آلاء الله وأرغبوا اليه في عاداته، فإن الجنة او الغنيمة امامكم وأنه ليس وراء هذا القصر الا العراء والأرض والقفر والضراب الخشن والقنوات التي لا تقطعها الأدلة.

الأسدي<sup>(٣)</sup> وربيع بن البلاد السعدي<sup>(٤)</sup> وربيع بن عامر<sup>(٥)</sup> وقام الخطباء المسلمون جميعهم يستحثون الناس على القتال ويهيجونهم للحرب وقد كان لهؤلاء الخطباء وغيرهم من القادة أمثال القعقاع وابو محجن الثقفي دور رئيسي في رفع المعنويات ببطولاتهم الفردية وقيادتهم للرجال وأساليب رفع المعنويات كالجند الذين أرسلهم القعقاع الى الخلف وحضروا صباح اليوم الثالث كتعزيزات، اما هدايا الخليفة عمر من الاسياف والأفراس فهي مثل أوسمة الشجاعة في هذه الأيام، ولا ننسى دور القائد سعد فهو (الأسد عادياً) ولكن ظروف مرضه حالت دون اشراكه المباشر بالقتال ولكن قيادته تكفي ان ترفع من معنويات المسلمين، اما الفرس فكانت معنوياتهم مرتفعة ايضاً ويعود ذلك الى عدة عوامل منها الحشد الكبير المتفوق على المسلمين عدداً وعدة بنسبة تزيد عن ثلاثة الى واحد، القبيلة العظيمة التي يسوقونها معهم وكانوا يعرفون تأثيرها في المسلمين وفي خيالهم خاصة في معركة الجسر، نظرتهم الى العرب عن ترفع وعلو منهم يعرفون العرب في الجاهلية وقسم من القبائل العربية لا تزال تابعة لهم رغم ان العرب انتصروا عليهم في معركتين مهمتين ذي قار في الجاهلية والبويب في الاسلام، وحدة القيادة الفارسية تحت يزدجرد رمسير اشراف وأمراء الفرس امام الجند للقتال، وأخيراً ثورة السكان المحليين ضد المسلمين عززت من معنويات الفرس وقوت من شوكتهم. لم تستمر معنويات الفرس عالية ولكنها بدأت بالانخفاض شيئاً فشيئاً حتى انتهت بخذلانهم في هذه المعركة لأن المسلمين عرفوا كيف يديمون معنويات جنودهم والفرس قد فشلوا في ذلك، فالقتل بدأ في قادتهم أثناء المباراة، ولم يتخيلوا شجاعة وتصميم المقاتل المسلم، فانهار تصميمهم كما انهارت معنوياتهم.

### ٣ - التعرض.

من البديهي أن نتصور ان الروح التعرضية متوفرة لدى المسلمين لأبسط الأسباب وهو ان المسلمين يقومون بدور الهجوم بينما تقوم القوة الفارسية بدور الدفاع عن الأراضي التي تحتلها، اضعف الى ذلك ان حشد المسلمين من كل ارجاء الدولة الاسلامية والسرعة التي تم بها هذا الحشد، حتى ان قائد القوة كان يستقبل المقاتلين اثناء المسير للقتال ولم ينتظر حتى يوافوه

(٣) خطبة الهذيل الاسدي (يا معشر معد اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليها كالأسود الأجم، وتريدوا لهم ما تريدوا النمر، وادرعوا العجاج وثقوا بالله، وغضوا الأبصار، فاذا كُتلت السيوف فانها مأمورة فأرسلوا عليهم الجنادل فإنها يؤذن لها ما لا يؤذن للحديد فيه).

(٤) خطبة ربيع بن البلاد السعدي (يا معشر العرب قاتلوا للدين والدنيا، وسارعوا الى عطفة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. وإن عظم الشيطان عليكم الأمر فأذكروا الأختار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل).

(٥) خطبة ربيع بن عامر (ان الله قد هداكم للاسلام وجمعكم به، وأمركم الزيادة في الصبر الراحة، فعودوا انفسكم الصبر تقادوه، ولا تعودوا انفسكم الجزع فتعادوه).

الى مركز الحشد في المدينة ومن ثم اختياره<sup>(١)</sup> لأرض المعركة والحركة اليها واحتلالها قبل الفرس اعطاه ميزات اضافية على الفرس ساعدت في رفع الروح التعرضية لدى المسلمين، عندما بدأت المفاوضات بين الطرفين وجدنا ان المبعوثين كانوا يتكلمون بثقة بالغة وكان الواحد منهم يتكلم وكأنه الخليفة عمر لأن المسلمين كالجسد الواحد وقد لاحظ الامبراطور الفارسي ذلك رغم فكرته السيئة عن العرب<sup>(٢)</sup> وكذلك قائده رستم وعندما بدأت المعركة تعرض المسلمون بكل قواتهم وأداموا هذه الروح حتى حققوا النصر.

كانت لدى الفرس غاية واحدة وهي التخلص من هؤلاء المسلمين بأية طريقة وكانوا يفضلون عدم القتال وإعطاء المسلمين ما أرادوا من مال وهبات وأرض ولذا أطلالوا أمد المفاوضات لعلهم ينجحوا في ذلك إذ حاولوا استمالة عدد من قادة المسلمين ولكنهم فشلوا، عندما تحركوا الى ميدان المعركة خسروا الموقع الذي يساعدهم على ادارة المعركة لتردهم في القتال وعندما بدأت المعركة هاجموا في اليوم الأول ودافعوا في الأيام الباقية ولذلك خسروا المعركة، مما يدلنا على عدم توفر الروح التعرضية لدى الجندي الفارسي ان الجيش الفارسي في القادسية تفرق في البلاد ولم يجتمعوا كقوة الا في معركة جلولاء.<sup>(٣)</sup>

#### ٤ - الهدف

كان هدف المسلمين واضحاً في كل معاركهم وهو رفع راية الاسلام وهذا لا يتحقق الا بثلاث الاسلام او الجزية او القتال وقد حققوه بالاسلوب الثالث لأنهم كانوا يعرفون من هم الفرس ولن يرضخوا للاسلام بهذه السهولة او يدفعوا الجزية لذلك اعدوا قوة كافية لتحقيق هذا الهدف وقد كانت هناك نتائج مباشرة لهذه المعركة ونتائج غير مباشرة<sup>(١)</sup>. كان هدف الفرس التخلص من المسلمين ولم ينجحوا بكل الوسائل التي فكروا بها فقد أشاروا السواد ضد المسلمين لزعزعة معنوياتهم وحاولوا بالمفاوضات وتفتيت الجهد الاسلامي باستمالة بعض القبائل اليهم واکرامهم ولكنهم فشلوا أيضاً ومن ثم حاولوا بالقتال فخذلوا ولم يتحقق الهدف.

(١) الاختيار كان للخليفة عمر لمكان القادسية.

(٢) قال يزيد جرد للوقد الاسلامي المفاوضات (اني لا أعلم ان في الأرض امة كانت اشقى ولا اقل عدداً ولا اسوأ ذات بين منكم، قد كنا نؤكل بكم قذى الضواحي فيكفروا فاكم، لا تغزوكم فارس ولا تطسعو ان تقدموا ليم، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم واکرمننا وجوهكم وكسوناكم وملكننا عليكم ملكاً يرفق بكم.

(٣) جلولاء مكان يبعد ١١٢ ميل شمال المدائن حدثت فيها معركة بين المسلمين بقيادة هاشم بن عتبة والفرس بقيادة مهرازي وقد انتصر فيها المسلمون.

(١) النتائج المباشرة أسلم خمسة آلاف من القوة الفارسية بعد المعركة مباشرة وهؤلاء كانوا من الأكراد ومن ثم أسلمت بلاد فارس بأجمعها فيما بعد - (انظر الفتح الاسلامي لعبد الحميد حسين ص ١٣١).

لا يوجد لدينا دلائل كافية على اهتمام الطرفين بالشؤون الادارية بشكل واضح ولكن سأسوق بعض الأحداث التي تدل على اهتمام الطرفين بذلك.

أرسل المسلمون مفارز من قواتهم قبل بدء المعركة الى المناطق المحيطة لجمع مواد الأمداد من مال وبقر وغنم وخيل لادامة الجيش خلال المعركة وقد علم الفرس بذلك فأرسلوا سرايا من قوتهم لمنع المسلمين من تنفيذ ذلك، اختار المسلمون معسكراً خلفياً (منطقة ادارية) في منطقة العذيب وكان بها معسكر النساء ومواد التموين ومقبرة الشهداء الا من دفن في ارض المعركة ومركز طبي حيث كان الجرحى ينقلون الى هناك وتداويهم النساء<sup>(٢)</sup> وفي نهاية المعركة حرص القائد سعد على توزيع الغنائم على المسلمين وأعطى كل ذي حق حقه لأنه لم يكن يومها رواتب جارية كما هو معروف اليوم وانما كانت الجند تعتمد على الأسلاب والغنائم بشكل أساسي.<sup>(٣)</sup>

أما الفرس فلا اعتقد انهم اغفلوا هذه الناحية وجيشهم عدده مائة وعشرون الفاً حتى ان الاتصالات كانت مؤمنة مع المدائن فقد رتب رستم جنوداً بين بعضهم مسافة الصوت فقط وكان اذا اراد ان يبلغ الامبراطور شيئاً ما يصيح بأعلى صوته فيسمعه الذي خلفه وهكذا حتى يصل الخبر الى الامبراطور يزيدجرد. مما يدلنا على اهتمام الفرس بأموهم الادارية هو ان المؤمن كانت تصلهم من المدائن تبعاً من حادثة رستم<sup>(١)</sup> حيث كانت البغال محملة بالمال والمؤن خلف المقاتلين، كما ان الفرس كانوا يدفنون قتلاهم في ارض المعركة وينقلون جرحاهم الى منطقتهم الادارية التي يعتقد انها كانت في النجف حيث يداوى الجرحى وقد كان الفرس متقدمين في الطب اكثر من العرب.

(٢) يقول المسعودي في مروج الذهب ص ٢٢٦ كان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجنهم من كلومهم وكان بين موضع الوقعة وما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة، فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هناك يومها نخلة غيرها قال لحامله «قد قربت من السواد فأريحوني تحت ظل هذه النخلة فيراح تحتها ساعة).

(٣) رتب الخليفة عمر بيت مال المسلمين وكان يدفع لذوي الشهداء وعائلات المحتاجين من المقاتلين كما رتب ديوان الجند ايضاً الذي احتوى على اعطيات ورواتب الجند النظاميين وكان عمر يرسل النعم والجزر من المدينة الى جيش العراق.

(١) يقول المسعودي في مروج الذهب ص ٢٢٧ (وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها).

كان سعد مريضاً ولم يقدر المعركة بنفسه وقادها من خلال نائبه خالد بن عرفطه وقد حدثت بعض المشاغبات لأن الأوامر لم تكن من سعد مباشرة فغضب سعد لذلك وقرض سيطرته المباشرة فأمر بسجن المشاغبين وخطب في الناس ووضح لهم الأمور وأقنعهم بتقبل الأوامر من خلال خالد ومن ثم أمر بإطلاق سراح السجناء، لاحظنا خلال المعركة سيطرة سعد على المعركة بإصدار أوامر سريعة ومؤثرة والتنفيذ كان اسرع أيضاً، تدعي بعض الروايات التاريخية تجاوزات لبعض القادة المرؤوسين مثل ارجاع القعقاع لجنوده الى الخلف لاظهارهم كتعزيزات وحادثة عمرو وطيحة عندما اجتازا المخاضة، ولنفترض ان هذه الحوادث صحيحة رغم انني اشك في صحتها الا من خلال قائد الجيش الا انها لو حدثت فهي ابداع ذاتي، فالحادثان زادتا المسلمين قوة ومعنوية وأثرت على الجانب الفارسي سلباً ولذلك فالقيادة في الحرب الحديثة يتكون حرية الابداع الذاتي للمرؤوسين على ان لا يخرج هذا الابداع عن الخطة العامة. كانت القيادة الفارسية جازمة أيضاً متمثلة في جانب رستم فقد عرف عنه الحزم والقوة وهو الذي وحد الأمة الفارسية تحت يزدجرد، لقد كانت ادارة حازمة منذ بدأ التقدم فقد كانت اوامره لجالينوس قائد القوة الامامية (ازحف زحفاً ولا تنجذب الا بأمري) اما اوامره لباقي القطعات فكانت جازمة ايضاً وكان هو المسيطر المباشر على ارض المعركة فعندما قتل رستم لاحظنا هزيمة وتفرق الجيش الفارسي مما يدل على وحدة القيادة حيث كان القائد هو عصب المعركة وموته كان يعني في كثير من الأحيان خسارة المعركة بأكملها مثل معركة الجسر، معركة بلاط الشهداء ومعركة القادسية وغيرها.

## ٧ - اختيار الأرض

لم يكن لطبيعة الأرض دور كبير في التأثير على المعركة في الماضي خصوصاً اذا كانت الأرض خالية من الموانع الطبيعية، اما معارك العراق فقد اعطيت الأرض اهمية خاصة لكثرة الموانع المائية في المنطقة والعرب لم يعتادوا عليها في الماضي، ان سوء اختيار ابو عبيد الثقفي سبب خسارة معركة الجسر وحسن اختيار المثني للبيوب سبب الفوز في المعركة وكذلك اختيار الخليفة عمر بالتعاون مع القائد العام سعد بن ابي وقاص لموضع القادسية كان احد اسباب النصر، لقد رأينا الوصف الدقيق للقادسية من قبل عمر ورأينا كذلك وصفها من قبل سعد للخليفة، اذن فإن ارض المعركة كانت مناسبة للمسلمين فأجنتهم محمية ومؤخرة الجيش واسعة والمقدمة ضيقة تتناسب مع الجيش الاسلامي الصغير قياساً بجيش الفرس الكبير التي لم تناسبه الأرض فقد كانت صفوف المسلمين ثلاثة لاتساع الأرض و صفوف الفرس ثلاثة عش لضيقها واعتمادهم الخطة الدفاعية، كما ان مؤخرة الفرس كان يليها نهر العتيق وقد وقع قسم كبير من الفرس في هذا النهر وكانت القنطرة التي بناها الفرس عليه بمثابة عنق الزجاجة القاتل فلم يستطيعوا الانسحاب بحرية تحت ضغط المسلمين مما زاد كثيراً في خسائرهم.

كانت احد اسباب خسائر الفرس للمعركة انهم لم يستطيعوا استغلال قوتهم كلها الضيق الجبهة التي لم تزد عن ٨ - ١٠ كم ولم يستطيعوا استغلال عنصر المرونة لأنهم اضطروا بقبول المعركة جبوهياً أمام المسلمين بسبب طبيعة الأرض المفروضة عليهم.

#### ٨ - الاستخبارات

كانت الاستخبارات مهمة للطرفين فالمعلومات شبه مفقودة بين الطرفين حيث ان القوات التي حشدها الطرفان لم تكن معروفة لأحد سواء من حيث الحجم او التدريب او المكان، ولذلك فإن سعد ارسل مفرزة استطلاعية أمامه الى حصن العذيب فوجد بعض الراصدين من الفرس لمراقبة تحركات المسلمين فشاهدهم المسلمون فانهمزمو وطاردهم وألقوا القبض على احدهم أسيراً وعندما وصلت القوات الاسلامية الى حصن العذيب واصلت مسيرها الى قديس وارسل سعد مفرزه استطلاع الى قنطرة العتيق (موضع القادسية اليوم) كما ارسل رجالاً الى الحيرة لاستطلاع حركات ووضع الجيش الفارسي وتصرف الأهالي حيث كانت الحيرة مع المسلمين وتم عقد معاهدة معهم ولكن الفرس استثاروا الأهالي ضد المسلمين وارسلوا والياً فارسياً على الحيرة. من هذا نستنتج ان الطرفين كانا حريصين على جلب المعلومات حتى لا تباغت قواتهما، لأن كلاً منهما يعتقد ان المعركة القادمة ستكون فاصلة.

#### ٩ - المركزية في القيادة

يأخذ الكثير من المؤرخين على الخليفة عمر تدخله المباشر في سير المعركة إذ كانت وصاياه كثيرة ورسائله اكثر حيث بلغت ما يزيد عن ثمانية رسائل قبل المعركة، ولا يلام الخليفة عمر بهذا رغم عيبهم لمركزيته في القيادة العامة وليس في هذه المعركة فقط أما في هذه المعركة فإن اختيار الخليفة لأرض المعركة وطريق التقدم وتنظيم الجيش.. الخ من التفاصيل الدقيقة كان مرده للأسباب الجوهرية التالية:

أ - المعركة المقبلة معركة فاصلة وإن خسارتها يعني خسارة الجناح الشمالي للدولة الاسلامية وان الفتح سيتوقف في هذا الاتجاه ناهيك عن النتائج الأخرى.

ب- جيش العراق يمثل الجيش الاسلامي فلم يبق في الجزيرة احد الانفر للقتال، وجيش الشام اصبح قوة دفاعية ولا يستطيع مواصلة الفتوح حتى انتهاء هذه المعركة وإن خسارتها ليست خسارة الأرض فقط وإنما خسارة خيار المسلمين ومجاهديهم ولذا فإن الفتوحات الاسلامية ستوقف جميعها بل سيفقد المسلمون العنصر الدفاعي عن مقر الدولة حيث لا يوجد احتياط من الجيش في المدينة او اي مكان غيره في الجزيرة.

ج - ان خسارة المعركة يعتبر التهديد الواضح للدولة الاسلامية فما الذي يمنع الفرس من مواصلة تقدمهم الى قلب الجزيرة لتدمير مركز الدولة الاسلامية وهم يعلمون ان هذا

الجيش الاسلامي هو كل ما يملكون، وما الذي يمنح الروم ان يتحمسوا مرة اخرى لاستعادة بلاد الشام اذا عرفوا بحال المسلمين.

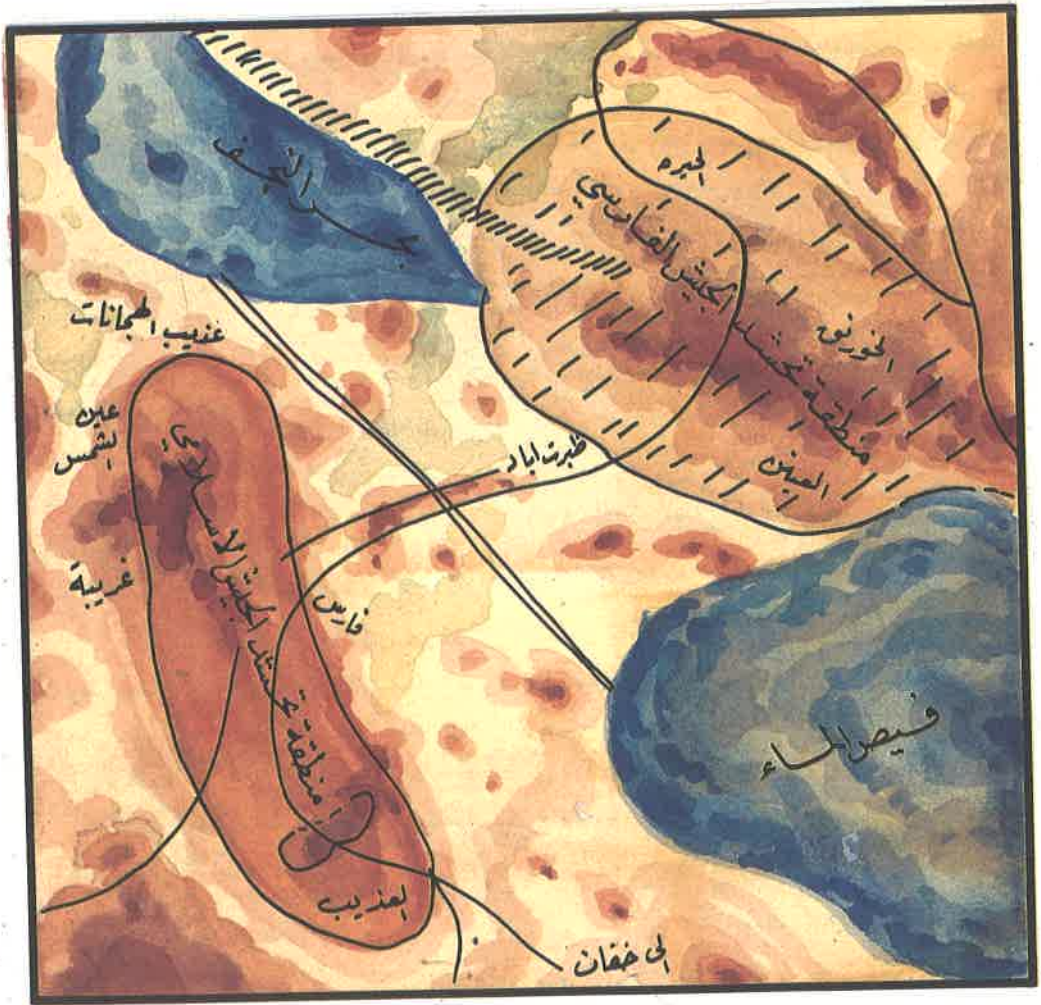
د - كان سعد معروفاً بصفاته الاسلامية التي تنم عن الشجاعة والاقدام وحب الاستشهاد وغيرها، ولكن سعداً تنقصه الخبرة القيادية رغم انه خاض كل المعارك والغزوات مع الرسول ولكنه في احسن الأحوال لم يقدر اكثر من الف جندي والآن يقود اربعين الف جندي يختلفون في طبائعهم وعاداتهم وخبراتهم، ويخوض بهم معركة في ارض غريبة عليه وعدوليس لديه عنه معرفة، ولم يكن اصلح من خالد بن الوليد لهذا الموقف، لذلك فإن سعداً يحتاج الى هذا التوجيه الحثيث والمباشر والمستمر من الخليفة وقد كان يرتاح له لأنه بحاجة اليه.

هـ - كانت نصف قوات سعد من المرتدين وهؤلاء لم يقاتلوا في صفوف المسلمين قبل هذه المعركة، بل كانوا محرومين من الجهاد ولكن ظروف الحرب تطلبت وجودهم، وكان عمر يخشى سوء تصرفهم لذا أحب ان يشعر كل مقاتل بأنه حاضر في المعركة ويستطيع ان يتصرف وبسرعة اذا حصل اي خطأ عن قصد او عن اهمال.

#### ١٠ - استثمار الفوز

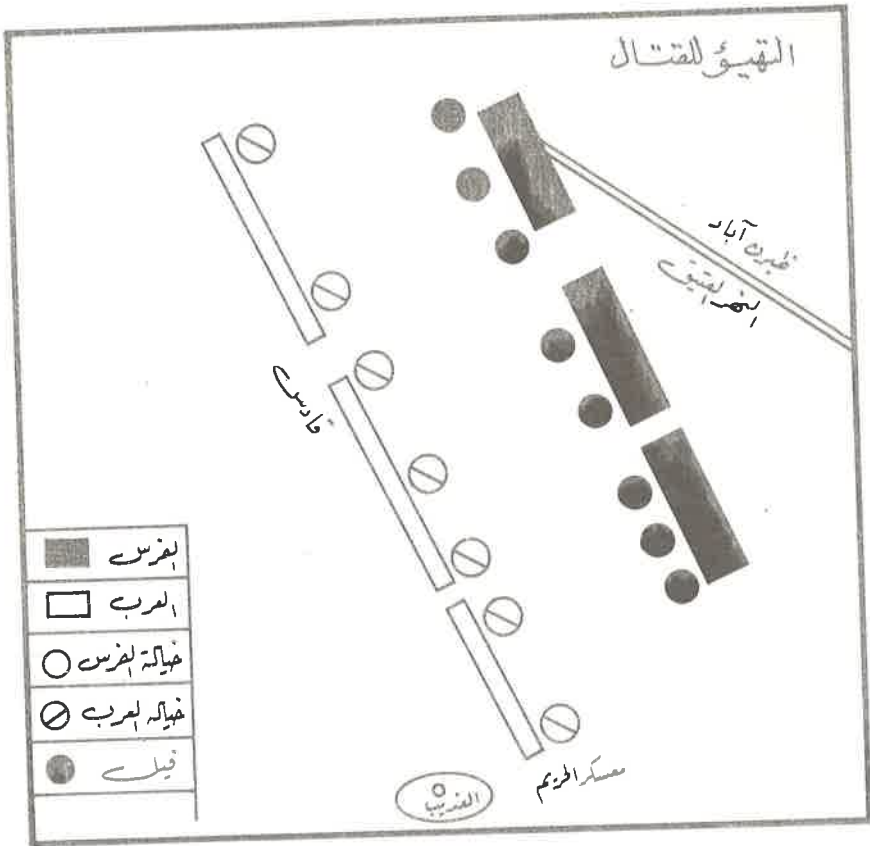
لا نستطيع القول بالمطاردة رغم ان المسلمين كانوا بحاجة لها بل نقول استثمار الفوز وهي مطاردة محدودة حتى لا يسمح للعدو بإعادة تنظيمه ضمن ميدان المعركة ومعاودة القتال، فقد دفع سعد بقوات المسلمين خلف العدو الى ضواحي ميدان المعركة في النجف والخوار وبعد ان تأكدت من تفرق القوات الفارسية عادت الى قواعدها. من الطبيعي ان لا يقوم القائد سعد بالمطاردة لأنه ليس لديه القوات الكافية لذلك بالاضافة الى ان قوات المسلمين كانت منهكة في قتال دام ٣٦ ساعة دون توقف، وكان يكفيه هذا الاستثمار فقط.



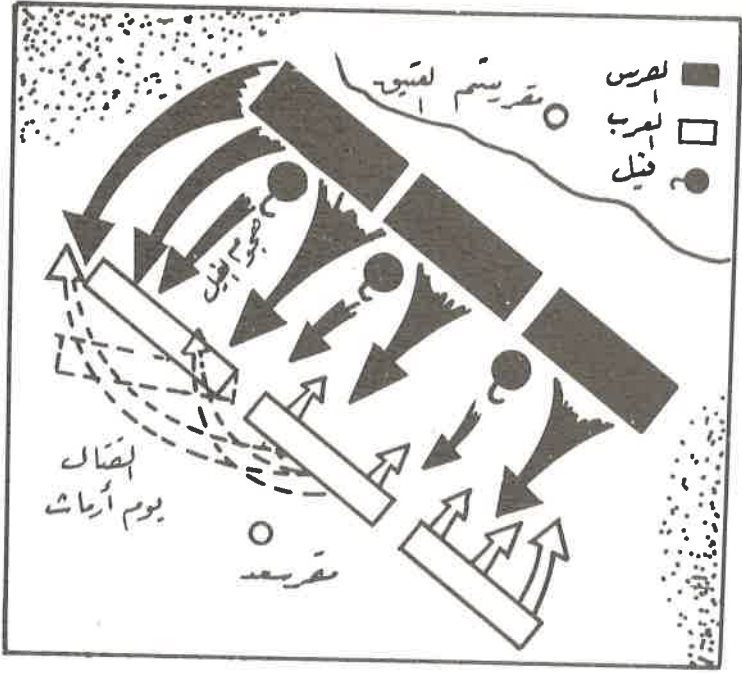


المخطط رقم ٣٧  
 منطقة تحشد الجيش في القادسية



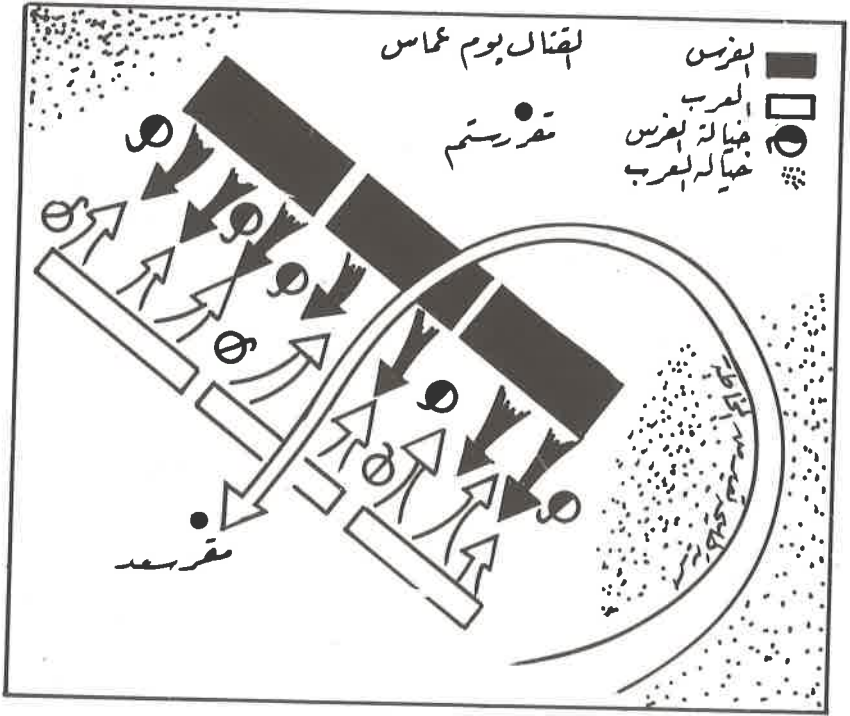


المخطط رقم ٣٩  
تهيؤ الجيش للقتال في الفادسية

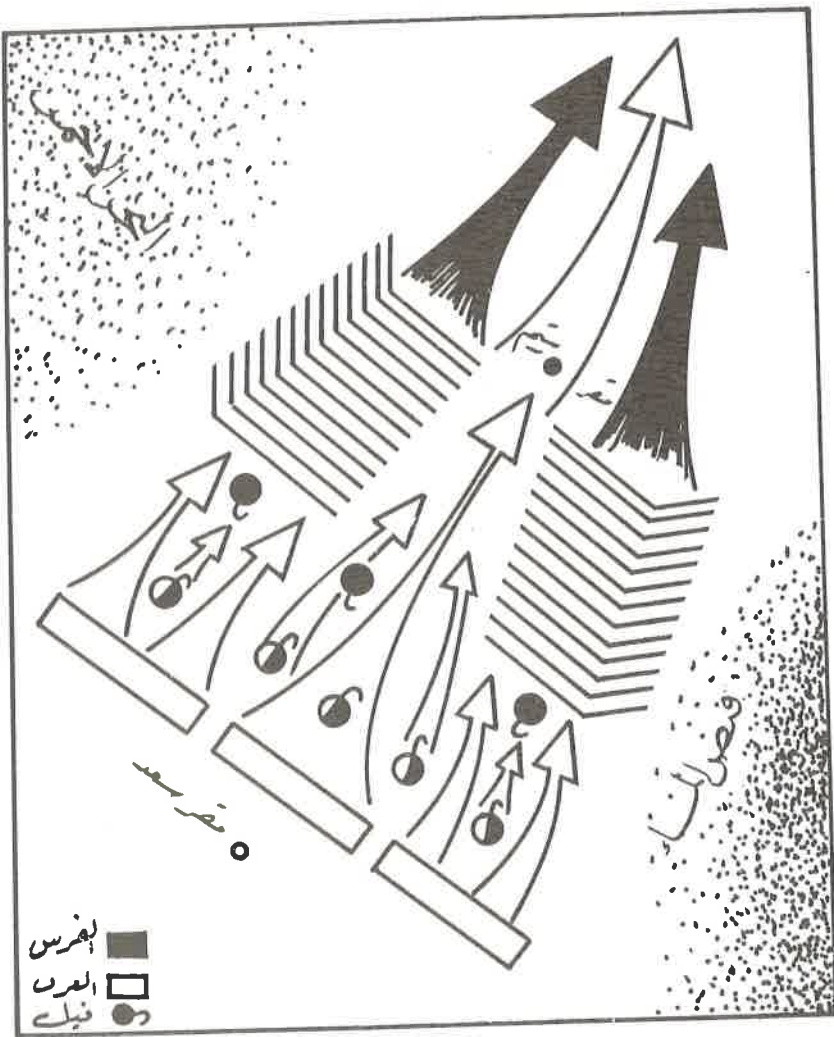


المخطط رقم ٤٠  
القتال يوم أرمات

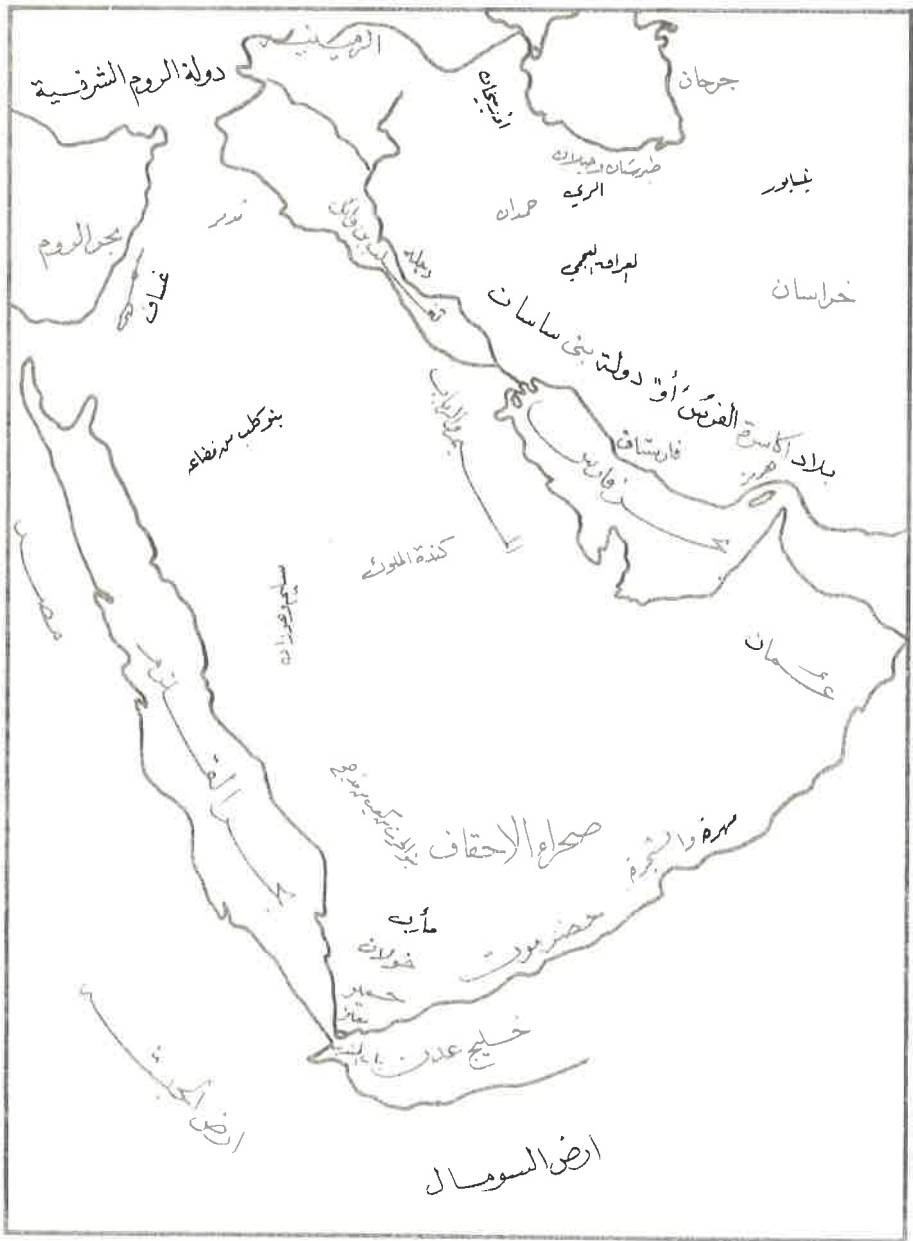




المخطط رقم ٤٢  
القتال يوم عماس



المخاطبة رقم ٤٣  
 القتال يوم القادسية



شكل رقم ٤٤  
جزيرة العرب



## النهايات

- ١ - خاتمة البحث.
- ٢ - ثبت المراجع والمصادر.
- ٣ - فهرست الخرائط والمخططات.
- ٤ - محتويات البحث.

## خاتمة البحث

ظهر الاسلام في عصر لا يعرف فيه العرب من الحرب إلا الكر والفر والإقدام فلم تخضع فيه حروبهم<sup>(١)</sup> لمبادئ وأسس ثابتة كما كان معروفاً لدى جيرانهم من الفرس والروم، ولكن الدين الاسلامي كان بمثابة ثورة قلبت جميع المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، إذا احتوى القرآن الكريم على أسس واضحة تبين أساليب خوض المسلمين للقتال بدءاً من التحضيرات وانتهاء بنتائج المعركة وأسلوب التعامل مع الأسرى والجرحى وسكان البلاد المفتوحة.

كانت القبائل العربية هي أساس التنظيم في القتال فكانت القبيلة ترتب أفرادها بطريقتها الخاصة للغزو وأخذ الثأر. وعندما جاء الإسلام لم يبلغ الصيغة القبلية لأنها نبراس العربي وعنوان شجاعته ولكنه نظمها فقط حسب التعبئة التي كانت متبعة لدى الجيوش المتقدمة مثل الروم والفرس، إذ كان الجند يقسمون إلى عشرات والعشرات إلى مئات والمئات إلى كراديس والكراديس إلى صفوف وكل صف فيه عدد من القادة حسب توافر الجند، كما أصبح الجيش يقسم إلى قلب وميسرة وميمنة ومقدمة (طلائع) وحرس مؤخرة وأحياناً احتياط (ردء) ويكون عادة من الخيالة.

لم يعرف المسلمون العقيدة العسكرية بمعناها الواضح اليوم ولكنهم عرفوا العقيدة الدينية (الروحية) ومنها اشتقوا أسسهم ومبادئهم في القتال فطلب الشهادة كان يستلزم الحشد لأن الشهادة فرض عين على كل مسلم ولذلك عندما كانت تدق طبول الحرب ويُسْتَنْفَرُ الناس كان لا يتخلف أحدٌ إلا بعذر مشروع، والملاحظ أنه عندما ضعفت العقيدة الدينية لدى بعض الناس مع تقادم الزمن أصبحت طبول الحرب لا تستنهض همهم فاضطر الخلفاء والقادة لسوق الناس للحرب بالعصا، كانت العقيدة الدينية تتوخى من المسلم أن يحقق هدفه وهو إعلاء كلمة الله ولذلك لم يقاتل المسلمون لتحقيق مآرب شخصية ولناخذ مثلاً على ذلك في شخص القائد الكبير خالد بن الوليد عندما عزله الخليفة عمر عن جيوش الشام، والعزل هنا ليس تنزيل رتبة واحدة أو منصب معين من قائد فيلق مثلاً إلى قائد فرقة، بل إنه تجريد لكل الصلاحيات التي يحملها ومساواته بأصغر جندي في الجيش، فماذا قال خالد بن الوليد (إني لا اقاتل من أجل عمر بل أقاتل في سبيل الله) وتنازل بكل تواضع عن كل ميزات وعاد جندياً طائعاً في جيش أبي عبيدة وسيرته تدل على أنه كان من خيرة الجنود.

أشارت العقيدة الدينية على المسلم أن يضحي بروحه في سبيل الله على أن يكافأ على ذلك بالجنة ولذلك كنا نجد أن معظم المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلبون الموت ولديهم روح تعرضية عالية بحيث لم يفكروا في الاحجام أو التراجع أمام العدو لأن هذه لها ضوابط أيضاً

(١) كانت تسمى أيام العرب.

(ومن يولهم يومئذ دُبُرُه إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله) وعقابها صارم في حالة المخالفة.

ركزت العقيدة الاسلامية على موضوع القيادة واعتبرت القائد هو قبطان السفينة الناجح الذي يقودها الى بر الامان وقد اشترطت لذلك شروطاً أولها. توفر الصفات القيادية وأهمها الصفات الاخلاقية، ومن ثم العسكرية، وقد كان الرسول القائد أفضل المسلمين خُلُقاً فقد قال الله بحقه (وإنك لعلی خُلُقٍ عظیم)، ومن ثم الصفات العسكرية التي تعرفها هذه الأيام من ابداع، بعد نظر، مرونة التفكير، الحزم، الشجاعة والاقدام وغيرها. لم يترك الاسلام للقائد حرية التصرف الكاملة في الميدان واتخاذ القرار الفردي وإنما شرع مبدأ الشورى حتى يشترك الجميع في صنع القرار، وقد كان الرسول الذي لا ينطق عن الهوى يقف بين جنوده ويقول أشيروا على أيها الناس وقد رأينا موافقته على تنفيذ رأي المسلمين في بدر وأحد.

اهتمت القيادة الاسلامية بالحرب النفسية وجعلتها شعاراً لها لما لهذا الموضوع من أهمية في ميدان القتال. يقول أحد القادة الاسرائيليين عن حرب ١٩٦٧ ضد العرب أنهم حققوا النصر بوسائل الحرب النفسية بنسبة ٩٥٪ أما الوسائل القتالية الأخرى فكان تأثيرها ٥٪ فقط. يقول الرسول لقد (نُصِرْتُ بالرعب) ودليل هذا أن الرسول غزا ٢٨ مرة في حياته ولكن لم يحصل قتال إلا في تسعة منها فقط والأخرى انتهت لصالح المسلمين دون قتال. استخدم المسلمون وسائل عديدة للتأثير على معنويات العدو ورفع معنويات المسلمين، منها الحشد، جلب المعلومات عن العدو، التطويق، الغارات، الدوريات، استخدام وسائل الخداع، شعارات الحرب والشعر الحماسي.

هذَّب الإسلام فكرة الحرب وبتَّ فيها روحاً سمحةً وأخلاقاً حميدةً فلم يكن هدف الحرب لدى المسلمين تدمير العدو في أي وقت من الاوقات وإنما كان الهدف الأسمى الوصول الى السلام والعدل ورفع الظلم عن الشعوب بنشر الاسلام بين ربوعها. لاحظنا من خلال وصايا القادة وسير العمليات القتالية أن المسلمين قد أمروا بعدم التعرض للشيوخ والأطفال والنساء والرهبان وجميع الكائنات الحية بما فيها الشجر والنبات والطيور وقد وجدنا المسلمين ينفذون هذه الوصايا بدقة وطواعية لأن الأخلاق مغروسة في نفوسهم ونابعة عن عمق ايمانهم.

لم يعتمد المسلمون في يوم من الأيام على كثرتهم العددية او نوعية المعدات التي يتسلحون بها، بل كان اعتمادهم على نوعية المقاتل وامكانياته الفكرية والجسدية في قهر العدو ففي كل معارك صدر الاسلام ما عدا فتح مكة كان التفوق العددي لصالح العدو ورغم هذا كانت النتائج لصالح المسلمين، والسبب يكمن في نوعية المقاتل المسلم اذ ذكر الله تعالى أن قوة المسلم تعادل مرتين قوة عدوه على الأقل وهذه الحقيقة كانت واضحة. أما عندما يعتمد المسلمون على الكمية وليس النوعية فقد يتغير ميزان القوى كما حصل في معركة حنين (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

فلم تغن عنكم شيئاً وضاحت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين<sup>(١)</sup>.

لقد كان للمرأة المسلمة دور في القتال كما كان للرجل فقد شاركت في القتال منذ المعارك الأولى في الاسلام منذ بدر وأحد وحتى انتهاء الفتوحات الاسلامية والأسماء كثيرة والمواقف أكثر ففي أحد كانت أم نسييه بنت كعب وصفية بنت عبد المطلب وفي اليرموك خولة بنت الأزور وهند بنت عتبة وفي القادسية سلمى زوج المثنى وغيرهن من المسلمات الماجدات. لم يقتصر دور المرأة على العلاج والشؤون الادارية فقط فقد قاتلت بضاورة في اليرموك عندما فرض عليهن الموقف ذلك. ان وجود المرأة في ساحة القتال يرفع من معنويات المقاتلين ويؤمن خدمة طبية وإدارية جيدة وقوة إضافية مقاتلة عندما يلزم ذلك.

حض الاسلام على الجهاد والجهاد نوعان جهاد معنوي كالجهاد بالكلمة والكتابة وجاهاد مادي كالجهاد بالنفس والمال (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين<sup>(٢)</sup>) تشبه نظرية الجهاد الاسلامي، التعبئة العامة (النفير) للحرب في عصرنا الحاضر حيث توضع جميع مؤسسات الدولة بما فيها من أفراد وممتلكات تحت السيطرة لأغراض العمليات.

رغم كل الأسس والمبادئ التي تمت مناقشتها في هذا البحث إلا أنه كما أوردت فإن المسلمين طبقوها دون أن يستخدموا المسميات المعروفة في وقتنا الحاضر حيث لم تظهر هذه الافكار العسكرية ولم تدون كفنون وعلوم عسكرية إلا في القرنين الأخيرين ومن المسلم به أن نعترف بأن ما طبقه المسلمون في حروبهم يستحق أن نستعيد دراسته ونستفيد منه كما فعل اعداؤنا الصهاينة حيث طبقوا نظريات وفنون واسماء معارك ضد أمتنا العربية مدعين بأنها موجودة في تاريخهم المزعوم ولذا فنحن أجدر منهم بذلك فتاريخنا صحيح وقريب وبه فيض من العلوم خاصة قرأنا الكريم الذي لم نستوعب بعد ما ورد به من أفكار حربية تصلح لكل زمان ومكان.

والله الموفق

(١) سورة الصف - من الآية ٤

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٦

## ثبت المراجع والمصادر

- أبو بكر الصديق - هيكمل.
- آثار البلاد وأخبار العباد - القزويني.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الاثير - دار الشعب بالقاهرة.
- الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام - البياسي.
- الأغاني - أبو الفرج الاصفهاني - دار الشعب.
- البلدان - اليعقوبي.
- أيام العرب في الجاهلية - جاد المولى.
- ايران في عهد الساسانيين (مترجم) - آرثر كريستنس.
- البدايه - (لابن كثير).
- بغداد في عهد الخلافة العباسية (مترجم) - ليسترنج.
- البيان والتبيين - الجاحظ - الخانجي بمصر والمثنى.
- التاريخ الكبير - ابن عساكر.
- تاريخ التمدن الاسلامي - سيد أمير علي.
- تاريخ حمزة الاصفهاني - حمزة الاصفهاني.
- التاريخ الكبير - ابن واضح.
- التاج - ابن واضح.
- تاريخ الدول العربية وظهور الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية - يوليوس فنهورن.
- تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر.
- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - الحلبي بمصر ١٩٤٨.
- التراتيب الادارية - الادريسي.
- تهذيب سيرة ابن هشام - عبد السلام هارون.
- تاريخ الطبري ج ١، ج ٢، ج ٣، ج ٤، - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر.
- التاريخ العسكري - منهاج الكلية العسكرية الأردنية.
- تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون.
- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي.
- تاريخ الجيوش (ت. كمال دسوقي) - جورج كواستلان.
- تاريخ العرب القدامى - محمد فخر الدين.
- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي.
- تاريخ مدن العراق - يوسف رزق الله غنيم.

- تاريخ العرب العسكري - محمود الدرة.
- تفسير المؤمنين - عبد الودود يوسف - دار القلم.
- جغرافية العالم العربي - قسم المناهج والكتب المدرسية الأردنية.
- جغرافية العراق الحديث - هاشم السعدي.
- جغرافية العراق الطبيعية - جاسم محمد الخلف.
- الجغرافيا العسكرية - الفريق طه الهاشمي.
- جزيرة العرب - حافظ وهبه.
- الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان ج ١، ج ٢ - العميد الركن سيف الدين سعيد آل يحيى - دار العربية للموسوعات.
- حياة محمد - محمد حسين هيكل - طبعة ١٣ - ١٩٦٨.
- حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول - د. شكري فيصل.
- الخلفاء الرشيدون - عبد الوهاب النجار.
- خالد بن الوليد - الفريق طه الهاشمي.
- الخراج في الدولة الاسلامية - محمد ضياء الدين الرئيس.
- خطط الكوفة (ت. تقي المصعبي) - ماسنيون
- خالد بن الوليد - صادق عرجون.
- دروس من غزوة بدر - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاردنية.
- الرسول القائد - الزعيم الركن محمود شيت خطاب.
- رسالة الجهاد - حسن البنا - دار الكتاب العربي.
- سير اعلام النبلاء - الذهبي - سلسلة ذخائر العرب ١٩.
- السياسة الشرعية والفقہ الاسلامي - عبد الرحمن تاج - دار التأليف.
- السيرة النبوية - ابن هشام - مؤسسة البابي الحلبي بالقاهرة.
- السيرة النبوية - الدكتور مصطفى السباعي.
- السوقية عند العرب - العميد المتقاعد فهد مقبول الغبين.
- سيف الله خالد - صاغ محمد فرج - منشورات دار الفكر العربي.
- صحيح البخاري - شرح الكرمانى - المطبعة المصرية.
- الطريق الى المدائن - أحمد عادل كمال - دار النفائس.
- الطبقات الكبرى - ابن سعد.
- العسكرية العربية الاسلامية - محمود شيت خطاب.
- عمر بن الخطاب - هيكل.
- عبقرية خالد - محمود عباس العقاد.
- العقد الفريد - ابن عبد ربه.

- عيون الأخبار - ابن قتيبة - دار الكتب المصرية .
- عشائر العراق القديمة - عباس الغزاوي .
- غرر أخبار الملوك - الثعالبي .
- غزوة بدر الكبرى - محمد عبد القادر أبو فارس .
- الفهرست - ابن النديم .
- الفروسية العربية في العصر الجاهلي - سيد حنفي .
- فتوح الشام - أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي - دار الجيل - بيروت .
- الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة - مقدم عبد الحميد حسين - مطبعة شفيق - بغداد .
- الفتوحات الاسلامية بعد عهد الفتوحات النبوية ج ٢ - أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة - مطبعة مصطفى محمد .
- الفن الحربي في صدر الاسلام - عبد الرؤوف عون - منشورات دار المعارف بمصر .
- فتوح البلدان - البلاذري .
- الفاروق عمر - محمد حسين هيكل .
- الفاروق القائد (عمر بن الخطاب) لواء محمود شيت خطاب - دار الشعب .
- الفتح العربي للعراق وفارس - محمد فرج - دار الفكر العربي .
- قلب العراق - أمين الريحاني .
- قلب جزيرة العرب - فؤاد حمزة .
- القادسية - تحرير العراق - اللواء الركن شاكر محمود رامز - مديرية المطابع العسكرية .
- القرآن الكريم .
- الكامل في التاريخ - ابن الاثير .
- مروج الذهب - المسعودي - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .
- المسالك والممالك - الاصطخري - سلسلة تراثنا .
- معجم البلدان - ياقوت الحموي .
- معجم القبائل العربية القديمة والحديثة - محمد رضا كحالة .
- المثنى بن حارثة الشيباني - محمد فرج .
- محاضرات في الثقافة الاسلامية - منشورات مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الاردنية .
- معارك خالد بن الوليد ضد الفرس - تأليف الجنرال أ. أكرم - ترجمة العميد الركن صبحي الجابي .
- الموسوعة العسكرية - مجموعة من المؤلفين
- من جنة عدن الى عبر الاردن - وليم دبلوكس (ت. احمد سوسه) .
- المغازي - موسى بن عقبة الأسدي .
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي .

- مختار الصحاح - الرازي - دار الكتاب العربي - بيروت ط ١ - ١٩٦١ .
- المدخل في السوق والجغرافية العسكرية - منشورات مديريةية التدريب العسكري في وزارة الدفاع العراقية .
- المغازي - الواقدي - تحقيق د. م. جونز .
- موسوعة العتبات المقدسة - قسم المدينة المنورة - جعفر الخليلي وعدد من كبار الأساتذة .
- الميزان - الشعراني .
- النبوة والاشراف - اليعقوبي .
- النجوم الزاهرة - أبو المحاسن ابن تغرى بردى .
- الوثائق التاريخية في عصر النبوة والخلافة الراشدة - د. محمد حميد الله الحيدر ابادي .
- وفيات الأعيان - ابن خلكان .



## فهرست الخرائط والمخططات

الصفحة	الموضوع	الرقم المتسلسل
٩٧	أقسام شبه جزيرة العرب	١
٩٨	تضاريس شبه جزيرة العرب	٢
٩٩	طبوغرافية سطح العراق	٣
١٠٠	تضاريس العراق	٤
١٠١	مجرى نهر الفرات	٥
١٠٢	ساحل الخليج العربي زمن الفتح الاسلامي	٦
١٠٣	فتوح العراق	٧
١٠٤	فتوح الشام	٨
١٠٥	خريطة بلاد الشام	٩
١٠٦	تضاريس بلاد الشام	١٠
١٢١	توزيع القبائل العربية في الجزيرة العربية	١١
١٩٥	طبيعة ارض المعركة في بدر	١٢
١٩٦	سير العمليات القتالية في بدر	١٣
٢٠٦	طبيعة ارض المعركة في أحد	١٤
٢٠٧	معركة أحد	١٥
٢٠٨	تابع معركة أحد	١٦
٢١٨	موقع الخندق	١٧
٢١٩	طبيعة ارض المعركة في الخندق	١٨
٢٢٠	سير العمليات القتالية في الخندق	١٩
٢٢١	انفتاح قوات الأحزاب حول المدينة	٢٠
٢٢٩	طبيعة منطقة العمليات في فتح مكة	٢١
٢٣٠	سير العمليات القتالية في فتح مكة	٢٢
٢٣٧	سير العمليات في فتح تبوك	٢٣
٢٥٣	فتح بلاد الشام	٢٤
٢٥٤	خطة تعرض الروم قبل اليرموك	٢٥
٢٥٥	مسير خالد من العراق الى الشام	٢٦
٢٥٦	مواقع الفريقين في اليرموك	٢٧
٢٥٧	عمليات اليوم الثاني في اليرموك	٢٨

٢٥٨	عمليات اليوم الثالث في اليرموك	٢٩
٢٥٩	عمليات اليوم الرابع في اليرموك	٣٠
٢٦٠	عمليات اليوم السادس في اليرموك	٣١
٢٦١	تابع عمليات اليوم السادس في اليرموك	٣٢
٢٦٢	تابع عمليات اليوم السادس في اليرموك	٣٣
٢٧٣	محور التقدم ومنطقة الحشد في البويب	٣٤
٢٧٤	قطعات الطرفين في معركة البويب	٣٥
٢٧٥	سير العمليات القتالية في معركة البويب	٣٦
٢٩٦	منطقة تحشد الجيشين في القادسية	٣٧
٢٩٧	طبيعة ارض المعركة في القادسية	٣٨
٢٩٨	تهيؤ الجيشين للقتال في القادسية	٣٩
٢٩٩	القتال يوم أرمات	٤٠
٣٠٠	القتال يوم أغواث	٤١
٣٠١	القتال يوم عماس	٤٢
٣٠٢	القتال يوم القادسية	٤٣
٣٠٣	جزيرة العرب	٤٤

## محتويات البحث

رقم الصفحة	الموضوع	الفصل	الباب
١١	تقديم الموضوع والمؤلف		
١٣	مقدمة الكتاب		
١٦	توطئة تاريخية		
١٩	الاسلام والحرب		الأول
٢١	نظرة الاسلام الى الحرب	الأول	
	مشروعية الحرب في الاسلام		
	بواعث الحرب في الاسلام		
	أخلاق الحرب في الاسلام		
٢٩	الفكر العسكري الاسلامي		الثاني
٣١	مقدمة	الأول	
	القيادة (من العصر الجاهلي الى صدر الاسلام)		
٣٩	العقيدة العسكرية	الثاني	
٤٩	نظام التعبئة والتجنيد	الثالث	
	تنظيم الجيش الاسلامي		
	التدريب والأسلحة		
	الشؤون الادارية		
٧١	نص بعض المعاهدات والخطب والوصايا والرسائل	الرابع	
٨٥	الطبيعة الجغرافية لمناطق العمليات		الثالث
	شبه جزيرة العرب		
	العراق		
	بلاد الشام		
	خرائط ومخططات		
١٧	المعطيات البشرية		الرابع
	تمهيد		
	العرب		
	الفرس		
	الرومان		

رقم الصفحة	الموضوع	الفصل	الباب
١٢٣	مباديء الحرب		الخامس
١٢٥	تعريفات نبذة تاريخية تطور مباديء الحرب تطبيق مباديء الحرب	الأول	
١٣٧	مباديء الحرب عند بعض المفكرين والقادة مباديء الحرب عند بعض الدول مباديء الحرب الأساسية الأمن الهدف المفاجأة الحشد الاقتصاد بالجهد التعرض المعنويات المرونة الشؤون الادارية التعاون		الثاني
١٨٧	الغزوات والمعارك المشهورة وتطبيقاتها السوقية والتعبوية		السادس
١٨٨	فتح الجزيرة العربية غزوة بدر الكبرى غزوة أحد غزوة الخندق فتح مكة غزوة تبوك	الأول	
٢٣٩	فتح بلاد الشام		الثاني
٢٦٣	معركة اليرموك فتوح العراق معركة البويب معركة القادسية خاتمة البحث		الثالث
	ثبت المراجع والمصادر فهرس الخرائط والمخططات محتويات البحث		